

سلاجقة الشام والجزيرة

في الفترة مابين ٤٣٥ - ٥٧٠هـ

بقلم

الدكتور إرشيد يوسف

أستاذ التاريخ والحضارة المساعد

بكلية الآداب للبنات في الرياض

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م



سلاجقة الشام والجزيرة

في الفترة ما بين ٤٣٥ - ٥٧٠ هـ

بقلـــم
الدكتور إرشيد يوسف
أستاذ التاريخ والحضارة المساعد
بكلية الآداب للبنات في الرياض

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

٩٥٦٫٠٦٣٤
إرشيـ إرشيد يوسف راشد حميدان
سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥ ـ ٥٧٠/هـ
إرشيد يوسف راشد حميدان ـ عمّان : المؤلف، ١٩٨٨
(٢٩٠) ص
ر. أ. ٤٠٤/٧/١٩٨٨
١ ـ سلاجقة الشام والجزيرة ـ تاريخ إسلامي
أ ـ العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

إهـــداء

إلى من له الفضل في نشر هذا البحث
الأخ الوفي المهندس علي الحكيم
مدير مؤسسة ماربو بدولة قطر
أهـــدي هـــذا الكتـــاب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

عندما نتجول في عصور التاريخ الاسلامي، ونمعن النظر في أحداثه تطالعنا تلك الفترة التي ظهر فيها السلاجقة، وتوسعوا في بلاد المسلمين فيما وراء النهر إلى جنوب الشام إلى بلاد الروم غرباً، واستطاعوا التحكم في الخلافة العباسية فترة من الزمن، وعاصروا أحداثاً جسيمة عصفت بالمسلمين في فترة الضعف التي أصابت الخلافة العباسية.

ولقد نظرت إلى المكتبة الاسلامية، وإلى ما كتبه المؤرخون عن دور السلاجقة لحسم الخلافات الاسلامية، والذود عن الخلافة العباسية، والجهاد ضد الصليبيين، فوجدت غالبيتها تتضمن إشارات بسيطة متفرقة ومبعثرة في المراجع الاسلامية المتعددة.

ومن هنا جاءت الرغبة في الاستزادة من البحث والدراسة، حول هذا الموضوع نظراً إلى خطورة هذه المرحلة وأهميتها في التاريخ الاسلامي، وإلى ما كانت تعانيه الخلافة العباسية من ضعف وتهديد، وخلافات سياسية ومذهبية وظهور السلاجقة على مسرح الأحداث وتفوقهم على القوى الاسلامية الأخرى. فنظر إليهم خلفاء بني العباس نظرة المنقذ، ووكلوا إليهم مهمة الحفاظ على الأمن والدفاع عن الدين والدولة، فباشروا مهمتهم بادىء الأمر على أكمل وجه، ولكن سرعان ما دبّ الخلاف بينهم، بعد وفاة زعيمهم السلطان ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان سنة ٤٨٥ هـ، فأصيبوا بعده بحالة من التفكك والاضمحلال بسبب الصراع على السلطة، فأعاقهم ذلك عن القيام بمسؤولياتهم وأصبحوا عبئاً على الخلافة العباسية والبلاد الاسلامية، بدلاً من أن يكونوا سلاحاً يذب الأخطار ويدفع الأعداء، خاصة في تلك الفترة الحرجة التي قدم فيها الصليبيون إلى بلاد المسلمين.

وقد رغبت في دراسة هذه المرحلة المتعلقة بسلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥ هـ - ٥٧٠ هـ، علّني أضيف شيئاً جديداً، أو أوضح بعض النواحي الغامضة.

ولقد حاولت أن ألقي الضوء في هذه الدراسة على العقبات التي منعت السلاجقة من القيام بدورهم الكامل في الجهاد، وحفظ الهيبة للخلافة العباسية على أكمل وجه، كما تطرقت إلى الآثار السياسية والعسكرية للسلاجقة في الشام والجزيرة وعلاقاتهم بالسلاطين والخلفاء، وما آلت إليه البلاد في عهدهم.

وقد قسمت هذا الموضوع إلى سبعة فصول وخاتمة، فخصصت الفصل الأول ليكون مدخلاً لهذا البحث، مهّدت فيه للدخول إلى الفصل الثاني وأفردته لهجرات السلاجقة من موطنهم الأصلي، إلى ما وراء النهر، ثم دخولهم خراسان وفارس، حتى مجيئهم إلى بغداد بإذن من الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وقد بيّنت حرص السلاجقة على التمسك بسلطان الخليفة العباسي الروحي، سعياً وراء الحصول على تأييده بالرغم من ضعف نفوذه السياسي في تلك الفترة.

وقد يظن البعض أن هذه الفترة تبعد عن نطاق البحث، والحق أن لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى الموضوع، وعلاقة وطيدة به فليس من الممكن دراسة سلاجقة الشام والجزيرة دون أن نعرف من هم السلاجقة، ومن أين جاءوا وكيف وصلوا إلى هذه البلاد، وكيف اتصلوا بالخلافة العباسية.

ولقد اعتمدت في كتابة هذا الفصل على عدة مراجع ومصادر عربية وأجنبية مترجمة إلى العربية، عاصر أصحابها فترة ظهور السلاجقة من أهمها تاريخ البيهقي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ، فقد شغل منصب نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود الغزنوي، فأتاح له ذلك فرصة التعرف على ما جرى بين السلاجقة والغزنويين في صراعهم وحروبهم في المرحلة الأولى من ظهور السلاجقة.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن تسلل السلاجقة إلى الجزيرة وعلاقاتهم بأهلها وما أسفرت عنه محاولاتهم للاستيلاء عليها والحروب التي وقعت في أراضيها.

وقد استعنت ببعض المصادر والمراجع، التي لها صلة بهذا الموضوع وعاصر أصحابها هذه الفترة الزمنية فوجدت كثيراً من المصادر ومن أشهرها مذكرات داعي دعاة الفاطميين هبة الله الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ، وتنحصر أهمية هذا المصدر في أنَّ مؤلفه كان أحد دعاة الفاطميين في هذه الفترة، ولعب دوراً بارزاً في التنسيق مع البساسيرى لاستمالة أُمراء بني عقيل للعمل معاً ضد السلاجقة، كما استطاع استمالة إبراهيم بن ينال أخى السلطان طغرلبك السلجوقي للعمل معهم لصالح الفاطميين طمعاً في الزعامة والمُلك.

أما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن دخول السلاجقة إلى بلاد الشام، وأبرزت الحملات التي قام بها السلطان ألب أرسلان السلجوقي وابنه السلطان ملكشاه، وما أنجزته هذه الحملات للتمهيد في استقرار السلاجقة في هذه البلاد.

وقد استفدت كثيراً من المصادر والمراجع، التي تعرضت لهذا الموضوع، ومن أهمها تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الكاتب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، فقد أمدني بكثير من المعلومات عن سلاطين السلاجقة وأُمرائهم وكيف تغلغلوا في بلاد الشام وأقاموا لهم إمارات فيها.

أما الفصل الرابع فقد أفردته للسلاجقة في عهد ولاتهم على الشام والجزيرة في الفترة ما بين سنة ٤٨٥ هـ - حتى بداية عهد الأتابكة، وقد تضمن دور هؤلاء الولاة في مواجهة الحملات الصليبية، وجهودهم لأجل إقامة تحالف إسلامي لوقف التغلغل الصليبي في بلاد الشام والجزيرة.

وقد استعنت بكتاب الكامل لابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ وزودني بكثير من

المعلومات القيِّمة عن هذه الفترة خاصة أن ابن الأثير من أبناء الجزيرة فهو يعرفها حق المعرفة وأرّخ لها جيداً خاصة فيما يتعلق بصلة الأمراء السلاجقة بسلاطينهم من جهة وبالخلفاء العباسيين من جهة أخرى، وطريقة تصدي هؤلاء الأمراء للحملات الصليبية على الشام والجزيرة.

أما الفصل الخامس فقد أفردته للحديث عن أتابكة الشام في كل من دمشق وحلب، بعد أن تمكن الأتابك ظهيرالدين طغتكين من الاستيلاء على دمشق من أبناء تتش السلجوقي سنة ٤٩٧ هـ، وبقيت الامارة بيد أبنائه من بعده حتى سنة ٥٤٩ هـ حين جاء نورالدين محمود بن زنكي وضم دمشق إلى إمارته في حلب التي ملكها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١ هـ.

كما تحدثت عن أتابكة حلب، الذين استولوا على مقاليد الأمور فيها بعد وفاة صاحبها رضوان بن تتش السلجوقي سنة ٥٠٧ هـ، وقد ظلت البلاد في عهدهم في حالة قلقة وغير مستقرة حتى جاء عمادالدين زنكي وضمها إلى إمارته في الجزيرة سنة ٥٢٢ هـ.

وقد أبرزت في هذا الفصل علاقة الأتابكة بالسلطة المركزية السلجوقية وكيف آلت البلاد في عهدهم إلى طعمة للفرنج بسبب الانقسامات والمؤامرات على بعضهم البعض.

وقد استعنت بكثير من المراجع والمصادر للحصول على معلومات تفيدني في هذه الفترة ومن أهمها ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وزبدة الحلب لابن العديم، على اعتبار أن ابن القلانسي من أبناء دمشق وعاصر أحداث هذه الفترة، كما أن ابن العديم من أبناء حلب ومتوفى سنة ٦٦٠ هـ، فأمدني بمعلومات وافية عن الأتابكة في الجزيرة وحلب ودمشق ودورهم في مجاهدة الصليبيين.

ولقد خصصت الفصل السادس عن الأتابكة الزنكيين في الجزيرة والشام وعن جد هؤلاء الأتابكة عمادالدين زنكي الذي تولى الامارة في الجزيرة بتفويض من السلطان محمود السلجوقي سنة ٥٢١ هـ، ثم توسع فشملت إمارته حلب وما حولها وانتقل الحكم من بعده إلى أبنائه بطريق الوراثة، وبيّنتُ إنقسام هذه الامارة بين أبنائه من بعده فاستقل نورالدين في حلب بينما استحوذ سيف‌الدين غازي على الجزيرة، وقد أبرزتُ علاقة الزنكيين بالسلطة المركزية السلجوقية وبالخلفاء العباسيين وكيف عمل نورالدين على الاستقلال عن السلاجقة وعدم الاتصال بهم، وتوسع في الشام حتى قوى أمره كثيراً، كما أبرزتُ دورهم في الجهاد ضد الصليبيين حتى استطاعوا إنتزاع أجزاء واسعة من المناطق التي كانت بأيديهم من أيام الأمراء السلاجقة قبل مجيء الزنكيين.

وقد استعنتُ بكتاب الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير وغيره من المراجع إلّا أن الباهر يمتاز بتفصيله لعهد الأتابكة من مجيء عمادالدين زنكي سنة ٥٢١ هـ إلى نهاية عهد الأتابكة.

أما الفصل السابع والأخير فقد بينتُ فيه العلاقات بين أمراء السلاجقة في الشام والجزيرة مع سلاطينهم والخلفاء العباسيين، ثم تحدثتُ فيه عن الحالة الاجتماعية والثقافية وسائر النواحي السياسية والادارية والعسكرية عند سلاجقة الشام والجزيرة، وتحدثتُ كذلك عن علاقاتهم بباطنية الشام وأبرزتُ دور الأتابك طغتكين ورضوان بن تتش في الاستعانة بهم والسماح لهم بممارسة نشاطهم

خلال فترة حكمهم لدمشق وحلب، كما تعرضت إلى نظام الاقطاع الذي طبقه السلاجقة في إماراتهم وخاصة الشام والجزيرة موضوع البحث، وبينتُ آثاره السلبية على البلاد لكثرة عدد المقطَعين مما أدى إلى مزيد من الاحتكاك والتوتر والاقتتال فيما بينهم وانعكاس ذلك على مستقبل البلاد السياسي والاجتماعي والثقافي.

وقد استعنتُ بعدد من المراجع والمصادر في كتابة هذا الفصل، أهمها راحة الصدور وآية السرور للراوندي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ، والعراضة في الحكاية السلجوقية لمحمد بن عبدالله النظامي الحسيني المتوفى سنة ٧٤٣ هـ وغيرهما من المراجع والمصادر التي سبق ذكرها مثل زبدة الحلب وذيل تاريخ دمشق والكامل.

ثم أنهيتُ البحث بخاتمة تلخِّص نتائجه وما يمكن استخلاصه من فترة حكم السلاجقة للشام والجزيرة وما تركوه من آثار عامة على البلاد ومستقبلها، وما قدموه للمسلمين في سائر النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية علاوة على أنني قمت بترجيح كثير من الروايات الصحيحة على الأخرى الضعيفة التي تخالف تسلسل الأحداث وقوة الدليل وتعارض روايات المعاصرين للأحداث بصورة عامة، معتمداً في البحث على التمحيص وإحقاق الحق بدون تعصب أو تحامل، ثم أتبعتُ الخاتمةَ ببعض الملاحق التي لها صلة بالبحث ويمكن الاستفادة منها بتوضيح بعض الجوانب الهامة فيه.

وبالاضافة إلى ما تقدم ذكره من مراجع ومصادر استعنت بها في كتابة هذا البحث فقد اعتمدت على كثير من المراجع والمصادر الأخرى، أخص بالذكر منها أخبار الدولة السلجوقية للحسيني ومرآة الزمان لابن الجوزي وتاريخ ابن الفرات لناصرالدين بن الفرات والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء وتاريخ مختصر الدول لابن العبري، كما استعنت بما كتبه المتأخرون من كتب عربية وأجنبية مترجمة، أذكر منها على سبيل المثال، كتاب السلاجقة تأريخهم وحضارتهم للكاتبة تامارا تاليوت رايس، والحروب الصليبية لسميل وتاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان وتاريخ الحركة الصليبية للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور.

أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه خدمة ديننا وأمتنا.

والله ولي التوفيق،

إرشيد يوسف
٨ من محرم ١٤٠٩هـ
٢١ من أغسطس ١٩٨٨م



الفصل الأول

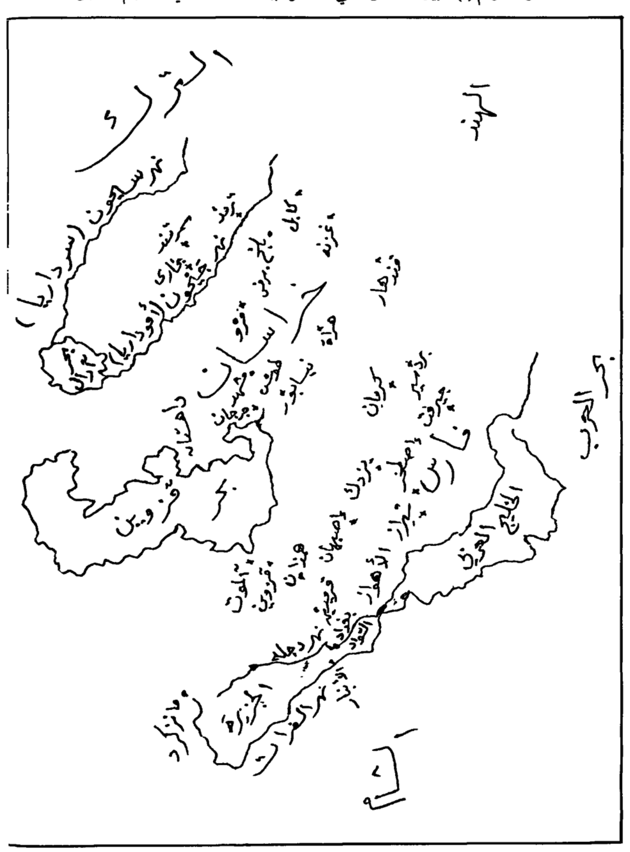
مدخل إلى سلاجقة الشام والجزيرة



الفصل الأول
مدخل إلى سلاجقة الشام والجزيرة.

* نسبهم وموطنهم الأول.
* حياة السلاجقة وزعامتهم فيها وراء النهر.
* نزاع السلاجقة مع الغزنويين منذ سنة ٤١٥ هـ.
* معركة سرخس وأثرها.
* مراسلة السلاجقة للخليفة العباسي.
* معركة دندانقان.
* السلاجقة يوثقون علاقتهم بالخليفة العباسي.
* وجهاً لوجه مع البويهيين.
* دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ.

خارطة رقم(أ) تبينّ المناطق التي استقر بها السلاجقة في أيامهم الأولى*



* أطلس التاريخ الاسلامي.
الأطلس التاريخي للعالمين العربي والاسلامي.

* نسبهم وموطنهم الأول :-

يُنسب السلاجقة إلى زعيمهم الأول سَلجوق بن دُقاق[١] وهم إحدى القبائل التركية التي كانت تُعرف باسم القُنق بتُركستان[٢].

غير أنه أُطلق عليهم ألقاب أُخرى مثل التركمان[٣]، الأتراك[٤]، الأتراك الغُزّ[٥] الغُزّ[٦]، إلّا أن لقب السلاجقة هو الذي غلب عليهم بعد هجرتهم بقيادة زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق قادماً بهم من بلاد التركستان إلى ما وراء النهر[٧] واستقروا ما بين بخارى[٨] وجند[٩] في أواخر القرن الرابع الهجري (حوالي سنة ٣٧٥ هـ) وأقاموا بين السامانيين، واعتنقوا الاسلام بمجرد استقرارهم بينهم[١٠] ثم توالت بعض الجماعات التركية تهاجر فتنضم إليهم وتقيم معهم[١١].

وقد وردت عدة روايات في سبب هجرتهم من موطنهم الأصلي تركستان إلى ما وراء النهر، منها أن جدهم دقاق، كان رجلاً عالي الهمة نال منزلة رفيعة عند ملوك الترك، فأنعم عليه وسلمه قيادة جيش الترك ولقبه سوباشي (قائد الجيش)[١٢].

فأراد ملك الترك (بيغو) أن يغزو بلاد الاسلام، فعارضه دقاق فعاقبه الملك بالسجن، وأقام مكانه على قيادة الجيش ابنه سلجوق بن دقاق[١٣]، ثم أحسَّ سلجوق فيما بعد بمؤامرة ملك الترك عليه للتخلص منه فجمع أنصاره وعشيرته من التركمان وهاجر بهم من تركستان إلى ديار المسلمين فيما وراء النهر وأقام بهم ما بين بخارى وجند[١٤].

ويرى بعض المؤرخين أن رحيل سلجوق وعشيرته ومؤيديه من التركمان تمَّ بسبب الظروف الاقتصادية القاسية التي كانوا يعانون منها، لضيق المراعي، فرحلوا بحثاً عن مساقط المياه وجودة المراعي لسكناهم واستقرارهم[١٥]. ويرى ابن الأثير أن دقاق ومن بعده ابنه سلجوق كانوا ميالين إلى الاسلام قبل الهجرة السلجوقية، فتمت الهجرة لذلك وليس لضيق سُبل العيش أو غيره كما ذكر البعض[١٦]. وعلل أرمينوس فامبري هذه الهجرة قائلاً : «ان ملك الترك هو الذي طرد سلجوق وجماعته لجرائم ارتكبوها فاضطروا إلى الرحيل إلى مشارف جند وأقاموا فيها»[١٧].

ومما تقدم يمكن القول، أن هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء رحيل سلجوق بن دقاق ومؤيديه من الترك إلى ما وراء النهر واستقرارهم بين المسلمين، وأعتقد أن فقدان الثقة بين سلجوق وملك الترك هو الذي دفع سلجوق إلى الرحيل لما فعله الملك بأبيه دقاق، فاختار ديار الاسلام نكاية بملك الترك وحُباً في سماحة الاسلام والمسلمين وإمكانية العيش معهم بسلام وأمان.

* حياة السلاجقة وزعامتهم فيما وراء النهر :-

يتضح مما تقدم أن السلاجقة عاشوا في بلاد ما وراء النهر في هدوء مع جيرانهم المسلمين حتى وفاة زعيمهم سلجوق بن دقاق في جند[١٨]، وكانوا خلال هذه الفترة يعيشون حياة متنقلة ما بين بخارى وسمرقند[١٩].

ترك سلجوق وراءه عدة أبناء وهم : أرسلان بيغو (ويلقب بإسرائيل) وميكائيل، وموسى، ويونس[٢٠]. وكان أرسلان بيغو (إسرائيل) أكبرهم سناً فتزعم قيادة السلاجقة بعد أبيه سلجوق[٢١].

وقد اتفق هؤلاء الاخوة فيما بينهم على التكاتف والتعاون في سبيل تحقيق الاستقرار والحماية، يقول صاحب العراضة : «وقد توطّد بنيان الدولة بتوفيق والدهم العظيم ووجود هؤلاء الأبناء الأوفياء وكانت الالفة بينهم متينة»[٢٢].

* نزاع السلاجقة مع الغزنويين[٢٣] منذ سنة ٤١٥ هـ :-

اتفق أن خرج محمود بن سبكتكين زعيم الغزنويين من عاصمته غزنة[٢٤] قاصداً ما وراء النهر سنة ٤١٥ هـ، وقد تباينت وجهات النظر لدى المؤرخين في سبب هذه الحملة، فمنهم من رأى أنها جاءت لمساندة إيلك خان (أحد ملوك الترك) فيما وراء النهر على قدر خان بن بغرا خان ملك تركستان في نزاع وقع بينهما[٢٥] فيما يرى آخرون أن السلطان محمود الغزنوي خرج لمحاربة إيلك خان نفسه لعداوة نشأت بينهما بسبب ما فعله إيلك خان لرسل محمود بن سبكتكين الغزنوي في تلك النواحي[٢٦].

وأرى أن هذه الرواية أقوى من سابقتها بسبب روايتها من عدد من المؤرخين الثقاة، الذين كانوا أقرب إلى زمن وقوعها، ثم أن إيلك خان لمّا صالح السلطان محمود أراد أن يشغله بالسلاجقة فيضربها ببعضها البعض ويتخلص من التبعية للسلطان محمود ومن الوجود السلجوقي في بلاده، والذين يخشى من تعاظم قوتهم في المستقبل، فقد ورد أنّ إيلك خان التقى بالسلطان محمود سنة ٤١٥ هـ بعدما عبر السلطان إليه نهر جيحون[٢٧]، فشكى له إيلك خان من وجود السلاجقة في بلاده ومن تعاظم قوتهم يوماً بعد يوم، وأنهم سيشكلون خطورة كبيرة في المستقبل فيصعب القضاء عليهم، وقد جاء في مقالته له : «منذ سنوات وفد على ولايتي أقوام من التركستان فاستولوا على المراعي الموجودة في نور بخارى وسغد سمرقند وجيوشهم كثيرة وجنودهم وفيرة، وعددهم خارج عن الحصر والعد، ورئيسهم المقدم عليهم سلجوق بن لقمان، وله أربعة أولاد، وهو محترم الجانب بين فرسانه على تمام الأهمية والعدة بين عسكره، وقد تهيأت له أسباب المُلك، بما وهبه الله من فرسان أقوياء وعدد كثير من الجند لا يبلغه إحصاء، وإني أرى أنه لا يمكنك أن تأمن جانبهم إذا نهضت في وقت من الأوقات وقصدت بلاد الهند وأخشى أن يحدثوا فساداً طلباً لولاية أو رغبة في الاستيلاء على إحدى النواحي أو طمعاً في المُلك، فمن الواجب عليك أن تستظهر بهم وأن تطلب المعونة منهم»[٨٢].

والذي يتضح من هذا الكلام أنه يقصد به التحريض والايقاع بالسلاجقة للتخلص منهم، إذ يبدو أنهم أصبحوا خطراً على المنطقة بأسرها حسب الصورة التي وصفها إيلك خان للسلطان الغزنوي لا سيما وأن جيوشهم وفيرة ولا يحصيها العد كما يقول، ومهما يكن في هذا الأمر من مبالغة، فإنه يدل على إنضمام أعداد هائلة من التركمان الذي هربوا من دار الكفر إلى دار الإسلام وانضموا إلى سلجوق بن دقاق، كما أن هذا الكلام يظهر بقاء سلجوق بن دقاق على زعامة السلاجقة حتى هذا التاريخ.

اقتنع السلطان محمود بوجهة نظر إيلك خان وتنبه إلى الخطر السلجوقي وأثره على زعامته مستقبلاً. وأخذ بمبدأ «وفي التأخير آفات»[٢٩] وبدأ يفكر في كيفية القضاء عليهم والتخلص منهم قبل استفحال خطرهم، فلجأ إلى الخديعة والمكر، فراسلهم وتحايل عليهم للقبض على زعمائهم وتشتيت قوتهم بعد ذلك[٣٠].

وقد روى الراوندي أن السلطان الغزنوي أرسل إلى السلاجقة يقول لهم: «إنني لفي عجب من تدبيركم وعقلكم ولكنكم حتى الآن وبحكم الجوار لم تطلبوا منا طلباً أو تلتمسوا ملمساً وإني لشديد الرغبة في مصادقتكم واستمداد المعونة منكم، ولست في غنى على الاطلاق عن معاونتكم، فإذا لم يستطع جميع الاخوة الحضور إليَّ فليختاروا واحداً منهم يفِد إلى مقرِّي، ولقد اتخذتُ مقامي على شاطىء النهر (جيحون) حتى تقصر المسافة بيني وبينكم، فإذا جاءني واحد منكم عقدت معه العهد ووثقت منه المواثيق»[٣١].

وقد نزلت هذه البادرة الطيبة من محمود الغزنوي على نفوس السلاجقة برداً وسلاماً، بل وأخذتهم الشهامة الاسلامية الصادقة فأرسلوا له زعيمهم إسرائيل بن سلجوق ومعه جيش عظيم للاجتماع به على شاطىء نهر جيحون[٣٢].

والذي يتضح لي أن زعيم السلاجقة سلجون بن دقاق قد مات في هذه السنة (٤١٥ هـ) وتولى القيادة مكانه ابنه أرسلان بيغو (إسرائيل) حيث ذكر أن السلاجقة أوفدوا زعيماً لهم للتفاوض مع السلطان محمود الغزنوي، بينما تقدم أن إيلك خان شكا السلاجقة للسلطان وهم بقيادة سلجوق بن دقاق.

لجأ محمود الغزنوي إلى تجريد إسرائيل بن سلجوق من قوته ليمكر به فأرسل له يقول: «لسنا الآن في حاجة إلى الاستمداد بجيشك وإنما جملة مقصودنا أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك فاترك الجيش في مكانه وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك»[٣٣].

وقد ترك إسرائيل جيشه وسار مع فئة قليلة من أُمرائه للقاء السلطان الغزنوي، فاستقبله السلطان أحسن استقبال، وأكرم وفادته، وأقبل عليه يحادثه ويستدرجه في الكلام، حتى علم منه ما يتعلق بشؤون جماعته وأسرار حياتهم وعدد فرسانه، مما شغل بال محمود أكثر وأكثر، فأمر بالقبض عليه وعلى أُمرائه وأرسلهم إلى سجن قلعة كالنجر في الهند[٣٤].

ويرى المؤرخ أبوالحسن الحسيني أن هذه الحادثة قد حصلت في عهد السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوي[٣٥]، ويُعتبر هذا الرأي ضعيفاً وذلك لمخالفته لرأي أغلبية المؤرخين ولعدم تسلسل الأحداث فيه، إذ أن كافة الدلائل تشير إلى أن عملية الأسر تمت بيد السلطان محمود نفسه بعدما عبر نهر جيحون سنة ٤١٥ هـ.

أثمرت حملة السلطان الغزنوي إلى ما وراء النهر سنة ٤١٥ هـ واستطاع أن يبسط سلطانه ونفوذه على أجزاء واسعة من خراسان[٣٦]، وسمرقند، وفرغانة[٣٧]، وسجستان[٣٨] إلى حدود الهند،

فأرسل خطاباً إلى الخليفة العباسي (القادر بالله) يطلب منه الولاية على هذه المناطق ويبارك أعماله فيها، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وأمر بالخطبة له في هذه الأطراف سنة ٤٢١ هـ ولقبه بيمين الدولة وأمين المِلَّة[٣٩].

أما بالنسبة إلى السلاجقة فقد تضاربت الآراء فيمن تولى قيادتهم بعد إعتقال زعيمهم أرسلان بيغو (إسرائيل) حيث ذكر أنه بقي في سجنه سبع سنوات حتى مات، بالرغم من المحاولات التي بذلها ابنه قتلمش لتخليصه من السجن فلم يتمكن من ذلك[٤٠].

وقد ذكر بعض المؤرخين أن السلاجقة أقاموا مكانه أخاه ميكائيل بعدما يئسوا من تخليصه من السجن[٤١]. بينما يرى أبو الفداء أن ميكائيل مات قبل هذه الفترة في قتاله مع الترك الكفرة[٤٢] كما أغفل آخرون دور ميكائيل في القيادة، وأبرزوا دور أبنائه طغرلبك محمد وجغري بيك داود[٤٣] يشاركهم أخوهم الثالث إبراهيم بن ينال من أُمهم فقط[٤٤] وهذا ما أميل إليه وأُرجحه، إذ أن هؤلاء المؤرخين أقرب إلى هذه الفترة الزمنية من غيرهم، يُضاف إلى ذلك أن ميكائيل بن سلجوق لم يَظهر له دور بارز في ذلك الوقت مما يدل على صحة وفاته قبل هذا التاريخ.

اتبع السلاجقة سياسة جديدة مع السلطان الغزنوي بعدما اكتشفوا غدره ومكره بهم، فاتبعوا معه سياسة الملاينة، حتى يثبِّتوا أقدامهم في منطقة خراسان، كما ازدادوا حذراً وحيطة حتى لا يقعوا في مؤامرات جديدة، فأرسلوا يتوسلون إليه لكي يسمح لهم بالاقامة ما بين نَسَا[٤٥] وباورد[٤٦] واحتجوا لذلك بضيق مراعيهم فيما وراء النهر فقالوا له : «إن مقامنا أصبح يضيق بنا وأن مراعينا أصبحت لا تفي بحاجة مواشينا، فأْذَن لنا أن نعبر النهر وأن نجعل مقامنا بين نسا وباورد»[٤٧].

سمح السلطان محمود الغزنوي للسلاجقة بالعبور إلى خراسان عبر نهر جيحون ظناً منه بسهولة القضاء عليهم متى شاء بعد أن أسر زعيمهم إسرائيل بن سلجوق ولم يلتفت إلى نصيحة نائبه بطوس[٤٨] أرسلان جاذب بعدم السماح لهم دخول نهر جيحون إلى خراسان لِما قد يترتب على ذلك من متاعب وأخطار مستقبلية لا يمكن تلافيها[٤٩]. حيث أرسل إليه كتاباً يحذره من ذلك جاء فيه : «ليس من الصواب أن نسمح لهم بالعبور إلى خراسان، فإنهم فرسان كثيرون يملكون العدة والعتاد، وإني أخشى أن يكونوا سبباً في متاعب لا يمكن تلافيها وتداركها»[٥٠].

لم يسمع السلطان الغزنوي نصيحة أرسلان جاذب، وسمح للسلاجقة بالعبور إلى خراسان، وأقاموا في المناطق التي رغبوا فيها ما بين نسا وباورد، ولكنهم لجأوا إلى السكينة والهدوء طوال عهد السلطان محمود حتى سنة ٤٢١ هـ[٥١].

ويرى المؤرخ حسين أمين أن السلطان ندم على السماح لهم بالدخول إلى خراسان، فجرد عليهم حملة عسكرية وطردهم منها[٥٢]، غير أن تسلسل الأحداث التي أعقبت وفاة السلطان محمود سنة ٤٢١ هـ أظهرت عدم صحة هذا القول وأن السلاجقة كانوا لا يزالون في خراسان حتى وفاة السلطان الغزنوي، وأنه لم يجرد عليهم أية حملة في حياته.

والحق أن السلطان الغزنوي قد وقع في خطأ سياسي جسيم بسماحه للسلاجقة عبور نهر جيحون إلى خراسان إذ أنه سيترتب على مجيئهم إلى هذه البلاد بداية صفحة جديدة من الصراع بينهم وبين الغزنويين سوف لا تُحمد عقباها على مصير السلطة الغزنوية، وكان على السلطان أن يسمع نصيحة أرسلان جاذب بعدم السماح لهم بالعبور إلى خراسان خاصة وأن إيلك خان أمير ما وراء النهر كان قد نصحه سابقاً بهذا الخصوص، يُضاف إلى ذلك أن السلطان الغزنوي سبق أن قبض على زعيمهم إسرائيل بن سلجوق وبعض أمرائه فسكت السلاجقة على ذلك ريثما تسمح لهم الظروف ويتحقق لهم الاستقرار في مكان آمن، فكان على السلطان أن لا ينسى ذلك، ويأخذ حذره حرصاً على سلطانه وبلاده.

توفي السلطان محمود سنة ٤٢١ هـ، وتولى ابنه مسعود مكانه[٥٣] وأرسل الخليفة القادر بالله له منشوراً بتوليته على الأقاليم التي كانت تابعة لأبيه من قبله[٥٤].

انتشرت جموع السلاجقة في أنحاء متفرقة من خراسان خاصة ما بين نسا وفراوة[٥٥]، وظهر تفوقهم في هذه المناطق بزعامة طغرلبك محمد وأخيه جغري بيك داود[٥٦]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل طالب طغرلبك محمد وأخوه جغري بيك من سورى بن المعتز ـ حاكم نيسابور[٥٧] من قِبل السلطان الغزنوي أن يحدد للسلاجقة أماكن خاصة بهم في نيسابور وما حولها[٥٨] ومما جاء في خطابهما له: «حدد أماكن إقامتنا في نيسابور وأطرافها»[٥٩].

وهكذا تطور أمر السلاجقة في خراسان إلى درجة أنهم لم يتوسلوا بطلبهم كما عُهد عنهم سابقاً، وإنما جاء طلبهم إلى سورى بن المعتز أمراً وتحديداً لأماكن أخرى يتوسعون فيها، يقول البيهقي: «واستمر طغيان السلاجقة، وقاومتهم الدولة الغزنوية حسب تفكير سلطانها مسعود وبلغ الأمر أن كتب السلاجقة إلى سورى يطلبون منه المزيد من البلاد برضا من السلطان»[٦٠].

ضاق السلطان مسعود الغزنوي ذرعاً من هذه المطالب، وزاده غيظاً أخبار تفوقهم في خراسان وأعمال التخريب التي يقومون بها خلال تنقلهم من مكان إلى آخر، وكان بجرجان[٦١] سنة ٤٢٦ هـ عندما وصلته أنباؤهم، فتوجه لقتالهم وطردهم من خراسان، وكانت الطريق أمامه شاقة وطويلة، فلقي جشيه متاعب كثيرة قبل أن يصل إليهم وهم في نواحي نسا، وقبل أن يرتاح هو وجيشه، تصدى له السلاجقة فهزموه مع جيشه شر هزيمة وقفل راجعاً إلى غزنة[٦٢] ثم راسلهم وهادنهم واعترف لهم بالاقامة في بعض المناطق بخراسان[٦٣].

استغل السلاجقة هذه الفرصة وبدأوا بتنظيم أنفسهم أكثر وقام أُمراؤهم بتقسيم البلاد التي يسيطرون عليها فيما بينهم سنة ٤٢٧ هـ، وهذه البلاد هي فراوة ونسا ودهستان[٦٤]، كما أنهم تجاهلوا الهدنة التي عقدها معهم السلطان مسعود واعتبروها فرصة طيبة لاستمرار خطتهم في الاستيلاء على أراض أخرى، وراحوا يثيرون القلاقل والفِتن ويستغلونها بهجمات متتالية على جميع المناطق بخراسان[٦٥]. وكان أبوبكر الصيني، رسول المفاوضات من قِبل السلطان مسعود إلى السلاجقة، قد تكهن بمراوغة السلاجقة وخداعهم لكسب الوقت وعبَّر عن ذلك بقوله إلى أُمراء السلطان: «لا يجوز

خداع السلطان فقد وجدت القوم في رحلتي هذه على غاية من الغرور والخيلاء، وكانوا وكأنهم نُفِخَ فيهم روح العصيان، ومع أنهم عقدوا الميثاق إلّا أني لا أثق بما عاهدوني عليه، فقد سمعت أنهم كانوا يسخرون منا إذا خلوا إلى أنفسهم»[٦٦].

تفاقمت الأُمور في إقليم خراسان بسبب الهجمات المتلاحقة التي شنها السلاجقة سنة ٤٢٧ هـ، وقد رافقتها أعمال النهب والسلب وإثارة الفِتن في قلوب السكان الآمنين، فأرسل سورى بن المعتز حاكم طوس يستنجد السلطان مسعود، ووصف له الحالة المتدهورة في بلاده وازدياد نشاط السلاجقة وأعمالهم، فوكل السلطان مهمة الخروج لقتالهم إلى كبير حجابه سوباشي وأمده بجيش مقداره عشرة آلاف مقاتل سنة ٤٢٧ هـ[٦٧].

توجه سوباشي بهذه القوات إلى المناطق التي يسيطر عليها السلاجقة بخراسان، وأخذ يناوشهم ويناوشونه، ولم يستطع سوباشي أن يحسم الأمر معهم، فأخذت كتب السلطان تتوالى عليه للجد في قتالهم[٦٨].

* معركة سرخس وأثرها :-

كثر إلحاح السلطان مسعود الغزنوي على قائد جيشه (سوباشي) بالجدِّ في قتال السلاجقة وحسم الأمر معهم بسرعة وعدم التخاذل في لقائهم وكانوا مقيمين بسرخس تحت قيادة الأخوين طغرلبك محمد وجغري بيك داود، فتقدم سوباشي إليهم، فانسحبوا أمامه إلى الصحراء وسط مرو[٧٠] وكان السلطان مسعود يعلق آمالاً كبيرة على هذا اللقاء إلّا أن آماله خابت وتلاشت وسط صحراء مرو، حيث استطاع السلاجقة سحق قوات سوباشي وتشتيتها، وتراجع عائداً إلى غزنة لعرض الأمر على السلطان[٧١].

وبينما كان في طريق عودته إلى غزنة أرسل إلى السلطان خطاباً مع رسله يمهد لنفسه اللقاء معه وليبرر الهزيمة التي حاقت به أمام السلاجقة، فكان ما قاله له : «لقيت الأعداء . . . . . وقد أراحوا أنفسهم من أثقالهم، وجرت موقعة ليس أشد هولاً منها حتى صلاة الظهر، وقد بذل جندنا جهدهم، ولم يكد الفتح يتم لنا حتى تسرب إلى نفوسهم الخور[٧٢]. ولاذ كل منهم بعنق حمار أو إمرأة وهرب، وكنت قد صحت مائة ألف مرة، بأن لا تصحبوا النساء فلم يسمعوا أمري، فلما رأى الأعداء حالنا على هذا النحو ازدادوا جرأة فأمرت بنصب خيمة في وسط ميدان المعركة ونزلت بها[٧٣] حتى يقتدوا بي ويبذلوا غاية الجهد فلا يقع خلل ولكنهم لم يفعلوا وتركوني وحيداً واتبعوا أهواءَهم، وأن المقدمين شهود على أني لم أُقصرِّ في واجبي ولو سئلوا لشهدوا بذلك، وقد لبثت في الميدان حتى وقعت الواقعة وأصابني سهم فاضطررت إلى الانسحاب وأتيت هنا بجوادين وعشرين غلاماً»[٧٤].

وهكذا تمت الغلبة للسلاجقة في خراسان وبدأ نفوذهم يتأكد وسلطانهم يتسع على حساب الغزنويين، خاصة بعد الهزيمة الماحقة التي لحقت بجيوش سوباشي، وخطب بعدها لطغرلبك في سائر أنحاء خراسان وارتفع شأنهم كثيراً سنة ٤٢٩ هـ[٧٥]. كما استولوا في هذه السنة على نيسابور وجلس طغرلبك على كرسي العرش فيها ولقب نفسه السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبوطالب[٧٦].

* مراسلة السلاجقة للخليفة العباسي :

نصَّب طغرلبك نفسه بديلاً عن السلطان الغزنوي واتخذ لقب «السلطان» على هذه البلاد، وجلس على كرسي العرش في نيسابور، ولم يبق له سوى اعتراف الخليفة العباسي بشرعية سلطانه على خراسان بديلاً عن الغزنويين، خاصة وأن أخبارهم وصلت إلى الخليفة القائم بأمر الله، فأرسل إلى زعمائهم سنة ٤٢٩ هـ كتاباً مع رسوله أبي بكر الطوسي يذكِّرهم بالله ويخوِّفهم من عذابه ويطلب منهم العدل والصلاح، يقول الاصفهاني :

((أثناء ذلك وصل إليهم كتاب القائم بأمر الله أمير المؤمنين يخوِّفهم ويذكِّرهم بالله ويحملهم على رعاية عباده وعمارة بلاده، فخلعوا على الرسول المعروف بأبي بكر الطوسي ثلاث عشرة خلعة وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة))(.

ولا شك أن السلاجقة قد اكتسبوا فضلاً كبيراً بمراسلة الخليفة لهم لا سيما أن ذلك جاء بمثابة الاعتراف بهم، فتفاخروا برسالته واستغلوا الفرصة فردوا عليها وبرروا أعمالهم ضد الغزنويين لِما ارتكبوه من أعمال الظلم فكان خروجهم عليهم غيرة وإنصافاً للمسلمين، وحرصوا على إرضاء الخليفة ووعدوه بأن لا يخرجوا على طاعته وأنهم سيسيرون على سُنَّة الاسلام ونشر العدل والأمن والطمأنينة، ومما جاء في كتابهم إلى الخليفة مع رسولهم أبي اسحاق الفقاعي : «إننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائماً الحضرة النبوية المقدسة وأحببناها من صميم قلوبنا، ولقد اجتهدنا دائماً في غزو الكفار وإعلان الجهاد وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عمٌّ محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق قبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جُرم أو جناية وأرسله إلى قلعة كالنجر ببلاد الهند فبقي في أسره سبع سنوات حتى مات، واحتجز كذلك في القلاع الأخرى كثيراً من أهلنا وأقاربنا، فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود، لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب فلا جرم إذ طلب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم، ولكن مسعوداً وجه إلينا جيشه، فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة وظفر حتى ابتسم لنا الحظ الحسن، فانحاز إلينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل وبفضل إقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة وانكسر مسعود وأصبح ذليلاً وانكفأ علمه وولى الأدبار تاركاً لنا الدولة والاقبال، وشكراً لله تعالى على ما أفاء علينا من فتح ونصر، فنشرنا عدلنا وإنصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن نكون في هذا الأمر قد نهجنا وفقاً لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين»(٧٨).

معركة دندانقان :ـ

لقد أهمَّت نتائج معركة سرخس السلطان الغزنوي كثيراً، خاصة تلك المراسلة التي تمت بين السلاجقة والخليفة القائم بأمر الله ودخولهم نيسابور وجلوس طغرلبك على كرسي العرش فيها واعتبارها عاصمة للسلاجقة في خراسان، فجنَّد كل إمكاناته وجهز جيشاً كبيراً وسار على رأسه من

غزنة سنة ٤٣٠ هـ[٨٠] بينما كان طغرلبك وأخوه جغري بيك داود يتنقلان في أنحاء خراسان بين نيسابور وسرخس ومرو لفرض سيطرتهم على هذه المناطق[٨١].

سارت عساكر السلطان مسعود الغزنوي عبر طريق طويلة وشاقة ما بين غزنة وسرخس، محملة بالأحمال الثقيلة، في طريق ينقصها أعلاف الدواب والماء، بينما انضمت قوات طغرلبك وأخيه جغري بيك لبعضها البعض عندما سمعوا بزحف السلطان مسعود إليهم، وكانت عساكر السلاجقة خفيفة الأحمال مستعدة للقتال على أتم وجه[٨٢].

اقترب العسكران الغزنوي والسلجوقي من بعضهما في شهر رمضان سنة ٤٣١ هـ عند دندانقان في الصحراء الواقعة بين مرو وسرخس، حيث استعد السلاجقة للغزنويين فطموا المياه وأخذوا ينسحبون أمامهم في الصحراء، ليزيدوا من إرهاقهم وتعبهم وعطشهم فينقضوا عليهم في سهولة ويسر وقد تيسر لهم ذلك، حيث هاجموا جيش السلطان على غفلة من عساكره وهم على حالة سيئة من العطش والتعب وضعف الروح المعنوية في السادس عشر من شهر رمضان ٤٣١ هـ فانهزمت العساكر السلطانية لا تلوي على شيء سوى النجاة، فنُهبت أثقالهم ودوابهم وعاد السلطان الغزنوي مقهوراً إلى غزنة يعاني مرارة الهزيمة[٨٣].

وهكذا انتهت وتلاشت آمال الغزنويين بعد هذه المعركة الفاصلة ورسخت أقدام السلاجقة في خراسان وتأكد سلطانهم على أنقاض سلطان الغزنويين الذين اندحروا إلى غزنة آخر معقل لهم، بعد أن فقدوا الأمل في استئصال السلاجقة وطردهم من خراسان.

والحق أن السلطان محمود الغزنوي يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية عندما بدأ علاقته مع السلاجقة بمعاداتهم والقبض على زعيمهم إسرائيل بن سلجوق ثم عاد وحاول أن يصلح خطأه معهم فوقع في خطأ آخر عندما سمح لهم بدخول نهر جيحون إلى خراسان، وتساهل معهم في الاقامة بين نسا وباورد حتى استطاعوا أن يثبِّتوا أقدامهم هناك فأصبحوا خطراً يهدد كيان الغزنويين فيما بعد.

وأُحب أن أوضح أن زعماء السلاجقة أظهروا تعاوناً فيما بينهم كما أبدوا شجاعة قصوى مكنتهم من الظهور وحسم المعارك في أقصر وقت والسيطرة على أجزاء واسعة من خراسان.

* السلاجقة يوثقون علاقتهم بالخليفة العباسي :-

كان من نتائج معركة دندانقان أن السلاجقة استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم على جميع أنحاء خراسان، فنقل طغرلبك عاصمته من نيسابور إلى الري[٨٤] ثم جمع اخوته وأقاربه وحثهم على الوحدة والتعاون، وقسَّم البلاد فيما بينهم، فجعل لأخيه جغري بيك داود من نيسابور إلى نهر جيحون وما يفتحه مما وراء النهر، ولأخيه إبراهيم ينال (أخوه من أمه) منطقة قهستان[٨٥]، ولابي الحسن بن موسى بن سلجوق، هراة[٨٦] وبوشنج[٨٧] وبلاد الغور[٨٨]، ومنح قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق جرجان ودامغان، والأمير ياقوتي السلجوقي أبهر[٨٩] وزنجان[٩٠]، ومنح قاورد بن جغري بيك داود السلجوقي كرمان[٩١] وطبسين[٩٢] واستبقى طغرلبك معه ألب أرسلان محمد بن جغري بيك داود

لمساعدته في الخدمة في عاصمتهم الري(٩٣).

أراد السلطان طغرلبك السلجوقي أن يُكسِب عمله هذا صفة شرعية بموافقة الخليفة القائم بأمر الله، فأرسل له كتاباً يتودد ويلتمس الاعتراف ويبرر الأعمال التي قام بها السلاجقة في نواحي خراسان وكان رسول السلطان إلى الخليفة، المعتمد أبواسحاق الفقاعي فقدم إلى بغداد سنة ٤٣٢ هـ(٩٤).

استقبل الخليفة العباسي القائم بأمر الله رسول السلطان أحسن استقبال وأوفد معه عند عودته رسلاً من قِبله إلى السلطان على رأسهم قاضي القضاة أبا الحسن بن علي بن محمود الماوردي، وهبة الله بن المأمون. وقد أوصى الخليفة رسله بالتودد إلى السلطان طغرلبك ومحاولة اصطحابه إلى دار الخلافة، فتوجهوا إلى الري حاملين معهم كتاب التفويض إلى السلطان بحكم البلاد التي تحت يده إلّا أن الوفد لم يستطع مقابلة السلطان إلّا بعد ثلاث سنوات (أي سنة ٤٣٥ هـ) لانشغاله بالفتوحات في سائر أنحاء خراسان، ثم أقاموا عنده ما يقرب من سنة وعادوا بعدها إلى بغداد محملين بالهدايا والأموال إلى الخليفة(٩٥). وهكذا اكتسب السلاجقة تأييد الخلافة العباسية، وأصبح حكمهم لخراسان مشمولاً بالشرعية والإعتراف، وما عليهم إلّا أن يصمدوا أمام الأحداث القادمة في صراعهم مع القوى الاسلامية الأخرى في المنطقة كالبويهيين والزعامات العربية الأخرى.

* وجهاً لوجه مع البويهيين :-

يُنسب البويهيون إلى أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام الديلمي الذي ينتسب إلى آخر ملوك الفُرس(٩٦) وعندما مات بويه ترك وراءه ثلاثة أبناء هم : عماد الدولة أبوالحسن علي بن بويه، وركن الدولة أبوعلي الحسن بن بويه، ومعز الدولة أبوالحسن أحمد بن بويه. وقد استطاع هؤلاء الاخوة أن ينجحوا في جمع الديلم(٩٧) والسيطرة على فارس وشيراز ثم بغداد سنة ٣٣٤ هـ، عندما تقلصت دولة العباسيين(٩٨) وعندما اتصل السلاجقة بمنطقة نفوذ البويهيين في نواحي فارس كان زعيمهم جلال الدولة البويهي (أبوطاهر فيروز جرد بن الملك بهاء الدولة أبونصر بن الملك عضد الدولة أبوشجاع بن ركن الدولة بن بويه الديلمي)(٩٩) فتودد لهم السلاجقة وأظهروا لهم أنهم جاءوا يوسعون رقعة الاسلام، وفي نفس الوقت أخذوا يتوسعون في مناطق نفوذهم بقيادة إبراهيم ينال السلجوقي(١٠٠).

توفى جلال الدولة البويهي سنة ٤٣٥ هـ، وخطب من بعده لأبي كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه زعيماً للبويهيين(١٠١) وفي عهده تفوق السلاجقة في فارس وشيراز يقول ابن القلانسي : ((وفي سنة ٤٣٦ هـ وردت الأخبار من ناحية العراق بظهور راية السلطان ركن الدنيا والدين طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق وقوة شوكة الأتراك وابتداء دولتهم واستيلائهم على الأعمال وضعف أركان الدولة البويهية واضطراب أحوال مقدميها وأمرائها))(١٠٢).

قام أبوكاليجار البويهي بمراسلة السلطان السلجوقي عندما شعر بضعفه أمام السلاجقة سنة ٤٣٩ هـ وطلب مهادنة طغرلبك السلجوقي ومصاهرته، فيقول ابن الأثير : ((في هذه السنة أرسل

الملك أبوكاليجار إلى السلطان ركن الدين طغرلبك في الصلح فأجابه إليه واصطلحا وكتب طغرلبك إلى أخيه ينال يأمره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما أن يتزوج طغرلبك بإبنة أبي كاليجار ويتزوج الأمير أبومنصور بن أبي كاليجار بإبنة الملك داود أخو طغرلبك وجرى العقد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة))[١٠٣].

توفى أبوكاليجار سنة ٤٤٠ هـ وتولى مكانه ابنه الملك الرحيم أبومنصور فلاستون أبونصر خرة فيروز[١٠٤] وفي عهده استولى طغرلبك السلجوقي على أصفهان سنة ٤٤٣ هـ[١٠٥] ونقل عاصمته إليها من الري[١٠٦].

* دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ :ـ

كان البساسيري (أبوالحارث أرسلان بن عبدالله التركي البساسيري[١٠٧] مملوكاً تركياً لبهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي في بغداد[١٠٨]، ثم ارتفع شأنه كثيراً في عهد الخليفة القائم بأمر الله حتى دُعي له على كثير من المنابر في العراق، ولم يكن الخليفة يقطع أمراً دونه[١٠٩]، كما وزر للملك الرحيم البويهي[١١٠] فوقعت عليه التهمة بمراسلة المنتصر بالله الفاطمي وعصيان الخليفة القائم بأمر الله وخلع طاعة الملك الرحيم البويهي، ثم قام بعد ذلك بإعلان العصيان والاستيلاء على بغداد سنة ٤٤٧ هـ، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله إلى السلطان طغرلبك السلجوقي يستنجده على البساسيري وطرده من البلاد[١١١] يقول صاحب المنتظم : ((كان أرسلان التركي المعروف بالبساسيري، قد عظم أمره واستفحل لعدم نظرائه من متقدمي الأتراك[١١٢] فاستولى على البلاد، وطار اسمه وتهيَّبته أُمراء العرب والعجم ودُعي له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها، وجبى الأموال ولم يكن القائم بأمر الله يقطع أمراً دونه، ثم صحّ عند الخليفة شر عقيدته وشهد عنده جماعة من الأتراك، إن البساسيري عرفهم وهو إذ ذاك بواسط[١١٣] عزمه على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب الخليفة أباطالب محمد بن ميكائيل المعروف بطغرلبك أمير الغز وهو بنواحي الري يستنهضه على المسير إلى العراق))[١١٤].

استغل طغرلبك السلجوقي دعوة الخليفة إليه بدخول العراق، وكأنه كان ينتظر هذه الفرصة، فأسرع قادماً إلى بغداد فدخلها بعد أن خرج البساسيري منها إلى الرحبة سنة ٤٤٧ هـ[١١٥].

حاول الخليفة العباسي أن يوفق بين السلاجقة وعلى رأسهم السلطان طغرلبك وبين البويهيين في بغداد وعلى رأسهم الملك الرحيم أبومنصور فلاستون فطلب إليه الملك الرحيم، وتدارس معه الموقف في بغداد بعد قدوم السلاجقة ورأى ضرورة طاعة طغرلبك والخطبة له فوافقه على ذلك[١١٦]، كما أخذ الخليفة من طغرلبك وعداً بأن لا يتعرض للملك الرحيم البويهي[١١٧]، إلاّ أن طغرلبك نكث بالعهد عندما دخل بغداد وقبض على الملك الرحيم وأمر بخلعه وسيَّره مقيداً أسيراً إلى الري[١١٨]، فمات في الطريق[١١٩].

وهكذا أُسدل الستار على السلطة البويهية في العراق بعدما امتد نفوذهم ما يزيد على قرن من

الزمان (٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ). وابتدأ عهد جديد بإنفراد النفوذ السلجوقي في إدارة شؤون الخلافة العباسية. وإنني أرى أن التصرف الذي تصرفه طغرلبك السلجوقي مع الملك الرحيم آخر ملوك البويهيين بالرغم من وعوده للخليفة العباسي بأن لا يتعرض له بسوء يُعتبر عملاً ضرورياً ومُلحاً حتى لا تستمر الازدواجية في السلطة بين السلاجقة والبويهيين في بغداد، خاصة وأن نجم البويهيين قد أفل وانتهى. يُضاف إلى ذلك إختلاف العقيدة، فالسلاجقة سنيون بينما البويهيون شيعة، كيف لا وقد سلَّم البويهيون بغداد دون أدنى مقاومة، ودخلها السلاجقة آمنين مطمئنين برضى منهم ومن الخليفة العباسي نفسه وسلَّم إدارة البلاد إلى السلاجقة كما سيأتي في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى وبعونه.

هوامش الفصل الأول

(١) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية/٢١٣. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٦٣. القرماني : أخبار الدول وآثار الاول/٢٧٠. أحمد عطية‌الله : القاموس الاسلامي م٣/٤٠٤. سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب/٢٧٤.

وقد ورد اسم دُقاق بأسماء أُخرى مثل لُقمان. الراوندي : راحة الصدور/١٤٦/١٤٧.

كما ورد باسم تَقَاقْ : ابن الأثير : الكامل جـ٩/٤٧٣ ـ ٤٧٤. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/١٧. وقيل له أيضاً يَقاق : أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١ ـ ٢. أو يُقاق : ابن كثير : البدايةوالنهاية جـ١٢/٤٨. أو دُقْماقَ : تامارا رايس السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/١٩. كما ذكر باسم تُقْماق : أرمينوس فامبري. تاريخ بخاري/١٢٧

(٢) الراوندي : راحة الصدور/١٤٢ (أُنظر خارطة النسب السلجوقي) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٣.

تركستان : اسم جامع لبلاد الترك ما بين الصين والتبت إلى فاراب من ناحية بلاد المسلمين.

ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٢٣.

(٣) البيهقي : تاريخ البيهقي/٣٤ ـ ٣٥. ابن النظام الحسيني العراضة/١٠١، وقد ذكر بروكلمان في تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٧١ ـ ٢٧٢ أن هذا اللقب أُطلق عليهم بعد إسلامهم وكان يُطلق عليهم قبل ذلك الغز

(٤) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٦٣ وقد ذكر أبوالفداء أن هذا اللقب أُطلق عليهم بعد رحيلهم مما وراء النهر إلى خراسان وأصفهان.

(٥) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٤٧٣.

(٦) هبة‌الله الشيرازي : مذكرات/١٧٠

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٨.

أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٦٣.

ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٦١

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٣.

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٦٧٩.

(٧) ما وراء النهر : يُقصد به نهر جيحون الذي ينبع من بلاد الترك ويصب في بحيرة خوارزم بخراسان فما كان في شرقيه يُقال له بلاد الهياطلة، وما كان في غربيه خراسان وولاية خوارزم وسمي ما وراء النهر بعد الاسلام

البغدادي : مراصد الاطلاع جـ٣/١٢٢٣.

(٨) بُخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر، وكانت قاعدة ملك السامانيين.

ياقوت : معجم البلدان جـ١/٣٥٣، البغدادي : مراصد الاطلاع جـ١/١٦٩.

(٩) جَنْدُ : مدينة عظيمة من مدن تركستان قرب نهر سيحون.

ياقوت : معجم البلدان جـ٢/١٦٨.

(١٠) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٤٧٤، بارتولد : تاريخ الترك/١٠٨.

عاشور : الحركة الصليبية جـ١/٧٦.

(١١) عبدالنعيم حسنين. سلاجقة إيران والعراق/١٦ ـ ١٩.

(١٢) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٤٧٤، ٤٩٤، أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٦٣، القرماني : أخبار الدول وآثار الاول/٢٧٠.

(١٣) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢، تامارا رايس : السلاجقة وحضارتهم/١٩ ـ ٢٠.

(١٤) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية/٢١٣.
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٦٣.

(١٥) الراوندي : راحة الصدور/١٤٥.
حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٦.
زكّار : الحروب الصليبية/٤٠.
عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/١٦.

(١٦) الكامل جـ٩/٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(١٧) تاريخ بخارى/١٢٧.

(١٨) أبو الحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢، ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية/٢١٣، القرماني : أخبار الدول وآثار الأول/٢٧٠.

(١٩) الراوندي : راحة الصدور/١٤٥، تامارا رايس . السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/١٩
سمرقند : من بلدان ما وراء النهر قرب بخارى ويُقال لها بالعربية سُمران البغدادي : مراصد الاطلاع جـ٢/٧٣٦.

(٢٠) أبو الحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢.
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٦٣.
حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٦.

(٢١) الراوندي : راحة الصدور/١٤٥.
تامارا رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/٢٣.

(٢٢) ابن النظام الحسيني : العراضة/٢٠.

(٢٣) الغَزْنويون : نسبة إلى غَزْنَة عاصمتهم، ومؤسس هذه الأسرة المالكة هو سبكتكين، عبد تركي وصل إلى مرتبة قيادة الجيش عند السامانيين، وقاتل الكفار في الهند حتى علت منزلته فحكم غزنة بأفغانستان سنة ٣٦٦ هـ ـ ٣٨٧ هـ. وكان له ابنان هما إسماعيل ومحمود فتمكن محمود من حكم غزنة بعد أبيه ثم توسع فحكم خراسان وما حولها.
أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٥٢
ابن الأثير : الكامل جـ٩/١٣٨
بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٦٦.
زكار . مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/٣٠.

(٢٤) غَزْنَةُ : مدينة عظيمة وولاية واسعة تقع في طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند.
ياقوت : معجم البلدان : جـ٤/٢٠١. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ٢/٩٩٣.

(٢٥) أبو الحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٣.
أرمينوس فامبري : تاريخ بخارى/١٢٠.

(٢٦) الراوندي : راحة الصدور/١٤٦ ـ ١٤٧، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٤٧٤ ـ ٤٧٥.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٣.
ابن النظام الحسيني : العراضة/٢٣، ابن خلدون : العبر م٤/٥٥٥.
حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٧.

(٢٧) نهر جَيْحُون : اسم أعجمي. سمي كذلك لاجتياحه الأرضين وأصله بالفارسية هرون، وهو إسم واد في خراسان، وسط مدينة يُقال لها جَيْهَانُ فنسبه الناس إليها وقالوا جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ، ويأتي هذا النهر من بلاد السند والهند وكابل.
ياقوت : معجم البلدان جـ٢/١٩٦. البغدادي : مراصد جـ١/٣٦٥.

(٢٨) الراوندي : راحةالصدور/١٤٧.

(٢٩) ابن النظام الحسيني : العراضة/٢٣.

(٣٠) الراوندي : راحة الصدور/١٤٧ ـ ١٤٨.
حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٧.
تامارا رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/٢٤.

(٣١) الراوندي : راحةالصدور/١٤٧ ـ ١٤٨. أُنظر ابن النظام الحسيني : العراضة/٢٣.

(٣٢) الراوندي : راحة الصدور/١٤٧ ـ ١٤٨.
ابن النظام الحسيني : العراضة ٢٣ ـ ٢٤.

(٣٣) الراوندي : راحة الصدور/١٤٨، أُنظر ابن النظام الحسيني : العراضة ٢٣/٢٤.

(٣٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٧٥، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥/٦٣، تامارا رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/٢٤، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٧.

(٣٥) أخبار الدولة السلجوقية/٤.

(٣٦) خُرَاسَانُ : بلاد واسعة أولها ما يلي العراق وآخر حدودها ما يلي غَزنَة وطخارستان وسجستان وكرمان نواحي الهند، وهذه أطرافُ حدودها وتشمل على أُمهات البلاد مثل : هراة، مَرْو، ونَيْسَابورُ، وبَلْخُ، وطالقان، ونَسا، وأبيورد، وسَرْخَس وما يتخلل ذلك من المدن دون نهر جيحون. ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/٣٥٠. القزويني : آثار البلاد/٣٦١.

(٣٧) فَرْغَانَةُ : مدينة يتبعها مناطق واسعة فيما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان.

(٣٨) سَجِسْتَانُ : ولاية جنوبي هراة بخراسان. ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/١٩٠.

(٣٩) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٥٢

(٤٠) الراوندي : راحة الصدور/١٥١ ـ ١٥٣، ابن النظام الحسيني : العراضة/٣٠، عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٢٣

(٤١) ابن النظام الحسيني : العراضة/٢٨، ٣٢.
القرماني : أخبار الدول وآثار الأُول/٢٧١.
أحمد كمال‌الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٢٣.
تامارا رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/٢٥.

(٤٢) المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٦٣.

(٤٣) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٩٩.
ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٦٢ ـ ٤٨٤.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥/٦٥.

(٤٤) ابن خلدون : العِبر وديوان المبتدأ والخبر ٤/٨٠٨.

(٤٥) نَسَا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين مَرْو خمسة أيام، وبين نيسابور سبعة.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٥/٢٨١.

(٤٦) بَاوَرْد : يُقال لها أبيورد، وهي بلد بخراسان بين سرخس ونسا. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ١/١٥٩.

(٤٧) الراوندي : راحة الصدور/١٥٣.

(٤٨) طوُسُ : مديمة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ومنها نظام الملك الطوسي الحسن بن علي.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/٤٩.
وقد بيّنَ أبوالفداء في تقويم البلدان/١٥ أن مقدار الفرسخ ثلاثة أميال.

(٤٩) ابن النظام الحسيني : العراضة/٣١. أحمد كمال‌الدين حلمي · السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢٣، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٨ ـ ٤٩، سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب/٢٧٠.

(٥٠) الراوندي : راحة الصدور/١٥٣.

(٥١) البيهقي : تاريخ البيهقي/١٦ ـ ١٧. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٩.

(٥٢) تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٩.

(٥٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر/٤/٨٠٩

أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٨.

أحمد كمال‌الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٢٣.

(٥٤) البيهقي : تاريخ البيهقي/١٧

(٥٥) فَرَاوَةُ : بليدة من أعمال نسا، بينها وبين دهستان وخوارزم.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/٢٤٥.

(٥٦) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٩٩. ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٦٢ ـ ٤٨٤.

ابن خلكان · وفيات الأعيان جـ ٥/٦٥. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٨١٦.

(٥٧) نَيْسَابُور : وتُسمى أَبْرَشَهْرُ وبعضهم يقول إيرانْشَهْرُ، وهي مدينة عظيمة بخراسان بينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخا. ياقوت : معجم البلدان جـ ٥/٣٣١.

(٥٨) البيهقي . تاريخ البيهقي/٥٠٣. الراوندي : راحة الصدور/١٥٤ ـ ١٥٥.

ابن النظام الحسيني · العراضة/٣٢

(٥٩) البيهقي : تاريخ البيهقي/٥٠٣، ابن النظام الحسيني · العراضة/٣٢.

(٦٠) البيهقي . تاريخ البيهقي/٣٥

(٦١) جُرْجَانُ . مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان.

ياقوت . معجم البلدان جـ ٢/١١٩.

(٦٢) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٤ ـ ٦ أحمد كمال‌الدين حلمي · السلاجقة في التاريخ والحضارة/٢٣. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٤٩ ـ ٥١.

(٦٣) البيهقي · تاريخ البيهقي/٥٢٥.

(٦٤) أبوالحسن الحسيني · أخبار الدولة السلجوقية/٤

حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٥٠ ـ ٥١.

دِهِسْتَانُ : بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان

ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/٤٩٢.

(٦٥) البيهقي : تاريخ البيهقي/٥٣٥ ـ ٥٤٥

أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٩٩.

ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٦٢ ـ ٤٨٤.

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥/٦٥

(٦٦) البيهقي : تاريخ البيهقي/٥٣٠.

(٦٧) البيهقي : تاريخ البيهقي/٥٣٥، ٥٨٣ ـ ٥٩٧.

أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٦.

(٦٨) البيهقي : تاريخ البيهقي/٥٨٣ - ٥٩٧. ابن النظام الحسيني : العراضة/٣٤.

(٦٩) سَرخَسُ : مدينة كبيرة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو في وسط الطريق.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٢٠٨.
البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٢/٧٠٥.

(٧٠) مَرْوُ : وتسمى مَرْوُ الشاهجان وهي من أشهر مدن خراسان بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً وإلى سرخس ثلاثون.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٥/١١٢.

(٧١) البيهقي : تاريخ البيهقي/٤٩٠ - ٤٩٣.
أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٨ - ٩.

(٧٢) هكذا وردت في النص، والأصح (ألى نفوس جندنا).

(٧٣) هكذا وردت في النص، والأصح فيها.

(٧٤) البيهقي : تاريخ البيهقي/٥٩٢.

(٧٥) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٩٩.
ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٥٧.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/٤٣.

(٧٦) البيهقي : تاريخ البيهقي/٦٠٠ - ٦٠٥.
أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٩.
الراوندي : راحة الصدور/١٥٧ - ١٥٩.
أحمد كمال‌الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٢٤.
حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٥١.
عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٣٠ - ٣٢.

(٧٧) تاريخ دولة آل سلجوق/٨ - ٩
أُنظر ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٥٧.

(٧٨) الراوندي : راحة الصدور/١٦٦ - ١٦٧.

(٧٩) دَنْدَانْقَانُ : بليدة من نواحي مرو الشاهجان في خراسان وهي بين سرخس ومرو.
أبوالفداء : تقويم البلدان/٤٥٩.

(٨٠) البيهقي : تاريخ البيهقي/٦٠٨.

(٨١) البيهقي : تاريخ البيهقي/٦٠٨ - ٦٢٦.
الراوندي : راحة الصدور/١٦٢.
أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١١.

(٨٢) الراوندي : راحة الصدور/١٦٢.
ابن النظام الحسيني : العراضة/٣٤.
أحمد كمال‌الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٢٥.
حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٥٢.

(٨٣) البيهقي : تاريخ البيهقي/٦٦٣ - ٦٨٨. الراوندي : راحة الصدور/١٦٢. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١.
عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٣٠ - ٣٢.

(٨٤) الرَّيُّ : مدينة كبيرة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور سبعة وعشرون فرسخاً.
ياقوت : معجم البلدان : جـ ٣/١١٦ ـ ١٢٢.

(٨٥) قُهِسْتَان : وتسمى قوهستان، أحد أطرافها متصل بهراة ويمتد في الجبال حتى يصل قرب نهاوند وهمذان وبروجرد. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٣/١١٣٥.

(٨٦) هَرَاةُ : من أمهات مدن خراسان. ياقوت . معجم البلدان جـ ٥/٣٩٦.

(٨٧) بُوشِنْجُ : بليدة نواحي هراة بخراسان. ياقوت : معجم البلدان جـ ١/٥٠٨.

(٨٨) بلاد الغُور : بلاد في جبال خراسان قريبة من هراة وهي مناطق واسعة ذات جبال وأنهار وبساتين. أبو الفداء : تقويم البلدان/٤٦٤.

(٨٩) أَبْهَرُ : مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل والعجم يسمونها أَوْهَرُ. ياقوت : معجم البلدان جـ ١/٨٢.

(٩٠) زَنْجَانُ : بلد مشهور من نواحي الجبال قريبة من أبهر وقزوين.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/١٥٢.

(٩١) كِرْمانُ : ولاية كبيرة ومشهورة ذات قرى واسعة بين فارس ومكران وخراسان.
البغدادي . مراصد الاطلاع جـ ٣/١١٦٠.

(٩٢) طَبْسِينُ : وتُسمى طبس أو طبسان، وهي مدينة بين نيسابور وأصفهان وكرمان.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/٢٠

(٩٣) الراوندي : راحة الصدور/١٦٧ ـ ١٦٨. أبو الحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٧. ابن النظام الحسيني : العراضة/٣٨.
أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٣٦.

(٩٤) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٥٥.

(٩٥) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/١١٦. الراوندي : راحة الصدور/١٦٨ ـ ١٦٩. ابن الأثير : جـ ٩/٥٢٢. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ١/١٨٨.

(٩٦) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد/٢٦٩.
ابن شداد : الأعلاق الخطيرة جـ ٣ ق ٢/٦٦٤.
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٤.

(٩٧) الديلم : وصفهم المقدسي في أحسن التقاسيم/٣٥٣. فقال عن بلادهم : «وبأنها إقليم كبير يشتمل على خمس كور. أولها من قبل خراسان قومس ثم جرجان ثم طبرستان ثم ديلمان ثم الخزر»، وقال مؤرخون بأن البويهيين من الديلم.
القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد/٣٣٠.
الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة/٢٤٤.

(٩٨) مسكويه : تجارب الأمم/٨٥.
أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٦٢ وما بعدها. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٢/٢٢٩.
القرماني : أخبار الدول وآثار الأول/٢٦٩.
بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٤٥.

(٩٩) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٤ ـ ١٨٥.
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٦٧.

(١٠٠) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/١١٦. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٠. ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٥٠٠.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/٥٠ ـ ٥٤. تنتج : العرب/٢٢٨.

(١٠١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٤ - ١٨٥.
الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ١/١٨٩.
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٦٧.

(١٠٢) ذيل تاريخ دمشق/٨٣.

(١٠٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٥٣٦. أنظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/١٠٤٠.

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٥٤٧. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ١/١٧٩.
ابن خلدون · العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/١٠٤٠ - ١٠٤٢.

(١٠٥) أصفَهَانُ : وتُسمى أصبهان بفتح الهمزة وكسرها وهي اسم لاقليم بأسره، وقصبتها أصفهان وكانت تسمى جيّ، وهي من نواحي الجبل على ضفة نهر زند روز بينهما نحو الميل.
ابن خرداذبة : المسالم والممالك/٥٨
ياقوت . معجم البلدان . جـ ١/٢٠٦ - جـ ٥/٧٨.
أبو الفداء : تقويم البلدان/٤٢٣، البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ١/٧٨.

(١٠٦) ابن الأثير · الكامل جـ ٩/٥٣٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٠١.
ابن خلدون · العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/١٠٤٠.

(١٠٧) البساسيري : منسوب إلى بلدة بَسَا بفارس وتسمي أيضاً فَسا فيقال له الفساسيري. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٧. ياقوت · معجم البلدان جـ ١/٤١٢
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٤ - ١٨٥.
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٧٩.

(١٠٨) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/١٦٣.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/١٩٢.
ابن كثير . البداية والنهاية جـ ١٢/٨٤.
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٣/٢٨٧
حتي : تاريخ العرب جـ ٢/٥٦٩/١٩٦١.

(١٠٩) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/٨٧. أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/١٦٣. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٧٠
حسين أمين . تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦١.

(١١٠) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٠٥.

(١١١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٧ الفارقي . تاريخ الفارقي/١٥٥.
أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/١٦٣.
الراوندي : راحة الصدور/١٦٩، ابن النظام الحسيني : العراضة/٣٨.
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/١٠٥٢.

(١١٢) يُقصد بهؤلاء الأتراك الذين كانوا في بغداد من أيام المعتصم وهم خلاف السلاجقة موضوع البحث والمقصود بأُولئك الأتراك الذين كانوا مع البويهيين وامتلأ بهم الجيش العباسي فقادوا جيوشهم وتحكموا بالخلفاء ومنهم البساسيري نفسه.
الأصفهاني . تاريخ دولة آل سلجوق/١٢.
ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٦٠٩ - ٦١٣.
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/١٠٥٢ - ١٠٥٣.
بروكلمان . تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٠٩.

ويرى بعض المؤرخين أن هؤلاء الأتراك قاوموا فكرة الخليفة باستقدام السلاجقة إلى بغداد بالرغم من إتصال طغرلبك السلجوقي بهم ووعده إياهم بتحقيق آمالهم وهؤلاء هم الأتراك الذين خرجوا مع البساسيري إلى الرحبة ونصروه على الخليفة العباسي كما سيأتي.

أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/١٦٣ ـ ١٦٤.

السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٦٤ ـ ٦٦٥.

وفي رواية لابن الجوزي أنه بعد دخول طغرلبك السلجوقي بغداد سنة ٤٤٧ هـ أراد أن يرحل من تبقي منهم في بغداد إلى خراسان فشق ذلك عليهم وتضرعوا إليه فسكت عنهم وإبقاهم.

مرآة الزمان/٣.

(١١٣) وَاسِطُ : سميت كذلك لتوسطها بين الكوفة والبصرة.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٥/٣٤٧.

(١١٤) المنتظم جـ ٨/١٦٣

وأنظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/٦٦.

(١١٥) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٠ ـ ١١.

ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٦٦. ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية/٢١٣. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٤/١٧٣.

الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ١/١٩٢.

ابن كثير البداية والنهاية +جـ ١٢/٦٦.

حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٥٧. تنتج : العرب/٢٢٨.

الرَّحْبَةُ : مدينة بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات وتسمى رحبة مالك بن طوق لأن هرون الرشيد أقطعها له.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٣٤.

(١١٦) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٠ ـ ١١.

ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٦٠٩.

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/١٠٥٢.

حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٥٩.

(١١٧) ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٦١٣.

أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/١٥٩.

(١١٨) الفارقي : تاريخ الفارقي/١٥٥.

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٥.

الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ١/١٩٢. والعبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٢٤.

(١١٩) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٢.



الفصل الثاني

السلاجقة في الجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥هـ - ٤٨٥هـ

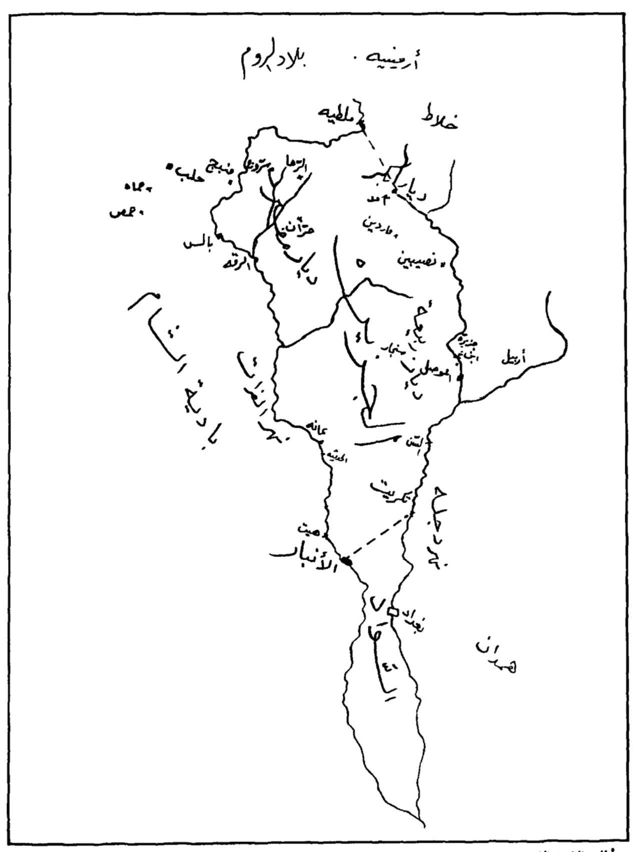


الفصل الثاني

السلاجقة في الجزيرة في الفترة ما بين سنة ٤٣٥ ـ ٤٨٥هـ

* الوضع الجغرافي والسكاني للجزيرة قبل قدوم السلاجقة إليها.
* ظهور السلاجقة في الجزيرة.
* استعداد السلطان السلجوقي لغزو الجزيرة سنة ٤٤٨هـ.
* معركة سنجار سنة ٤٤٨هـ.
* حملة السلطان طغرلبك السلجوقي الى الجزيرة سنة ٤٤٨هـ.
* عصيان إبراهيم ينال على أخيه السلطان طغرلبك، وعودة البساسيري الى الجزيرة.
* النشاط السلجوقي بعد وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥هـ.
* حملة السلطان ألب أرسلان السلجوقي الى الجزيرة والشام سنة ٤٦٢هـ.
* معركة منازجرد.
* مقتل السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ.
* الحملة السلجوقية على الجزيرة سنة ٤٧٦هـ بقيادة فخر الدولة بن جهير.

خارطة الجزيرة*



* أطلس التاريخ الإسلامي
الأطلس التاريخي للعالمين العربي والإسلامي.

رأينا في الفصل السابق كيف نجح السلاجقة في اجتياز الولايات الاسلامية مما وراء النهر الى خراسان وفارس حتى دخلوا بغداد وقضوا على النفوذ الغزنوي والبويهي في هذه البلاد، بالرغم من المحاولات الجادة التي بذلها سلاطين الغزنويين لوقف نشاطهم. ولم يقنع السلاجقة بامتداد نفوذهم الى هذا الحد بل مدوا نفوذهم الى بلاد اخرى مثل الجزيرة، وهذا ما سنلقي الضوء عليه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى وبعونه.

* الوضع الجغرافي والسكاني للجزيرة قبل قدوم السلاجقة إليها :

يقصد بالجزيرة الأراضي الواقعة بين نهري دجلة[١] والفرات[٢]، ويحدها من جهة الشمال إرمينية[٣] وبلاد الروم[٤] ومن الغرب بلاد الشام، ومن الجنوب السواد[٥] ومن الشرق أذربيجان[٦]. وقد وصفها أبوالفداء فقال : ((وهي البلاد التي بين دجلة والفرات. . . وحدودها بلاد الروم محاذاة الفرات من الجانب الغربي المتجه الى ملطية وسميساط الى قلعة الروم الى البيرة الى قبالة منبج الى بالس الى الرقة الى قرقيسيا الى الرحبة الى هيت الى الأنبار ومن الأنبار يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة، ثم يعطف الحد من الأنبار الى تكريت وهي على دجلة الى السن الى الحديثة على دجلة الى الموصل الى جزيرة ابن عمر الى آمد ثم يصير الحد غرباً بعد أن يتجاوز آمد على حدود إرمينية الى حدود بلاد الروم الى الفرات عند ملطية))[٧]. وقد قسّم المؤرخون الجزيرة الى ثلاثة أقسام إدارية (قبل قدوم السلاجقة اليها) هي ديار ربيعة[٨] في الشرق، وديار مضر[٩] في الغرب، وديار بكر[١٠] في الشمال نسبة إلى هذه القبائل التي سكنتها قبل الإسلام[١١].

والجزيرة أرضها خصبة وغنية بالموارد المائية إضافة الى نهري دجلة والفرات، بفروعهما الممتدة داخل الجزيرة، يضاف اليهما الأمطار الغزيرة التي تنزل في فصل الشتاء فتفجر العيون والينابيع مما يشجع على الاستقرار والزراعة[١٢] يقول ابن حوقل عنها : ((والجزيرة إقليم جليل بنفسه شريف كافٍ بسكانه وأهله رَفِهٌ بخصبه كثير الجبايات لسكانه))[١٣] ويقول : ((وأرض الجزيرة معروفة بكثرة الثمار ورخص الأسعار[١٤] ويقول عنها أبوالمحاسن : ((وأقوات ساكنيها «بغداد» من الموصل وأعماله والفرات وأعماله وديار مضر وربيعة))[١٥].

أما سكان الجزيرة قبيل قدوم السلاجقة إليها، فكان يقطن في ديار بكر (شمال الجزيرة) المروانيون الذين انتزعوا الإمارة من الحمدانيين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بزعامة أبي عبدالله الحسين بن دوستك الكردي، ثم تولّى الزعامة بعده نصير الدولة أحمد بن مروان الكردي[١٦] حيث استطاع أن يوسع حدود إمارته الى الموصل والرُها[١٧]، وظلت بيد المروانيين الى أن أخذها الروم منهم سنة ٤٢٢هـ[١٨]، وقد ظل نصير الدولة أحمد بن مروان يتولى زعامة المروانيين في ديار بكر حتى وفاته سنة ٤٥٢هـ، وهي الفترة التي امتد نفوذ السلاجقة فيها الى هذه البلاد[١٩]. كما سكن الجزيرة إضافة الى المروانيين، بنو كلاب وبنو عقيل وبنو خفاجة في أيام الحمدانيين[٢٠] وكانت الغلبة في باقي الجزيرة للعقيليين فقد استطاع أبوالذوّاد محمد بن المسيب زعيم قبيلة بني عقيل الاستيلاء على الموصل من بني مروان بمساعدة بهاء الدولة بن بويه سنة ٣٨٠هـ[٢١] ثم توفى وتولى الزعامة بعده أخوه

المقلّد بن المسيب سنة ٣٨٦هـ[٢٢] وكان عنده أتراك كثيرون استخدمهم كموالٍ إلا أنه نكّل بهم فتآمروا على قتله سنة ٣٩١هـ[٢٣] وتولى زعامة بني عقيل بعده إبنه قرواش بن المقلد العقيلي حيث امتد نفوذه وزعامته الى شقى الفرات، إضافة الى الموصل والكوفة والمدائن ثم نشب نزاع بينه وبين أخيه أبي كامل بركة بن المقلد سنة ٤٤١هـ، فاستطاع أبوكامل أن يقبض عليه ويسجنه ويتولى الزعامة مكانه[٢٤].

* ظهور السلاجقة في الجزيرة :

تمكّنت موجات من السلاجقة دخول الجزيرة من ناحية أذربيجان في السنوات ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٢، وقد أحدثت هذه الموجات أثناء دخولها الى الجزيرة الخراب والنهب والقتل لكل من يقف في طريقها[٢٥]. كما تمكّنت حملة جديدة من السلاجقة سنة ٤٣٥هـ أرسلها السلطان طغرلبك السلجوقي الى الجزيرة، من دخول الموصل وإخراج صاحبها قرواش العقيلي منها[٢٦]، وقد تعاون نصير الدولة أحمد بن مروان صاحب ديار بكر مع هذه الحملة السلجوقية، فسهّل لهم المرور من دياره الى الموصل، مما جعل جلال الدولة البويهي يحتج عليه فقد أرسل إليه يقول : ((بلغني أن عبيدنا[٢٧] قصدوا بلادك، وانك صانعتهم بمال بذلته لهم، وأنت صاحب ثغر فينبغي أن تعطي ما تستعين به على قتال الكفار))[٢٨] وقد ذكر ابن الأثير ان هذه الحملة هي أول حملة سلجوقية تدخل أراضي الجزيرة[٢٩] مما يدل على أن الحملات السابقة، لم تكن حملات منظمة بأمر السلطان السلجوقي وانما كانت هجرات متدفقة رغبت في الإقامة والاستقرار في أراضي الجزيرة، وهؤلاء هم الذين عناهم السلطان السلجوقي عندما أرسل الى جلال الدولة البويهي واعتذر له عنهم فقال له : ((انهم بعض العبيد من التركمان خرجوا عن طاعته ولا بد من ردهم))[٣٠].

وقد أغفل المؤرخون قادة الحملة السلجوقية التي عبرت ديار بكر الى الجزيرة فاستولت على الموصل من قرواش العقيلي ما عدا الفارقي فقد ذكر ان قادة هذه الحملة من قبل طغرلبك السلجوقي هما بوقا وناصغلي[٣١].

ارتكب السلاجقة مع أهل الموصل أبشع الجرائم فأهلكوا الأرواح وسفكوا الدماء ونهبوا وخربوا الممتلكات، حتى كرههم عامة الناس لما فعلوه بهم. فيقول ابن الأثير : ((وعمل الغزّ بأهل الموصل الأعمال الشنيعة من الفتك وهتك الحريم ونهب المال))[٣٢]. كما قال أيضاً : ((وبقي القتلى في الطريق فأنتنوا لعدم من يواريهم، ثم طرحوا بعد ذلك كل جماعة في حفيرة، وكانوا يخطبون للخليفة ثم لطغرلبك))[٣٣].

يتضح مما سبق ان السلاجقة رغبوا في السيطرة على الموصل باعتبارها المركز الرئيسي لبلاد الجزيرة، كي تكون لهم نقطة انطلاق الى باقي البلاد وحاولوا أن يكسبوا عملهم هذا شرعيته فخطبوا للخليفة العباسي قبل الخطبة الى سلطانهم طغرلبك السلجوقي، والحق ان السلاجقة بعملهم العشوائي في القتل والنهب والتخريب، قد أعطوا انطباعاً سيئاً عنهم لدى أهل الجزيرة مما سيكون له

آثار سيئة عليهم في المستقبل، خاصة انهم يدّعون الإسلام، فأثبتت أخلاقهم وتصرفاتهم خلاف ما يدَّعون.

أرسل قرواش العقيلي صاحب الموصل يستغيث بدبيس بن علي بن مزيد الأسدي صاحب الحلّة لإعانته على السلاجقة(٣٤) كما راسل جلال الدولة البويهي وشكا له أعمال الغز بديار الجزيرة وما فعلوه بأهل الموصل، فجرت مراسلات بين جلال الدولة البويهي وطغرلبك السلجوقي بهذا الشأن، وكان طغرلبك مقيماً في الري آنذاك فيقول ابن الأثير: ((ولما طال مقامهم (السلاجقة) بهذه البلاد (الموصل) وجرى منهم ما ذكرناه كتب الملك جلال الدولة بن بويه الى طغرلبك يعرّفه ما يجري منهم))(٣٥).

أرسل طغرلبك الى جلال الدولة يعتذر له عما فعله هؤلاء الغز السلاجقة ومما قال له: ((ان هؤلاء التركمان كانوا لنا عبيداً وخدماً ورعايا وتبعاً يمتثلون الأمر ويخدمون الباب ولما نهضنا لتدبير خطب آل محمود بن سبكتكين وانتدبنا لكافية أمر خوارزم انحازوا الى الريّ فعاثوا فيها وأفسدوا، فزحفنا بجنودنا من خراسان إليهم مقدّرين انهم يلجأون الى الأمان ويلوذون بالعفو والغفران، فملكتهم الهيبة وزحزحتهم الحشمة ولا بد من أن نردهم الى راياتنا خاضعين ونذيقهم من بأسنا جزاء المتمردين قربوا أم بعدوا أغاروا أم أنجدوا))(٣٦).

واني أرى أن رد السلطان السلجوقي على خطاب جلال الدولة البويهي وما جاء فيه من اعتذار عما وقع من التركمان الذين أغاروا على ديار الجزيرة وتفسيره لهذه الأعمال، بأنها لا تعدو أن تكون أعمالاً عشوائية ودون إذن منه أرى ان ذلك لا يعدو ان يكون تضليلاً وخداعاً وتمهيداً لما سيقع إذ أثبتت الأحداث فيما بعد أن للسلاجقة أطماعاً بمد نفوذهم الى العراق والجزيرة والشام، بل والرغبة في الوصول الى مصر أيضاً، الا ان اسلوبهم وتعاملهم بهذه الصورة جعل الناس ينفرون منهم ويقفون منهم موقفاً معادياً.

وهكذا لم يقدم جلال الدولة البويهي نجدات الى قريش بن بدران العقيلي لمساعدته على السلاجقة الذين أخذوا بلاده بل اكتفى بمراسلة سلطانهم، أما دبيس بن علي المزيدي صاحب الحلّة فقد قَدِم لإعانته، واجتمعت معهما جموع بني عقيل وبنومزيد وغيرهم من العرب واستطاعوا طرد الغز السلاجقة من الجزيرة بعد أن قتلوا منهم أعداداً كثيرة وعاد الباقي منهم مدحوراً الى نواحي أذربيجان(٣٧).

يقول الذهبي في أحداث سنة ٤٣٥هـ: ((وفيها وصل العساكر السلجوقية الى الموصل فعاثوا وبدعوا وأخذوا حرم قراوش، فاتفق قراوش ودبيس بن علي الأسدي على لقاء الغز فهزموهم وقتل من الغز مقتلة عظيمة))(٣٨).

لم يذكر التاريخ عودة أفواج سلجوقية جديدة الى ديار الجزيرة قبل دخول طغرلبك السلجوقي الى بغداد سنة ٤٤٧هـ، وانما عاد النفوذ السلجوقي اليها بطريق المراسلة بين السلطان طغرلبك وزعماء القبائل التي تسكنها، فقد دخل في الطاعة قريش بن بدران العقيلي بعد سنة ٤٤٣هـ وخطب للسلطان السلجوقي طغرلبك في بلاده(٣٩) كما خطب له أيضاً نصير الدولة أحمد بن مروان في ديار بكر سنة

٤٤٦هـ، يقول ابن الأثير: ((وأرسل طغرلبك الى نصر الدولة بن مروان يطلب منه إقامة الخطبة له في بلاده، فأطاعه وخطب له في سائر ديار بكر، وراسل ملك الروم طغرلبك (السلجوقي) وأرسل له هدية عظيمة وطلب منه المعاهدة فأجابه الى ذلك، وأرسل ملك الروم الى ابن مروان يسأله في أن يسعى لدى طغرلبك في فداء ملك الأبخاز(٤٠) وكان أسيراً من أيام حملة ابراهيم ينال في ملازكرد(٤١) فأرسل نصر الدولة (ابن مروان) شيخ الاسلام أبا عبدالله بن مروان الى السلطان طغرلبك فأطلقه بغير فداء، فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم، وأرسل عِوَضَه من الهدايا شيئاً كثيراً وعمروا مسجد القسطنطينية وأقاموا فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك، ودان حينئذ الناس كلهم له وعظم شأنه وتمكن ملكه وثبت))(٤٢).

يتبين مما تقدم ان الأعمال العسكرية للسلاجقة في نواحي الجزيرة كانت بسيطة قبل دخولهم بغداد خاصة بعد الحملة التي عاثت وخربت سنة ٤٣٥هـ وأثارت موجة من السخط عند العرب، مما أوجب التريث في دخول هذه البلاد، إذ لم يتأكد بعد اعتراف الخليفة العباسي بهم، لا سيما ان نفوذ البويهيين لم ينته من بغداد بعد، فتمهل السلاجقة حتى لا يغضبوا العباسيين ويعادوهم بشكل مباشر، لهذا حاول طغرلبك استرضاء جلال الدولة البويهي، ثم اكتفى بعد ذلك بمد نفوذه بالطريقة السياسية، كما ان طغرلبك، اكتسب سمعة طيبة عند البيزنطيين عندما أطلق سراح القارليط ملك الابخاز دون مقابل فكان رد الفعل عند ملك البيزنطيين أن رضي بافتتاح مسجد للمسلمين في بلاده ويعد هذا الانجاز فاتحة عهد وعلاقة طيبة ما بين البيزنطيين والسلاجقة من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن افتتاح مسجد في القسطنطينية عمل لم يسبق له مثيل من قبل، وسيكون له آثار طيبة وسمعة حسنة عند الخليفة العباسي وباقي المسلمين، وأعتقد ان ملك الروم مال الى مراسلة السلطان السلجوقي وأهدى له، لكسب وده ومهادنته، خاصة بعد أن وصلت طلائع الحملات السلجوقية بقيادة ابراهيم ينال الى مشارف القسطنطينية.

* إستعدادات السلطان السلجوقي لغزو الجزيرة سنة ٤٤٨هـ:

تقدم في الفصل الأول ان البساسيري خرج من بغداد مغاضباً للخليفة القائم بأمر الله، خارجاً عن طاعته (٤٣) ثم لجأ الى صهره نور الدولة دبيس بن صدقة صاحب الحلّة(٤٤) وكان هذا العصيان من أهم العوامل التي دعت الخليفة العباسي لطلب النجدة من السلطان السلجوقي عندما جاء الى بغداد سنة ٤٤٧هـ ودخلها بصحبة قريش بن بدران العقيلي(٤٥).

أرسل السلطان طغرلبك السلجوقي الى صاحب الحلّة نور الدولة دبيس بن مزيد الأسدي أن يبعد البساسيري عنه فأبعده واتجه الى الرحبة وأقام فيها بإذن صاحب حلب ثمال بن صالح المرداسي(٤٦) ودخل صاحب الحلّة في طاعة السلطان طغرلبك(٤٧).

توسع حلف البساسيري فانضم اليه مقلد بن بدران (أخو قريش بن بدران العقيلي) بعد أن فارق أخاه قريش بن بدران صاحب الموصل ولامه على وقوفه مع السلاجقة وتأييدهم والدخول في طاعتهم، وانضمت الى مقلد بن بدران جموع كبيرة من بني عقيل وغيرهم من العرب والأكراد مفارقة

لقريش بن بدران، فيقول سبط ابن الجوزي : ((فوقع مقلّد العرب على أن قالوا لقريش : أليس هؤلاء الغز الذين قتلنا في سنة خمس وثلاثين أولادهم وأصحابهم وسبيناهم، ولهم في رقابنا دماً[٤٨] (دماء) يطلبونها، فإن دخلنا في زمرتهم سلّمنا اليهم أرواحنا وأهلنا وأموالنا وبلادنا، فقال لهم قريش : أنتم محقون في قولكم، غير ان هذا سلطان عظيم، ومعه عسكر كبير، ومتى لم يدخل معهم أخربوا بلادنا ونهبوا أموالنا ولم يكن لنا قدرة على دفعهم والرأي ملاطفته وخدمته))[٤٩].

كما انضم الى البساسيري نصير الدولة أحمد بن مروان زعيم المروانيين في ديار بكر وأرسل الى البساسيري كتاباً بعد رحيله من الحلّة الى الرحبة يقول له فيه : ((إنه كان من جملة من أجاب الدعوة التركمانية الطاغية درءاً لنفسه ومداراة لوقته وظناً أنهم من أجناس البشر الذين يراعون حرمة ويرقبون في مؤمن إلا وذمة، فكشف الزمان له عن شرهم وغدرهم وظلمهم وجورهم وإطلاقهم الأيدي في الأموال والحريم))[٥٠].

وهكذا يمكن القول ان المروانيين وأغلبية العقيليين في الجزيرة انضموا الى البساسيري علانية ضد السلاجقة كرها فيهم كما ذكر قادتهم بسبب أعمالهم السابقة في ديار الجزيرة، بينما بقي مع السلاجقة قريش بن بدران في فئة قليلة من العقيليين، حيث انه يعتقد عدم الجدوى من مخاصمة السلاجقة وهم في أوج قوتهم وكثرتهم فالنظرة عنده حماية البلاد من بطش السلاجقة ومداراتهم ولو إلى حين.

وأرى ان موقف قريش بن بدران أقرب الى الصواب من موقف الأطراف الأخرى التي قبلت أن تنضم الى البساسيري حليف الفاطميين، خاصة وان السلاجقة جاءوا لنصرة الخليفة العباسي صاحب الحق الشرعي في الخلافة بينما يعتبر الباقون خارجين عن الطاعة وغاصبين للخلافة العباسية.

كثر الإفساد في بغداد من جند السلاجقة بالاعتداء على الأهلين وسرقة أموالهم وطال مقامهم بها حتى شكا الخليفة من ذلك الى السلطان طغرلبك السلجوقي، فاعتذر له السلطان ووعده بإصلاح الحال[٥١] في حين تزايدت قوة البساسيري في الرحبة بتأييد الخليفة الفاطمي له، فقد أرسل له الهدايا والأموال والخلع[٥٢]، كما انضم اليه عدد كبير من الأتراك الذين كانوا في بغداد[٥٣] وانضم اليه داعية الفاطميين في الشام والجزيرة هبة الله المؤيد في الدين بن أبي عمران موسى الشيرازي ووعده العون والمساعدة[٥٤].

استدعى الخليفة القائم بالله، السلطان طغرلبك وكان لا يزال في بغداد وأبلغه ضرورة المسير الى الجزيرة للقضاء على النفوذ المتزايد لحركة البساسيري التي رفعت شعار الفاطميين[٥٥]، فاتفقا على إرسال حملة من السلاجقة بقيادة أبي الفوارس قتلمش السلجوقي، وأثناء ذلك كان دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلّة وقريش بن بدران صاحب الموصل يراسلان الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي يحثانهما على تجريد حملة سريعة لدفع خطر البساسيري عن الجزيرة[٥٦].

وهكذا يظهر التحالف بين الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي بصورة فعليه لحماية المذهب السنّي والوقوف أمام المد الفاطمي في نواحي الجزيرة ولأول مرة يصبح السلاجقة حماة للمذهب السني ومدافعين عن الخلافة العباسية بصورة فعلية.

* معركة سنجار[٥٧] سنة ٤٤٨هـ :

سار قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجوق (ابن عم طغرلبك) بالعساكر السلطانية من بغداد في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٤٤٨هـ ناحية تكريت[٥٨] للاجتماع بقريش بن بدران العقيلي ودبيس بن مزيد الأسدي للتنسيق معاً والتوجه الى قتال البساسيري والقضاء على دعوته، غير ان الأخبار وردت الى السلطان بسوء نية قريش وابن مزيد لتآمرهما مع البساسيري على العساكر السلطانية، فانفذ السلطان رسولاً اليهما يطلب منهما رهائن للتأكد من سلامة موقفهما منه، فسلم قريش بن بدران ابنه وفارق ابن مزيد قريشاً وانضم الى البساسيري علانية[٥٩].

يستنتج من انضمام صاحب الحلّة الى البساسيري، النفوذ الواسع لهذا الرجل في المنطقة، لاسيما انه يعتبر أميراً من أمراء العرب المعدودين، وبانضمامه الى البساسيري يكون قد أضاف قوة اخرى الى البساسيري من قبيلة بني مزيد الأسدية علاوة على القوات الهائلة من العرب والأتراك (الأتراك الذين كانوا في بغداد قبل قدوم السلاجقة) الذين خرجوا معه من بغداد أو انضموا اليه من سكان الجزيرة من العقيليين أنصار مقلد ابن بدران العقيلي.

انضمت قوات قتلمش السلجوقي الى قوات قريش بن بدران العقيلي قرب تل أعفر[٦٠]، بينما كانت عساكر البساسيري على مقربة منهم، ومعه دبيس بن مزيد الأسدي ومقلد بن بدران العقيلي ومعهم جموع هائلة من العرب والأكراد، فراسلوا قريشاً لينضم اليهم فلم يلتفت لهم بالرغم من انضمام معظم قبيلته الى البساسيري ولم يبق معه سوى القليل[٦١].

نشبت المعركة بين الطرفين قرب سنجار، وسرعان ما دارت الدائرة على العساكر السلجوقية فولّت الأدبار وقتل معظمهم فانهزم قائدهم مع من بقى منهم، بعد أن لقوا أذى كثيراً، بينما لجأ قريش بن بدران الى دبيس بن مزيد، فأجاره وعفا عنه وأصبح في صف البساسيري بعد أن لقى حلفاؤه السلاجقة الهزيمة الماحقة[٦٢].

تركت معركة سنجار مجموعة من النتائج الهامة لصالح البساسيري، فمن الناحية الأولى جعلت الجزيرة كلها تحت سيطرته، كما انكشف قريس بن بدران العقيلي على حقيقته فانضم الى البساسيري بمجرد ان لاحت له علائم النصر، كما ان هذه الهزيمة المنكرة التي لقيتها العساكر السلجوقية تعتبر أول نكسة تصيب التحالف السلجوقي العباسي في مقاومة المد الفاطمي الزاحف الى بغداد.

أرسل هبة الله الشيرازي داعية الفاطميين وحليف البساسيري بالكتاب التالي الى الخليفة المستنصر يبشره فيه بالنصر على السلاجقة ومما كتبه له : ((فعبرت العساكر المنصورة الفرات نحو دارة[٦٣] وصرفت وجهها اليه (قريش بن بدران) متبعة لآثاره، فكتب الى الغز خذلهم الله تعالى يطلب النجدة، وأخذ يعد للقاء العدة، فلم يمكث إلا قليلاً، حتى أتته من الغزّ صليبتها في أربعة آلاف تتخطر في أذيال البغي، ولحقته جمهرتها تتمطى غارب الغي، فما هو الا أن أقبل بحر الجيوش المنصورة تتدفق، ونشرت الرايات المستنصرية في الهواء تخفق ونادت العساكر المنصورة بالشعار المستنصري نداء كاد به يخرق الحجاب، وعوَت التركمانية المخاذيل كما تعوي الكلاب حتى سيقوا في حلبة الوغى سوق

الغنم، ونهلت السيوف من دمائهم كما ينهل العطشان من الماء البشم، وقتل منهم الخلق الذي لا يحصى عدداً، ولم يسلم الا بقية صغيرة أصبحوا شعاعاً بدداً، ولولا هجوم الليل لأحاط بصغيرهم وكبيرهم سرادق الويل))(٦٤).

بهذا يمكننا القول : ان العرب في الجزيرة لم تكن لهم رغبة وميل الى السلاجقة فانضموا الى حركة البساسيري ودعموها بما يملكون، أما قريش بن بدران فكان يراهن على قوة السلاجقة خوفاً منهم وليس من باب التأييد لهم وحرصاً من جانبه على أن يحقق مكاسب شخصية على حسابهم، لهذا فإنه انفصل عنهم وانضم الى البساسيري عندما رأى رجحان كفته وان الأمور بدأت تسير لصالحه.

بدأ البساسيري يستعد لمتابعة سيره إلى بغداد لإسقاط الخليفة العباسي وإقامة الدعوة للفاطميين، وأثناء ذلك بدأ طغرلبك السلجوقي يستعد للخروج اليه بنفسه من بغداد، وكان لا يزال مقيماً فيها منذ جاء اليها سنة ٤٤٧هـ(٦٥)، كما انه استدعى اليه أخاه ابراهيم ينال لينضم اليه وكان مقيماً بواسط(٦٦)، وقد روى بعض المؤرخين ان البساسيري وداعية الفاطميين، أجريا اتصالات مع ابراهيم ينال لعصيان اخيه السلطان طغرلبك وأطمعاه في الملك، فوعدهم ذلك وتباطأ عن مساعدة أخيه طغرلبك(٦٧). ومهما يكن في هذا الأمر من غرابة فإنه يمكن التصديق به استناداً الى ما ذكره المؤرخون من أن روح الحسد والحقد قد برزت بين هذين الأخوين منذ سنة ٤٤٠هـ حين غزا ابراهيم ينال بلاد الروم وقوى أمره في بلاد الجبل، فجرده السلطان من أملاكه وسجنه فترة ثم أفرج عنه سنة ٤٤١هـ فترك هذا العمل انطباعاً سيئاً عند ابراهيم على أخيه(٦٨).

يقول هبة الله الشيرازي عن اتصالاته مع ابراهيم ينال :

((أرسل ابراهيم بن ينال التركماني وهو أخو طغرلبك لأمه رسولاً من الموصل الى مستقر أبي الحارث البساسيري وقريش بن بدران رحمهما الله وهما يومئذ في موضع يسمى بالس(٦٩)على مرحلتين من حلب، يبذل لهما الجميل عن أخيه وعنه ويرغبهما في الدخول في الطاعة ليوليهما الولاية الجميلة ويحسن اليهما الإحسان الكثير فكان هذا ظاهر رسالته وباطنها أن يخاطباني على التوثق له بأن أسوق اليه ما يلتمسه من الحضرة النبوية من الأموال الجزيلة والخلع والألقاب والألوية حتى يبطش بطغرلبك البطش الشديد الذي يهد قوته ويطفىء ثائرته فتصير جميع ممالكه في قبضته وحوزته ويكون هو ملكها وعلى أن تكون الخطبة لنا بالخلافة والإمامة مقدمة على خطبته))(٧٠).

* حملة السلطان طغرلبك السلجوقي الى الجزيرة سنة ٤٤٨هـ :

رأينا كيف استطاع البساسيري أن يبسط سلطانه على جميع انحاء الجزيرة بعد هزيمة الجيش السلجوقي في سنجار، وما ألحقته تلك الهزيمة من إهانة واضحة للسلطان السلجوقي طغرلبك، فعندئذ جمع السلطان عساكره ببغداد وخرج بهم في شهر ذي القعدة من سنة أربعمائة وثمان وأربعين هجرية، فاتجه الى الموصل مقر البساسيري وعندما اقترب منها، خرج البساسيري الى الرحبة، بينما أعلن ابن بدران وابن مزيد انضمامها وطاعتهما للسلطان السلجوقي مرة اخرى(٧١).

عادت الموصل مرة ثانية الى طاعة السلطان السلجوقي، فتوجه منها الى سنجار وأوقع بأهلها

انتقاماً لما فعلوه بحملة قتلمش السلجوقي[٧٢]، يقول الأصفهاني : ((فسار طغرلبك الى سنجار واجتاحها واستباحها وسلب أرواحها وأشباحها الى أن شفع فيهم ابراهيم ينال فعَفَا بعد أن عفًا وكفَّ بعدما اكتفى))[٧٣].

اتجه طغرلبك بعد الموصل الى ديار بكر، وكان قد راسل صاحبها نصير الدولة بن مروان ليدخل في الطاعة، فماطل ريثما تتضح الأمور في الجزيرة لأي من الطرفين المتصارعين تنحسم الأمور فينضم للغالب منهم، وكان يراسل الخليفة الفاطمي لينال الدعم منه، لكنه اضطر الى الدخول في طاعة السلاجقة عندما جاء طغرلبك وحاصر بلاده ورأى ان لا مفر من طاعته، خاصة وان ابراهيم ينال انضم الى أخيه في هذه الفترة وهو بديار بكر فاتفق ابن مروان مع السلطان طغرلبك على الطاعة وتقديم مائة ألف دينار[٧٤].

رجع السلطان طغرلبك الى بغداد بعد أن دانت الجزيرة لطاعة السلاجقة والخليفة العباسي، وترك أخاه ابراهيم ينال واليا عليها مقيماً في الموصل سنة ٤٤٩هـ[٧٥].

استقبل الخليفة القائم بأمر الله السلطان طغرلبك أحسن استقبال في اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة، وشكر له فعله ولقبه بملك المشرق والمغرب، يقول ابن الأثير : ((وخاطب الخليفة السلطان بقوله : ان أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك، وقد ولّاك جميع ما ولاه الله من بلاده ورد عليك مراعاة عباده، فاتّق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكفّ الظلم وإصلاح الرعية[٧٦].

وهكذا استطاع طغرلبك السلجوقي أن يحقق انجازاً كبيراً بطرد البساسيري من الجزيرة وتعيين أخيه ابراهيم ينال والياً عليها لأول مرة في تاريخ السلاجقة، وهذا يعني انه قرر عزل قريش بن بدران الأمير الشرعي لهذه البلاد على قبيلته من بني عقيل، وقد اعترف الخليفة العباسي بما فعل السلطان السلجوقي ولقّبه بملك المشرق والمغرب جزاءً له على ما قدم من أعمال، فكأنه نصّبه وصياً على الدولة الاسلامية بعدما ارتبطت المصلحة بين العباسيين والسلاجقة، فبدأ التوسع السلجوقي مقترناً بانحسار الفاطميين ومحاربتهم.

ومهما تكن اهمية العمل العسكري الذي أحرزه طغرلبك السلجوقي في الجزيرة الا انني أعتبره هزيلاً ومبتوراً ما دام البساسيري حياً يرزق ولم تحسم المعركة معه بشكل كامل إذ كان من المفروض على طغرلبك أن يلحقه الى مقر إقامته في الرحبة التي يلجأ إليها دائماً بعد انسحابه من الجزيرة، وأعتقد ان المانع في ذلك هو ان الموقف في الجزيرة لم يكن مناسباً بسبب المعارضة القوية التي يبديها العرب في الجزيرة ضد السلاجقة والتردد الواضح عند زعمائهم في تقديم طاعة دائمة للسلاجقة.

* مؤامرة ابراهيم ينال على أخيه السلطان طغرلبك وعودة البساسيري إلى الجزيرة :

عزم ابراهيم ينال على الوفاء بما تواعد به سراً مع البساسيري وداعية الفاطميين هبة الله

الشيرازي، وقد ذكر بعض المؤرخين ان السلطان طغرلبك أحس بتواطؤ أخيه مع البساسيري قبل أن يعلن ذلك فأمره بالقدوم الى بغداد، فسار من الموصل الى بغداد والتقى به في شهر محرم من سنة ٤٥٠هـ، وتدخل الأمراء وأصلحوا حالها وعادت الثقة بينهما فرضي عنه السلطان وسيَّره الى الموصل فكان عصيانه بعد عودته من العراق الى الجزيرة[٧٧] بينما أغفل آخرون مسير ابراهيم بن ينال الى بغداد بتوجيه من أخيه وذكروا ان ابراهيم ينال أعلن عصيانه وخرج من الموصل ناحية همذان بعد أن ترك حامية السلاجقة في الموصل بقيادة بعض الأمراء السلاجقة هما إردم وباتكين[٧٨].

والذي أرجحه ان ابراهيم ينال قدم فعلاً إلى بغداد والتقى بأخيه وعزم على العصيان بعد المفارقة راغباً في الملك والسلطان، بعد أن رأى نفسه قد انكشف لأخيه السلطان طغرلبك.

استغل البساسيري وحليفه قريش بن بدران انفصال ابراهيم ينال عن أخيه وعصيانه له فأسرعا بالعودة الى الموصل، فلم تتمكن حامية السلاجقة من الصمود لهما فهرب البعض واستسلم الباقي ودخلت الموصل تحت طاعة البساسيري مرة اخرى في رجب سنة ٤٥٠هـ[٧٩].

يقول ابن الأثير : ((ولما فارق ابراهيم الموصل قصدها البساسيري وقريش بن بدران وحاصراها فملكا البلد ليومه، وبقيت القلعة وبها الخازن وإردم وجماعة من المعسكر فحاصراها (البساسيري والشيرازي) أربعة أشهر حتى أكل من فيها دوابهم، فخاطب ابن موسك صاحب اربل[٨٠] قريشاً حتى أمنهم فخرجوا، فهدم البساسيري القلعة وعفى أثرها))[٨١].

والذي يتضح ان قريش بن بدران عاود الانضمام الى البساسيري بعد عودة السلطان من الجزيرة الى بغداد اذ سبق له أن استسلم، وأطاع السلطان طغرلبك عندما قدم الى الجزيرة، وقد تقلب ابن بدران كثيراً في موقفه مع السلطان السلجوقي والبساسيري فلم يثبت على مبدأ واحد مما يدل على انه رجل انتهازي ويميل مع الكفة الراجحة.

أما نور الدولة دبيس بن مزيد صاحب الحلّة فقد دخل أخيراً في طاعة الخليفة ببغداد بعد أن أرسل له بالقدوم عليه[٨٢].

اهتم السلطان طغرلبك بما طرأ على الجزيرة فخرج اليها من بغداد في رجب من سنة أربعمائة وخمسين هجرية[٨٣] ولما اقترب من الموصل خرج منها البساسيري وابن بدران متجهين إلى نصيبين[٨٤] فلحق بهما طغرلبك فخرجا منها، فجاء طغرلبك ودخلها ثم فرض على أهلها مائة ألف دينار، فأهمَّهم هذا الأمر، الا ان السلطان رحل عنهم في اليوم التالي فجأةً لملاحقة أخيه ابراهيم ينال في نواحي همذان[٨٥].

ويرى بعض المؤرخين ان السلطان طغرلبك لحق بأخيه ليقبض عليه قبل توجهه إلى الموصل[٨٦]، الا ان سياق الأحداث يدل على ان السلطان بدأ بالموصل أولاً واخرج منها البساسيري وصاحبه ابن بدران اذ كانت تقديراته ان خطر البساسيري أشد من خطر اخيه فعمل على استعادة الموصل أولا ثم اتجه الى همذان ليصفي حساباته مع أخيه الذي عصى أمره.

كان برفقة السلطان طغرلبك زوجته ووزيره عميد الملك الكندري، فلما تيقن عصيان أخيه بهمذان وتحصنه بقوات كثيرة، سيّر زوجته الى بغداد، وأكمل سيره إلى همذان(٨٧).

كانت قوات ابراهيم ينال اكثر كن قوات أخيه، فظهر تفوقه عليه، فاضطر السلطان أن يستنجد بزوجته، فخفت لعونه وخرجت من بغداد بقوات إضافية لمساعدته(٨٨) وفي أثناء ذلك كان طغرلبك قد انسحب الى الريّ، ريثما تصله امدادات زوجته ومن معها من أقاربه(٨٩).

أصبح طغرلبك قوياً بانضمام المدد اليه، فسار بهم لمواجهة اخيه قرب الري فاستطاع هزيمة عساكره بسهولة، ووقع ابراهيم وأبناؤه في الأسر، فأمر طغرلبك بقتلهم جميعاً سلخ ربيع الأول ٤٥١هـ(٩٠).

وهكذا استطاع السلطان طغرلبك القضاء على حركة التمرد التي قادها أخوه ابراهيم ينال بعدما تأكد عصيانه وتآمره طمعاً في الزعامة والملك، والحق ان السلطان طغرلبك أظهر جدارة في سرعة التصرف لحسم الموقف مع أخيه، ولو انه تهاون معه، وقدر لهذا العصيان أن ينجح لتغير وجه التاريخ بالنسبة الى السلاجقة والخلافة العباسية في الوقت الذي بدا فيه الفاطميون يحادّونهم ويهددونهم في عقر دارهم ومقر خلافتهم.

استغل البساسيري وحليفه قريش بن بدران فرصة انشغال السلطان طغرلبك بأخيه ابراهيم ينال، فانقضا بسرعة خاطفة على بغداد وتم الاستيلاء عليها والخطبة فيها للخليفة الفاطمي منتصف شوال سنة ٤٥٠هـ(٩١)، كما أمكنه القبض على الخليفة العباسي القائم بأمر الله وأرسل الى حديثه عانة(٩٢) أسيراً عند صاحبها مهارش بن المجلى العقيلي(٩٣) وكان نور الدولة دبيس بن مزيد صاحب الحلّة في بغداد فانضم الى البساسيري، ثم عاد قريش بن بدران الى الموصل ومعه زوجة الخليفة القائم بأمر الله ابنة جغري بيك داود السلجوقي (أخو طغرلبك) آخر محرم سنة ٤٥١هـ، بينما بقى البساسيري في بغداد(٩٤).

استنجد الخليفة القائم بأمر الله بالسلطان طغرلبك ليعينه على البساسيري بعد دخوله بغداد فأرسل اليه يقول : ((تنبّه فإن الاسلام في خطر فأسرع لدفع هؤلاء الملاعين ولا تتقاعس عن نصرة الدين حتى تعود الأمور الى نصابها وترجع الى سيرتها الأولى ويصل الحق الى المستحق))(٩٥) فرد عليه السلطان بقوله : ((سنأتي فوراً بجيش لا حصر له فينبغي على الخليفة أن يكون فارغ البال مطمئن الحال))(٩٦).

رجع السلطان مسرعاً الى بغداد بعد أن تخلّص من أخيه ابراهيم ينال، وبدأ بمراسلة مهارش المجلي العقيلي وقريش بن بدران للمساعدة في إعادة الخليفة الى بغداد(٩٧).

عاد قريش بن بدران الى المغالطة كسابق عهده مع السلطان السلجوقي فرد عليه يقول : ((انني العبد الخادم، وما جرى كان عن قضاء الله عز وجل وقدره وفعل ابن المسلمة ذلك الغالط وقلة تدبيره، وقد جرى على البلاد ما أخربها ودرسها وليس هاهنا ما يثابر عليه . . .

وأما هذا الرجل (البساسيري) فأنا أتوصل الى كل ما يراد منه والسلام))[٩٨]. وفي رواية لإبن كثير انه رد عليه بقوله: ((أنا معك على البساسيري بكل ما أقدر عليه حتى يمكنك الله منه))[٩٩].

ولا شك أن هذا الموقف من قريش بن بدران غريب، فهو بالأمس القريب يقاتل جنباً الى جنب مع البساسيري ويدخل معه بغداد ويقومان معاً بأسر الخليفة العباسي، ثم يرد على السلطان السلجوقي بقوله أنا العبد الطائع، وأنا معك على البساسيري، وأعتقد أن قريش بن بدران يناور ليبني ملكاً لنفسه على حساب الطرفين المتخاصمين بعد أن ينهك كل منهما الآخر.

راسل قريش بن بدران مهارش العقيلي بشأن الخليفة العباسي يأمره بالخروج به من الحديثة الى البرية كي لا يحصل له مكروه، فلم يلتفت له وقال ان البساسيري نقض عهوده معه وانه أعطى الخليفة العهود والمواثيق وانه سيصحبه الى بغداد[١٠٠].

خرج المهارش العقيلي وبصحبته الخليفة من حديثة عانة ناحية عكبرا[١٠١] في ذي القعدة سنة ٤٥١هـ، فلقي السلطان طغرلبك في طريق عودته من نواحي الري الى بغداد عند النهروان[١٠٢] فسلمه الخليفة القائم بأمر الله[١٠٣]. وقد أحس البساسيري بقدوم طغرلبك وبصحبته الخليفة فخرج من بغداد متلجئاً الى دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلّة[١٠٤]، فاستأذن السلطان من الخليفة أن يسمح له بملاحقة البساسيري فأذن له فظفر به بنواحي الكوفة، فاشتبك الطرفان هناك، الا ان موقف البساسيري كان ضعيفاً، إذ انصرف أنصاره من حوله، وبقي في عدد قليل من عساكره، فقاتل حتى وقع أسيراً بيد أحد التركمان فحزّ رأسه وقدوم به الى السلطان ثم سار به الى بغداد[١٠٥].

أما نور الدولة دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلّة فقد تخلى عن البساسيري عندما شعر بضعفه واستأمن السلطان فأمنه وصحبه الى بغداد[١٠٦]، ورفض أن يعطي الأمان الى قريش بن بدران فقال عنه: ((لا عهد له عندي ذاك الكذاب الغدّار المستبيح أموال الخليفة)) وبلغه فمات خوفاً[١٠٧]، وتولى زعامة العقيليين في الجزيرة بعده ابنه مسلم بن قريش العقيلي[١٠٨].

وهكذا أظهر السلطان السلجوقي طغرلبك اخلاصه وولاءه للخليفة العباسي فإنه لم يدّخر وسعاً في مطاردة خصومه دون هوادة، فقد أظهر شجاعة واضحة في مواجهة البساسيري، الذي كان يعتقد انه تمكن من ضرب السلاجقة ببعضهم، لكن آماله خابت فسرعان ما قضى طغرلبك على أخيه ثم انكفأ مسرعاً الى بغداد وأعاد الخليفة القائم معززاً مكرّماً اليها وانتصر للمذهب السني ولم يهدأ له بال حتى تخلص من البساسيري، ولولا حزمه وصرامته لسقطت الخلافة العباسية منذ ذلك التاريخ.

* النشاط السلجوقي في الجزيرة بعد وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥هـ:

لم يذكر أحد من المؤرخين عودة العساكر السلجوقية الى الجزيرة بعد القضاء على البساسيري سنة ٤٥١هـ، في عهد السلطان طغرلبك السلجوقي، وانما استقرت الأمور في ديار بكر شمال الجزيرة لنظام الدين نصر بن نصير الدولة أحمد بن مروان بعد وفاة أبيه سنة ٤٥٢هـ، فخطب للسلاجقة وأطاعهم واستقرت الأمور بينه وبينهم على هذا الحال[١٠٩].

أما العقيليون في سائر أنحاء الجزيرة فيستدل ان زعيمهم شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي، أطاع الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي طغرلبك، فقد أرسل الى الخليفة ببغداد يستشيره فيما يفعل، ثم سار بعد ذلك بنفسه الى بغداد، والتقى مع الخليفة وأطاعه ثم عاد الى الموصل وخطب في بلاده للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ولنفسه بعدهما أيضا ثم سار في عهد السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٢هـ الى أصفهان والتقى به هناك وأطاعه ثم خطب اخته، فأمر السلطان وزيره نظام الملك فعقد له عليها[١١٠].

وقد توفي السلطان طغرلبك السلجوقي في الريّ سنة ٤٥٥هـ[١١١] وخطب من بعده لإبن أخيه ألب أرسلان أبي شجاع محمد بن داود جغري بيك بن ميكائيل بن سلجوق[١١٢].

* حملة السلطان ألب أرسلان إلى الجزيرة والشام سنة ٤٦٢هـ :

كثرت اعتداءات ملك الروم أرمانوس ديوجين[١١٣] على بلاد المسلمين في نواحي الشام والجزيرة فأصاب الناس منه أذى كثيراً خلال السنوات ٤٦٠ ـ ٤٦٢هـ[١١٤] ثم ارتحل الى داخل بلاده لشدة ما أصاب جيشه من التعب والجوع[١١٥] وقد ذكر بعض المؤرخين ان أعمال أرمانوس العدوانية على شمال الشام، جاءت رداً على الأعمال العسكرية التي قام بها السلاجقة في نواحي بلاد الروم وأذربيجان، فجاء واستولى على منبج[١١٦] وقد خرج السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٢هـ من أصفهان قاصداً بلاد الروم عن طريق الجزيرة لتأديب ملك الروم بسبب أعماله العدوانية السابقة[١١٧] ثم عدل السلطان فغيّر اتجاهه الى ديار بكر في الجزيرة قاصداً مصر للقضاء على الفاطميين عندما تبين له عودة امبراطور الروم الى بلاده[١١٨] فدخل في طاعته نصر بن أحمد بن مروان صاحب ديار بكر وجمع له مائة ألف دينار وقدمها له ليدلل على ولائه وطاعته، لكن السلطان رفض أن يأخذها منه عندما علم انها جمعت من الأهلين[١١٩] ثم اتجه من ديار بكر الى الرّها وقام بحصارها وكانت بيد الروم، وبينما هو مقيم على حصارها وقد استعصت عليه أرسل الى محمود بن نصر المرداسي صاحب حلب للقدوم اليه وإعلان طاعته للسلاجقة والخطبة لهم في بلاده، فامتنع ابن نصر من القدوم اليه خوفاً منه، فترك السلطان حصار الرّها ورحل الى حلب لتأديب محمود بن نصر المرداسي في الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٤٦٣هـ[١٢٠].

ويرى بعض المؤرخين ان عبور السلطان السلجوقي نهر الفرات الى حلب جاء بعدما وردت اليه الأخبار بميل محمود المرداسي الى الفاطميين والخطبة لهم في بلاده فأراد السلطان ألب أرسلان أن يستولي على البلاد منه وخاصة بعدما رفض المثول بين يديه وهو محاصر للرّها[١٢١]، بينما يرى مؤرخون ان محمود المرداسي مال الى طاعة السلاجقة فخطب لهم في بلاده فجاءته الخلع والهدايا من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي[١٢٢] وقد برر ابن العماد الحنبلي تقلب ابن المرداسي بين طاعة السلاجقة والفاطميين لتوسط داره بينهما فأراد ان يداري الطرفين لمصلحته[١٢٣].

يقول المؤرخون ان محمود المرداسي جمع أكابر دولته وخطب فيهم ليبرر دعوته وميله الى

العباسيين فقال لهم : ((قد علمتم ان الدولة التي كنا طائعين لها (الفاطميين) قد ذهبت وهذه دولة جديدة، وعساكر عظيمة، ونحن قد ضعفنا ونخاف أن يجيئنا من لا طاقة لنا به، وربما ألمَّ بنا سلطاننا ونحن على ما نحن عليه من الوهن والتسير الى دولة غيرها مع ما تعرفون به من الاعتقاد والمذهب ما يستحلون به دماءكم وأموالكم، والرأي أن نقيم الخطبة لهم قبل أن يجينا وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل))[١٢٤].

ويمكن ترجيح رأي ابن العماد الذي يقول بأن محمود المرداسي كان متقلباً فعلاً في ميوله بين السلاجقة والفاطميين لتوسط داره بينهما ومال أخيراً الى الفاطميين حينما رفض المثول بين يدي السلطان في الجزيرة.

وجد السلطان السلجوقي ألب أرسلان، حلب محصّنة بالأسوار وبداخلها الأمير المرداسي قد تحصّن فيها وامتنع من الخروج ليعلن الولاء والطاعة[١٢٥] ثم أذعن ابن المرداسي أخيراً وخرج الى السلطان ومعه والدته، وطلب العفو والمغفرة لعدم خروجه أولاً فعفا عنه ورده الى حلب بعد أن ثبته عليها بالولاء والطاعة وكتب له توقيعاً بذلك[١٢٦]، وكان لوالدة محمود المرداسي أثر في قبول توبة ابنها عند السلطان السلجوقي فقد تقدمت اليه تقول : ((هذا ولدي قد جئتك به فافعل ما تحب، وقد اعترفنا وعرفنا ان سلامتنا الا بسلمك لا تستتب. . . فعفا السلطان وصفح وأعاد محمودا الى مكانه محمود المكانة وقد ارتفع بالتواضع وتسامى بالاستكانة وأمنت الشهباء وسكنت الدهماء[١٢٧])).

اتفق السلطان ألب أرسلان مع محمود المرداسي أن ينوب عنه بالمسير الى دمشق للقضاء على بقايا الفاطميين فيها وقطع الخطبة الفاطمية منها والدعوة فيها للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي كما ترك ابنه ملكشاه عنده وانثنى عائداً الى نواحي بلاد الروم شمال الجزيرة[١٢٨].

لا شك ان هذه الحملة التي قادها ألب أرسلان السلجوقي، قد تركت بصمات قوية للنفوذ السلجوقي على هذه البلاد، فاستقر فيها بعض القادة المشهورين الذين كان لهم شأن يذكر فيما بعد.

وأعتقد ان السلطان أرسلان جاء من الجزيرة الى الشام في طريقه الى مصر للقضاء على الفاطميين فيها وبسط النفوذ السلجوقي في سائر بلاد الجزيرة والشام الى مصر، لكنه عاد الى نواحي بلاد الروم عندما سمع بخروج أرمانوس ملك الروم الى بلاد المسلمين حينما زادت نشاطات السلاجقة في المنطقة، فانسحب السلطان السلجوقي عائداً الى شمال الجزيرة بعد أن ترك مهمة الخطة التي خرج من أجلها الي نوابه في الشام ومنهم محمود المرداسي صاحب حلب.

* معركة مَنَازْجِرد[١٢٩] :

يرى بعض المؤرخين ان أخبار ملك الروم بغزو بلاد المسلمين للقضاء على السلاجقة في فارس وما حولها، قد وصلت الى السلطان أرسلان وهو في الشام فتوجه اليه شمال الجزيرة لمواجهته[١٣٠] بينما يرى مؤرخون آخرون ان السلطان كان بأعمال أذربيجان عندما وردت اليه أخبار ملك الروم بالمسير الى بلاد الاسلام[١٣١].

ويمكن التوفيق بين الروايتين ان السلطان خرج أصلاً لغزو الروم عندما علم بخروج ملكهم الى نواحي الشام، ثم عدل عن ذلك واتجه الى حلب للقضاء على النفوذ الفاطمي هناك بعد أن اطمأن الى عودة ملك الروم الى داخل بلاده، وأعتقد ان السلطان السلجوقي ما كان ليثنيه شيء عن استمرار خطته في استكمال فتوحاته في بلاد الشام وطرد الفاطميين منها، وانه ما قطع هذه المهمة الا بعدما سمع بعودة ملك الروم الى نواحي الجزيرة وتهديد البلاد الاسلامية، مما اضطره أن يغادر حلب ويترك مهمة استكمال الأعمال السلجوقية في الشام الى نوابه فيها وينثني إلى مواجهة الخطر البيزنطي على بلاد المسلمين بقيادة أرمانوس ملك الروم.

وبهذا يكون الرأي القائل بأن السلطان كان في نواحي أذربيجان عندما علم بخروج ملك الروم الى بلاد المسلمين ضعيفاً اذ لا مبرر لتواجده هناك الا بعدما وصلته أخبار تلك الحملة البيزنطية.

يقول ابن الجوزي : ((وكان السلطان في فلّ من العسكر لأنهم عادوا من الشام جافلين الى خراسان، للغلاء الذي استنفذ أموالهم فطلبوا مراكزهم راجعين وبقي السلطان في نحو أربعة آلاف غلام، ولم ير مع ذاك أن يرجع الى بلاده ولم يجمع عساكره، فيكون هزيمة على الاسلام، وأحب الغزاة والصبر فيها، فانفذ خاتون السفرية (زوجته) ونظام الملك (وزيره) والأثقال الى همذان وتقدم اليه نظام الملك بجمع العساكر وانفاذها اليه))(١٣٢).

والذي يتضح من ذلك ان عدد عساكر السلطان كانت قليلة اذا ما قورنت بعساكر الروم فأرسل وزيره وزوجته ليجمعوا له مزيداً من المقاتلين وإرسالها اليه، وقد فضل هذا الموقف على الانسحاب الى اصفهان حتى لا يوصف بالهزيمة أمام الروم. وقد ذكر المؤرخون ان جيش الروم كان يزيد على مائتي ألف بينما كان جيش السلطان بمن انضم اليه في نواحي الجزيرة لا يزيد على خمسة عشر ألفاً(١٣٣).

قام السلطان السلجوقي بمراسلة ملك الروم طلباً للصلح والموادعة، لكن ملك الروم أصرَّ على الحرب ولم يقبل عروض الصلح ورد على السلطان في صلف وكبرياء(١٣٤).

ظن ملك الروم ان مراسلة السلطان له عن ضعف لما ورد في رسالة السلطان اليه : ((ان كنت ترغب في الهدنة أتممناها وإن كنت تزهد فيها توكلنا على الله في العزمة وصممناها))(١٣٥) فرد على السلطان يقول : ((اني أنفقت الأموال الكثيرة وجمعت العساكر الكثيرة للوصول الى مثل هذه الحالة، فإذا ظفرت بها فكيف أتركها، هيهات لا هدنة الا بالري، ولا رجوع الا بعد أن أفعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم))(١٣٦).

والذي يتضح من رسالة السلطان انه يريد المهلة بينما تصله الامدادات التي طلبها وأرسل وزيره الى أصفهان لجمعها، بينما ظهر التحدي والاستفزاز من كتاب ملك الروم، وقد أخذته العزة بالاثم لكثرة جنوده وظن انه بالإمكان القضاء على النفوذ السلجوقي خاصة ان السلاجقة أصبحوا يشكلون خطراً كبيراً على الدولة البيزنطية لاسيما بعد الحملات المتكررة التي قام بها ابراهيم ينال السلجوقي وقتلمش بن اسرائيل السلجوقي من بعده، يضاف الى ذلك التوسع السلجوقي في الشام والجزيرة وكانت هذه البلاد مفككة ولا تشكل خطورة على البيزنطيين قبل مجيء السلاجقة.

انزعج السلطان ألب أرسلان من رد أرمانوس ملك الروم واعتبر ذلك إهانة واضحة له فأمر بالاستعداد للحرب(١٣٧) ثم أوصى بالملك من بعده لإبنه ملكشاه وأشهد الجميع على ذلك(١٣٨). ثم اقترب الطرفان من بعضهما البعض قرب خلاط(١٣٩) وأخذ كل منهما يرتّب جنده للحرب(١٤٠).

تراسل الطرفان مرة اخرى قبل بدء المعركة، فبعث ملك الروم الى السلطان يقول : ((انني قد أتيتك ومعي من العساكر ما لا قبل لك به فإن أنت دخلت في طاعتي فأنا أدفع لك من البلاد ما يكفيك وتأمن سطوتي وبأسي، وان أنت لم تفعل ذلك فإن معي من العساكر ثلاثمائة ألف فارس وراجل، ومعي أربعة عشر ألف عجلة عليها خزائن الأموال والسلاح، وليس يقف بين يدي أحد من عساكر المسلمين ولا يغلق بوجهي مدينة من مدائنهم ولا قلعة من قلاعهم))(١٤١).

فرد عليه السلطان بواسطة رسوله قائلا : ((قُل لصاحبك إنك أنت ما قصدتني ولكن الله سبحانه حملك اليّ وجعلك وعساكرك طعمة للمسلمين، فأنت أسيري وعبدي، وعساكرك بعضهم قتلاي وبعضهم أسراي وخزانتك كلها ملكي ومالي، فاثبت للمقارعة وتهيأ للمكافحة، فسوف ترى ان عساكرك هي رقاب تساق الى ضاربها، وخزانتك هي أموال تحمل الى ناهبها))(١٤٢).

وهكذا حاول كل منهما التأثير على معنويات الآخر، فالأول مزهو بكثرة الجند والمال والسلاح، والثاني يثق بنصر الله على الكافرين فهو أمله وحسبه، وقد وضح ذلك في تلك الكلمات القوية المؤمنة التي تنبثق عن قلب سليم مطمئن بالإيمان. وقد حدد السلطان يوم الهجوم بحيث يكون يوم جمعة لينال دعاء الخطباء في صلاة الجمعة، وتقدم الى جيشه وخطب فيهم وحثّهم على الصبر والثبات ومما قاله : ((أنا صابر في هذه الغزاة صبر المحتسبين وصائر اليه مصير المخاطرين فإن سلمت فذاك ظني في الله تعالى وان تكن الأخرى فأنا أعهد اليكم أن تسمعوا لولدي ملكشاه وتطيعوه وتقيموه مقامي وتملكوه عليكم فقد وقفت هذا الأمر عليه ورددته اليه فأجابوه بالدعاء والسمع والطاعة))(١٤٣).

قدَّم ملك الروم قائداً من شجعانه ومعه الصليب الأعظم وبصحبته عشرون ألفاً من فرسانهم فتصدى له صندق التركي (أحد امراء السلطان) بجماعة من الفرسان، فهزمت الروم وأسر مقدمهم ومعه الصليب فاستبشر السلطان خيراً بهذا النصر الخاطف(١٤٤).

نصب السلطان عدة كمائـن من فرسان المسلمين بعيداً عن ميدان المعركة واقتحم بفرسانه حشود الروم في اليوم السابع من ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ ثم تقهقر بعساكره أمام عسكر الروم صوب الكمائـن ليوهم الروم بالهزيمة، فتبعهم الروم نحو الكمائن، فبرز لهم فرسان السلاجقة فجأة من الكمائن وأحاطوا بجحافلهم من كل صوب، حتى دبت الهزيمة بينهم فقتل آلاف مؤلفة، وأسر منهم جموع هائلة من بينهم ملكهم أرمانوس وغنم المسلمون غنائم عظيمة من الدواب والخيام والأموال(١٤٥) من ضمنها ثلاثة آلاف عجل كانت معدة لحمل الأثقال والمنجنيقات، أحدها له ثمانية أسهم ويمد فيها ألف وثمانمائة رجل، يحمله مائة عجل، زنة الحجر الذي يضربه قنطار، وكثير من الدروع والخوذات(١٤٦).

يتبينَّ لنا مما تقدم الشجاعة الفائقة، التي كان لها أثر كبير في نتيجة هذه المعركة والخطة البارعة

التي وضعها السلطان السلجوقي، بنصب الكمائن المختلفة بعيداً عن ميدان القتال، ليوهم العدو بالهزيمة تجاهها ليوقع العدو في هذه الكمائن، وهذه خطة اعتمدها السلاجقة في حرب الصحراء، اذ كانوا ينسحبون أمام أعدائهم الى مناطق يجهلونها فينهكونهم ثم ينقضون عليهم، وهذا ما حصل في معركة دندانقان مع الغزنويين، فتلك كانت حاسمة لمستقبل السلاجقة في خراسان وهذه كانت حاسمة للوجود السلجوقي بأكمله، اذ لو قدر لملك الروم أن ينتصر في هذه المعركة لتابع مسيرته حتى اقتحم الريّ عاصمة السلاجقة كما صرح بذلك نفسه من قبل كما ان هذه المعركة بلا شك، رفعت من سمعة السلاجقة في العالم الاسلامي وأثبتت كفاءتهم في القتال، كما انها كسرت شوكة البيزنطيين وحطمت هيبتهم، وهي الدرع الواقي للمسيحية الأوروبية في الغرب كله.

وأحب أن أُوضح ان نتيجة هذه المعركة ألقت مسؤولية كبيرة على السلطة السلجوقية ينبغي على السلاجقة الحفاظ عليها مستقبلاً، لأنه بلا شك سيجتمع الغرب المسيحي بأكمله لمواجهة هذا التحدي الاسلامي الجديد، وسوف نرى فيما بعد، هل أثبت السلاجقة قدرتهم على الاستمرار والصمود أم ان قدرتهم تلاشت وضعفت عن المواجهة والحفاظ على وحدة المسلمين وحماية مصالحهم، وستكشف لنا الأحداث مستقبلاً هذه الأمور، خاصة أثناء تصديهم للحملات الصليبية على بلاد الشام في نهاية القرن الخامس الهجري.

استقبل السلطان الملك الأسير في خيمته وضربه بيده ثلاث مقارع وأنّبه على تصرفه وعدم قبوله الهدنة، ثم اتفق معه الى اطلاق سراحه مقابل مال يدفعه للسلطان وإطلاق ما بيده من الأسرى المسلمين والالتزام بعدم العودة الى مهاجمة ديار المسلمين وإعادة ما أخذه من بلاد المسلمين سابقاً، ثم سيّره الى بلاده[١٤٧] وأرسل السلطان ببشائر النصر الى الخليفة العباسي وهنّأه بهذا الفتح العظيم وعاد بعد ذلك الى عاصمته الريّ[١٤٨].

* مقتل السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ :

غزا السلطان ألب أرسلان بلاد ما وراء النهر بعد عودته من ملازكرد لتأديب بعض العصاة هناك سنة ٤٦٥هـ[١٤٩]، وبعد أن قطع نهر جيحون، برز له احد العصاة فطعنه عدة طعنات كانت سبب وفاته، يقول المؤرخون : ((ولما عاد (السلطان ألب أرسلان) عزم على قصد بلاد الترك، وقد كمل عسكره مائتي ألف فارس أو يزيدون، فمد على جيحون جسراً، وأقام العسكر يعبر عليه شهراً، وعبر هو بنفسه أيضا، ومد السماط في بليدة يقال لها فربر[١٥٠] ولتلك البلدة حصن على شاطىء جيحون وذلك في السادس من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة، فأحضر اليه أصحابه مستحفظ الحصن ويقال له يوسف الخوارزمي، وكان قد ارتكب جريمة في أمر الحصن، فحمل اليه مقيّداً، فلما قرب منه، أمر أن تضرب أربعة أوتاد لتشد أطرافه الأربعة اليها ويعذبه ثم يقتله فقال : يوسف المذكور : ومثلي يفعل به هذه المثلة، فغضب ألب أرسلان وأخذ قوسه وجعل فيه سهماً، وأمر بحل قيده، فرماه فأخطأه، وكان مدلاً برميه، وكان جالساً على سريره، فنزل عنه فعثر ووقع على وجهه، فبادر يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه في خاصرته فقتله))[١٥١] ثم دفن السلطان بمرو

عند قبر أبيه داود وعمه طغرلبك[١٥٢] وخطب لإبنه ملكشاه، وكان السلطان أرسلان قد أوصى له فقام بأمره الوزير نظام الملك[١٥٣].

* الحملة السلجوقية على الجزيرة سنة ٤٧٦هـ بقيادة فخر الدولة بن جهير[١٥٤]:

عقد السلطان السلجوقي ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر لينتزعها من بني مروان، ويخطب فيها للسلطان السلجوقي وينقش اسمه على السكة سنة ٤٧٦هـ[١٥٥] وقد ذكر المؤرخون ان فخر الدولة أقنع نظام الملك (وزير ملكشاه) بالسير الى ديار بكر بالعساكر السلطانية السلجوقية، ليأخذها من بني مروان لاختلال أمرهم وليحكمها باسم السلاجقة، ودبر لذلك ووافق السلطان على السير[١٥٦]. وأعتقد ان نية السلطان السلجوقي ملكشاه في الموافقة على تسيير حملة فخر الدولة بن جهير ليأخذ ديار بكر من الجزيرة ويخطب فيها للسلاجقة انما هي عملية تمهيد لانتزاع البلاد جميعها من حكم العرب حيث يقول ابن الأثير: ((وكان السلطان عازماً على أخذ جميع البلاد التي لشرف الدولة (مسلم بن قريش بن بدران العقيلي) واستئصال ملك العرب))[١٥٧].

سار إبن جهير بالعساكر السلجوقية الى ديار بكر في الجزيرة، وعندما اقترب منها قسم جيشه الى قسمين فأرسل ابنه أبا القاسم علي على الفئة الأولى الى آمد[١٥٨] فحاصرها بينما اتجه فخر الدولة الى ميّافارقين وحاصرها أيضاً[١٥٩] ولما طالت مدة الحصار أرسل السلطان نجدات إضافية لمساعدة ابن جهير بقيادة أرتق بن أكسب التركماني[١٦٠] بعد مراسلة تمت بين فخر الدولة بن جهير والسلطان ملكشاه أثناء فترة الحصار[١٦١] وقد انفرد ابن خلّكان بذكر أرتق بن أكسب بأنه ضمن حملة بن جهير التى سارت من الريّ الى الجزيرة[١٦٢] وهذا بخلاف الواقع إذ قال غيره من المؤرخين الذين سبقوه في معاصرة هذه الأحداث ان أرتق بن أكسب جاء مدداً من السلطان السلجوقي عندما طالت مدة الحصار لكل من ميّافارقين وآمد فيرجح قولهم على روايته.

والذي يتضح من ذلك ان السلطان ملكشاه السلجوقي باختياره فخر الدولة بن جهير ليقود الحملة السلجوقية الى ديار بكر، كان اختياراً موفقاً كل التوفيق. لأن ابن جهير يعتبر من مواليد الموصل وسكانها الأصليين، فالناس سيميلون اليه ويرضون بطاعته لأنه كان فيما مضى وزيراً لبني مروان ثم انتقل الى بغداد وزيراً للقائم بأمر الله ثم للمقتدي بأمر الله وأخلص النية للعباسيين والسلاجقة.

استغاث ابن مروان (ناصر الدولة منصور بن نظام الدين بن أحمد بن مروان) بشرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل وتوابعها، لينجده على محاربة التركمان الذين يقودهم فخر الدولة بن جهير فسار لنجدته بعد أن شرط عليه أن يعطيه آمد[١٦٣].

والواقع ان قرار مسلم بن قريش العقيلي بالانضمام الى ابن مروان في محاربة السلاجقة دفاعاً عن أرض الجزيرة قد أحدث تطوراً جديداً بالنسبة الى حملة ابن جهير، إذ لم يكن من أهدافها التعرض

لديار مسلم بن قريش، فقد كان طائعاً للسلاجقة ويخطب ببلاده للسلطان السلجوقي والخليفة العباسي، وقد جاء ابن جهير ليأخذ ديار بكر من المروانيين فقط ويخطب فيها للسلاجقة، ولم يكن من مهمته التعرض للعقيليين، أما بعد انضمام مسلم بن قريش لابن مروان في مقاتلة السلاجقة فيكون بذلك قد وسَّع شقة النزاع وعليه أن يتحمل المسؤولية فيما بعد.

مال ابن جهير الى المهادنة والمصالحة بعد امدادات مسلم بن قريش للمروانيين، وبعد مراسلة تمت بين الطرفين(١٦٤).

ويرى بعض المؤرخين ان ميل ابن جهير الى المصالحة كان لرغبته في عدم سفك دماء العرب(١٦٥)، فلما رأى التركمان ذلك قاموا بمهاجمة العرب فجأة فشتتوا قواتهم وغنموا منهم غنائم كثيرة من الأموال والدواب والنساء(١٦٦) يقول ابن الأثير: ((لا أوثر أن يحلَّ بالعرب بلاء على يدي (كلام ابن جهير) فعرف التركمان ما عزم عليه، فركبوا ليلاً وأتوا الى العرب، وأحاطوا بهم في ربيع الأول (سنة ٤٧٧هـ) والتحم القتال واشتد، فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الواقعة الوزير فخر الدولة ولا أرتق، وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة (مسلم بن قريش) وحمى نفسه حتى وصل الى فصيل آمد، وحاصره فخر الدولة ومن معه، فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه، فراسل الأمير أرتق وبذل له مالاً وسأله أن يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو ملماً بالطرق والحصار، فلما سمع أرتق بما بذله له شرف الدولة أذن له في الخروج، فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الأول وقصد الرقة(١٦٧) وأرسل الى أرتق ما كان قد وعده به))(١٦٨).

شدد أبوالقاسم علي بن فخر الدولة الحصار حول آمد وهدد بقطع الأشجار، الا ان أهلها راسلوه وسلموا له المدينة(١٦٩) كما تمكن أبوه من الاستيلاء على ميّافارقين وأموال بني مروان فيها(١٧٠) وأرسل جزءاً من عساكره الى جزيرة ابن عمر فاستولى عليها(١٧١). ثم تتالت نجدات التركمان لحملة فخر الدولة بن جهير، خاصة بعدما عرف السلطان ملكشاه، انضمام مسلم بن قريش العقيلي لإبن مروان في محاربة السلاجقة فأرسل السلطان مدداً جديداً بقيادة عميد الدولة أبومنصور محمد بن فخر الدولة بن جهير، والسلطان لا يشك بأن فخر الدولة استطاع أن يقبض على مسلم بن قريش صاحب الموصل وأوصى السلطان امراء التركمان بطاعة عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير، وأمره بالتوجه الى الموصل لإدارة شؤونها(١٧٢).

وهكذا أعلن السلطان السلجوقي حربه على مسلم بن قريش العقيلي بسبب موقفه من حملة ابن جهير، وقرر انتزاع إمارته منه ومنحها لعميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير. والذي يتضح ان هذه التوجيهات من السلطان السلجوقي، كانت قبل خروج مسلم بن قريش من آمد سالماً بمساعدة أرتق بن أكسب التركماني.

علم عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير بخروج مسلم بن قريش سالماً من آمد الى الرحبة، وهو في طريقه الى الموصل، فبعث الى السلطان ملكشاه يخبره بذلك(١٧٣) ثم تابع سيره الى الموصل فاستولى عليها(١٧٤).

وبهذا يمكننا القول بأن الجزيرة أصبحت تحت السيطرة السلجوقية تماماً بعد أن استولى فخر الدولة بن جهير على الاجزاء الشمالية منها وأصبح ابنه عميد الدولة أميراً على الموصل وتوابعها. أما أرتق بن أكسب التركماني فقد خاف عاقبة السلطان ملكشاه لأنه أعان مسلم بن قريش على الخروج من آمد أثناء محاصرته فيها فانفصل عن حملة ابن جهير واتجه الى الشام وانضم الى الأمير تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي أمير سلاجقة الشام فأقطعه تتش بيت المقدس سنة ٤٧٩هـ(١٧٥).

وأحب أن أُوضح أن تتش السلجوقي تمكن من إقامة إمارة سلجوقية بدمشق سنة ٤٧١هـ وسيأتي تفصيل ذلك في مكانه في الفصل الثالث، والذي أرجحه أن تتش (أخو ملكشاه السلجوقي) قصد من إقطاع القدس لأرتق بن أكسب كي يستفيد بما معه من جموع التركمان في حفظ إمارته من ناحية الفاطميين، وليرضيه فيكون له سنداً وعوناً لتحقيق أطماعه بملك الشام جميعها في المستقبل.

وصلت الأخبار الى السلطان ملكشاه بخلاص الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش وتوجهه الى الرحبة للإقامة فيها، فسار بنفسه الى الجزيرة ليتابع ما يجري، وفي طريقه جاءته الأخبار ان مسلم بن قريش راسل الخليفة الفاطمي وطلب منه المدد والمساعدة وأرسل عمه مقبل بن بدران الى مصر لهذا الغرض(١٧٦).

اهتم السلطان بهذا الأمر، وكان وزيره نظام الملك على علاقة طيبة مع شرف الدولة مسلم بن قريش فراسله وطلب منه أن يفد على السلطان وأعطاه الأمان على نفسه، فسار من الرحبة والتقى بالسلطان قرب الموصل، فعفا عنه وتجددت البيعة من ابن قريش، وقرر له السلطان التوقيع بالبلاد الشامية والجزرية وكتب بذلك لأخيه تتش (أمير سلاجقة الشام) بأن لا يتعرض لمسلم بن قريش، وعاد مسلم بن قريش إلى إمارته في الموصل وأوفد السلطان معه ابنه محمد بن ملكشاه ليقيم معه في الموصل(١٧٧).

وهكذا حالف الحظ مسلم بن قريش في العودة الى ملكه وإمارته في الموصل على أن يطيع السلاجقة، بعد أن خسرها بسبب معاداته لحملة ابن جهير وكاد يعيد ما فعله أجداده العقيليون في التحالف مع الفاطميين والوقوف في وجه السلاجقة والعباسيين معاً، لولا أن تدارك السلطان هذا الموقف وأعلن عفوه عنه وأعاده لإمارته في الجزيرة.

وإنني أرى ان موقف الزعماء العقيليين مع السلاجقة كان موقفاً أملته عليهم مصالحهم الشخصية في المحافظة على زعامتهم، فهم مع من يدعم هذه الزعامة، فإذا ما شعروا أن ملكهم الشخصي في خطر أسرعوا الى الفاطميين خصوم السلاجقة يمدون لهم يد العون والمساعدة كورقة رابحة يلوحون بها عند الضرورة وفي الجانب الآخر، مال السلاجقة الى ملاينة العقيليين حتى لا يوسِّعوا دائرة العداء والنزاع معهم، لأن العقيليين يمثلون أكثرية السكان في بلاد الجزيرة.

خرج عميد الدولة أبومنصور بن فخر الدولة بن جهير، من الموصل بعد عودة مسلم بن قريش اليها، واتجه الى ميّافارقين للإقامة مع والده فخر الدولة في الثالث والعشرين من جمادي الأولى سنة ٤٧٨هـ(١٧٨) واستقرت أوضاع الجزيرة على هذه الصورة وهدأت الأمور بين السلاجقة والعقليين بعد

عودة مسلم بن قريش الى الموصل وطاعته للسلطان ملكشاه السلجوقي، فعادت العساكر السلجوقية الى أصفهان وبقي جزء منها بقيادة جبق التركماني، فأقطعه فخر الدولة بن جهير خرتبرت(١٧٩) كما أقطع السلطان ملكشاه ناصر الدولة منصور بن مروان بلدة حربى(١٨٠) بدلاً من بلاده التي فقدها فأقام فيها حتى وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ(١٨١).

ومما هو جدير بالذكر ان السلاجقة طبقوا نظام الاقطاع في الإمارات السلجوقية وذلك بتقسيم الإمارة الى أجزاء توزع على كبار القواد والأمراء، فيحكموها باسم السلاجقة على ان يلتزموا مقابل ذلك بأشياء يؤدونها للسلطان السلجوقي، وسيرد تفصيل ذلك في الإدارة السلجوقية في الفصل السابع إن شاء الله تعالى.

استدعى السلطان ملكشاه السلجوقي فخر الدولة بن جهير سنة ٤٨٠هـ فهمَّ ابن جهير بالعصيان وامتنع عن المسير اليه بادىء الأمر لكنه عاد وانصاع لأوامر السلطان، وسار الى أصفهان بعد أن ترك مكانه العميد أبوعلي البلخي والياً علي ديار بكر(١٨٢)، لكن البلخي أساء وظلم، فتوجه وفد من البكريين الى السلطان وطلبوا منه إعادة ابن جهير اليهم، فلبى طلبهم وأعاده الى ديار بكر سنة ٤٨٢هـ، وخطب للسلطان في الجزيرة(١٨٣) ثم أرسل السلطان عميد الدولة ليكون والياً على ديار بكر وضمَّنها له ثلاث سنين بألف ألف دينار، فسار عميد الدولة الى ديار بكر في السادس عشر من ذي القعدة سنة ٤٨٢هـ، فضبط الأمور فيها وحصل على الودائع التي تركها أبوه فخر الدولة واعتكف فخر الدولة بعد ذلك في الموصل بعد أن ترك لإبنه إمارة ديار بكر وما لبث أن توفي في الموصل سنة ٤٨٣هـ(١٨٤).

عاد السلطان ملكشاه الى عزل عميد الدولة بن فخر الدولة فاستدعاه اليه فسار من ديار بكر لمقابلة السلطان وترك مكانه أخاه أبوالبركات الكافي بن جهير، فظل والياً على ديار بكر حتى سنة ٤٨٥هـ حيث استدعاه السلطان اليه لمقابلته وترك ابنه أباالحسن على ديار بكر، فحصلت وفاة السلطان ملكشاه في هذه الفترة(١٨٥).

والذي يظهر من سياسة العزل المتواصلة لبني جهير في ديار بكر من قبل السلطان السلجوقي، هو عدم الثقة بهم، وربما أنهم كانوا يحاولون أن يبنوا ملكاً لأنفسهم بعيداً عن أعين السلاجقة خاصة ان علاقة أهل ديار بكر بهم كانت متينة وقوية فقد ساروا الى السلطان سنة ٤٨٠هـ ورجوه أن يعيد اليهم فخر الدولة بن جهير بعد عزله، فأعاده لهم بناء على رغبتهم وأعتقد أن صلة النسب التي كانت بين عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ونظام الملك وزير السلطان والتي ذكرها الفارقي(١٨٦) هي السبب في تهاون السلطان معهم أكثر من مرة بإعادتهم بعد العزل الى إمارة ديار بكر في الجزيرة.

والذي أرجحه ان السلطان ملكشاه السلجوقي رغب في استخدام بني جهير على ضبط الجزيرة كتمهيد لمجيء السلاجقة وتثبيتهم في البلاد وللقضاء على الزعامات التقليدية في الجزيرة من بني عقيل وغيرهم، والذين أثبتت الأيام ان ولاءهم لبني سلجوق غير قائم على أساس متين وانهم ينتهزون الفرص لإقامة ملك مستقل عن السلاجقة ولو كان بالتحالف مع الفاطميين وموالاتهم.

هوامش الفصل الثاني

(١) نهرُ دِجلة : نهر عظيم مخرجه من عين على مسيرة يومين ونصف من مدينة آمد (في الجزيرة) ويصب فيه أنهار قادمة من إرمينية وبلاد الروم، ويمر بجزيرة ابن عمر الى طرف الموصل ويمر بغداد، ويصب في البطائح قرب البصرة.

البغدادي : مراصد الاطلاع جـ٢/٥١٥.

(٢) نهرُ الفرات : مخرجه من إرمينية ويدخل أرض الروم الى ملطية (في الجزيرة) ثم يتجه الى سُمَيْسَاط وتصب فيه أنهار صغيرة من الجزيرة مثل سنجه وكيسوم والبليخ ويتجه جنوباً حتى يلتقي مع نهر دجلة في شط العرب، كما هو واضح في الخريطة الجغرافية. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ٣/١٠٢١.

(٣) إرمينيَة : اسم لصقع عظيم في جهة الشمال، والنسبة اليه أرمني.

ياقوت : معجم البلدان/١٥٩ - ١٦١.

(٤) بلاد الروم : هي البلاد الواقعة شمال الشام والجزيرة يحيط بها من جهة الغرب بحر الروم ومن جهة الجنوب الشام والجزيرة ومن الشرق إرمينية ومن جهة الشمال بلاد الكرج وبحر القرم.

أبوالفداء : تقويم البلدان/٣٧٨.

(٥) السَّوادُ : ضياع العراق التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار. ياقوت : معجم البلدان جـ٣/٢٧٢.

(٦) أذْرَبيجَان : كورة واسعة تلي الجبل من بلاد العراق وتلي كور إرمينية من جهة الغرب. البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع جـ١/١٢٩.

(٧) تقويم البلدان/٢٧٣.

(٨) ديارُ ربيعة : بين الموصل الى رأس عين ونصيبين والخابور.

ياقوت : معجم البلدان جـ٣/٤٩٤.

(٩) دِيارُ مُضَر : هي ما كان في السهل قرب الفرات شرقاً نحو حرّان والرقّة وسرّوج وتل موزون ياقوت :ت معجم البلدان جـ٢/٤٩٤.

(١٠) ديارُ بَكر : نسبة الى بكر بن وائل وحدها ما غرّب من دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيبين الى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميّافارقين.

البغدادي : مراصد الإطلاع جـ٢/٥٤٧.

(١١) ابن حوقل : صورة الأرض/١٨٩. آثار البلاد وأخبار العباد : /٥٣١. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٧٣.

(١٢) محمد جاسم حمادي : الجزيرة الفراتية/٧٨ - ٨١.

(١٣) صورة الأرض/١٩٠.

(١٤) المصدر نفسه/١٩٧.

(١٥) النجوم الزاهرة جـ١/٤٥.

(١٦) الفارقي : تاريخ الفارقي/٥٩، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٥ - ٣٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٨٠. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٢٩.

(١٧) ابن الأثير : الكامل ج٩/٣٥ - ٣٦، ٧١. ابن خلدون العبر م٤/٥٤٥.

(١٨) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٤٧. أبوالفداء : المختصر جـ٢/١٥٧ - ١٥٨
الرُّهاءُ مدينة في الجزيرة بين الموصل والشام فوق حرّان.
البغدادي : مراصد الإطلاع جـ٢/٦٤٤.

(١٩) الفارقي ؛ تاريخ الفارقي/١٧٦ - ١٧٧. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٢٢. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٧.
أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٨٠.

(٢٠) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٥ - ٣٦، ٧١. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٤٥.

(٢١) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٧١. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/٤٨.

(٢٢) المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ٥٣ - ٥٤.

(٢٣) ابن الأثير : الكامل جـ٩/١٦٤. ابن شداد : الأعلاق الخطيرة جـ٣ ق٢/٧٢٣ الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٥١.

(٢٤) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة جـ٣ق٢/٦٨٦.
أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٢.

(٢٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/١٠٧٦.
المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٣٠ - ١٣٢.

(٢٦) الفارقي : تاريخ الفارقي/١٦٠. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١١٧.
ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٨٥ - ٣٨٧.
زكّار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ٩٣ - ٩٦.

(٢٧) هكذا وردت في النص وأعتقد انه يقصد عبيداً.

(٢٨) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٨٩. انظر ابن خلدون : العبر م٤/٥٥٧.

(٢٩) الكامل جـ٩/٣٨٥ - ٣٨٧.

(٣٠) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٨٨ - ٣٨٩. انظر ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٥٧ - ٥٥٨

(٣١) تاريخ الفارقي/١٦٠.

(٣٢) الكامل جـ٩/٣٨٨.
(٣٣) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٨٨، ثم انظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٥٥ - ٥٥٧، ٦٧٩.

(٣٤) الفارقي : تاريخ الفارقي/١٦٠. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١١٧.
الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/١٨٢. ودول الاسلام جـ١/١٨٨.
المعاضيدي : دولة عقيل في الموصل/١٣٢.

(٣٥) الكامل جـ٩/٣٨٨. انظر ابن خلدون : العبر م٤/٥٥٧.

(٣٦) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٨٨ - ٣٨٩، انظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٥٧ - ٥٥٨.

(٣٧) الفارقي : تاريخ الفارقي/١٦٠. ابن الأثير : الكامل جـ٩/٣٩٠. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٥٧.

(٣٨) العبر في خبر من غبر جـ٣/١٨٢.

(٣٩) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٦٥.

(٤٠) هو القار ليط ملك الأبخاز، أسره ابراهيم ينال السلجوقي في حملته على بلاد الروم سنة ٤٤٠هـ، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٥٤٦، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٥٧.

(٤١) مَلاَزْكَرْد : وردت برسم منازْجِردْ في ياقوت : معجم البلدان جـ٥/٢٠٢، البغدادي مراصد الإطلاع جـ٣/١٣١٤ وبرسم مَلاَزْجِرد، أبوالفداء : تقويم البلدان/٣٩٥ وهي بلدة مشهورة في بلاد إرمينية بين خلاط وبلاد الروم. وقد ذكر الأصفهاني في تاريخ دولة آل سلجوق ٤٠ - ٤٣. وأبوالحسن الحسيني في أخبار الدولة السلجوقية/٤٦ - ٥٣، ذكرا هذا المكان باسم الزهرة وسميّا المعركة التي وقعت فيه بين السلاجقة والبيزنطيين سنة ٤٦٣هـ، بمعركة الزهرة نسبة إليه.

(٤٢) الكامل جـ٩/٥٥٦.

(٤٣) تقدم ذلك في الصفحة (٢٤).

(٤٤) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٣/١٦٣، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٠٧ ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/١٩٢. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ - ٨٤، أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٦٥. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٢ - ٦٣.

(٤٥) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦١٣، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٠.

(٤٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ١/٢٧٠، السيوطي : تاريخ الخلفاء/٥٦٥. عبدالجبار ناجي : الإمارة المزيدية/٨٨.

(٤٧) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٦٣، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٤.

(٤٨) هكذا وردت في النص وأعتقد ان الصحيح هو دماء.

(٤٩) مرآة الزمان/٤.

(٥٠) محمد كامل حسين : سيرة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ١٠٨ - ١٠٩.

(٥١) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٧٣، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٧ - ٩، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٦٥٧، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦١.

(٥٢) الخَلَعُ : ذكر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان/١٤١ انها عبارة عن بعض الهدايا يقدمها الخليفة أو السلطان الى كبار قواده وامرائه وتتكون من الجبة والخيل والعمامة والأعلام.

(٥٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٧. ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦١٣.
الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٢ والعبر في خبر من غبر جـ٣/٢١٥ السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٦٥.

(٥٤) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعي دعاة الفاطميين/١٥. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ٦٢ - ٦٣. زكار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ٦٨.

(٥٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٥.

(٥٦) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعي دعاة الفاطميين/١٥. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ - ٩. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠٠.

(٥٧) سِنْجَارُ : مدينة مشهورة في الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام.
ياقوت : معجم البلدان جـ٣/٢٦٢، البغدادي : مراصد جـ٢/٧٤٣.

(٥٨) تَكرِيتُ : آخر مدن الجزيرة مما يلي العراق، احدى جوانبها على نهر دجلة.
أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٨٩.

(٥٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨ - ٩.

(٦٠) تلّ أعْفَر : يقال له بالعامية تل يعفر، وسمى كذلك للونه وهو اسم قلعة وربض بين الموصل وسنجار في الجزيرة. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٣٩.

(٦١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١١.

(٦٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ١٤ - ١٥، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٢٥، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٤، عبدالنعيم حسنين سلاجقة إيران والعراق/٤٠، المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠٠.

(٦٣) دَارَةُ : وتسمى دارا : وهي بليدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين في الجزيرة
ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٤١٨.

(٦٤) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعي دعاة الفاطميين/١٧٠.

(٦٥) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ١٤ - ١٥. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٧٣.

(٦٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٢.

(٦٧) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعي دعاة الفاطميين ١٥ - ، ٢١٨ - ٢١٩.
ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٧ - ٨٩. ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٣٩
ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٧٦. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٦٥.

(٦٨) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٤٥، أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٦٩ الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/١٦٩.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٥٩.

(٦٩) بالِسُ : بلدة في الشام بين حلب والرقة على نهر الفرات من الناحية الغربية.
ياقوت : معجم البلدان جـ١/٣٢٨.

(٧٠) : مذكرات داعي دعاة الفاطميين ٢١٨ - ٢١٩.

(٧١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٦ - ١٧، أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٥، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٦٩، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٤.

(٧٢) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعي دعاة الفاطميين/١٩٨ - ١٩٩، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٧ - ٨٨. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠١.

(٧٣) تاريخ دولة آل سلجوق/١٤ - ١٥.

(٧٤) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعي دعاة الفاطميين/٢١٣، أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٢٣، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٢٩.

(٧٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢، أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٦، ابن كثير : البداية والنهاية جـ٢/٦٩، المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠١.

(٧٦) : الكامل جـ٩/٦٣٤، انظر أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٦.

(٧٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٧ - ٢٨، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٦.

(٧٨) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعي دعاة الفاطميين/٢١٩. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٧ - ٨٨، الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٧.
ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٣٩، الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٣. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٧٦، المعاضيدي : دولة بن عقيل في الموصل/١٠٢.

(٧٩) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٧، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٣٠ - ٣١، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٧٦. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٦.

(٨٠) إرْبِل : مدينة حصينة كبيرة تعد من أعمال الموصل. ياقوت : معجم البلدان جـ١/١٣٧.

(٨١) الكامل جـ٩/٦٣٩.

(٨٢) المصدر نفسه جـ٩/٦٤٠.

(٨٣) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٢٠. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٦٩، المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ١٠٢ - ١٠٣.

(٨٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٣٠ - ٣١، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٦. نَصيبِينُ : من المدن المشهورة في الجزيرة على طريق القوافل بين الموصل والشام. ياقوت : معجم البلدان جـ٥/٢٨٨.

(٨٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٧ - ٨٩. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٦٦.

(٨٦) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٧. ابن الأثير : الكاملجـ٩/٦٣٩. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٧٦.

(٨٧) ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٤٠ - ٦٤٥، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٣١ - ٣٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٢٠، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٧٦.

(٨٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٨ - ٨٩، أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٩٠.

(٨٩) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٨، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٦٧.

(٩٠) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٩، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٤٥، أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٧، ابن النظام الحسيني : العراضة/٣٩، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٧٦، أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٣٠. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠٢ - ١٠٣.

(٩١) هبة الله الشيرازي : مذكرات ١٥ - ١٦، ٢٢٢ - ٢٢٥. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٩، أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٩٠ - ١٩٧، أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢٠، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٣٤، ابن النظام الحسيني : العراضة/٣٩، الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٣.

(٩٢) حَدِيثَةُ عَانَة : وتعرف : بحديثة النُّورة تقع في وسط الفرات وتتبع الجزيرة. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٨٧.

(٩٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٩، ابن الأثير الكامل جـ٩/٦٤٠ - ٦٤٣، ابن خلّكان : وفيات الأعيان جـ١/١٩٢، الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٢٠، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٩٧، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٣/٢٨٧.

(٩٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٤٣ - ٤٦.

(٩٥) ابن النظام الحسيني : العراضة/٤٠.

(٩٦) المصدر نفسه./٤١.

(٩٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٩، الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ١٨ - ٢٠ أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٠٢، أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢٠، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٤٣ - ٦٤٨، الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٤.

(٩٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان / ٥١.

(٩٩) : البداية والنهاية جـ ١٢/٨١.

(١٠٠) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٠٤، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٤٣ - ٦٤٨ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٥٨ - ٦٠، المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ١٠٣ - ١٠٤.

(١٠١) عُكْبَرا : بليدة نواحي دُجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ياقوت : معجم البلدان جـ٤/١٤٢.

(١٠٢) النَّهْرَوانُ : كورة واسعة بين بغداد وواسط شرقي دجلة. القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد/٤٧٢.

(١٠٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٩، أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢٠، ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦٤٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٨. الحافظ الذهبي : دول الإسلام/جـ١/١٩٤. ابن خلدون : العبر م٤/٥٩٧.

(١٠٤) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٨ - ٢٠، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤.

(١٠٥) هبة الله الشيرازي : مذكرات/٢٢٢ - ٢٢٥. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٩، الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٨ - ٢٠، أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٠٨، أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٢٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٩، ابن النظام الحسيني : العراضة ٤١، الحافظ الذهبي : العبر في خبر جـ٣/٢٢٤. ابن كثير : البداية/١٢/٨٣.

(١٠٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان / ٦٧. ابن خلدون : العبر م٤/٥٩٧.

(١٠٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٧٠.

(١٠٨) ابن الأثير : الكامـــل جـ١٠/١٧. ابن شداد : الأعلاق جـ٣ق٢/٧٢٠. الحافظ الذهبي : العبر في خبر جـ٣/٢٣٠، المعاضيدي : دولة بني عقيل/٥٩.

(١٠٩) الفارقي : تاريخ الفارقي / ١٨٠ ـ ١٨١.

(١١٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ١٠٢ ـ ١٠٤، ١٣٢، ١٤١.

(١١١) الراوندي : راحة الصدور/١٧٦، ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٢٦، أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٨٣، أبوالحسن الحسيني : العراضة/٤٣، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٨٦، القرماني : أخبار الدول وآثار الأول/٢٧١.

(١١٢) ابن شدّاد : الاعلاق الخطيرة جـ٣ق٢/٥٩٤، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ١٨٥، الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٣٤، ٢٤٠.

(١١٣) توّج أرمانوس على ملك بيزنطة سنة ٤٦٠هـ. فاهتم بمحاربة الترك لكبح جماحهم عن التوغل في بلاده. ابن شداد الأعلاق الخطيرة جـ٣ق٢/٦٢٨.

(١١٤) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ٣٧ ـ ٣٩. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٦. أحمد كمال الدين حلمي. السلاجقة في التاريخ والحضارة/٣٤. تامارا رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/٣٧. زكار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ١٣٨ ـ ١٣٩. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٥١ ـ ٥٤.

(١١٥) الفارقي : تاريخ الفارقي ١٨٦ ـ ١٨٧، أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ٤٣ ـ ٤٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ١٣٦ ـ ١٣٧. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٣٨.

(١١٦) مَنْبِجُ : مدينة من أعمال حلب بينها وبين نهر الفرات ثلاثة فراسخ. ياقوت : معجم البلدان جـ٥/٢٠٥.

(١١٧) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٤٦ ـ ٥٣. ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية/٤٦. الحافظ الذهبي دول الاسلام جـ١/١٩٨. والعبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥١، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/٨٦.

(١١٨) الفارقي : تاريخ الفارقي ١٨٦ ـ ١٨٧، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ١٣٦ ـ ١٣٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٣٨

(١١٩) الأصفهاني : تاريخ دولة سلجوق ٣٩، الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٣٩.

(١٢٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٩٩، الأصفهاني. تاريخ دولة آل سلجوق/٣٩.
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٤، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٩. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٨. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٣٩، كرد علي : خطط الشام جـ١/٢٦٢، يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية م٥/٤٦٥.

(١٢١) الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٨ القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ٢٧، الدبس : تاريخ سورية م٥/٤٦٥.

(١٢٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٢، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٦ ـ ١٧، الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥٠. أمينة البيطار : موقف امراء العرب/٢٢٨.

(١٢٣) شذرات الذهب جـ ٣/٣٢٩.

(١٢٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٢. انظر الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥٠.

(١٢٥) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق/٩٩، الاصفهاني تاريخ دولة آل سلجوق/٣٩، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٤. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٠ ـ ٢١، الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥٠، القرماني : أخبار الدول/٢٧١، أمينة البيطار : موقف امراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين/٢٨٨، كرد علي : خطط الشام جـ١/٢٦٢، يوسف الدبس : تاريخ سورية م٥/٤٦٥.

(١٢٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٦. ابن خلّكان : وفيات الأعيان جـ٥/٤٦٥.
أبوالفداء : المختصر في اخبار البشر جـ٢/١٨٦ ـ ١٨٧، الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٨، أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٥٦، ٨٦. ابن العماد، الحنبلي : شذرات الذهب جـ٣/٣١٨. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ٥٤ ـ ٥٥

(١٢٧) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٣٩ وانظر ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٤.

(١٢٨) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٤٦ ـ ٥٣.

(١٢٩) ورد تعريفها ص(٦٠) في الهامش رقم (٤١).

(١٣٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٩٩، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٦٣، عاشور : الحركة الصليبية جـ١/٨٤ ـ ٨٥.

(١٣١) الفارقي : تاريخ الفارقي/١٨٩، الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٤٠ ـ ٤٣ أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٦١، أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٤٦ ـ ٥٣. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٦. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ١٨٥، الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥١، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٣/٣١٨.

(١٣٢) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٦٠ ـ ٢٦١. انظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ١٤٦.

(١٣٣) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ٤٠ ـ ٤٣. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ١٥٠. ابن خلّكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٩. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ١٨٥، ابن النظام الحسيني : العراضة/٤٦. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٤٦٣، القرماني : أخبار الدول وآثار الأول/٢٧٢، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٣/٣١٨.

(١٣٤) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٦١. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٤٦ ـ ٥٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٨ والعبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥١. اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/٨٦. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٣٤.

(١٣٥) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٤٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧.

(١٣٦) (أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٦١. انظر ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥ وسبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٩ ـ ١٥٠.

(١٣٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٥٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٨، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/٨٦.

(١٣٨) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٤٦ ـ ٥٣. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٦، الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥١. بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٧٤.

(١٣٩) خَلَاطُ : وهي قصبة أرمينية الوسطى : شمال الجزيرة ويقال لها أخلاط بينها وبين ملازجرد سبعة فراسخ. أبوالفداء : تقويم البلدان/٣٩٥.

(١٤٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٩٩. الفارقي : تاريخ الفارقي/١٨٩. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٤٠. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٨. القرماني : أخبار الدول/٢٧٢. تامارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم/٣٧.

(١٤١) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٥٢.

(١٤٢) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٥٢.

(١٤٣) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٦١.

(١٤٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٥٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ/٢/٢٥.

(١٤٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٩٩ وما بعدها. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٦١. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٥. ابن النظام الحسيني : العراضة/٤٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥١. اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/٨٦. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٣٤. باركر : الحروب الصليبية/١٨. بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٧٣. حتّي : تاريخ العرب جـ٢/٥٧١. سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(١٤٦) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٤٠. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥.

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨، ابن النظام الحسيني : العراضة/٤٦. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٨. اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/٨٦.

(١٤٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٥٢.

(١٤٩) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٤٧. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٧٦. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٥٣. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٩. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٥٦. القرماني : أخبار الدول/٢٧٢. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٣/٣١٨.

(١٥٠) فَربَرُ : بليدة بين بخارى ونهر جيحون. ياقوت : معجم البلدان جـ٤/٢٤٥.

(١٥١) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٤٧-٤٨، انظر أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٧٦. وابن الأثير. الكامل جـ١٠/٧٣، وابن العماد : شذرات الذهب جـ٣/٣١٨-٣١٩.

(١٥٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٥٠. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٩.

(١٥٣) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٧٧، ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٧٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٦٥، ابن العبري. تاريخ مختصر الدول/١٨٦. بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٧٤، نتنج : العرب/٢٣٠.

(١٥٤) فخر الدولة أبونصر محمد بن محمد بن جهير الثعلبي، ولد في الموصل سنة ٣٩٣، استوزره الخلفاء والملوك والسلاطين وتوفي في الموصل سنة ٤٨٣هـ. وكان وزيراً للخليفة القائم بأمر الله عند اختياره لهذه الحملة. ابن خلّكان : وفيات الأعيان جـ٥/١٢٧. ابن شداد الأعلاق : جـ٣ق٢/٦١٣، ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ٢١٦. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٧٣.

(١٥٥) ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق/٤٧٧. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٢٩-١٣٤ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٨٤. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٥. ابن كثير : البداية جـ١٢/١٢٤. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٤٧. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠٨.

(١٥٦) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٠٦، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/١٢٨.

(١٥٧) الباهر/٥.

(١٥٨) آمِدُ : أعظم مدن ديار بكر في الجزيرة. ياقوت : معجم البلدان جـ١/٥٦. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٨٧.

(١٥٩) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٠٦، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/١٢٨.

(١٦٠) أرتق بن أكسب التركماني : ويلقب ظهير الدين : وينتمي الى قبيلة الدقر التركمانية وهم فرع من الغز السلاجقة، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/١٩١. بينما ذكر آخرون انه أحد مماليك السلطان ملكشاه ثم انضمت قبيلته الى السلاجقة أثناء فتوحاتهم الأولى فتولوا مناصب هامة مع السلاجقة كما كانوا مربين لأولادهم. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٤٦١. عماد الدين خليل الإمارات الأرتقية/٥٧.

(١٦١) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٣٤. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٦-٢٢٧. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٥٧٤، ٦٨٤. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء/حـ١/٣٤٧، المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠٨.

(١٦٢) وفيات الأعيان جـ٥ / ١٢٨

(١٦٣) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٧٥. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٣٤. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٢٢٦-٢٢٧. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٨٤. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٤٧٨، ٥٧٤، ٦٨٤. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٤٧. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٠٨.

(١٦٤) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٧٥. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٢٢٦-٢٢٧.

(١٦٥) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٤٧. المعاضيدي : دولة بني عقبل في الموصل/١٠٨.

(١٦٦) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٣٤. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٦٨٤-٦٨٥.

(١٦٧) الرَّقَّةُ : مدينة مشهورة على نهر الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام وهي معدودة من بلاد الجزيرة فهي قاعدة ديار مضر. ياقوت : معجم البلدان جـ٣/٥٨، أبوالفداء : تقويم البلدان ٢٧٤.

(١٦٨) : الكامل جـ١٠/١٣٤.

(١٦٩) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢١٠-٢١٤. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٤٣. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٨-٢٣٥. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٤/٦٨٥.

(١٧٠) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢١٦. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٤٣. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان :/٢٣٦. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/١٢٨. أبوالفداء المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٩٦. ابن خلدون : العبر في ديوان المبتدأ والخبر م٤/٦٨٥.

(١٧١) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٢٠. أبوالفداء المختصر في أخبار البشر : جـ٢/١٩٦. جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل غربي نهر دجلة ويحيط بها من ثلاث جهات. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٨٣. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ١/٣٣٣.

(١٧٢) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٣٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٨. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٤٨ - ٣٤٩.

(١٧٣) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان/٢٢٨.

(١٧٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٣٦. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٤٨ - ٣٤٩.

(١٧٥) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٤٨، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٨. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/١٩١. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٤٦١ - ٤٦٩. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٥٨.

(١٧٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان / ٢٣٥، ٢٣٦. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٨٤.

(١٧٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٧. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٣٦. ابن العديم : زبدة الحلب : جـ٢/٨٤. أبوشامه : الروضتين في أخبار الدولتين جـ١ق١/٥٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ١٩٥. ابن خلدون : العبر م٤/٥٧٤. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٤٩.

(١٧٨) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٤٣.

(١٧٩) خَرتَبِرْتُ : ويعرف بحصن زياد في أقصى دياربكر. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٣٥٥. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ١/٤٠٧.

(١٨٠) حَربي : بلدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٢٣٧.

(١٨١) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢١٠ - ٢١٤.

(١٨٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق / ٧٦. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٥٨.

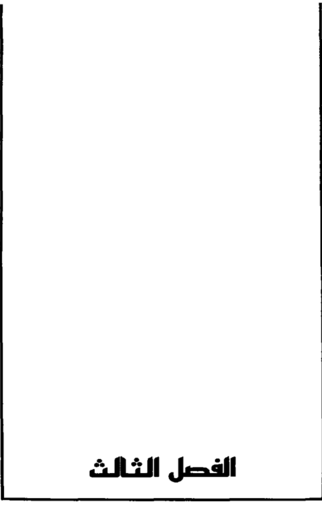
(١٨٣) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٢٣. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٢٢٠. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/١٢٨.

(١٨٤) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٢٤. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/١٨٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٩٩.

(١٨٥) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٢٨.

(١٨٦) تاريخ الفارقي / ٢٢٤.





الفصل الثالث

السلاجقة في الشام حتى سنة ٤٨٥ هـ



الفصل الثالث
السلاجقة في الشام حتى سنة ٤٨٥ هـ

* الوضع الجغرافي والسكاني لبلاد الشام قبيل قدوم السلاجقة إليها.
* ظهور السلاجقة في بلاد الشام.
* النشاط السلجوقي في بلاد الشام بعد حملة السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٢ هـ.
* حملة تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي إلى دمشق سنة ٤٧٠ هـ.
* حملة مسلم بن قريش العقيلي على حلب سنة ٤٧٢ هـ.
* علاقة مسلم بن قريش مع تتش بن السلطان ألب أرسلان بالشام.
* حملة مسلم بن قريش على دمشق سنة ٤٧٥ هـ.
* مقتل مسلم بن قريش العقيلي سنة ٤٧٨ هـ.
* النزاع بين تتش وسليمان بن قتلمش السلجوقي سنة ٤٧٨ هـ.
* حملة السلطان ملكشاه السلجوقي على حلب سنة ٤٧٩ هـ.
* إمارة قسيم الدولة آقسنقر على حلب سنة ٤٨٠ هـ.
* علاقة قسيم الدولة آقسنقر بتتش في عهد السلطان ملكشاه.

استعرضنا في الفصل السابق، المحاولات التي قام بها السلاجقة لاخضاع الجزيرة لحكمهم، ابتداء من المطاردة المستمرة للبساسيري وحلفائه حتى تم القضاء عليهم وانتهاءً بحملة ابن جهير التي تغلبت على المروانيين والعقيليين في سائر أنحاء الجزيرة، وننتقل الآن لبيان التوغل السلجوقي في الشام وإقامة إمارات سلجوقية فيها على أنقاض الامارات التابعة للدولة الفاطمية بمصر.

* الوضع الجغرافي والسكاني لبلاد الشام قبيل قدوم السلاجقة إليها :-

تشمل بلاد الشام خمسة أجناد هي جند قِنّسرين[١] وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين وجند حمص، ويحدها من الغرب بحر الروم (البحر المتوسط) ومن الشرق بادية الشام من أيلة[٢] إلى نهر الفرات، ويحدها شمالاً بلاد الروم وجنوباً مصر[٣].

وكان يسكن بلاد الشام في أوائل القرن الخامس الهجري قبيل قدوم السلاجقة إليها قبائل عربية أقامت فيها إمارات متعددة، وقد تذبذبت زعامات هذه القبائل في ولائها بين العباسيين والفاطميين جرياً وراء مصالحهم الخاصة وعقيدتهم الدينية وتبعاً للتفوق التي تظهره هاتين القوتين في سائر أنحاء الشام، فقد ظهر بنو عمار في طرابلس[٤]. وهم على مذهب الشيعة الموالين للفاطميين وبنو كلاب بحلب حيث استطاع زعيمهم الأول صالح بن مرداس الكلابي الاستيلاء عليها من الحمدانيين سنة ٤١٤ هـ، كما استقل بنو طيء بدمشق وجنوب الشام وكان موطنهم الأصلي في اليمن فرحلوا عنها بعد إنفجار سيل العرم ثم تهيأت لهم الهجرة إلى بلاد الشام فاستقروا فيها بعد الفتوحات الاسلامية[٥].

ومنذ أوائل القرن الخامس الهجري كانت دمشق تتبع الفاطميين فيرسلون إليها الوالي من قِبلهم[٦]، كما تبع صاحب حلب الخليفة الفاطمي وكان يخطب له في بلاده[٧].

عقد زعماء الكلابيين بحلب وبنو كلاب بدمشق وآل الجراح من طيء بفلسطين، عقدوا إجتماعاً بينهم سنة ٤١٤ هـ، بهدف التخلص من حكم الفاطميين في الشام، على أن يكون لصالح بن مرداس الكلابي من حلب إلى عانة[٨] على نهر الفرات، ومن الرملة[٩] إلى حدود مصر لحسان بن الجراح أمير طيء، ودمشق وما حولها لسنان بن عليان الكلبي[١٠]. لكن الفاطميين ردوا على ذلك بأن أرسلوا من قِبلهم والياً على الشام هو أنوشتكين التزبري[١١]، يقود جيشاً كبيراً للقضاء على هذا التحالف، فاستطاع أن يستولي على ساحل الشام حتى دمشق بعد معركة وقعت بين المتحالفين وبين التزبري بالاقحوانة[١٢] على نهر الأردن، حيث قتل صالح بن مرداس الكلابي وتفرق أقطاب التحالف الباقين سنة ٤٢٠ هـ[١٣].

انفرد بحكم حلب بعد صالح بن مرداس الكلابي ابنه شبل الدولة نصر[١٤] بينما بسط التزبري نفوذ الفاطميين على باقي أجزاء الشام وأقام بدمشق ثم جرد حملة سنة ٤٢٩ هـ على حلب فاستولى عليها بعد مقتل شبل الدولة نصر[١٥] ثم أقام فيها نائباً عنه هو أبوالوليد سليمان بن خلف الباجي وعاد إلى دمشق للاقامة فيها[١٦].

تولى زعامة بني كلاب بعد مقتل شبل الدولة نصر، أخوه ثمال بن صالح بن مرداس وقد اتجه إلى الجزيرة للاقامة وتنظيم صفوفه لاستعادة حلب من الفاطميين[١٧] وقد لاحت له الفرصة عندما توفي أمير الفاطميين في الشام أنوشتكين التزبري سنة ٤٣٣ هـ فتمكن من إستعادة حلب بمساعدة ابن عمه مقلّد بن كامل المرداسي[١٨] أما بقية الشام فقد أرسل الحاكم الفاطمي والياً جديداً عليها هو ناصر الدولة أبومحمد الحسن بن حمدان[١٩]. وقد حاول ابن حمدان وولاة آخرون جاءوا بعده بسط النفوذ الفاطمي على شمال الشام، ولكن هذه المحاولات باءت جميعها بالفشل، فسئم ثمال بن صالح مقاومة الحملات الفاطمية المتتالية فراسل الخليفة المستنصر بالله ليخطب له في حلب وطلب منه أن يرسل من قِبله والياً يتسلمها منه، فأرسل له المستنصر، مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم بن دينار فأخذها من ثمال سلماً وتوجه إلى مصر للاقامة فيها سنة ٤٤٩ هـ[٢٠].

يقول الحافظ الذهبي في أحداث سنة ٤٤٩ هـ : ((وفيها عجز ثمال بن صالح المرداسي عن حلب للقحط وسلمها بالأمان للمصريين))[٢١]. ولكن محمود بن نصر بن صالح المرداسي لم يرض بزعامة ابن ملهم على حلب فجمع قبيلته حوله وهاجمها فاستولى عليها بالرغم من تكاتف ابن حمدان وابن ملهم عليه، فقد تمكن من هزيمة الاثنين معاً في معركة الفنيدق بظاهر حلب، وعلى اثر ذلك عاد ابن ملهم وابن حمدان إلى مصر سنة ٤٥٢ هـ[٢٢].

استمرت المنازعات بين المرداسيين أنفسهم على ملك حلب لعدة سنوات حتى تمكن محمود بن نصر من حسم الموقف لصالحه سنة ٤٥٧ هـ فاستقر ملكه على حلب دون منازع[٢٣]، وفي هذه الأثناء تقلب على دمشق عدة ولاة فاطميين ضعاف حتى سئم أهل دمشق كثرة تغيير الولاة التي استمرت حتى سنة ٤٦٨ هـ فكرهوا الفاطميين لكثرة الظلم والمصادرات وتفشي المجاعة فأكل الناس بعضهم بعضاً وخلت المدن والقرى من أهلها كما يقول المؤرخون[٢٤].

يُستنتج من هذه الصراعات التي دارت بين الزعامات العربية في الشام مع الحملات الفاطمية القادمة إليها، عدم تقبل أهل هذه البلاد للحكم الفاطمي، ومما زاد في فشل الاستقرار الفاطمي، بُعد المسافة بين عاصمة الخلافة الفاطمية وبقية الامارات في بلاد الشام مما أعاق وصول الامدادات بسهولة، وسهولة الاتصال بين القادة في عاصمة الخلافة الفاطمية وأمرائهم في الشام.

ومن ناحية ثانية فإن أبناء القبائل العربية في الشام كانوا منقسمين على أنفسهم مما أتاح للسلاجقة القدوم آلى هذه المنطقة. والاستقرار فيها، ثم استطاعوا إقامة إمارات سلجوقية على أنقاض الامارات الفاطمية والعربية كما سيأتي، وأعتقد أن ما ذكره المؤرخون عن المجاعة التي أدت إلى أن يأكل الناس بعضهم بعضاً إنما هو من قبيل المبالغة لسوء الأوضاع التي يقصد منها فناء الناس على أثر المجاعة.

* ظهور السلاجقة في بلاد الشام :-

دخلت جماعة من التركمان السلاجقة إلى الشام بواسطة عطية بن صالح المرداسي حين استعان

بهم على ابن عمه محمود بن نصر بن صالح المرداسي سنة ٤٥٥ هـ فاستطاع بمعونتهم أن يستولي على حلب وكانوا قبل ذلك يقيمون في الجزيرة بزعامة أحمد خان التركماني[٢٥] وقد اختلفت الروايات في هؤلاء التركمان الذين كان يتزعمهم أحمد خان التركماني فقيل أنهم كانوا يقيمون في ديار بكر بزعامة ابن خان، وقد خرج مغاضباً لأبيه ملك الترك ثم دخل ومن معه إلى الشام فأقاموا فيها بعد إعانتهم لعطية بن صالح المرداسي كما ذكر[٢٦] بينما ذكر ابن الجوزي أنهم كانوا يعيشون متجولين في بلاد الروم وبين الثغور معتمدين في معيشتهم على ما ينهبونه خلال تجوالهم[٢٧]، ويقول آخرون، انهم من الذين هربوا من وجه السلطان السلجوقي طغرلبك أثناء إقامته بخراسان، بسبب النظام الذي فرضه طغرلبك على جموع التركمان وكانوا لا يألفون حياة الاستقرار والطاعة[٢٨].

وأرى من مجمل الروايات أن جموع التركمان الذين دخلوا الجزيرة والشام قبل مجيء طغرلبك السلجوقي إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ، كانوا ضمن السلاجقة الذين هاجروا من تركستان إلى ما وراء النهر ثم دخلت أفواجهم خراسان وفارس فسيطرت عليها، ولما جلس السلطان طغرلبك على عرش الغزنويين في نيسابور سنة ٤٢٩ هـ، ويصبح للسلاجقة كيان وسلطان أراد طغرلبك أن يضبط جماعته ويحد من أعمالهم التخريبية خاصة بعد مراسلة الخليفة العباسي له، حين طلب منه أن يكف جماعته عن السلب والنهب والقتل العشوائي لأهل البلاد، فنفرت جماعات منه وتفرقت في البلاد لتتابع أعمالها التخريبية لأنها لم تألف النظام والاستقرار ودخلت بعضها إلى الجزيرة والشام فاستقرت بها قبل الحملات المنظمة التي قام بها سلاطين السلاجقة إلى هذه البلاد.

غير أن عطية بن صالح المرداسي عاد وطرد الغز السلاجقة الذين استعان بهم بعد أن خاف منهم على نفسه في حلب، فاتجهوا إلى نواحي حرَّان[٢٩] في الجزيرة واتصلوا بمحمود المرداسي وعرضوا عليه المساعدة لقتال ابن عمه عطية بن صالح المرداسي فاستطاع بمساعدتهم أن يستعيد حلب منه سنة ٤٥٧ هـ[٣٠].

يُستنتج من ذلك أن جماعة التركمان التي دخلت الشام، أصبحت فئة مرجحة لميزان القوى بين أبناء البلاد المتنافسين للسيطرة على الامارات فقد مال التركمان بادىء الأمر إلى عطية بن صالح المرداسي ثم ما لبثوا أن انضموا إلى منافسة محمود بن نصر المرداسي فانتصر بمساعدتهم واستولى على حلب كما تقدم، وحينما استقر المقام لمحمود بن نصر المرداسي في حلب اشترط عليه أهلها أن يطرد التركمان من مدينتهم مقابل طاعته، فنزل عند رغبتهم وأقطع ابن خان التركماني مدينة المعرة[٣١] فتوجه هو وجماعته إليها وأقاموا فيها سنة ٤٥٨ هـ[٣٢].

والذي أُرجحه أن تصرف ابن نصر المرداسي مع التركمان كان مصانعة ومداراة لهم خوفاً منهم، وقد ذكر ابن الجوزي أن الخليفة الفاطمي أرسل إليه يطلب منه أن يرسل الأموال إلى الخزانة الفاطمية وأن يغزو الفرنج مستعيناً بالغز التركمان إن كانوا على طاعته فرد عليه قائلاً : ((بأنني ألزمت على أخذ حلب من عمي «عطية بن صالح المرداسي»، أموالاً اقترضتها وأنا مطالب بها، وليس في يدي ما أقضيها فضلاً عما أصرفه في غيره، فإذا قضيت ديوني واستقام أمري، حملت وخدمت، وأما الروم

فقد هادنتهم مدة وأعطيتهم ولدي رهينة على مال اقترضته منهم فلا سبيل إلى محاربتهم حتى أوفيهم المال وأخلص ولدى وتنقضي الهدنة. وأما ابن خان والغز الذين معه، فيدهم فوق يدي، وإنما استخدمتهم مصانعة لهم وكفاً لفسادهم فإن رأى صرفهم فينفذ إليهم من هو أقوى عليهم مني وأنا أساعده))[٣٣].

والذي يتضح أن محمود المرداسي منح المعرة لهؤلاء التركمان لتكون مقراً لهم كي يستفيد منهم مستقبلاً إذا دعت الحاجة إلى ذلك وهي أول إقطاع يتملكه التركمان في بلاد الشام.

وقد ذكر المؤرخون أن هجرات أخرى من التركمان دخلت بلاد الشام على شكل جماعات متنقلة، اعتمدت على النهب والسلب في طريقها فيما بين سنة ٤٦٠ ـ ٤٦٢ هـ فلقي منهم أهل الشام عنتاً كبيراً لكثرة ما نهبوا وسلبوا واعتدوا، غير أنهم لم يستقروا في الشام وإنما عبروا إلى بلاد الروم ليتابعوا عملية النهب والسلب والترحال[٣٤].

من هنا يتبين لنا أن هجرات التركمان السلاجقة إلى الشام جاءت متأخرة عن دخولهم إلى الجزيرة، وكان لهم نصيب من الاستقرار أكثر من الجزيرة، فيلاحظ أنهم جاءوا على أفواج غير منتظمة استقر بعضهم في المعرة بإذن من صاحب حلب وتابع الباقي رحيلهم متخذين من النهب والاعتداء شعاراً لهم، وهذا ما يرجح هروبهم من السلطان طغرلبك السلجوقي عندما حاول أن يحد من أطماعهم إذ كانوا لا يألفون مثل هذا النظام وهم بدو متنقلون، كما أنهم استطاعوا الاستقرار في الشام بسبب حاجة الأمراء لهم بينما لم يتوفر ذلك في ديار الجزيرة بسبب التحالف الذي كان بين العقليين والبساسيري مما حال بينهم وبين الاستقرار في بداية أمرهم، ثم رضي السلاجقة بطاعة أمراء العقيليين لهم في الجزيرة فأبقوهم على الزعامة ريثما تواتيهم الفرصة بالقضاء عليهم ووضع أمراء من السلاجقة مكانهم.

* النشاط السلجوقي في بلاد الشام بعد حملة السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٢ هـ :ـ

كان من نتائج حملة السلطان ألب أرسلان السلجوقي على بلاد الشام سنة ٤٦٢ هـ، استقرار بعض أمراء التركمان مثل أتسز بن أوق الخوارزمي[٣٥] في الشام بالاضافة إلى ولاء الأمير محمود بن نصر المرداسي للسلاجقة في حلب، وقد أوكل لهم السلطان السلجوقي مهمة استكمال الفتوحات السلجوقية في بلاد الشام ومصر كما تقدم، وقد اتجه محمود المرداسي إلى دمشق فعلاً لتخليصها من الفاطميين، وكان معه بعض أمراء التركمان لكن حملتهم هذه باءت بالفشل بسبب ما تعرضت له حلب أثناء غيابهم، من عطية المرداسي(ابن عم محمود) لاستعادة نفوذه فيها بالتعاون مع الروم[٣٦].

أما أتسز التركماني وكان مرافقاً لمحمود المرداسي فقد اتجه إلى الرملة وبيت المقدس ومعه جموع من التركمان، فانتزعها من الفاطميين[٣٧]، وفي رواية ابن خلدون أن حملة أتسز السلجوقي جاءت سنة ٤٦١ هـ من قِبل السلطان السلجوقي قبل حملته على الشام[٣٨] وهذا بخلاف معظم الروايات

التي ذكر أن أتسز ممن تخلف عن حملة السلطان في الشام، ليتابع الأعمال العسكرية السلجوقية ضد الوجود الفاطمي في الشام، ومن هؤلاء المؤرخين ابن القلانسي الذي عاصر هذه الفترة فتعتبر روايته أرجح من رواية ابن خلدون، ومهما يكن من أمر فإن أتسز السلجوقي يعتبر أول مؤسس لامارة سلجوقية في بلاد الشام على أنقاض إمارة الفاطميين في بيت المقدس والرملة.

وبعد أن تم له هذا الفتح بدأ أتسز السلجوقي يواصل الغارات على دمشق يحرق ويخرب ويرعى زروعها طوال ما يقرب من خمس سنوات حتى تم له فتحها سنة ٤٦٨ هـ[٣٩]، يقول ابن القلانسي : ((فيها «سنة ٤٦٣» جمع أتسز بن أوق مقدم الأتراك الغز بالشام واحتشد وقصد أرض فلسطين فافتتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق وواصل الغارات عليها وعلى أعمالها وقطع الميرة عنها ورعى زرعها عدة سنين في كل ربيع لمضايقتها والطمع في ملكتها، ولم يزل متردداً. إلى أن اضطرب أمرها وخربت المنازل بها وزاد غلاء الأسعار وعدم تواصل الأقوات إليها وجلا أكثر أهلها عنها))[٤٠].

كان هذا مجملاً لحالة البؤس التي ابتليت به دمشق من جراء أعمال أتسز العدوانية عليها قبل سقوطها بيده سنة ٤٦٨ هـ، وكانت خطته ناجحة عندما استولى على بيت المقدس أولاً ليقطع طرق الامدادات عن إمارة دمشق الفاطمية حتى يسهل عليه فتحها بعد ذلك.

وهناك رواية لابن الجوزي تقول أنه خلال فترة المناوشات التي كان يقوم بها أتسز السلجوقي في نواحي دمشق، نشبت خلافات بينه وبين أحد أمرائه ويدعى شكلي سنة ٤٦٧ هـ، وكان شكلي قد استولى على عكا من بدر الجمالي أمير الجيوش المصرية ببلاد الشام، فاستعان شكلي بسليمان بن قتلمش السلجوقي أمير سلاجقة الروم على أتسز وهوّن عليه أمره ووعده الامارات فجاء ابن قتلمش السلجوقي وانضم إلى قوات شكلي وتوجها لمحاربة أتسز فالتقوا به قرب طبرية[٤١] فهزمهما هزيمة منكرة وقتل شكلي وأسر ابناً لقتلمش وأخيه ثم أرسلهما أتسز إلى السلطان ملكشاه سنة ٤٦٨ هـ[٤٢].

ارتفع شأن أتسز كثيراً بهذه الانتصارات التي أحرزها وكان يتوقع الثناء والتقدير من السلطان السلجوقي ملكشاه بن السلطان إلب أرسلان، إلّا أنه وجد عكس ما كان ينتظر، فقد وردت إليه الأخبار بأن السلطان ملكشاه السلجوقي إصدر أمره لأخيه تتش بالتوجه إلى الشام لتولى إمرتها فاغتاظ أتسز وقال يلوم السلطان :

((أنا الخادم الطائع النائب في هذه الأعمال التي افتتحتها بنفسي من غير أن أُكلِّفه «السلطان» مؤونة ولا طلبت معونة وأقمت له الدعوة وما أحلته بما أقدر عليه من حمل الأموال، وقد بلغني ما عليه العزم من إنفاذ الأمير تاج الدولة تتش وما هاهنا من يقتضي إستعمال ذلك وإبعادي عن الخدمة ونصري في جملة الأعداء والأضداد))[٤٣].

يُستنتج من تعليق أتسز هذا، الالتماس بإبقائه على إمارة الشام وإلّا فإنه سيعلن العصيان والتمرد إذا أصر السلطان على عزله، ولما سمع السلطان بما قاله أتسز عدل عن رأيه وأرسل وزيره نظام الملك بالهدايا إلى أتسز تطييباً لقلبه[٤٤].

وفي سنة ٤٦٩ هـ جرد أتسز حملة إلى مصر للقضاء على الخلافة الفاطمية واشترك معه جماعة من الكلبيين بقيادة زعيمهم في الشام بدر بن سنان الكلبي(٤٥) فاستطاع أتسز أن يدخل الأراضي المصرية ومعه ما يربو على عشرين ألفاً من التركمان والعرب وعاث في ديارها الخراب والفساد والقتل والنهب(٤٦) غير أن أمير الجيوش المصرية بدر الجمالي استطاع أن يستميل إليه بدر بن سنان الكلبي فغدر بأتسز لقاء مبلغ من المال(٤٧) كما اجتمع عليه أهل مصر فهزموه شر هزيمة وأسروا وغنموا الكثير من رجاله ومتاعه وعاد مهزوماً إلى دمشق.ولا شك أن هذه الهزيمة تعد نكسة كبيرة، إذ جاءت بعد تلويحات السلطان ملكشاه السلجوقي بعزل أتسز عن الشام، فكان قصده أن يحقق نصراً يثبت للسلطان جدارته ومقدرته العسكرية وتحقيق مكاسب كبيرة ترضي السلاجقة والخليفة العباسي ولكن آماله ذهبت أدراج الرياح، وشمت به الشامتون، فكانت هذه الهزيمة مقدمة لزواله، يقول ابن القلانسي : ((فيها «سنة ٤٦٩ هـ» جمع الملك أتسز واحتشد وبرز من دمشق ونهض في جمع عظيم من ناحية الساحل ثم منها إلى ناحية مصر طامعاً في ملكتها ومجتهداً في الاستيلاء عليها، والدعاء من أهل دمشق متواصل واللعن له متتابع متصل، فلما قرب من مصر وأظلت خيله عليها، برز إليه أمير الجيوش بدر في حشده من العساكر ومن انضاف إليها . . . وعرف ما عزم عليه أتسز، فاستعد للقائه وتأهب لدفع قصده واعتدائه، وجدّ في الايقاع به، وحصلت العرب وأكثر العساكر من ورائه وصدقوا الحملة عليه فكسروه وهزموه ووضعوا السيوف في عسكره قتلاً وأسراً ونهباً وأفلت هزيماً بنفسه في نفر يسير من أصحابه ووصل إلى الرملة وقد قتل أخوه وقطعت يد أخيه الآخر ووصل الفلّ إلى دمشق، فسرت نفوس الناس بمصابه وتحكم السيوف في أتباعه وأصحابه فأملوا مع هذه الحادثة سرعة هلاكه وذهابه))(٤٩).

وكانت القدس بيد عمال أتسز وتحت سيطرة جنده فأساءوا السيرة كثيراً بأهلها فكرهوا أتسز وعساكره وملّوا حكمه ولقوا منه ومن عساكره أذى كثيراً، فاستغلوا غيابه في حملته على مصر، فخرجوا عن طاعته وطردوا نوابه، فلما عاد مهزوماً إلى الشام جمع عساكره من التركمان وسار إلى القدس ودخلها عنوة وأعمل في أهلها وعلمائها القتل والتنكيل حتى أنه قتل الذين لجأوا إلى مسجدها وأعادها إلى سيطرته من جديد(٥٠).

ولا شك أن هذه الأعمال تعتبر خروجاً عن التقاليد الاسلامية، فقد أعلن السلاجقة عشية مجيئهم إلى بغداد رغبتهم في نشر الأمن والطمأنينة في بلاد الاسلام، ونرى هنا أعمال أتسز السلجوقي تتنافى مع مبادىء الاسلام، فلا غرو أن تنعكس هذه الأعمال بصورة سيئة على السلاجقة فيما بعد وتُعجِّل بزوالهم من المنطقة.

أما دمشق فقد تدهورت أوضاعها كثيراً وأصاب أهلها الجوع والبلاء وشدة الفقر ومات الكثير وهاجر من تبقى منهم إلى سائر النواحي، يقول ابن الجوزي : ((ولم يبق من أهلها «دمشق» سوى ثلاثة آلاف إنسان بعد خمسمائة ألف أفناهم الفقر والغلاء والجلاء وكان بها مائتان وأربعون خبازاً فصار بها خبازان والأسواق خالية والدار التي كانت تساوي ثلاثة آلاف دينار يُنادى عليها بعشرة دنانير فلا يشتريها أحد والدكان الذي يساوي ألف دينار ما يُشترى بدينار . . . . وأكلت الكلاب والسنانير

والفيران، وكان الناس يقفون في الأزقة الضيقة فيأخذون المجتازين فيذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم))[٥١].

ومهما يكن في هذا الأمر من مبالغة فإن ذلك يدل على ما وصلت إليه البلاد من بلاء في عهد السلاجقة، إذ لم تتحسن أحوالها عما كانت عليه في عهد الفاطميين بل تبدلت من سيء إلى أسوأ وهذا ما جعل أمير الكلبيين في الشام يتآمر على أتسز السلجوقي لكي يتخلص منه ويعيد الفاطميين إلى سابق عهدهم في الشام. إلاّ أن الفقر الذي عم الناس وابتليت به البلاد، هو الذي أسكت الناس وجعلهم يرتضون بالسلاجقة رغماً عنهم.

* حملة تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي على دمشق سنة ٤٧٠ هـ :-

تقدم أن السلطان ألب أرسلان ولّى على إمارة حلب، محمود بن نصر المرداسي عندما قدم عليه سنة ٤٦٢ هـ، فأطاع ابن نصر السلاجقة والعباسيين حتى وفاته سنة ٤٦٨ هـ فوقع النزاع بين أبنائه (وثاب وشبيب وسابق ونصر) على إمارة حلب واستعان بعضهم على بعض بالسلطان السلجوقي ملكشاه، أو بالتركمان في الشام من أيام أبيهم[٥٢].

وفي ظل هذه الأوضاع المتردْية في كل من حلب ودمشق بسبب النزاع بين الأبناء أصدر السلطان ملكشاه أمره إلى أخيه تتش بالمسير إلى الشام بعد أن أقطعه إياها لتخليصها مما هي فيه من أوضاع سيئة سنة ٤٧٠ هـ[٥٣]. يقول ابن الأثير : ((إن أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام وما يفتحه في تلك النواحي سنة سبعين وأربعمائة))[٥٤].

علم أتسز بما عزم عليه السلطان فأنفذ كتاباً ومعه الهدايا ومما قاله له : ((ما فعلت فعلاً يقتضي إنفاذ الأمير تتش نحوي فإنني العبد الطائع، وأنا نائب في هذه البلاد عن السلطان، وما آخذ منها غير ما أصرفه في مؤنتي والجند الذين معي وأنا أحمل في كل سنة إلى الخزانة ثلاثين ألف دينار))[٥٥] فكتب السلطان إلى أخيه تتش وكان في نواحي الجزيرة أن لا يتعرض إلى أتسز بدمشق، بل تكون وجهته إلى حلب فقط.

سار تتش عبر ديار الجزيرة متجهاً إلى حلب، ومعه بعض أُمراء التركمان، ثم انضم إليه الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي بمن معه من بني عقيل، بتوجيه من السلطان ملكشاه، وسار الجميع إلى حلب سنة ٤٧٠ هـ[٥٦].

بدأت الحملة بحصار حلب وبداخلها سابق بن محمود المرداسي متحصن بها[٥٧] وطالت مدة الحصار، ولم يستطع تتش أن يُنجز شيئاً، وانقسمت بنو كلاب فريقين، فمنهم من كان مع سابق بن محمود بداخل حلب، ومنهم من كان مع تتش خارج أسوارها ومعهم وثاب بن محمود المرداسي، فمال مسلم بن قريش إلى سابق وراسله خفية وأوصاه بالصبر وعدم التسليم، وبدأ أنصار وثاب بالانضمام إلى سابق والدخول في حلفه ضد التركمان وأحس مسلم بن قريش بتغير تتش عليه وبإطلاعه على نواياه، فرحل عنه عائداً إلى الجزيرة بعد أن أعطى ما معه من متاع إلى أهل حلب[٥٨].

بقي تتش بقوات قليلة من التركمان بعد أن انفصل عنه شرف الدولة بن قريش، فأرسل إلى السلطان يطلب منه إمدادات جديدة، فأمده بحملة يقودها بهاء الدولة تركمان التركي، وعبر هذا بقواته الجزيرة، فلقيه مسلم بن قريش في الطريق، فخوفه من المسير إلى حلب ومن تعرُّض بني كلاب له، واستمر في طريقه حتى قطع نهر الفرات فانقضت بنو كلاب عليه فقتلته ونهبت ما معه بتواطؤ مسلم بن قريش العقيلي(٥٩).

ولما علم تتش ما حل للنجدات التي أتته من أخيه، أرسل بهذه الأخبار إليه ثم ترك حصار حلب وتوجه إلى الجزيرة لقضاء فصل الشتاء وليتدبر أمر مسلم بن قريش، ثم أعاد الكرة على حلب لمحاصرتها سنة ٤٧١ هـ(٦٠).

والذي يتضح من موقف مسلم بن قريش العقيلي أنه كان يخادع السلاجقة ولا يضمر ولاء لهم وإنما يتظاهر بطاعتهم لكسب الوقت منتظراً الفرصة المناسبة للتخلص منهم، فقد أخفى تأييده لبني مرداس بحلب ضد حملة السلاجقة فأمدهم بالمال والسلاح والرجال علماً بأنه جاء عوناً لتتش من قِبل السلطان السلجوقي. ولما انكشف أمره مع تتش انسحب عائداً إلى الجزيرة ووضع العراقيل في وجه الامدادات السلطانية ثم حرض وشارك في الاعتداء عليها وتصفيتها، وكانت هذه عادته كلما رأى موازين القوى تميل لصالح السلاجقة في الشام أو الجزيرة، فيعمل على إضعافها. وأثناء حصار تتش لحلب سارت حملة فاطمية إلى الشام بقيادة بدر الجمالي(٦١)، وعبرت ساحل الشام حتى وصلت إلى دمشق فاستنجد أتسز السلجوقي بتتش المقيم على حصار حلب يدعوه للقدوم لنصرته على الفاطميين(٦٢).

وأعتقد أن بدر الجمالي كان ينتظر الفرصة المواتية كي يرد على حملة أتسز السابقة على مصر سنة ٤٦٩ هـ، وقد وصلته أخبار الشام وما تعانيه دمشق وحلب من إنقسامات وأوضاع سيئة فأعد العدة وسار بحملته إلى دمشق.

سارع تتش لمساعدة أتسز فسار فوراً إلى دمشق فانسحبت الحملة الفاطمية عائدة إلى مصر، وخرج أتسز لاستقبال تتش، وبذل له الطاعة والمناصحة ودخل معه دمشق، غير أن تتش غدر به وقبض عليه وعلى أخيه فقتلهما واستقامت له دمشق دون قتال(٦٣)، يقول المؤرخون عما فعله تتش بأتسز: ((فبعث إليه أتسز من دمشق يستصرخه فسار إليه، وأجفلت عساكر مصر من دمشق وخرج أتسز من دمشق للقائه فقتله وملك البلد وذلك سنة ٤٧١ هـ))(٦٤).

وقد برر بعض المؤرخين ما فعله تتش بأتسز لأنه لم يخرج لاستقباله خارج دمشق(٦٥) إلّا أن جمهرة كبيرة من المؤرخين ذكرت خروج أتسز لاستقباله خارج دمشق. والحق أن تتش يطمع في ملك دمشق منذ مدة طويلة وقد واتته الفرصة حين استنجد أتسز به فجاء إليه وغدر به، خاصة أن جميع محاولاته السابقة لملك حلب قد باءت بالفشل، فرغب أن لا تفوته دمشق وأرى أن أتسز أخطأ بطلب العون من تتش والتسليم له بهذه السهولة لأنه يعلم علم اليقين أطماعه بملك البلاد منه، كيف لا وقد عزم السلطان على عزله عدة مرات لاقامة أخيه تتش مكانه، يُضاف إلى ذلك أن الغدر كان من أبرز

صفات السلاجقة وأنهم لا يتورعون عن استخدام المثل القائل (الغاية تبرر الوسيلة).

وهكذا استطاع تتش أن يحقق أمنيته التي كان يحلم بها ليبني له ملكاً في دمشق، فقام بعد ذلك بسلسلة من الهجمات على شمال الشام وأعمل في هذه المناطق السلب والنهب فهجر الناس مدنهم وقراهم ولجأ معظمهم إلى الأمير العقيلي شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران، وكان هذا من أسباب ملكه حلب فيما بعد[٦٦].

* حملة مسلم بن قريش العقيلي على حلب سنة ٤٧٢ هـ :-

ضاق الأمر كثيراً بأهل حلب تحت حكم سابق بن محمود المرداسي، فراسلوا مسلم بن قريش ليخلصهم مما هم فيه، فسار إليهم سنة ٤٧٢ هـ، فأغلق سابق أبواب حلب في وجهه ومعه بداخل حلب الشريف أبوعلي الحسين بن هبة الله الهاشمي العباسي المعروف بالحتيتي[٦٧] فخرج ابن له من داخل حلب إلى الصيد فقبض ابن قريش عليه وجعله رهينة بيده كي تستسلم له المدينة، فاستسلمت له فعلاً ودخلها هي والقلعة بسلام[٦٨]، ويقول ابن الجوزي : ان سابق بن محمود هو الذي أوحى لمسلم بن قريش بالقدوم إليه لتسليمه المدينة ومما قاله له : ((أنت أولى بي من الغير والعربية تجمعنا فإن كنتُ مأكولاً فكن أنت آكلي . . . وسار مسلم بن قريش إلى حلب فوصلها ثاني عشر من ذي الحجة ومعه بنو كلاب وكلب ونمير وجميع القبائل وقد أطاعوه خوفاً من الغز وأنفق عليهم الأموال فكسر الأحداث[٦٩] الأبواب يوم الجمعة لعشر بقين من ذي الحجة ودخل أصحابه إليها ولم يتأذَّ أحد من أهلها، ولا أغلق فيها دكان وراسل سابق بن محمود وهو في القلعة مراسلة انتهت إلى أن يزوجه سابق بابنته ويعوضه مالاً على أن يسلم القلعة فرضي وحط سابق رحله وماله في البلد ولم يبق إلاّ أن ينزل فوثب أخوه شبيب ووثاب فقبضا عليه واستوليا على القلعة، فجمع مسلم مقدمي بني كلاب وقال :-

((علمتم أني أنفقت أموالاً وبعدت عن بلادي في حراسة بلادكم وأموالكم وكفّ عادية الغز عنكم، وهذه مقابلة ما أعرفها فإن كنتم رجعتم فهاأنذا راجع إلي بلادي ومبرىء منكم فأنكروا ما جرى وشرطوا السعي فيه وإزالة ما تجدد منه، فدخل حلب واستقامت له))[٧٠].

والذي يتضح أن أوضاع حلب تردَّت كثيراً بسبب ما تعرضت له من حصار ومنازعات بين السلاجقة وغيرهم من الأمراء العرب مما جعل سابق بن محمود يوصي إلى مسلم بن قريش العقيلي كي يأتي إليه ليسلمه المدينة، أما الرواية التي تقدمت بأن مسلم بن قريش جاء وحاصر حلب ولم تستسلم له في بادىء الأمر لامتناع سابق عليه، فإنه يمكن القول بأنه كان متردداً في ذلك وقد أوصى لمسلم بن قريش عندما كان السلاجقة يهددونه، وعندما جاء مسلم بن قريش وزال الخطر تراجع عن التسليم إليه، ثم وجد أن لا مناص فتنازل له عن حلب وانتهى الأمر على ذلك بالرغم من معارضة أخويه وثاب وشبيب.

أرسل شرف الدولة مسلم بن قريش إلى السلطان السلجوقي ملكشاه يخبره بما فعل وطلب منه إقراره على حلب وتعهد أن يرسل في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار فأقره السلطان على ذلك[٧١]. يقول

أبو الفرج ابن الجوزي : ((وفيها أخذ مسلم بن قريش حلب وكتب إلى السلطان ملكشاه كتاباً أشهد فيه على نفسه العدول بضمانها بثلاثمائة ألف دينار كل سنة يؤديها إلى خزانة السلطان فأجابه إلى ذلك))(٧٢).

وهكذا تبدو سياسة الأمير العقيلي مسلم بن قريش، سياسة تنبع من المصلحة الشخصية والتي كانت قائمة على سياسة المد والجزر، فهو يلاين السلطان ويسايره، ويعده بالولاء والطاعة وإرسال الأموال، وفي نفس الوقت يعمل على تقليص النفوذ السلجوقي من الشام والجزيرة، ليبني له زعامة مستقلة عن حكمهم. والآن وقد انقسمت الشام إلى إمارتين كبيرتين إحداهما في الجنوب، ومقرها دمشق لتتش بن السلطان إلب أرسلان وثانيتهما في الشمال ومقرها حلب لمسلم بن قريش العقيلي، سنرى العلاقة التي قامت بين هاتين الامارتين وكل منهما تدَّعي الولاء والطاعة لبني سلجوق.

* علاقة مسلم بن قريش مع تتش بن السلطان ألب أرسلان في الشام :-

بدأت أعمال التوتر والاستفزاز تظهر بينهما، كما بدأ كل واحد منهما يوسع من دائرة أحلافه وأنصاره استعداداً للمعركة الفاصلة(٧٣)، وقام مسلم بن قريش بمهاجمة حمص سنة ٤٧٥ هـ، وكان يليها خلف بن ملاعب، مطيعاً لتتش السلجوقي، فكتب إليه : ((إن هذا صاحبي ومنتمي إليَّ فارحل عنه)) فبعث مسلم إليه : ((إن هذا رجل مفسد في أعمال السلطان، قاطع سبلها فإن كان صاحباً لك فخذه إليك)) فسار تتش لنجدته، فخاف ابن قريش عتب السلطان ملكشاه في مقاتلة أخيه تتش، فانسحب عنه، وفي طريقه قبض على ما يقرب من ثلاثمائة فارس من التركمان وفرقهم في القلاع، فكان آخر العهد بهم، يقول ابن الجوزي : ((وفيها سار تتش إلى حلب فأخذ من غلاتها ما باعه بثمن بخس عجلة وسرعة، وقيل أن ملكشاه «السلطان» كتب له بمال على ابن قريش، فماطله، فسار بنفسه وباع ما قدر عليه وأرسل مسلم أصحابه لحفظ حلب، فغاظ تتش وأقام بجسر الحديد وما يقارب حلب، وأمر أرتق بك بشن الغارات على حلب فظفر أصحابه بطلائع من العرب فأسروا منهم نيفاً وثمانين رجلاً فقتلهم أرتق بك جميعهم وعاد أصحاب مسلم إلى القابوسية ووردت كتب السلطان إلى أخيه بأن يرجع إلى دمشق ولا يقيم ببلد حلب وإلى أرتق بك بالعود إلى بابه ففارق أرتق بك من جسر الحديد، وسار تتش إلى دمشق وحل بها وضعفت نفسه لمفارقة أرتق بك، وعبر مسلم في العرب والأكراد وراء تتش إلى دمشق فنزل على فرسخين منها))(٧٤).

* حملة مسلم بن قريش العقيلي على دمشق سنة ٤٧٥ هـ :-

وردت كتب في هذه السنة من بعض أُمراء العرب إلى مسلم بن قريش يحثونه فيها على ضرورة تخليص بلاد الشام مما هي فيه وكان عندئذ مقيماً في الجزيرة(٧٥)، وتصادف مع ذلك خروج تتش من دمشق إلى نواحي أنطاكية(٧٦) فانتهز ابن قريش هذه الفرصة وجمع عساكره من العرب والأكراد وأسرع بهم نحو دمشق ليأخذها من السلاجقة، ثم اتصل بالفاطميين طالباً العون منهم(٧٧) غير أن

هذه الحملة فشلت وارتد مسلم بن قريش عائداً عنها إلى الجزيرة، وقد ذكر المؤرخون أن أسباب فشله يعود إلى جملة أسباب منها، أن الفاطميين تقاعسوا عن نصرته، ثم عاد تتش مسرعاً عندما علم بحملته كما عصى أهل حران عليه في الجزيرة مما أجبره على العودة إليها[٧٨].

والحق أن مسلم بن قريش يبدو عليه عدم الرضى عن السلاجقة، فقد عمل جاهداً لتخليص البلاد من حكمهم المباشر بالرغم من مداراته لسلطانهم والخطبة لهم في بلاده لكنه لم يتراجع عن سياسته في مقاومة الاستقرار السلجوقي في بلاد الشام والجزيرة حتى لو أدى الأمر إلى الاستعانة بالفاطميين، ولكن لسوء حظه فإن الفاطميين فقدوا ثقتهم به وعرفوا أنه يعمل لصالحه الشخصي فلم يقدموا له العون اللازم بالرغم من عدائهم للسلاجقة.

* مقتل شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي سنة ٤٧٨ هـ :ـ

استولى سليمان بن قتلمش السلجوقي[٧٩] على أنطاكية من الروم سنة ٤٨٧ هـ بعد أن كانت بيدهم منذ سنة ٣٥٨ هـ[٨٠]. ويذكر سعيد عاشور أن آخر حاكم لها من قِبل الروم الذي انتزعها ابن قتلمش السلجوقي منه هو فيلارتيوس براخاميوسي[٨١].

وفي رواية لجمهور من المؤرخين أن مسلم بن قريش العقيلي أرسل إلى ابن قتلمش السلجوقي يطلب منه الجزية التي كان يدفعها صاحب أنطاكية إليه، فرد عليه أن ذلك جزية ولا يدفعها إلاّ الكتابي أما هو فمسلم ولا تجب عليه الجزية[٨٢].

يقول سبط ابن الجوزي أن مسلم بن قريش أرسل إلى ابن قتلمش السلجوقي يقول :ـ

((للسلطان في كل سنة على أنطاكية مال فإن كنت طائعاً فابعث بها إليَّ وإن كنت عاصياً فعرّفني)) فرد عليه يقول : ((بل أنا السامع المطيع، وقد كتبت إلى السلطان «ملكشاه» أُخبره بهذا الفتح، والمال إنما كان يؤخذ من صاحب أنطاكية على وجه الجزية، ونحن مسلمون)) فرد عليه ابن قريش : ((ما نعرف إلاّ المال))[٨٣].

والذي يتضح من موقف مسلم بن قريش العقيلي أنه لم يرض بهذا التوسع السلجوقي الجديد إلى بلاد العرب، والذي قدم هذه المرة من بلاد الروم، وهو بلا شك سيؤثر على زعامته في المستقبل إن لم يجد له حلاً سريعاً، وأعتقد أن موضوع الجزية، ما هو إلاّ مبرر للتحرش به، وانتزاع أنطاكية منه.

لم تجد المراسلات التي تمت بين الطرفين، فبدأ كل منهما التحرش بالآخر فاعتدي سليمان بن قتلمش على أعمال حلب ونهب وخرب فرد عليه مسلم بن قريش بالخروج إليه في جيش يضم العرب والأتراك ومن ضمنهم جبق التركماني، الذي سبق أن انضم إلى حملة فخر الدولة ابن جهير من قِبل السلطان ملكشاه السلجوقي، وأقام بعدها بخرتبرت[٨٤]، فالتقى ابن قريش مع ابن قتلمش في مكان يقال له قرزاحل[٨٥] على نهر عفرين[٨٦] سنة ٤٧٨ هـ[٨٧].

فانضم جبق التركماني بمن معه من الأتراك إلى سليمان بن قتلمش السلجوقي، فضعف موقف

مسلم بن قريش ولم يبق معه سوى جماعة من العرب والأكراد، فانهزمت هذه العساكر وقُتل مسلم بن قريش في الرابع والعشرين من صَفر ٤٧٨ هـ[٨٨].

أقام بنو عقيل زعيماً عليهم بعد مسلم بن قريش أخاه إبراهيم بن قريش[٨٩] وتزوج صفية خاتون عمة السلطان ملكشاه (زوجة مسلم أخيه سابقاً)[٩٠] غير أن السلطان ملكشاه لم يعترف بهذه الزعامة فأمر إبراهيم بن قريش القدوم عليه بأصفهان، فقبض عليه وسجنه وأرسل مكانه على بني عقيل، أبا عبدالله محمد بن مسلم بن قريش وأقطعه الرحبة وحرّان والرقة وسرّوج في الجزيرة، ثم زوجه باخته زليخة خاتون سنة ٤٧٩ هـ[٩١].

والذي يتضح مما سبق أن السلطان ملكشاه يريد زعامة عربية ضعيفة تابعة له، فقد أقصى إبراهيم بن قريش العقيلي وأقام مكانه شاباً ضعيفاً قليل الخبرة، هو ابن أخيه محمد بن مسلم بن قريش (ابن أخت السلطان ملكشاه) وهو ما لا يخشى جانبه مستقبلاً.

والحق أن مسلم بن قريش لم يدَّخر جهداً في توحيد الصفوف في الشام والجزيرة واستعمال كافة الأساليب والحيل للتخلص من الوجود السلجوقي في هذه البلاد، إلاّ أن الزعامات العربية الأخرى لم تتعاون معه بشكل جدي، فكانت قواتهم مبعثرة، كما أن دخول سليمان بن قتلمش السلجوقي إلى ساحة الأحداث في شمال الشام وإقامة إمارة سلجوقية له في أنطاكية، قد أضاف قوة جديدة لتتش بن السلطان ألب أرسلان صاحب دمشق، ضد مسلم بن قريش، فكان من الصعب عليه مواجهة هذه القوى مما عجل بزواله.

* النزاع بين تتش وسليمان بن قتلمش السلجوقي سنة ٤٧٨ هـ :-

انسحب سليمان بن قتلمش إلى أنطاكية بعد المعركة التي قُتل فيها مسلم بن قريش وأرسل إلي ابن الحتيتي (القائم بأعمال حلب بعد ابن قريش) يطلب منه طاعته والتبعية له فرد عليه يماطله ويعتذر حتى يكاتب السلطان السلجوقي في هذا الأمر، وفي نفس الوقت قام ابن الحتيتي بمراسلة تتش للقدوم إليه لتسليمه المدينة[٩٢].

اتجه كل من سليمان بن قتلمش وتتش إلى حلب طمعاً فيها فالتقت عساكرهما في شهر صَفر ٤٧٩ هـ في مكان يُقال له عين سيْلَم[٩٣] فاقتتلا قتالاً شديداً، انهزمت بعدها عساكر سليمان بن قتلمش بعد مقتله في هذه المعركة[٩٤].

وقد خلا الميدان لتتش بعد أن تخلص من منافسين قويين، فتابع سيره إلى حلب ليأخذها، فأغلق ابن الحتيتي الأبواب في وجهه واعتذر له بأنه راسل السلطان ملكشاه في أمر حلب، إلاّ أن تتش شدد الحصار عليه ولم يسمع كلامه فاستسلم ابن الحتيتي له وسلمه المدينة في ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ[٩٥] بعد أن طلب الأمان وأجيب إلى طلبه[٩٦].

بقيت قلعة حلب بيد سالم بن مالك العقيلي (ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش) فامتنع بها

ورفض التسليم، وأثناء ذلك سمع تتش بقدوم أخيه السلطان ملكشاه إلى حلب فخرج منها عائداً إلى دمشق[٩٧].

* حملة السلطان ملكشاه السلجوقي على حلب سنة ٤٧٩ هـ :-

كان السلطان بأصفهان[٩٨] عندما راسله ابن الحتيتي وشرح له تطورات الموقف بين تتش وابن قتلمش وما جرى بينهما فسار من فوره عبر ديار الجزيرة ومعه مجموعة من كبار أمرائه منهم إياز وبرسق وبوزان[٩٩] وفي طريقه استولى على الرُها من الروم وسلمها لبوزان[١٠٠] بينما ذكر ابن الجوزي أنه استولى عليها أثناء عودته من حلب[١٠١] وتُعتبر هذه الرواية ضعيفة لمخالفتها رواية جمهرة من المؤرخين الذين سبقوه.

اتجه السلطان إلى قلعة جعبر[١٠٢] فملكها وقبض على صاحبها سابق الدين جعبر القشيري وعلى ولديه وكانوا يقطعون الطُرق ويخيفون السابلة فقتلهم ثم سار إلى منبج فملكها أيضاً[١٠٣] يقول صاحب المنتظم : ((وفي هذا الشهر «رجب ٤٧٩ هـ» سار ملكشاه فنزل الموصل في رجب ثم مضى إلى قلعة جعبر وقد كان تحصن بها رجل يُعرف بسابق بن جعبر في عدد من العلوج يغيرون ويلجأون إليها فراسله السلطان في تسليمها وأن يؤمنه على نفسه وماله فلم يجب، فنصب العرادات ونقب السور وفتحت، وقتل عامة من كان فيها وقبض على سابق وأراد قتله بالسيف فوقعت عليه زوجته وقالت لا أفارقه حتى تقتلوني معه فألقوه من أعلى السور فتكسر ثم ضُرب بالسيوف نصفين))[١٠٤].

تابع السلطان سيره إلى حلب، فلما اقترب منها انسحب تتش عائداً إلى دمشق وكان معه أثناء انسحابه أرتق بن أكسب (أكسك) فنصحه أن يهاجم جيش السلطان وهو على تعب فلم يقبل وقال : ((لا أكسر جاه أخي الذي إنا مستظل بظله فإنه يعود بالوهن عليَّ أولاً))[١٠٥].

يستنتج من قيام السلطان بحملته على حلب خوفه من إتساع أملاك أخيه تتش في الشام، فيصبح خطراً عليه في المستقبل، ومما يقوي هذا الاعتقاد أن تتش خاف من مقابلة أخيه عندما اقترب منه وانسحب عائداً إلى دمشق.

دخل السلطان ملكشاه حلب ونزل سالم بن مالك العقيلي من القلعة وسلمها للسلطان، فعوضه عنها بقلعة جعبر فسار إليها وملكها[١٠٦] ثم أرسل تتش إلى أخيه بالولاء والطاعة فقبل ذلك منه[١٠٧] كما دخل في طاعته أيضاً نصر بن علي بن منقذ صاحب كفرطاب وشيزر وأفامية[١٠٨].

* إمارة قسيم الدولة أقسنقر[١٠٩] على حلب سنة ٤٨٠ هـ :-

كان قسيم الدولة مرافقاً للسلطان في حملته على حلب فأقامه عليها والياً[١١٠] ثم رحل السلطان عنها إلى أنطاكية، وكان بها نواب سليمان بن قتلمش السلجوقي فأقام ياغي سيان والياً عليها[١١١] وأقر أبناء قتلمش على الامارة السلجوقية في بلاد الروم[١١٢] وقفل عائداً إلى حلب ثم إلى أصفهان

فوصلها في شهر صَفر سنة ٤٨٠ هـ[١١٣].

أحسن قسيم الدولة أقسنقر معاملة أهل حلب، وتتبع المفسدين وقُطّاع الطرق حتى قضى عليهم، فأمّن الناس على حياتهم وممتلكاتهم بعد أن قضوا فترة من الفوضى والاضطراب. يقول ابن الأثير: ((لما افتتح ملكشاه حلب استناب عليها أقسنقر في سنة ثمانين واربعمائة فأحسن السياسة وضبط الأمور وتتبع المفسدين حتى صار دخله كل يوم ألف وخمسمائة دينار))[١١٤].

* علاقة قسيم الدولة أقسنقربتتش في عهد السلطان ملكشاه :-

تتابعت حملات الفاطميين على ساحل الشام بعد سنة ٤٨٠ هـ وطمعوا في إستعادة نفوذهم في الشام حتى ضايقوا تتش كثيراً فأرسل يستغيث بأخيه السلطان ملكشاه فيقول صاحب النجوم الزاهرة: ((وفيها «سنة ٤٨٠ هـ» بعث تتش أخو السلطان «ملكشاه» يقول لأخيه: قد استولى المصريون على الساحل وضايقوا دمشق وأسأل السلطان أن يأمر أقسنقر وبوزان أن ينجداني، فكتب إليهما ملكشاه أن ينجداه، وكان الأمير بوزان بالرها وأقسنقر بحلب))[١١٥].

أوعز السلطان ملكشاه إلى ولاته في الشام والجزيرة تقديم المساعدة إلى تتش لمحاربة الفاطميين على ساحل الشام[١١٦] فساروا سنة ٤٨٣ هـ واجتمعوا في حمص وكان بها خلف بن ملاعب يخطب للفاطميين فحاصروها وأخذوها منه بعد أن هرب إلى مصر[١١٧] ثم اتجهوا بعد ذلك إلى طرابلس وكان واليها جلال الملك بن عمار يخطب للفاطميين أيضاً، فلم ير بداً لدفعهم إلاّ اللجوء إلى الحيلة، فراسل الأمراء الذين مع تتش واستطاع أن يكسب أقسنقر إلى جانبه فانسحب عائداً إلى حلب فكان ذلك سبباً من أسباب فشل هذه الحملة، يقول ابن الأثير: ((وكان مع قسيم الدولة وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده ليناً فاتحفه وأعطاه، فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفاً بمثلها، وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد «طرابلس» والتقدم إلى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته، فقال أقسنقر لتاج الدولة تتش: لا أقاتل مَنْ هذه المناشير بيده، فأغلظ له تاج الدولة وقال: هل أنت إلاّ تابع لي؟ فقال أقسنقر: أنا أتابعك إلاّ في معصية السلطان، ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة إلى الرحيل، فرحل غضبان وعاد بوزان أيضاً إلى بلاده فانتقض هذا الأمر))[١١٨].

وأعتقد أن قصة هذه المناشير التي أظهرها جلال الملك بن عمار وأظهر فيها أنها من السلطان، ما هي إلاّ مختلقة ومزيفة فإنه لم يظهر لقاء بين السلطان وجلال الملك، ولم يسبق أن خطب للسلاجقة في إمارة طرابلس، بل أن إنتهاء بني عمار في طرابلس يعود إلى الفاطميين فقط، ولم يذكر أنهم قطعوا خطبة للفاطميين أو تحولوا إلى العباسيين والسلاجقة ولو أن السلطان منح صاحب طرابلس شيئاً يعترف به له، لعرف من قِبل السلطان أو سئل فأجاب عنه شيئاً، ولم يحصل شيء من هذا القبيل.

لذا فإنني أرى أن الأمراء نفروا من تتش وتخلوا عنه راجعين إلى بلادهم لسبب آخر ربما يكون عدم رغبة هؤلاء الأمراء في توسيع إمارة تتش إلى بلاد أخرى فيعود عليهم بالضرر والخطورة فيما بعد،

لا سيما أن أطماع تتش في التوسع معروفة، وسبق لأخيه السلطان أن حدَّ من أطماعه وقلَّص نفوذه في الشام داخل حدود دمشق فقط، ثم مات السلطان ملكشاه بعد قليل سنة ٤٨٥ هـ، فتطور النزاع بين تتش وبقية الأمراء في الشام والجزيرة وأدى إلى نزاع مسلح بينهم سنرى تفاصيله في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

هوامش الفصل الثالث

(١) قِنَّسْرِينُ : مدينة في شمال الشام بين حلب وحمص وكانت تطلق على جند شمال الشام ولم يكن لحلب معها ذكر ثم ضعفت قنسرين بظهور قوة حلب فأصبحت قرية صغيرة.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/٤٠٣. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٣/١١٢٦.

جُنْدُ : جمعها أجناد والتجنّد بمعنى التجمع، وجُنْدٌ جمع معد للحرب، وهو أيضاً المدينة التي تُجْمَعُ حولها كورا، ولم يستعمل هذا إلاّ في أجناد الشام، وقيل سميت كل ناحية بجند لأن العساكر كان يقبضون أعطياتهم فيها.

البستاني : دائرة المعارف جـ ٥/٤٨٧.

(٢) أَيلَة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) (قرب خليج العقبة اليوم مما يلي الشام).

القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد١٥٣.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ١٥٣ ـ ١٥٤. أبو الفداء : تقويم البلدان ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(٤) طَرَابُلُس : بلدة على شاطىء بحر الشام ويُقال لها أطرابلس، وهي بين اللاذقية وعكا. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ١/٩١.

(٥) أمينة البيطار : موقف أمراء العرب ٣٦ ـ ٣٧، ٥١، ٨٣ ـ ٨٧، ١٢٦ ـ ١٣٣، ٢٤٧ ـ ٢٥٨، حقّ : تاريخ العرب جـ ٢/٧٤٨ ـ ٧٤٩.

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٦٦ ـ ٧٠.

(٧) ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٢١٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٣٢.

ابن خلدون : العبر م ٤/٥٨٠. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/٧٦.

(٨) عَانَةُ : بلد مشهور بين الرقة وهيت على نهر الفرات قرب حديثة النّورةوتُعد من أعمال الجزيرة. الشابشتي : الديارات/٢٨٨. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٢/٩١٢.

(٩) الرَّمْلَةُ : مدينة عظيمة بفلسطين. ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٦٩.

(١٠) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣١٩.

أمينة البيطار : موقف أمراء العرب/١٢٦ ـ ١٢٧، ١٥٢ ـ ١٥٨.

(١١) أنوشتكين التزبري : مولده فيها وراء النهر، من بلاد الترك جيء به إلى بغداد مع السبايا ثم إلى دمشق سنة ٤٠٠ هـ ثم سُيِّرَ إلى مصر فاستحسنه الحاكم بأمر الله لذكائه وقرّبه إليه حتى عظم شأنه. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٧١ ـ ٧٢.

أعلام النبلاء جـ ١/٣٣١.

(١٢) الأُقْحُوَانَةُ : موضع بالأردن على بحيرة طبرية. ياقوت : معجم البلدان جـ ١/٢٣٤.

(١٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٧١ ـ ٧٣. ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٢٠.

ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٣٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٢١.

(١٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٤٢٠. ابن خلدون : العبر م ٤/٥٨١.

(١٥) ابن شدّاد : الأعلاق الخطيرة جـ ٣ ق ٢/٧٣٦.

الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٢٦.

(١٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(١٧) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٢٥ ـ ٢٥٨. أمينة البيطار : موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين/٢٦٦.

(١٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٦٠.

أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٦٥. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٢٩ ـ ٣٣٢.

(١٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٦٣.

(٢٠) ابن الأثير : الكامل جـ ٩/٥٤٩، ٥٦٠، جـ ١٠/١١

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/٥٩. ابن خلدون : العبر م ٤/٥٨٥.

الدبس : تاريخ سورية م ٥/٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢١) العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣١٨.

(٢٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٦. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٧٦.

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٨٥.

(٢٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٩٣ وما بعدها. ابن شدّاد : الأعلاق الخطيرة جـ ٣/٦٦٢. زكار : تاريخ الحروب الصليبية/١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٩١ ـ ٩٥. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٩٩.

سبط ابن الجوزي · مرآة الزمان/١٧٩ ـ ١٨٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٢. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦٢ كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٥.

(٢٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٢٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٩٤ ـ ٢٩٦ جـ ٢/٩.

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٨٦. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٣٧.

(٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٩٤.

(٢٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٢٢.

(٢٨) تامارا رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/٣١. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/١٣١ ـ ١٣٢.

(٢٩) حَرَّان . من مدن الجزيرة في ديار بكر على ملتقى طريق الموصل والشام وبلاد الروم. ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/٢٣٥.

(٣٠) ابن القلانسي · ذيل تاريخ دمشق/٩٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١/٢٩٤ ـ ٢٩٦.

أمينة البيطار : موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين/٢٨٦

(٣١) المَعَرَّةُ . وتسمى معرة النعمان، من أعمال حمص في الشام بين حلب وحماة.

البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٣ /١٢٨٨.

(٣٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٢٤.

ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٩.

(٣٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٣٢.

(٣٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٣٦ ـ ١٣٧.

ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١١ ـ ١٣.

زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/١٣٧.

(٣٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٩٨. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٨.

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٥٣، ١٧٢. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ١/١٩٩. ابن كثير : البداية جـ ١٢/١١٢. وقد ذكر بعض المؤرخين أتسز السلجوقي باسم الأقسيس أتسز السلجوقي مثل الفارقي في تاريخه/١٩٢ وابن كثير في البداية والنهاية جـ ١٢/١١٦ وابن العبري : في تاريخ مختصر الدول/١٩٢ وذكره آخرون باسم يوسف بن أوق الخوارزمي، مثل أبي الفداء في المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٨٧. والحافظ الذهبي في العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٥٢.

(٣٦) ابن العديم . زبدة الحلب جـ ٢/٣١.

(٣٧) الفارقي : تاريخ الفارقي/١٩٢. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٩٨. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٥٣. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٨٧. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٨٧. القرماني : أخبار الدول وآثار الأول/٢٨٧. حتّي : تاريخ العرب/٧٥١.

(٣٨) العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٨.

(٣٩) ابن الأثير . الكامل جـ ١٠/٩٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٤٧. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٨٧ - ١٩٢. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ١/١٩٩، جـ ٢/٢. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١١٢. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٨٧.

كرد علي) خطط الشام جـ ١/٢٦٣ - ٢٦٤.

(٤٠) ذيل تاريخ دمشق/٩٨، أُنظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٧٩، والحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر/جـ ٣/٢٦٦. ثم أنظر اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/٩٦.

(٤١) طَبَرِيَّة . في غور الأردن بينها وبين عمّان إثنان وسبعون ميلاً.

أبو الفداء : تقويم البلدان/٤٢.

(٤٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٧١ - ١٧٨.

(٤٣) سبط ابن الجوزي · مرآة الزمان/١٧٨.

(٤٤) المصدر نفسه/١٧٨ - ١٧٩.

(٤٥) ابن الأثير · الكامل جـ ١٠/١٠٣. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩١ الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٣. والعبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٦٩. ابن خلدون · العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٨. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦٧. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٤.

(٤٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٨١ - ١٨٢. أمينة البيطار : موقف أُمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين/١٦٢ - ١٦٣.

(٤٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٨٢. أمينة البيطار : موقف أُمراء العرب/١٦٢ - ١٦٣.

(٤٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٠٩. ابن الأثير · الكامل جـ ١٠/١٠٣ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٦٩. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦٧. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٤.

(٤٩) ذيل تاريخ دمشق/١٠٩ - ١١٢.

(٥٠) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٠٣. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٨٤ - ١٨٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٣. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦٧. كرد علي . خطط الشام جـ ١/٢٦٥.

(٥١) مرآة الزمان/١٨٥. أُنظر الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٢. وكرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٥.

(٥٢) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٣٠٤. ابن العديم · زبدة الحلب جـ ٢/٤٩ - ٥٥. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٣. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/٣٢٩. أمينة البيطار : موقف أُمراء العرب/٢٩٠ - ٢٩١.

(٥٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٩٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٤٧٤. أحمد حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٣٩.

عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/٩٩. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٦٠.

(٥٤) الكامل جـ ١٠/١١١. أُنظر ابن كثير : البداية جـ ١٢/١١٩. وابن خلدون : العبر م ٥/٩ - ١٠.

(٥٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٩٧. المصدر نفسه/١٩٧.

(٥٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٤٢٠. أمينة البيطار : موقف أُمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين/٢٩٠ - ٢٩١.

(٥٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٩١. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/١٧٣.

(٥٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٥٧ ـ ٥٨.

(٥٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٩٧ ـ ١٩٨. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٦١.

(٦٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٩٥. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٦٢. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/١٧٣.

(٦١) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٤٤. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦٧.

(٦٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٦٥. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٠٠. ابن خلدون العبر م ٥/٣٠٩. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٦٤.

(٦٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٠٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٣. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٧٤. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٤٦٥.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١١١. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/١٣٧.

(٦٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١١٩. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٠٢.

(٦٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٠٠ ـ ٢٠٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٦٥ ـ ٦٦.

(٦٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٠٠ ـ ٢٠٣ ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٦٧ ـ ٦٨.

(٦٨) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٣٢٣. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١١٤.

أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٤. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٧١ ـ ٥٧٢. خطط الشام جـ ١/٢٦٦.

(٦٩) الأحْدَاثُ : مفردها حَدَثٌ، وهو الشاب الفتي السن، ومنه منظمة الأحداث، وهي جماعة من الشبان ورد ذكرها في تواريخ المدن السورية والجزرية ولا سيما في أخبار القرون الوسطى ما بين القرن العاشر والثاني عشر وكانت هذه المنظمة تتولى المحافظة على مصالح السكان في المدينة وعلى النظام العام وحماية الأسوار والأبواب ومساعدة الجيوش النظامية أحياناً، وهم من أبناء البلدة نفسها مادة أحداث : البستاني ـ دائرة المعارف جـ ٧/١٦٧.

(٧٠) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٧١) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٧٢. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٢٠.

ابن خلدون : العبر م ٤/٥٧١ ـ ٥٧٢. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/١٨٤.

(٧٢) المنتظم جـ ٨/٣٢٣. أُنظر ابين خلدون : العبر م ٤/٥٧١ ـ ٥٧٢.

(٧٣) ابن الأثير . الكامل جـ ١٠/١٢٢.

ـ حِمْصُ : مدينة كبيرة في منتصف الطريق بين دمشق وحلب يجري بوسطها نهر العاصي. ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/٣٠٢ أبوالفداء . تقويم البلدان/٢٦٠.

(٧٤) مرآة الزمان/٢١٦ ـ ٢١٧.

(٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٧٩.

(٧٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٤. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٢٦. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٨٠. ابن خلدون : العبر م ٤/٥٧٢. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١١٥. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/٣٤٩.

ـ أنطاكية : من أجل بلاد الشام بعد دمشق حولها سور عظيم من الثغور الشامية وتقع على بحر الروم بينها وبين حلب يوم وليلة. القزويني : آثار البلاد/١٥٠. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ١/١٢٤.

(٧٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٤. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٢٦. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١١٥. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/٣٤٩.

(٧٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢١٩ وما بعدها. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٣/٨٠ ـ ٨٣. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٤٦. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٧٩) يعتبر قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق المؤسس الحقيقي لإمارة سلاجقة الروم، حين أرسله السلطان ملكشاه السلجوقي إلى بلاد الروم سنة ٤٧٠ هـ فاستولى على بعض المناطق فيها ومنها نيقية التي اتخذها عاصمة له، وبعد وفاته اعتلى ابنه سليمان عرش تلك البلاد ثم توسع منها إلى أنطاكية. أنظر الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٧٢.

ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٣٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٩.

ابن شدّاد : الاعلاق جـ ٣ ق ٢/٦٣٨. أحمد عطية الله : القاموس الاسلامية م ٣/٤٠٨ عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٦٤.

(٨٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٧. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٨٦ - ٨٧. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٥. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٢٠. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦٩. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٧.

(٨١) الحركة الصليبية جـ ١/٩٤ - ٩٩.

(٨٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٨٨ - ٩٢. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٥. أبوشامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٦٠.

(٨٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٩.

(٨٤) سبق تعريف خرتيرت وجبق التركماني ص ٥٧ - ٥٨ والهامش رقم (١٧٩) في الفصل الثاني.

(٨٥) قُرْزَاحِلُ : موقع من نواحي حلب. ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٣٢٢.

(٨٦) نهر عِفْرِينُ : يأتي من بلاد الروم ويمر قرب حلب ويصب في بحر الروم قرب أنطاكية.

أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٦٧ - ٤٩، ٥٠

(٨٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٨. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٩١. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٥.

(٨٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٣٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٢٩. أبوشامة . الروضتين جـ ١ ق ١/٦٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٥. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٣٤٥. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١١٩. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٧.

(٨٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٢٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٩٥. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٦٩. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٥٧.

(٩٠) سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان/٢٣٨. ابن خلدون : العبر ودويوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٥٧ زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/٢٢٢.

(٩١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٥٨. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٩٣. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٠ الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٥٩ - ٣٦١.

(٩٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤٧ والباهر/٧. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٧. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٠. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٦٥.

(٩٣) عَينُ سَيْلَم : موقع قرب حلب على بعد ثلاثة أميال منها. ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/١٧٨.

(٩٤) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٩٧. أبوشامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٦٠. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٦. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٢٤. أحمد حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٤٠. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٦٨. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٠٣.

(٩٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١١٨. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٧٣.

(٩٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٣٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٩٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٧.

(٩٧) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤٧. أبوشامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٦٠. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٦.

(٩٨) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٠. ابن خلدون : العبر ودويان المبتدأ والخبر م ٥/١٧. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٦٦.

(٩٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤٨. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٠.

(١٠٠) ابن الأثير . الباهر/٧. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٠٤.

(١٠١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٤١.

(١٠٢) قلعةُ جَعْبَر : تقع على نهر الفرات وكانت تسمى قديماً قلعة دَوْسَر فغير جعبر اسمها وسماها باسمه . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/١٤٢. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ١/٣٣٥.

(١٠٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤٨. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٧. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٨٩.
الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٠.

(١٠٤) أبو الفرج بن الجوزي جـ ٩/٢٨.

(١٠٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤٨.

(١٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٠١. ابن شدّاد : الاعلاق الخطيرة جـ ٣ ق ٢/٦٣٢. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٧. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٠ الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٥٩ - ٣٦١.

(١٠٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٣٩. أحمد حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٤٠.

(١٠٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤٨. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٨٩، م ٥/١٧
كفر طاب :بلدة بين المعرة وحلب. ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/٤٧٠.
شَيْزَر : قلعة ومعها كورة واسعة في الشام قرب المعرة. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٢/٨٢٦.
أفَامِيَة : مدينة حصينة على سواحل الشام من نواحي حمص ويسميها بعضهم فامية بدون همزة. ياقوت : معجم البلدان جـ ١/٢٢٧

(١٠٩) قسيم الدولة عبدالله أقسنقر بن آل ترعان صاحب السلطان ملكشاه، جدّ الأتابكةِ الزنكيين ووالد عمادالدين زنكي.
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٥٨. ابن خلكان · وفيات الأعيان جـ ١/٢٤١. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٩.
يقول المؤرخون أنه كان من مماليك السلطان ألب أرسلان وتربى مع ابنه ملكشاه، حتى صار من أقرب المقربين إليه وعلت منزلته عنده.
ابن الأثير : الباهر/٤ - ٥. ابن شدّاد : الاعلاق الخطير جـ ٣ ق ٢/٣٠٩. البستاني : دائرة المعارف الاسلامية جـ ١/١١٧.
الديوه جي : الموصل في العهد الاتابكي/١٦.
وقيل بل هو تركي من أصحاب السلطان ملكشاه.
أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٥٨. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/٣٨٠.
وقد ذكر هذان المؤرخان أن نظام الملك وزير السلطان ملكشاه حسد أقسنقر على منزلته العظيمة عند السلطان، وهو الذي أوعز إليه بتعيينه على حلب لابعاده عنه.

(١١٠) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٢٨. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٠٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢٤١
أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٧. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٠.

(١١١) ابن العديم . زبدة الحلب جـ ٢/١٠٢. أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٦١. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٠٤.

(١١٢) أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٤٠. عبدالنعيم حسنين : سلاجية إيران والعراق/٦٦.

(١١٣) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٢٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢٤٠ - ٢٤١. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٩٧. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٧. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٠. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/١٧. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٠.

(١١٤) الكامل جـ ١٠/١٨٠.

(١١٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٢٨.

(١١٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٩٩ - ٢٠٠. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/٧.

(١١٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢٠. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧١. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٤٦٩. - وُلِّيَ أمر طرابلس في بلاد الشام من قِبل الفاطميين وكان على مذهبهم وتوفي سنة ٤٩٢ هـ. دائرة المعارف الاسلامية جـ ١/٢٤٢.

(١١٨) الكامل جـ ١٠/٢٠٣. أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٢ - ١٣٣ وكرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٩٦.



سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين سنة ٤٨٥ هـ حتى بداية عهد الأتابكة



الفصل الرابع

سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين سنة ٤٨٥ هـ حتى بداية عهد الأتابكة

القسم الأول

(سلاجقة الشام)

* خروج تتش بن السلطان ألب أرسلان للمطالبة بالسلطنة السلجوقية.
* حملة تتش على الجزيرة.
* مسيرة تتش إلى أصفهان للجلوس على عرش السلطنة فيها.
* سلاجقة الشام بعد مقتل تتش سنة ٤٨٨ هـ.
* عودة دقاق بن تتش إلى دمشق وحكمه لها.
* إمارة دمشق بعد وفاة دقاق سنة ٤٩٧ هـ.
* إمارة رضوان بن تتش السلجوقي في حلب.
* وفاة رضوان بن تتش سنة ٥٠٧ هـ ومصير إمارة حلب من بعده.

أوضحنا في الفصل السابق الخطوط العريضة لحملات السلاجقة على بلاد الشام وكيف استطاع أمراؤهم أن يكوِّنوا لهم إمارات سلجوقية على أنقاض الامارات الفاطمية والعربية واستعملوا لتحقيق ذلك كافة الوسائل، وتمكنوا من فرض سيطرتهم على أجزاء واسعة من الشام بالرغم من عدم ارتياح الأمراء العرب لهم وفي مقدمتهم مسلم بن قريش العقيلي.

ويحسن بنا الآن أن نلقي نظرة على الامارات السلجوقية في الشام والجزيرة بعد وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ وما تلاه من خلافات وانقسامات بين السلاجقة على الزعامة والسلطان وخروج بعضهم على بعض مما أدى إلى إضعافهم وزوالهم فيما بعد.

* خروج تتش بن السلطان ألب أرسلان للمطالبة بالسلطنة السلجوقية :ـ

كان جناح الدول تتش متجهاً إلى بغداد سنة ٤٨٥ هـ لمقابلة أخيه السلطان ملكشاه، وبينما هو في الطريق، وردته الأنباء بوفاة السلطان، فعاد مسرعاً إلى دمشق(١).

وفي رواية أُخرى أن تتش قابل أخاه السلطان في بغداد ثم عاد إلى دمشق فوردت إليه الأنباء بوفاة أخيه في الطريق فجد في السير إلى دمشق ليعد العدة ويطلب السلطنة لنفسه(٢) والحقيقــة أن السلطان ملكشاه جاء إلى بغداد سنة ٤٨٤ هـ وقدم إليه فيها ولاة الشام والجزيرة واجتمعوا به، ثم تفرقوا عائدين إلى بلادهم ومن ضمنهم تتش أخو السلطان ملكشاه، كما عاد السلطان إلى أصفهان، ثم رجع مرة أُخرى إلى بغداد سنة ٤٨٥ هـ وهي المرة التي توفى فيها(٣) وأعتقد أن تتش جاء لمقابلة أخيه هذه المرة فوردته الأنباء بوفاته قبل أن يصل إلى بغداد فعاد إلى دمشق ليدعو لنفسه.

ومن جهة أُخرى كانت تركان خاتون(٤) زوجة السلطان ملكشاه، وابنها الصغير محمود بن السلطان ملكشاه في بغداد، فطلبت من الخليفة المقتدي بأمر الله أن يدعو لابنها بالسلطان، فرفض طلبها بادىء الأمر بدعوى أنه طفل صغير ولا يصلح لهذا الأمر(٥).

وقد روى ابن النظام رد الخليفة على طلب تركان خاتون بقوله : ((السلطنة والرسائة والمحافظة على أُصول السياسة وتعمير العالم ليس أمراً هيناً كلعب الأطفال، ومن الصعوبة أن يتمكن طفل عديم التجربة أن يقر قواعد السلطنة ويدفع حُسَّاد وأعداء المملكة، ولم يشبع محمود من لبن الرضاعة حتى الآن، فلا يستطيع أن يكون درعاً يصدُّ عن الدولة سيف كل جبار . . والمثل يقول : الصبي صبي ولو كان ابن النبي))(٦).

إلّا أن زوجة السلطان ظلت تلح على الخليفة حتى رضي بإبنها وأمر بأن يذكر إسمه على منابر بغداد، فلما اطمأنت لذلك رحلت بإبنها إلى أصفهان وقد ظهر فيها برقياروق بن السلطان ملكشاه (من أُم أُخرى) يدعو لنفسه بالسلطان هو الآخر(٧).

لذلك انقسم السلاجقة فيما بينهم إلى فئتين مختلفتين في تأييدهما لكل من محمود وأخيه برقياروق، إلّا أن محمود كان أقوى من أخيه فاستطاع بمساعدة أُمه الدخول إلى أصفهان وجلس على

كرسي العرش، بينما خرج أخوه برقياروق إلى همذان يعد العدة ويدعو لنفسه[٨].

وفي الفترة التي كان فيها النزاع محتدماً بين برقياروق وأخيه محمود، كان تتش بن السلطان ألب أرسلان، يجهز عساكره بدمشق استهداداً للخروج، ليطلب السلطنة لنفسه[٩].

خرج تتش بعساكره من دمشق إلى ناحية حلب وراسل صاحبها قسيم الدولة أقسنقر فدخل في طاعته، كما راسل بوزان صاحب الرها، وياغي سيان صاحب أنطاكية فدخلا في طاعته أيضاً[١٠].

وبذلك يمكن القول أن تتش قد كسب تأييداً ونفوذاً كبيرين في الشام والجزيرة، واعتقد أنه يمكنه الضغط على الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله فأرسل إليه يطلب منه الاعتراف له بالسلطان والخطبة له في سائر البلاد الاسلامية إلاّ أن الخليفة رفض طلبه[١١].

يقول في هذا أبوالفرج بن الجوزي أن الخليفة رد على تتش بنوع من الخشونة والتهديد بمثل الكتاب الذي وصله منه، ومما جاء في كتاب الخليفة له: ((صلح أن يكون خطابك في الخطبة إذا حصلت الدنيا بحكمك وخزائن الأموال بأصفهان وولاياتها تحت يدك والبلاد بأسرها في قبضتك، ولم يبق من أولاد أخيك من يخالفك، ثم تسأل حينئذ تشريفك بالخطبة وتأهيلك للخدمة، فأما في هذه الحال فلا سبيل إلى ما التمسته ولا طريق إلى ما تحاوله، فلا تعد حد العبيد فيما تنهيه وتسطره والاتباع فيما توروده وتصدره، وليكن خطابك ضراعة لا تحكماً وسؤالاً، تخيّر فإن أطعت فنفسك نفعت وإن خالفتنا وقصدتنا رددناك ومنعنا طلبتك واعتمدنا معك ما يقتضيه حكم الأمان والسلطان وأتاك من الله تعالى ما لا قبل لك به ولا يدان))[١٢].

يتبين لنا من هذا الرد القاسي عدم رغبة الخليفة في الموافقة على طلب تتش والميل إلى أولاد أخيه ملكشاه، وأرى أن الخليفة رفض طلب تتش ومال إلى ابن أخيه محمود بن السلطان ملكشاه، لأن تتش كان قوياً في الشام، بينما لا يزال محمود يافعاً يمكن السيطرة عليه بسهولة، وأيضاً فإن تتش كان معتداً بنفسه وتجاوز حدوده مع الخليفة، معتقداً أن البلاد صارت في قبضته وأن السلطنة أصبحت قاب قوسين أو أدنى منه، وأصبح بإمكانه أن يفرض نفسه على الخليفة فكان لسوء تصرفه مع الخليفة الرد الذي جاء منه.

* حملة تتش على الجزيرة :-

كان إبراهيم بن قريش بن بدران العقيلي في سجن أصفهان من أيام السلطان ملكشاه فلما توفى السلطان سنة ٤٨٥ هـ قامت زوجته تركان خاتون بإطلاق سراحه من السجن بمساعدة السيدة صفية عمة السلطان ملكشاه زوجة إبراهيم بن قريش فعاد إلى الموصل بصحبة زوجته علي أن يقوم بأمر إبنها علي بن مسلم بن قريش (كانت سابقاً زوجة لمسلم بن قريش العقيلي) والعمل معاً على تثبيت أمره في الجزيرة وانتزاعها من محمد بن مسلم بن قريش وابن جهير[١٣].

والذي يتضح أن إبراهيم بن قريش وزوجته وابن أخيه علي تحالفوا مع تركان خاتون على العمل

معاً على طاعة إبنها محمود بعدما رضي الخليفة المقتدي بأمر الله به سلطاناً على السلاجقة لذلك أطلقت سراح إبراهيم وسيَّرته إلى الجزيرة ليخطب لابنها فيها.

جمع إبراهيم بن قريش حوله جموعاً كبيرة من بني عقيل واستطاع هزيمة ابن أخيه محمد بن مسلم بن قريش واستولى على ما بيده من البلاد في الجزيرة ومن ضمنها الموصل(١٤)، ثم توجَّه إلى ديار بكر ليكمل سيطرته على الجزيرة وكان على ديار بكر أبوالحسن بن الكافي بن جهير من أيام السلطان ملكشاه(١٥) وفي هذه الأثناء كان تتش بن السلطان ملكشاه يتقدم إلى الجزيرة ليفرض سيطرته عليها ضمن سياسته الداعية إلى فرض نفسه على السلطنة السلجوقية، فراسل إبراهيم بن قريش وطلب منه أن يقدم له الطاعة فرفض ابن قريش طلبه فسار تتش إليه بجيوشه فاستولى على الرحبة ونصيبين والموصل وتقدم إليه إبراهيم بن قريش فاقتتلا قتالاً شديداً في موضع يُعرف بالمضيَّع في الجزيرة، فانكشفت المعركة عن مقتل إبراهيم بن قريش وهزيمة عساكره من بني عقيل(١٦) ثم أعاد تتش ترتيب الأوضاع في الجزيرة فأقام على الموصل ونواحيها علي بن مسلم بن قريش وأقام محمد بن مسلم بن قريش على نصيبين ونواحيها على أن يكونا نائبين عنه في هذه البلاد(١٧) ثم توجه إلى ديار بكر فاستولى عليها في ربيع الأول سنة ٤٨٦ هـ واستوزر أباالحسن الكافي بن جهير الذي كان متولياً من أيام أخيه السلطان ملكشاه(١٨).

وهكذا استطاع تتش أن يستولي على الجزيرة بأكملها بهذه السرعة إضافة إلى ما بيده في بلاد الشام، فأصبح يشكل خطراً حقيقياً على السلطان السلجوقي الشرعي محمود بن السلطان ملكشاه، ولا شك أن هذا التصرف يعتبر تجاوزاً لحقه وبادرة خطيرة في العُرف السلجوقي والعباسي بفرض نفسه بالقوة المسلحة بالرغم من تتويج ابن أخيه على السلطان والدعوة له في العراق وأصفهان واعتراف الخليفة العباسي بذلك، وقد سبق للخليفة أن اعترض على سلطنة تتش ولكنه لم يأبه لذلك وخرج لتحقيق رغبته ضارباً بمعارضيه عرض الحائط.

* مسيرة تتش إلى أصفهان للجلوس على عرش السلطنة فيها :-

توجه تتش بعد ذلك إلى نواحي أذربيجان ليكمل سيطرته على هذه المناطق تمهيداً للوصول إلى أصفهان عاصمة السلاجقة وكان معه أمراء الشام والجزيرة(١٩) ففوجيء أثناء سيره بإنفصال صاحب الرها وصاحب حلب عنه فقد راسلهما برقياروق وحرضهما على تتش وأمدهما بوالٍ جديد لبلاد الجزيرة هو كربوغا ومعه عساكر كبيرة من التركمان فانفصلا عنه وعادا إلى حلب معلنين إنضمامهما إلى برقياروق بن السلطان ملكشاه سنة ٤٨٧ هـ(٢٠).

انعكس هذا الموقف الجديد على تتش وأضعف من موقفه كثيراً فانسحب عائداً إلى دمشق لتعزيز قواته من جديد(٢١).

ولا ريب أن انفصال الأمراء عن تتش يُعد نكسة كبيرة له وإضعافاً لموقفه، لهذا فضَّل العودة إلى دمشق ليكمل استعداداته فيها، ولم يترك الفرصة تضيع منه فخرج مسرعاً في نفس السنة ٤٨٧ هـ إلى

نواحي حلب لمواجهة الحلف الجديد فالتقى بهم قرب حلب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت قوات الأمراء بعد أن أسر قادتهم الثلاثة، فأمر تتش بقتل بوزان وقسيم الدولة أقسنقر، بينما أرسل كربوغا إلى سجن حمص، ثم استولى تتش على حلب وقلعتها(٢٢).

عمل تتش على تنظيم البلاد التي أعاد سيطرته عليها في الشام والجزيرة وتابع سيره إلى أذربيجان ليصفي الحساب مع أبناء أخيه الذين ينافسونه على السلطان، بعد أن قوي أمره كثيراً وانضم إليه عدد كبير من التركمان أنصار برقياروق(٢٣).

أراد تتش أن يستغل أنصار تركان خاتون أرملة أخيه فراسلها واتفق معها على الزواج وتواعدا على اللقاء والتعاون، فقدمت إليه فماتت في الطريق فتفرقت عساكرها وانضم أكثرهم إلى برقياروق(٢٤).

قوي برقياروق بعد وفاة الخاتون فتوجه إلى أصفهان، فاستقبله أهلها على سبيل الخديعة فقبضوا عليه ريثما يتبين مصير محمود وكان مريضاً، فتوفى فجأة، فأُخرِجَ برقياروق من السجن وأُقيم سلطاناً بأصفهان(٢٥).

وأعتقد أن وفاة الخاتون الفجائية، ثم وفاة ابنها محمود لم يكن من قبيل الصدفة إنما أُرجح أن يكون أنصار برقياروق قد تآمروا عليهما فقتلوهما بالسم للتخلص منهما، لا سيما بعد ميل الخاتون إلى تتش ورغبتها في الزواج منه، ويقوي هذا الرأي، أن برقياروق توجه إلى أصفهان وأقام فيها قبل وفاة محمود مما يدل على أن لبرقياروق أنصاراً هناك استدعوه إليهم لينصبوه عليهم وقد تم ذلك.

لم يتردد الخليفة المقتدي بأمر الله بالخطبة لبرقياروق فأعلن اعترافه به ولقبه بركن الدين وأمر أن يخطب له في مساجد بغداد إلاّ أن أيامه لم تطل فمات وتولى أمر الخلافة بعده ابنه المستظهر بالله فخطب لبرقياروق أيضاً سنة ٤٨٧ هـ(٢٦).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن تتش أرسل إلى الخليفة الجديد المستظهر بالله ليعترف به، فخطب له ببغداد واعترف به سلطاناً على السلاجقة(٢٧) إلاّ أن رواية أُخرى تقول أن الخليفة تردد في الخطبة له والاعتراف به ريثما تنحسم الأمور بصورة أوضح بينه وبين ابن أخيه برقياروق، فبقي وفد تتش ومن معه من العساكر خارج بغداد يحرق ويخرب وينهب السكان الآمنين(٢٨) وأعتقد أن هذا الرأي أقرب إلى الصحة من الرأي الأول إذ أن الخليفة اعترف بالسلطان برقياروق بعد وفاة أخيه، فمن غير الممكن أن يعترف بتتش سلطاناً آخر على السلاجقة، مع أن الميل إلى برقياروق أقوى إذ كان النفور قوياً من تتش لمواقفه العدائية السابقة وأعمال القتل والتخريب التي قام بها في الشام والجزيرة.

أوصى تتش لابنه رضوان كي يلحق به وكان بدمشق، فجمع ما تبقى من العساكر التركمانية وخرج بها لمساعدة أبيه(٢٩) غير أن تتش سار بقواته قبل وصول ابنه إليه إلى نواحي الري فالتقى هناك بقوات برقياروق في المحرم سنة ٤٨٨ هـ فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً، فانكشفت المعركة عن مقتل تتش وهزيمة قواته هزيمة نكراء(٣٠).

يمكننا القول الآن أن الجو قد صفا لبرقياروق دون منازع بعد سلسلة من الحروب الطاحنة دارت بينه وبين معارضيه وراح ضحيتها كثير من الأمراء والعساكر من كلا الطرفين.

وفي الحق أن تتش قد ارتكب أعمالاً قبيحة وسابقة خطيرة في تاريخ السلاجقة بخروجه على السلطان الشرعي بعد اعتراف الخليفة العباسي به، إذ أصبحت صراعات السلاجقة على السلطنة سُنَّة لهم فيما بعد ثم بدأت هيبتهم تنكمش تدريجياً حتى زالت وانتهت، ولقد تمادى تتش في عصيانه بالرغم من تحذيرات الخليفة المقتدي بأمر الله له، فلم يُقْدِم على هذا العمل أحد من السلاجقة قبله، فقد حرصوا على تقديس الخليفة وعدم مخالفته باعتباره خليفة المسلمين.

كما ارتكب تتش جريمة أُخرى في حق الزعامة العربية في الجزيرة فأقدم على قتل إبراهيم بن قريش العقيلي لأنه رفض طاعته وهي أول مواجهة بين الزعامة العقيلية والسلاجقة في الجزيرة، إذ كثيراً ما تحاشى السلاجقة هذه المواجهة قبل تتش، فكان سلاطينهم يسايرونهم ويرضونهم بشتى الوسائل والطُرق باعتبارهم أبناء البلاد وأهلها فلم يغضبوهم كما رأينا خلال حملات سلاطينهم العظام طغرلبك وأرسلان وملكشاه. ورغبوا في الحصول على تأييدهم ريثما تستقر لهم الأُمور في هذه البلاد.

* سلاجقة الشام بعد مقتل تتش سنة ٤٨٨ هـ :-

كان رضوان بن تتش قد خرج من الشام ليلحق بأبيه في نواحي الري، إلاّ أن الأخبار جاءته وهو في الطريق بمقتل أبيه وهزيمة جيشه على يد السلطان برقياروق فقفل عائداً إلى حلب[٣١].

ويرى بعض المؤرخين أن رضوان بن تتش استولى أثناء مروره على الرها في الجزيرة ومنحها لياغي سيان صاحب أنطاكية وكان معه ثم قصد إلى سروج[٣٢] ليضمها إليه أيضاً فسبقه إليها سقمان بن أرتق وكان بصحبته أيضاً فاستولى عليها وضمها لنفسه فتركها رضوان له وتابع سيره في نواحي الجزيرة ليفرض نفسه عليها[٣٣].

بينما يرى آخرون أن رضوان توجه إلى حماة أولاً فملكها[٣٤] ثم توجه إلى حلب فتسلمها من نائب أبيه فيها أبوالقاسم الحسن الخوارزمي، ثم سار بعد ذلك إلى ديار بكر ومعه سقمان بن أرتق وياغي سيان صاحب أنطاكية فأخذ الرها وسلمها لياغي سيان وتوجه سقمان بن أرتق إلى سروج فاستولى عليه وأقام فيها[٣٥] وقد ذكر هؤلاء المؤرخون أنه كان بصحبة رضوان في هذه الحملة أتابكه وزوج أمه جناح الدولة حسين فوقع نفور بينه وبين ياغي سيان بسبب إمتلاكه الرها فافترق الاثنان فتوجه سيان إلى أنطاكية وعاد جناح الدولة مع رضوان إلى حلب[٣٦].

أما ابن العديم فيرى أن ياغي سيان تآمر على قتل جناح الدولة حسين، فانكشفت مؤامرته فانفصل عنهم واتجه إلى أنطاكية[٣٧]. وأعتقد أن رضوان بن تتش عاد إلى حلب أولاً فرتب أوضاعها ثم خرج بعد ذلك إلى الجزيرة ومعه أُمراؤه ليضمها لنفسه لأنه كان يهمه بالدرجة الأولى أن يؤمِّنَ نفسه في حلب قبل أي شيء آخر ثم يضيف إليه بعد ذلك مزيداً من البلاد تدعيماً لمركزه في الشام.

* عودة دقاق بن تتش إلى دمشق وحكمه فيها :-

كان دقاق (الابن الثاني لتتش) مع أبيه في المعركة التي قتل فيها قرب الري فعاد مع بقية عساكر أبيه إلى حلب[٣٨] ثم أوصى له نائب أبيه في دمشق الأمير ساوتكين الخادم بالقدوم إليه لتأمين إمارة دمشق له، فخرج من حلب سراً وخوفاً من أخيه رضوان ودخل دمشق واستولى على زمام الأمور فيها[٣٩] وبعد فترة لحق به أتابكه وزوج أمه الأتابك طغتكين[٤٠]. وكان أسيراً بيد عساكر برقياروق في المعركة التي قُتل فيها تتش فهرب من الأسر وانضم إلى خدمة دقاق بدمشق سنة ٤٨٨ هـ[٤١]. وفي رواية للفارقي تخالف جمهور المؤرخين أن دقاق كان في ميافارقين بديار بكر والياً عليها من قِبل تتش، وعندما علم بمقتل تتش قرب الري رحل إلى دمشق وانضم إلى دقاق[٤٢].

وأعتقد أن رواية جمهور المؤرخين أصح من هذه الرواية إذ أن أغلبهم عاصر هذه الأحداث، ثم أنه لو كان والياً على ميافارقين لما تخلى عنها بهذه السرعة وعاد إلى دمشق بمجرد عودة دقاق إليها، بل أنه كان من الأفضل له لو كان بميافارقين أن يبقى والياً عليها خاصة أن ولي أمره تتش قُتِلَ وانتهى.

وعندما علم رضوان بن تتش بخروج أخيه دقاق سراً من حلب لحق به ليمنعه ففاته إلى دمشق واستقر فيها[٤٣].

رجع رضوان إلى حلب وجمع أعوانه وعساكره وعزم على مهاجمة دمشق لانتزاعها من أخيه والقبض عليه سنة ٤٨٩ هـ ولكنه فشل في تحقيق هدفه لمناعة دمشق والتفاف عدد كبير من التركمان حول دقاق وطاعتهم له[٤٤] كما انضم ياغي سيان صاحب أنطاكية إلى دقاق وحرضه على أخيه رضوان وأقنعه بمهاجمة حلب، فسارا معاً سنة ٤٩٠ هـ، ولما علم رضوان بذلك استعان بسقمان بن أرتق صاحب سروج وابن أخيه سليمان بن إيلغاي صاحب سميساط[٤٥] فخرجا لنجدته، فالتقت عساكر الأخوين قرب قِنسرين نواحي حلب، وجرى قتال بين الطرفين، فانهزمت عساكر دقاق إلى دمشق، ثم جرى مراسلات بين الأخوين انتهت بصلح بينهما على أن يخطب دقاق لأخيه رضوان قبله بدمشق بعد السلطان السلجوقي برقياروق[٤٦].

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الخليفة الفاطمي المستعلي بالله استغل نزاع الأخوين فراسل رضوان بن تتش ووعده بالنصرة على أخيه، على أن يخطب له في حلب وأعمالها فرضي رضوان بذلك[٤٧] غير أن هذا العمل لم يستمر أكثر من أربع جُمع حيث عاد رضوان وعدل عن رأيه وأعاد الخطبة للخليفة العباسي والسلطان برقياروق ولنفسه بعدهما واعتذر عما بدر منه وذلك بفضل تدخل بعض الأمراء التركمان[٤٨].

من هنا تظهر الفردية المطلقة في حكم الامارات السلجوقية في الشام إذ لم يكن يربطهم بسلطانهم السلجوقي في أصفهان سوى أن يخطبوا له في مساجدهم أو الاعتراف الاسمي به فإذا ما رغبوا عنه تحولوا إلى غيره في أي وقت يشاؤون حسب ما تتطلب المصالح الشخصية في توطيد الحكم، ثم أن دقاق ورضوان رغب كل واحد منهما ببلاد الآخر طمعاً في السلطة والنفوذ واشتعلت

الحرب بينهما بدون مراعاة لرابطة الاخوة مما أضعفهما وجعلهما هدفاً مستساغاً للصليبيين الذين جاءوا لبلاد الشام في هذه الفترة.

لم يبد دقاق بن تتش أية نشاطات توسعية بعد هدنته مع أخيه، سوى رحلة قام بها إلى ديار الجزيرة سنة ٤٩٣ هـ واطمأن على أوضاع الرحبة وميافارقين وكانتا له من أيام أبيه فرتب شؤونهما وجعل عليهما من يحفظهما ثم عاد إلى دمشق[٤٩] وفي أثناء غيابه كان ينوب عنه بدمشق أتابكهُ طغتكين فاتصل به القاضي ابن صليحة أبومحمد عبيدالله بن منصور صاحب جبلة[٥٠] وطلب منه العون على الفرنج الذين كانوا يضايقونه فأرسل له طغتكين ابنه بوري ومعه بعض فرسان التركمان، فسلمه ابن صليحة البلد وخرج منها إلى بغداد إلّا أن أيام بوري لم تطل لكثرة ظلمه وبطشه بالأهالي حين شكوا أمره إلى فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس فقدم لهم العون وأخرجوه من المدينة ورجع هو وعساكره إلى دمشق[٥١].

أُصيب دقاق بمرض أقعده سنة ٤٩٧ هـ وتوفي فيه في شهر رمضان من هذه السنة وقد ذكر المؤرخون أن سبب وفاة دقاق يعود إلى تآمر أُمه عليه (زوجة طغتكين) حيث تدبرت الأمر مع زوجها للتخلص من ابنها ولينفرد طغتكين بالحكم فوضعت له السم في عنقود عنب فأكل منه فكان سبب موته[٥٢] ولا شك أن في هذه الجريمة إذا صحت روايتها غرابة واضحة فكيف تقدم إمرأة على قتل ولدها لشهوة زوجها طغتكين في الحكم، وقد يكون من السابق لأوانه تقديم أدلة على صحة هذه الدعوى أو بطلانها قبل أن تنكشف نوايا طغتكين للرغبة في الحكم بعد وفاة دقاق، لا سيما أنه يوجد لدقاق من الاخوة والأبناء من هم أولى بالحكم من طغتكين.

* إمارة دمشق بعد وفاة دقاق بن تتش :-

انتقلت إمارة دمشق السلجوقية بعد وفاة دقاق إلى ابنه تتش حسب وصية والده وكان تتش طفلاً صغيراً لا يتجاوز السنة من عمره فتولى أمره ورعايته الأتابك طغتكين[٥٣]. وفي رواية لابن العديم أن رضوان بن تتش صاحب حلب سار إلى دمشق بعد وفاة أخيه وقرر الخطبة له والسكة باسمه في دمشق بالاتفاق مع الأتابك طغتكين ثم عاد إلى حلب سنة ٤٩٧ هـ[٥٤].

عدل طغتكين عن الدعوة بالامارة في دمشق للطفل الصغير تتش بن دقاق حسب وصية والده، إلى الدعوة لعمه ألتاش بن تتش (أخو دقاق) وكان سجيناً في بعلبك[٥٥] من أيام أخيه فأرسل إليه طغتكين بالقدوم إلى دمشق فجاءها وأقام فيها ثلاثة أشهر فقط، ثم عزله طغتكين بنية العودة إلى ابن أخيه تتش والخطبة له في دمشق فخرج ألتاش إلى بغدوين صاحب بيت المقدس لكي ينصره على طغتكين فلم ينظر إليه، وهلك بعد ذلك ولم يُترك له شأن يُذكر[٥٦] ثم انفرد طغتكين بحكم الامارة السلجوقية في دمشق، ولم يذكر تتش بن دقاق بعد ذلك في الحكم، وانقطع حكم آل تتش السلجوقي من دمشق وانتقل بصورة فعلية إلى طغتكين وذريته من بعده وسيأتي تفصيل ذلك في فصل أتابكة الشام فيما بعد إن شاء الله، وهذا ما يقوي الرأي القائل بوجود مؤامرة على تتش السلجوقي للتخلص منه وإحلال طغتكين وأبنائه من بعده.

أما فيما يتعلق بألتاش بن تتش السلجوقي فأعتقد أن طغتكين تآمر ليقبض عليه فشعر ألتاش بذلك وهرب من دمشق متجهاً إلى ملك الفرنج ببيت المقدس ليعينه على طغتكين فلم ينظر إليه لعدم الجدوى من ذلك.

* إمارة رضوان بن تتش السلجوقي في حلب :-

تقدم أن الأمير رضوان بن تتش عمل ما في وسعه كي يتوسع في الجزيرة والشام بعد عودته إلى حلب، وحاول أن يأخذ دمشق من أخيه دقاق واستعان بالفاطميين لتحقيق أمنيته، ورضي لنفسه أن يخطب لهم في بلاده، وأدار ظهره لبني جنسه من آل سلجوق، ولم تطل مدة تحالفه مع الفاطميين، فقد تراجع عن موقفه معهم وأعاد الولاء والطاعة للسلطان السلجوقي بركياروق والخليفة العباسي المستظهر بالله، واعتذر لهما عما فعل، ربما لأنه أحس بخطورة ذلك على نفسه، ثم رضي بعد ذلك من أخيه دقاق أن يقدمه على نفسه بالخطبة له على منابر دمشق بعد الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي.

ويُستنتج من مواقف رضوان السلجوقي أنه كان يعمل مُلكاً لنفسه مهما تعارض ذلك مع المبادىء والقيم التي نادى بها آل سلجوق عند مجيئهم إلى بغداد.

وقد أضاف رضوان إلى أعماله القبيحة السابقة أعمالاً أُخرى جعلت الناس ينفرون منه ويكرهونه ويتمنون زواله من حلب ذلك أنه أقدم على قتل أخويه أبي طالب وبهرام كي يتخلص منهما وينفرد بإمارة أبيه، وكان أخواه قدما معه إلى حلب بعد مقتل أبيهم قرب الري سنة ٤٨٨ هـ[٥٧].

بدأ أُمراء رضوان يهربون منه خشية على أنفسهم بعد ما فعله باخوته فانفصل عنه يوسف بن آبق التركماني[٥٨] ومعه بعض العساكر التركمانية وتوجه بهم إلى أنطاكية، ثم طلب العفو فيما بعد من رضوان فسمح له بالعودة إلى حلب، لكنه تآمر عليه وأمر أحد أعوانه بقتله ويدعى بركات بن فارس الملقب بالمجن الحلبي (المجن الفوعي)، وقد ذكر ابن العديم وغيره أن المجن الحلبي من أولاد الديلم الذين كانوا في حلب من أيام سيف الدولة الحمداني، وأنه كان من جملة قُطاع الطرق بحلب وذو معرفة بأحوال اللصوص فاستعان به رضوان وسلمه رئاسة حلب ثم انقلب عليه واتهمه بالظلم والعصيان فأمر بالقبض عليه وقتله وأقام مكانه رجلاً آخر يُقال له صاعد بن بديع[٥٩].

كما أن أتابك رضوان وزوج أُمه جناح الدولة حسين خاف منه على نفسه فهرب إلى حمص سنة ٤٨٩ هـ وكانت إقطاعاً له وينوب عنه فيها قراجة الساقي فسلمها له وأقام مستقلاً فيها[٦٠].

وزاد نفور الناس وكرههم لرضوان في حلب أنه سمح للباطنية في الشام بالعمل لمبادئهم وتستر عليهم واستعان بهم على تصفية خصومه ومعارضيه، وكان أول ضحاياهم أتابكهُ الأول جناح الدولة حسين صاحب حمص، إذ تمكنوا من اغتياله سنة ٤٩٦ هـ بينما كان يستعد لمجاهدة الفرنج نواحي طرابلس الشام[٦١] فأرسل أعيان حمص إلى دقاق بن تتش صاحب دمشق ليسلموا إليه المدينة بسبب كرههم لرضوان لاستعانته بالباطنية فأرسل نائبه آيتكين الحلبي فاستولى على المدينة ورتب شؤونها نيابة عن دقاق[٦٢].

ونستنتج أن رضوان بن تتش لجأ أخيراً إلى الاستعانة بالباطنية لإرهاب الناس بهم، بعدما انعدمت الثقة بينه وبين عامة الناس فاتخذهم وسيلة لحماية نفسه ومُلكه.

ويرى ابن العديم أن مبارك بن شبل الكلابي زعيم قبيلة بني كلاب بنواحي حلب استغل هذه الأوضاع وحاول استرجاع ما فقدته الزعامات العربية، فبدأ بالاعتداء على زروع حلب ومواشيها لإثارة الفوضى والاضطراب غير أن أعماله هذه لم تثمر شيئاً سوى زيادة الفقر والمآسي للأهلين والمزارعين(٦٣).

وأستطيع أن أُقرر أن إمارة رضوان السلجوقية في حلب كانت فترة قاسية على عامة الناس في الشام فتدهورت معنوياتهم وانعدمت الثقة بين الرئيس والمرؤوس، وابتلى أهل البلاد بالفقر حتى قال عنهم ابن العديم أنهم أكلوا المِيتات لشدة البلاء(٦٤).

ومن هنا تظهر حالة الضعف التي أُصيب بها المسلمون أثناء قدوم الصليبيين على بلاد الشام في هذه الفترة، فقد كانت هذه البلاد مصابة بالشلل التام، ولم تستطع أن تفعل شيئاً لرد الحملات الصليبية، بل إن رضوان بن تتش السلجوقي أدار ظهره لحملات الجهاد التي رفع رايتها بعض الأمراء السلاجقة في الجزيرة مثل كربوغا سنة ٤٩١ هـ والأمير مودود بن التونتكين سنة ٥٠٥ ـ ٥٠٦ هـ(٦٥) وقد وصفه أبو الحسن الأتابكي بقوله : ((وكان «رضوان» ظالماً بخيلاً شحيحاً قبيح السيرة ليس في قلبه رأفة ولا شفقة على المسلمين وكانت الفرنج تغاور وتسبي وتأخذ من باب حلب ولا يخرج إليهم))(٦٦).

* وفاة رضوان بن تتش سنة ٥٠٧ هـ ومصير إمارة حلب بعده :-

توفي الأمير رضوان بن تتش السلجوقي في جمادى الآخرة من سنة ٥٠٧ هـ فأُقيم ابنه ألب أرسلان (المسمى بالأخرس) لتمتمة بلسانه، ولم يكن له من الأمر شيء، وإنما تولى مقاليد الأمور أحد مماليك أبيه ويدعى «لؤلؤ الخادم»(٦٧) وفي رواية للقرماني أن لؤلؤ الخادم أشرف على رعاية ألب أرسلان بن دقاق الذي أُقيم مكان عمه رضوان بحلب(٦٨)، وهذا خطأ إذ أن ألب أرسلان الأخرس ابن لرضوان وليس إبناً لدقاق فلم يكن لدقاق شأن بحلب كما تقدم.

خلف ألب أرسلان أباه رضوان وعمره ست سنوات فقلَّد أباه بالأعمال القبيحة، فأقدم على قتل أخويه ملكشاه ومبارك كي ينفرد بالسلطان(٦٩) ثم أنه رأى أن إمارته بحاجة إلى مساعدة من يضبط شؤونها فاستعان بالأتابك طغتكين صاحب دمشق فراسله وطلب معونته وسار إليه بدمشق في شوال سنة ٥٠٧ هـ فاستقبله طغتكين وأكرمه غاية الاكرام وأقام عنده أيام ثم عاد إلى حلب مصطحباً طغتكين معه، فأقام عنده عدة أيام نظم له شؤون إمارته، ثم عاد طغتكين إلى دمشق وبصحبته والدة الملك رضوان بن تتش حيث أقامت عنده بدمشق(٧٠).

زادت أوضاع حلب سوء لإنهماك لؤلؤ الخادك وألب أرسلان في المعاصي وسفك الدماء(٧١) ثم أرسل لؤلؤ الخادم ثلاثة غلمان فقتلوا ألب أرسلان في فراشه سنة ٥٠٨ هـ ليستأثر بحكم حلب(٧٢)

وأقام مكانه أخاه السلطان شاه بن رضوان، وهو طفل صغير لا يزيد عمره عن ست سنوات، فاستولى لؤلؤ الخادم على أموره كلها، حتى جاء الأراتقة إلى حلب وأخذوها منه سنة ٥١١ هـ(٧٢) وسيأتي الحديث عنهم ضمن أتابكة الشام في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى. والذي يتضح لي أن لؤلؤ الخادم، هو الذي كان من وراء المؤامرة التي راح ضحيتها ملكشاه ومبارك ابنا رضوان لكي يستأثر بالحكم، وعندما لاحظ التقارب بين إلب أرسلان وطغتكين صاحب دمشق واستوحش من هذا الأمر تآمر على إلب أرسلان وتخلص منه وأقام مكانه أخاه الصغير ليخلو له الجو بالحكم ويقطع العلاقات بطغتكين صاحب دمشق، وقد نجح لؤلؤ الخادم في ذلك وقبض على مقاليد الأمور في حلب وعزل سلطان شاه بن رضوان عن شؤون الامارة فلم يرد له شأن يُذكر فيما بعد.

وهكذا انتهت زعامة آل تتش السلجوقي عن حلب بعد أن أغرقوا البلاد بالمفاسد والفتن ولم يقدموا للأمة الاسلامية شيئاً تفخر به، وخاصة أنهم جاءوا في أصعب الأوقات التي مرت بالمسلمين، حين غزا الصليبيون بلاد الاسلام.

فتتش بن السلطان ألب أرسلان كان عهده عهد تمرد على السلاطين وسفك الدماء لأبناء قبيلته طمعاً في السلطنة السلجوقية عاصياً للخليفة العباسي وأغلبية العائلة السلجوقية، وقد افتتح عهده بالشام، بقتل أتسز بن أوق الخوارزمي صاحب دمشق سنة ٤٧١ هـ فقتله ظلماً وغدراً، ثم جاء أبناؤه رضوان ودقاق من بعده فاقتسموا إمارة أبيهم فيما بينهم فازدادت البلاد في عهدهم سوء واضطراباً، وانشغلوا بقتال بعضهم بعضاً فخيبوا آمال المسلمين بهم، فأفاد الصليبيون من خلافاتهم وأقاموا لهم إمارات صليبية في الشام والجزيرة بينما كان رضوان ودقاق مشغولين بخلافاتها الداخلية طمعاً في توسيع مُلك أحدهما على حساب الآخر، ثم انقطع حكمهم عن الشام وانتقل إلى أتابكتهم يتوارثونها فيما بينهم، ويُعتبر حكم الأتابكة للشام إمتداداً لحكم السلاجقة إذ كانوا أمراء لهم في هذه البلاد، فحكموا بإسمهم وبرضاهم كما سيأتي.

القسم الثاني
(سلاجقة الجزيرة)

* إمارة كربوغا على الجزيرة.
* الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام سنة ٤٩٠ هـ وموقف السلاجقة منها.
* جهاد الأمير كربوغا السلجوقي سنة ٤٩١ هـ.
* وفاة الأمير كربوغا سنة ٤٩٤ هـ.
* ولاية الأمير جكرمش على الجزيرة سنة ٤٩٥ هـ.
* حملة السلطان محمد السلجوقي على الموصل سنة ٤٩٨ هـ.
* ولاية الأمير جاولي سقاوو على الجزيرة سنة ٥٠٠ هـ.
* إمارة مودود بن التونتكين على الجزيرة سنة ٥٠٢ هـ.
* جهاد مودود بن التونتكين ضد الصليبيين.
* حملة مودود بن التونتكين على الفرنج نواحي دمشق سنة ٥٠٦ هـ.
* إمارة أقسنقر البرسقي على الجزيرة سنة ٥٠٨ هـ.
* حملة السلطان محمد السلجوقي على الشام سنة ٥٠٩ هـ.
* ولاية جيوش بك السلجوقي على الجزيرة سنة ٥٠٩ هـ.
* ولاية البرسقي الثانية على الجزيرة سنة ٥١٥ هـ.
* حملة البرسقي على حلب سنة ٥١٨ هـ.
* مقتل البرسقي سنة ٥٢٠ هـ.

* إمارة كربوغا على الجزيرة :ـ

تقدم أن الأمير السلجوقي كربوغا جاء إلى الجزيرة سنة ٤٨٧ هـ من قِبل السلطان برقياروق ليكون والياً على الجزيرة، وليصد تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي أمير سلاجقة الشام، الذي أعلن عصيانه وخروجه ليطلب السلطنة لنفسه، وكان معه أقسنقر البرسقي صاحب حلب وبوزان صاحب الرها، ولكن هذين الأميرين أعلنا إنضمامها لكربوغا وأطاعا برقياروق فقابلهم تتش وهزمهم قرب حلب، وقتل صاحب حلب وصاحب الرها، وقبض على كربوغا ووضعه في سجن حمص(٧٤).

ولما قُتل تتش على يد السلطان برقياروق قرب الرها، وتولى رضوان بن تتش إمارة حلب، أرسل برقياروق إلى رضوان يطلب منه أن يُطلق سراح كربوغا من السجن فأجابه(٧٥) ثم توجه كربوغا إلى الجزيرة سنة ٤٨٨ هـ، وبدأ يجمع حوله التركمان ثم سار إلى نصيبين وحران فاستنصره محمد بن مسلم بن قريش العقيلي على أخيه علي بن مسلم، وكان محمد بنصيبين بينما كان أخوه مع أمه في الموصل من أيام تتش، فاستجاب كربوغا إلى محمد بن مسلم ولكنه قبض عليه بعد أن أخذ منه نصيبين(٧٦).

اتجه كربوغا إلى الموصل وبقبضته محمد بن مسلم العقيلي سنة ٤٨٩ هـ فبدأ بحصارها ليأخذها من علي بن مسلم العقيلي، إلاّ أنها امتنعت عليه، فرحل عن الموصل إلى بلد(٧٧) فأخذها وأقدم على قتل محمد بن مسلم العقيلي تخلصاً منه ثم عاد إلى الموصل فاستولى في طريقه على حران وأناب فيها أحد أصحابه(٧٨) ويُعتقد أن هذا النائب هو قراجة، لأن ابن الأثير ذكره في أحداث سنة ٤٩٥ هـ بأنه تحكّم في المدينة بعد مقتل كربوغا سنة ٤٩٤ هـ(٧٩).

حاصر كربوغا الموصل مرة ثانية، مدة تسعة أشهر فاستنجد علي بن مسلم بن قريش بالأمير جكرمش السلجوقي صاحب جزيرة ابن عمر(٨٠) فخرج لنجدته على كربوغا، إلاّ أن جكرمش استشعر القوة من كربوغا فتراجع إلى جزيرته، ثم انضم إليه في حصار الموصل حتى استسلمت له وخرج علي بن مسلم بن قريش بنفسه إلى الحلّة طرف صاحبها صدقة بن مزيد الأسدي(٨١).

خرج كربوغا من الموصل ليكمل سيطرته على سائر أنحاء الجزيرة فاتجه إلى ديار بكر وحاصر آمد وكانت لأحد الأمراء الأتراك فأخذها منه(٨٢) ثم سار إلى ماردين فاستولى عليها أيضاً(٨٣) ثم انحنى إلى الرحبة فأخذها وأناب عنه فيها أحد أمرائه ويُدعى قايماز التركماني ثم عاد إلى الموصل(٨٤).
وهكذا يكون الأمير كربوغا قد استولى على ديار الجزيرة وخطب فيها للسلطان برقياروق والخليفة العباسي.

* الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام سنة ٤٩٠ هـ وموقف السلاجقة منها :ـ

تدفق الفرنج بأعداد هائلة وبما يقرب من مليون جندي قاصدين بلاد المسلمين في نواحي الشام بقيادة بعض الأمراء والزعماء، وقد توجه هؤلاء بعساكرهم عبر القسطنطينية سنة ٤٩٠ هـ بعد أن

سمح لهم امبراطور البيزنطيين بالمرور من بلاده[٨٥].

وقد وصف ابن الأثير كثرتهم بقوله : ((ولو أنهم بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام))[٨٦].

تصدى لهذه الحملة قبل أن تدخل بلاد الشام، الأمير السلجوقي قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب الامارة السلجوقية ببلاد الروم (وعاصمتها نيقية كما تقدم) لكن الجيش الصليبي استطاع أن يمزق جيشه ويهزمه شر هزيمة وتابع سيره تجاه أنطاكية[٨٧].

وأستطيع أن أقرر أن مظاهر الضعف السلجوقي ظهرت منذ هذه اللحظة التي تصدى فيها قليج أرسلان للحملة الصليبية الأولى دون أن يجد أية مساعدات أخرى من أية جهة إسلامية، ولو أن السلاجقة اتحدوا فيما بينهم وكوّنوا جيشاً لإمداد سلاجقة الروم لأمكن هزيمة الصليبيين قبل أن يجتازوا بلادهم إلى ديار المسلمين، لكن شيئاً من هذا لم يحصل، إذ كان التنسيق المشترك مفقوداً بين السلاجقة بسبب إنشغالهم في حروب جانبية فيما بينهم على السلطنة السلجوقية أو الامارات التي أقاموها في بلاد الشام والجزيرة، فأفاد الفرنج كثيراً من هذا التمزق وتدفقوا بسرعة إلى بلاد الشام والجزيرة فأقاموا فيها إمارات صليبية كما سيأتي.

كان ياغي سيان السلجوقي صاحب أنطاكية في حلب مشغولاً بالخلافات والأحلاف التي ظهرت بين الأخوين دقاق ورضوان ابني تتش أثناء نزاعهما على مُلك الشام بعد وفاة أبيهم تتش سنة ٤٨٨ هـ، ولما أحس ياغي سيان بالفرنج يقتربون من إمارته انفصل عن أصحابه وسار إلى أنطاكية[٨٨].

وتلك نقطة أخرى تؤخذ على أمراء الشام، حين تركوا ياغي سيان يعود وحده إلى أنطاكية ليواجه جيشاً جراراً لا يستطيع أن يقف في وجهه وحيداً، وظلوا منشغلين في خلافاتهم الداخلية، ولم يبدوا أية محاولات لإنهاء هذه الخلافات للتفرغ إلى مواجهة الزحف الصليبي القادم إليهم، وقد اعتقد هؤلاء الأمراء أن الصليبيين لن يتجاوزوا أنطاكية بل سيكتفون بها فقط، فقد راسل أمراء الحملة صاحب دمشق وحلب بأنهم لا يطلبون سوى أنطاكية مكراً منهم وخديعة حتى لا يخرجوا للمساعدة فيقول ابن الأثير : ((وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بأننا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكراً منهم وخديعة، حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكية))[٨٩].

وصلت القوات الصليبية إلى أنطاكية وبدأت حصارها فأرسل ياغي سيان ولديه إلى أمراء السلاجقة يطلب النجدة على الصليبيين فاتجه الأول إلى دقاق ورضوان وأمراء العرب في الشام بينما سار الثاني إلى الجزيرة يطلب النجدة من كربوغا[٩٠].

استمر حصار الصليبيين لأنطاكية ما يقرب من تسعة أشهر دون أن تصل أية إمدادات إسلامية تعين على فك الحصار أو مشاغلة الصليبيين عنها[٩١] وقد وقع بأيديهم أحد أبناء ياغي سيان فهددوا بقتله إذا لم يسلم أبوه المدينة، فرفض تهديدهم فقاموا بذبحه على مرأى من أهله أمام أسوار المدينة[٩٢]

كما عملوا أثناء فترة الحصار أبشع الجرائم وأسوأ أنواع التعذيب والتخريب لكل ما وصلت إليه أيديهم، حتى قبور الموتى نبشوها وعرضوها على الأهلين لكي يحبطوا معنوياتهم فيستسلموا لهم، ثم استطاعوا أخيراً الصعود على الأسوار واقتحام المدينة بواسطة أحد الحراس الأرمن[٩٣] ولما أحسّ ياغي سيان السلجوقي بدخول الفرنج آخر الليل فر مذعوراً بصحبة بعض الفرسان وانطلق مسرعاً للنجاة بنفسه ولم يستيقظ ويشعر بتقصيره وندمه إلاّ بعد أن ابتعد عدة أميال عن المدينة بعدما فاته الأوان فسقط عن فرسه، ولم يقوَ على الركوب لشدة ما أصابه فتركه أصحابه ونجوا بأنفسهم ومات ياغي سيان في مكانه كمداً سنة ٤٩١ هـ[٩٤].

ويرى بعض المؤرخين أن أرمنياً مرَّ عليه فوجده في الرمق الأخير فحز رأسه وسلمه إلى الفرنج[٩٥] بعد أن دخلوا المدينة وارتكبوا فيها أبشع الجرائم بإجماع المؤرخين، فقد ذكروا أن الفرنج قتلوا من أهل المدينة ما يقرب من مائة ألف مسلم[٩٦].

ومهما تكن الطريقة التي مات بها ياغي سيان فإن هذه النقطة ليست بذات بال إذا ما قيست بالصدمة التي أصابت المسلمين بسبب التلكؤ الذي بدا واضحاً في عدم تقديم المساعدات لأهل أنطاكية بالرغم من طول أمد الحصار، مما يدل على أن الوُلاة السلاجقة كانت لا تهمهم إلاّ مصالحهم الشخصية، وعدم إدراكهم لحقيقة الخطر الصليبي الداهم، ناهيك عن إنشغال العائلة السلجوقية الحاكمة، حيث انشغل السلطان برقياروق بقتال اخوته محمد وسنجر ما يقرب من خمس سنوات (٤٩٢ ـ ٤٩٧ هـ) وهي الفترة التي شهدت الزحف الصليبي على بلاد الشام[٩٧]، أما بالنسبة إلى الخليفة العباسي فإنني أعتقد أنه أُصيب بالحيرة فيما سيفعل، إذ سلم مقاليد الأمور لسلاطين السلاجقة وولاتهم، فوقعوا في ارتباك شديد وفوضى لا يمكن حلها بسبب النزاع الدائم على السلطان وطمع الأمراء بعضهم في البعض الآخر فخيبوا آمال المسلمين بالدفاع عن بلادهم بعد أن طرقوا باب الجهاد وفتحوا أبواباً عليهم لم يستطيعوا حمايتها أو رد الأعادي عن دخولها فيما بعد.

وقبل أن تصل طلائع الحملة الصليبية الأولى على أنطاكية، توجَّهت طائفة منها بقيادة بلدوين دي بورج البولوني إلى الرها في الجزيرة وكان غالبية أهلها من الأرمن فسلموا له المدينة سنة ٤٩١ هـ[٩٨].

ثم خرج إلى تل باشر[٩٩] والراوندان[١٠٠] فاستولى عليهما وأسس في هذه البلاد إمارة صليبية له والتي عُرفت بإمارة الرها الصليبية[١٠١].

من هنا تظهر خطة الصليبيين في اقتحام ديار المسلمين فقد قامت على تطويق هذه البلاد من ناحية الجزيرة وشمال الشام، فأنطاكية تعتبر بوابة الدخول إلى الشام بينما تعتبر الرها الدرع الواقي لها من ناحية العراق وفارس، مما يدل على أن قصد الفرنج من دخول الجزيرة وإقامة إمارة صليبية فيها لكي يشغلوا المسلمين من ناحية الشرق والشمال الشرقي وقطع طرق الامدادات التي يمكن إرسالها من تلك النواحي لمساعدة المسلمين في الشام.

* جهاد الأمير كربوغا السلجوقي سنة ٤٩١ هـ :-

كان الأمير السلجوقي كربوغا والياً على الجزيرة من قِبل السلطان برقياروق ويقيم في الموصل، فجمع عساكره لمجاهدة الصليبيين، وكاتب أمراء الشام لمساعدته فاجتمع إليه دقاق بن تتش صاحب دمشق وسقمان بن أرتق صاحب سرّوج وأرسلان تاش صاحب سنجار وجناح الدولة حسين صاحب حمص، وتغيب عنهم رضوان بن تتش صاحب حلب وتوجهوا جميعاً إلى أنطاكية في جمادى الآخرة سنة ٤٩١ هـ(١٠٢).

بدأ الأُمراء وعلى رأسهم كربوغا بحصار أنطاكية وكان الموقف في صالحهم، فقد ضاق الأمر كثيراً بالفرنج وانقطعت عنهم الامدادات، فأكلوا أوراق الشجر داخل أنطاكية كما أكلوا الميتات، فراسلوا كربوغا من أجل التسليم فرفض طلبهم قائلاً : ((لا تخرجون إلاّ بالسيف))(١٠٣) فأغلق عليهم باب التسليم وأجبرهم على الحرب، لكنه أخطأ فسمح لهم بالخروج من داخل المدينة للقتال وكانت هذه فرصتهم الوحيدة، فاندفعوا خارج الأسوار وكربوغا لا يتعرض لهم حتى يكتمل خروجهم غروراً بنفسه، فلما اجتمعت العساكر الفرنجية خارج أسوار المدينة وهي مجمعة على القتال، ولّت العساكر الاسلامية لا تلوي على شيء دون قتال(١٠٤).

ذُهل الفرنج لهذا الموقف الغريب وظنوا أن هذه الهزيمة خديعة لجرهم إلى أعماق الصحراء، فلم يتبعوا المسلمين، وعادوا إلى المدينة وكانت القلعة ما تزال بيد أحمد بن مروان ولم تستسلم، فلما رأى ما حل بعساكر المسلمين، سلَّم القعلة إلى الفرنج(١٠٥).

والحق أن حملة كربوغا انهزمت هزيمة نكراء وخيبت آمال المسلمين ورفعت معنويات الصليبيين بعدما أوشكت على الانهيار، خاصة أن هذه الحملة كانت بداية خير وبارقة أمل، وانني أُحمِّل جزءاً كبيراً من المسؤولية على كربوغا في هذه المأساة التي أصابت حملته، فقد كان مغروراً، متعالياً فأضمر أمراؤه الغدر به والتخلص منه كما ذكر المؤرخون (فخبثت نياتهم عليه)(١٠٦) ورفض قتال الفرنج أثناء خروجهم من أنطاكية وأصر أن يسمح لهم بالخروج أولاً واصطفافهم أمامه(١٠٧) بالرغم من إلحاح الأمراء المسلمين عليه أن يقاتلهم أولاً بأول قبل إكتمال خروجهم فرفض ذلك وقال أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم(١٠٨).

ولا شك أن هذا يدل على سوء تقديرات كربوغا للمعركة وآثارها، فقد منع إنسحابهم من أنطاكية إلى بلادهم عندما عرضوا عليه ذلك كما منع أصحابه من مقاتلتهم قبل خروجهم من المدينة واجتماعهم للقتال أمامه، وهذا منتهى الغرور والجهل الذي لا محل له في الحروب.

ويُضاف إلى أخطاء كربوغا، أن بقية الأُمراء كانت قلوبهم متنافرة لا يرضى أحدهم بزعامة الآخر، فالعرب نافرون من التركمان لما فعلوه ببلادهم، ودماء العقيليين والكلابيين ليست ببعيدة عن أذهانهم، مما جعلهم ينسحبون من المعركة راجعين إلى الملك رضوان صاحب حلب الذي تقاعس ولم يخرج لمساعدة الحملة(١٠٩).

وأستطيع أن أُقرر أيضاً أن سلاطين السلاجقة الذين كانوا مختلفين فيما بينهم على السلطان وهم برقياروق واخوته سنجر ومحمد بين السنوات ٤٩٢ ـ ٤٩٧ وخاضوا حروباً طويلة فيما بينهم وأربكوا المسلمين وأضعفوا الجبهة الاسلامية خلال هذه الحروب(١١٠) أقول أن هؤلاء يتحملون المسؤولية عن تقصيرهم بالخروج بأنفسهم لمواجهة الصليبيين، فإنه كان ينبغي عليهم أن يتناسوا خلافاتهم والخروج لمواجهة الخطر الذي أصبح يهدد المسلمين أولاً، ثم يتفرغوا بعد ذلك لمعالجة مشاكلهم الداخلية، وبعد حسم الصراع مع الصليبيين ثانياً.

وفي الوقت نفسه أضع لوماً كبيراً على رضوان بن تتش صاحب حلب لغيابه عن حملة كربوغا فقد رضي لنفسه أن يقبع داخل حدود إمارته خائفاً على نفسه.

واني أعتقد أن تنافر الأُمراء والقواد السلاجقة وفقدان التعاون والثقة فيما بينهم يعود إلى ذلك النظام الخاطىء الذي سار عليه سلاطين السلاجقة، بتعدد الأُمراء على البلاد وما سُمي بنظام الاقطاع(١١١) الذي طبقوه في إدارة البلاد التي تحت أيديهم مما جعلهم يفقدون السيطرة على هذه الاقطاعات وقد ساعد هذا النظام على انتشار الضغائن والأحقاد بين الأُمراء والقادة.

وأفاد الفرنج مما أصاب المسلمين ومما هم فيه من فُرقة وتمزق فاتجهوا إلى معرة النعمان فضربوا عليها الحصار، وكانت الروح المعنوية عند أهلها قد انهارت، بسبب ما أصاب المسلمين في أنطاكية، فتسلل حُماة الأسوار عن أماكنهم، واستطاع الفرنجة اقتحام المدينة بسهولة وأعملوا السيف في أهلها ثلاثة أيام، فقتلوا ما يقرب من مائة ألف مسلم وسبوا النساء وباعوا الرجال بسوق الرقيق في أنطاكية سنة ٤٩٢ هـ(١١٢).

وهكذا سقطت أهم المدن في شمال الشام، فقويت معنويات الفرنج فانتشروا على سواحل الشام ينهبون ويحرقون ويستولون على المدن والقرى فسقطت أفامية بأيديهم(١١٣) وصالحهم جناح الدولة حسين صاحب حمص وابن منقذ صاحب عِرْقَة(١١٤) على أموال يدفعونها لهم(١١٥) ثم تابع قادة الصليبيين مسيرتهم إلى بيت المقدس فاستولوا عليها من الفاطميين وقتلوا من أهلها ما يزيد على سبعين ألفاً بعد أن هرب منها الحاكم الفاطمي افتخار الدولة عائداً إلى القاهرة(١١٦) كما استولى الفرنج تباعاً على بعض المدن والحصون مثل سرّوج في الجزيرة بعد أن هزموا صاحبها سقمان بن أرتق سنة ٤٩٤ هـ(١١٧).

ويُلاحظ من خلال سقوط المدن الاسلامية بيد الفرنج، تلك الوحشية البالغة في القتل وسفك الدماء، فقد أجمع المؤرخون على أن الفرنج عندما دخلوا أنطاكية ومعرة النعمان وبيت المقدس، لم يميزوا بين رجل وإمرأة أو طفل وشيخ، أما الفاطميون، فلم ترد أية معلومات تشير إلى تحرك جيوشهم لمساعدة اخوانهم في الشام أثناء تعرضهم للابادة والتنكيل، وقد استغرقت هذه الأعمال مدة طويلة، كان يمكن للنجدات الفاطمية أن تصل إلى أي مكان في الشام، ولكنهم وقفوا موقف المتفرج، ربما تشفياً بما يحصل للسلاجقة على أيدي الفرنج لأنهم سلبوهم مواقعهم في الشام وقلصوا نفوذهم فيها، وعلى أية حال فالبلاد التي ضاعت بيد الفرنج هي إسلامية أولاً وأخيراً.

* وفاة الأمير كربوغا سنة ٤٩٤ هـ :-

خرج كربوغا من الموصل وانضم إلى محمد بن السلطان ملكشاه في نزاعه مع أخيه برقياروق ليتولى مكانه سنة ٤٩٢ هـ، وقد كانت الحرب سجالاً بين الاخوة، فمرة ينهزم برقياروق، ثم يعود وينظم عساكره فيهزم أخاه محمداً وهكذا لم تنحسم الأمور بينهما طيلة خمس سنوات وقد تقلب كربوغا في موقفه منهما فانضم أخيراً إلى برقياروق وانشغل مدة طويلة في حروبه معه ضد اخوته محمد وسنجر[١١٨] حتى توفى في مكان يُقال له خويّ نواحي أذربيجان سنة ٤٩٤ هـ[١١٩].

* ولاية الأمير جكرمش على الجزيرة سنة ٤٩٥ هـ :-

كان موسى التركماني نائباً على حصن كيفا[١٢٠] فلما علم بوفاة كربوغا سار إلى الموصل ليقوم مقام كربوغا فاستولى عليها[١٢١] ولما سمع جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر بذلك، استعد هو الآخر للاستيلاء على الموصل فخرج إليها، فاستعان موسى التركماني بسقمان بن أرتق على أن يعطيه حصن كيفا، فخرج لمساعدته، وفي أثناء ذلك قُتل موسى التركماني بيد غلام له، فاستولى جكرمش على الموصل وتولى مقاليد الأمور فيها وأناب ابنه حبشي في جزيرة ابن عمر[١٢٢] وتوجه سقمان بن أرتق إلى حصن كيفا فاستولى عليه إضافة إلى ماردين التي كانت بيده من أيام كربوغا[١٢٣].

وفي هذه الأثناء كان الخلاف ناشباً على إمارة حرَّان في الجزيرة بين سنقرجة (قراجة) أحد مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي، وبين نائبه فيها ويُدعى محمد الأصفهاني، وقد قُتل الاثنان في هذا النزاع فاستغل الفرنج ذلك، بالاضافة إلى الأوضاع القلقة في الجزيرة فجاءوا إلى حرَّان فاستولوا عليها، على اعتبار أنها الطريق المؤدي إلى الموصل[١٢٤] ويقول ابن الأثير تعليقاً على هذه الأوضاع : ((استطال الفرنج بما ملكوه من بلاد المسلمين واتفق لهم إشتغال عساكر المسلمين وملوكها بقتال بعضهم بعضاً، وتفرقت بالمسلمين الآراء واختلفت الأهواء وتمزقت الأحوال))[١٢٥].

ولا شك أن ما يجري في الجزيرة بين أُمراء السلاجقة يعطينا صورة صادقة عن إنحلال السلطة المركزية السلجوقية بسبب الصراعات التي أصبحت مزمنة بين أبناء البيت السلجوقي للسيطرة على السُلطة مما أتاح لمماليكهم وأُمرائهم الاقتتال والتنافس فيما بينهم على النفوذ ولم تخف هذه الصراعات على الفرنج فكانوا يستغلونها وتتقدم جيوشهم للتوسع على أنقاض الامارات السلجوقية المتنازعة في الشام والجزيرة.

ولكن جكرمش وسقمان بن أرتق اتفقا على قتال الفرنج لاخراجهم من حرَّان، وكان بينهما عداء سابق فتناسيا ذلك وتواعدا على اللقاء على نهر الخابور[١٢٦] وكان جيش سقمان سبعة آلاف من التركمان، بينما جيش جكرمش حوالي ثلاثة آلاف من العرب والتركمان والأكراد، فالتقوا على نهر البليخ سنة ٤٩٧ هـ مع جموع الفرنج[١٢٧] فأظهر المسلمون الهزيمة، فتبعهم الفرنج فاستدار عليهم المسلمون والتفوا حولهم ومزقوا جموعهم بسهولة بعد أن وقع رئيسهم بلدوين دي بورج البولوني في الأسر بيد سقمان بن أرتق[١٢٨].

شقَّ على أصحاب جكرمش أن يحرز أصحاب سقمان شرف القبض على بلدوين صاحب الرها فقاموا بمباغتتهم واختطفوه من خيامهم، وكاد الطرفان يقتتلان فيما بينهم لولا تدخل سقمان حيث رحل بعساكره عائداً إلى بلاده (ماردين) كما سار جكرمش إلى حرَّان فاستولى عليها وأقام عليها نائباً عنه وعاد إلى الموصل(١٢٩).

من هنا يظهر أن التنسيق بين أمراء السلاجقة في الجزيرة كان مؤقتاً وسطحياً، فبالرغم من الانتصار الكبير الذي أحرزه جكرمش بسبب التعاون مع سقمان وإيقاف المد الصليبي داخل الجزيرة، ولو قُدِّرَ لهم البقاء داخل حرَّان لأمكن لهم قطع الطريق ما بين الموصل وحلب، وتوسعوا في الجزيرة حتى وصلوا الموصل نفسها، أقول بالرغم من النتيجة التي تحققت على يد هذين القائدين، إلّا أن الضغينة بينهما انكشفت بسرعة وتفرق كل منهما عن الآخر ولم يستطيعا استثمار إنتصارهما العسكري الحاسم ومتابعة فلول الفرنجة والعمل على محاصرة بقية قلاعهم وحصونهم واقتلاع جذورهم من الجزيرة، وخاصة من إمارة الرها الصليبية ولكنهما، للأسف الشديد، لم يفعلا شيئاً من ذلك وعاد كل منهما أدراجه إلى إمارته وكل منهما حذر ومترقب من الآخر.

* حملة السلطان محمد السلجوقي على الموصل سنة ٤٩٨ هـ :-

بعد قتال دام بين أبناء السلطان ملكشاه (بركياروق ومحمد وسنجر) دام حوالي خمس سنوات، اصطلحوا فيما بينهم سنة ٤٩٧ هـ على أن تكون الجزيرة والشام مُلكاً لمحمد بن ملكشاه، وإلى سنجر بلاد خراسان بينما تكون السلطنة العامة والعراق لبركياروق(١٣٠).

وبموجب هذا الاتفاق انسحب الملك محمد بن ملكشاه من أصفهان بعد أن سلمها لأخيه السلطان بركياروق، واتجه إلى الجزيرة ليأخذ الامارة من جكرمش ويقيم مكانه والياً على الموصل(١٣١)، وقد علم جكرمش بذلك فاستعد لمقاومته وعصيانه، فجدد سور الموصل وحصَّنه، وجمع أنصاره فجاء محمد وحاصر الموصل، وراسل جكرمش ليدخل في طاعته، وذكَّره بأن الجزيرة من حصته، وعرض عليه نصوص الاتفاق مع أخيه بركياروق، فرد عليه جكرمش أن بركياروق أخبره خلاف ذلك، فشدد عليه الحصار إلى أن جاءت الأخبار بوفاة السلطان بركياروق فدخل في طاعته لاستحقاقه السلطنة بعد أخيه(١٣٢). يقول ابن الأثير : ((وحصر محمد المدينة «الموصل» وأرسل إلى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وأن في جملة ما استقر أن تكون الموصل وبلاد الجزيرة له، وعرض عليه الكتب من بركياروق إليه بذلك والأيمان على تسليمها إليه وقال له : إن أطعت فأنا لا آخذها منك بل أُقرها بيدك وتكون الخطبة لي بها فقال جكرمش : إن كُتُبَ السلطان «بركياروق» وردت إليَّ بعد الصلح تأمرني أن لا أُسلم البلد إلى غيره، فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف إليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقاً كثيراً لمحبتهم لجكرمش لحُسن سيرته فيهم فأمر جكرمش ففتح في السور أبواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل في العسكر، ثم زحف محمد مرة فنقب في السور أصحابه وأدركهم الليل فأصبحوا وقد عمره أهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الأسعار عندهم رخيصة في الحصار، . . . وكان بعض عسكر جكرمش قد

اجتمعوا بتل يعفر، فكانوا يغيرون على أطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم إلى عاشر جمادى الأولى فوصل الخبر إلى جكرمش بوفاة السلطان برقياروق فأحضر أهل البلد واستشارهم فيما يفعل بعد موت السلطان، فقالوا أموالنا وأرواحنا بين يديك وأنت أعرف بشأنك فاستشر الجند فهم أعرف بذلك، فاستشار إمراءه فقالوا : لما كان السلطان حياً قد كنا على الامتناع، ولم يتمكن أحد من طروق بلدنا، وحيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته أولى))(١٣٣).

وهكذا رضي جكرمش بطاعة السلطان محمد بعد أن استقرت الأمور إليه وبعد وفاة أخيه السلطان برقياروق، وخطب له بالسلطنة في بغداد وسائر البلاد الاسلامية التي تقع تحت سلطنة السلاجقة سنة ٤٩٨ هـ.

* ولاية الأمير جاولي سقاوو على الجزيرة سنة ٥٠٠ هـ :-

كان الأمير جكرمش قد اتفق مع السلطان محمد قبل أن يرحل عن حصاره سنة ٤٩٨ هـ عائداً إلى بغداد، على أن يحمل له المال سنوياً ووعده بالخدمة، إلاّ أنه لم يف بهذه الالتزامات وتثاقل عنها، فقرر السلطان عزله وإرسال أمير آخر مكانه هو جاولي سقاوو(١٣٤).

وفي رواية لابن القلانسي أن السلطان محمد أقطع الرحبة لجاولي وسيَّره إليها سنة ٥٠٠ هـ وكلفه بتجهيز حملة عسكرية من الجزيرة لمساعدة الأتابك طغتكين صاحب دمشق وفخر الملك بن عمار صاحب طرابلس، لمساعدتهم على الصليبيين بعدما تكررت استغاثاتهم لاعانتهم على الصليبيين الذين يحاصرون طرابلس، إلاّ أن جكرمش عارض زعامة جاولي لهذه الحملة ولم يقدم العون له، وفشل الأمر لذلك، فقرر السلطان عزل جكرمش وإقامة جاولي مكانه(١٣٥) وأعتقد أن السلطان محمد عزم على عزل جكرمش بعدما ثبت له أنه مستمر في العصيان وعدم طاعة السلطان وأنه يعمل لنفسه، خاصة وأنه تكرر منه مخالفة الأوامر السلطانية والعهود التي قطعها على نفسه فاستوجب تنحيته وإقامة رجل آخر مكانه.

سار جاولي سقاوو حسب أوامر السلطان السلجوقي إليه إلى الموصل للجلوس على كرسي الامارة مكان جكرمش وكان مع جاولي عدد من العساكر السلطانية، ولما علم جكرمش بذلك استعد للقائه وصده، ثم عبر جكرمش نهر دجلة إلى جاولي، فاصطف الاثنان للحرب، فهرب أصحاب جكرمش من حوله، فلم يقدر على الهرب لأنه مصاب بمرض الفالج فقبض عليه وسيق إلى السجن سنة ٥٠٠ هـ(١٣٦).

ولما علم أهل الموصل بالقبض على جكرمش أقاموا ابنه زنكي(١٣٧) مقامه وعمره أحدى عشرة سنة(١٣٨).

قام جاولي سقاوو بحصار الموصل ومعه الأسير جكرمش، وهو يخرجه كل يوم على محفة يطلب من أهلها الاستسلام ليخلصوه مما هو فيه، وهم يرفضون طلبه، وظل الحال هكذا حتى مات جكرمش أثناء الحصار(١٣٩) وفي رواية لابن كثير : ((أن جاولي قتله بعدما يئس منه))(١٤٠).

أرسل زنكي بن جكرمش يطلب النجدة من الأمير صدقة بن مزيد صاحب الحلة والملك قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب الامارة السلجوقية ببلاد الروم، فاعتذر الأمير صدقة ولبى نداءه صاحب سلاجقة الروم، فسار لنجدته بعساكر كثيرة من التركمان، واستولى في طريقه على حرّان وأقام عليها نواباً عنه وواصل سيره إلى الموصل لفك الحصار عن زنكي بن جكرمش(١٤١).

ولما وصل قليج أرسلان قرب نصيبين، ترك جاولي حصار الموصل وتوجه للقائه فلم يلتقيا في طريق واحدة، حيث استطاع قليج أرسلان مفاداته، وسلك طريقاً آخر إلى الموصل فدخلها والتقى بزنكي بن جكرمش فيها وتعاهدا على مقاومة جاولي سقاوو كما اتفقا على تكوين حلف بينهما وإسقاط الخطبة للسلطان محمد السلجوقي في الجزيرة وتكون الخطبة فيها لقليج أرسلان وزنكي بن جكرمش بعده(١٤٢).

أما بالنسبة لجاولي سقاوو فقد اتجه إلى سنجار والرحبة في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٠٠ هـ، وأقام عليها نواباً عنه(١٤٣)، فلحقه قليج أرسلان، فلما رأى كثرة عساكره أرسل إلى بلاده (سلاجقة الروم) يطلب النجدة، إلّا أن جاولي لم يمهله، بل أسرع لمهاجمته فهزمه هزيمة ساحقة، فألقى قليج نفسه في نهر الخابور فغرق ومات أواخر سنة ٥٠٠ هـ(١٤٤).

فلما تحقق لجاولي هذا الانتصار توجه إلى الموصل فاستولى عليها وقبض على أنصار قليج وابن جكرمش وأعاد الخطبة للسلطان محمد السلجوقي(١٤٥).

وهكذا قضى جاولي سقاوو مدة طويلة في حروب جانبية ضد خصومه كي يستطيع ممارسة واجبه كوالٍ جديد في الموصل، إلّا أنه ما كاد يستقر فيها حتى ثارت مشكلة جديدة، فقد أعلن ملك العرب سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة، أعلن العصيان على السلطان محمد السلجوقي سنة ٥٠١ هـ وراسل جاولي سقاوو لينضم إليه، فلقيت هذه المبادرة إستحساناً في نفسه وأمده بالأموال والرجال، إلّا أن السلطان محمد سار إلى الحلة وحاصر سيف الدولة صدقة، فتفرق عنه أصحابه وهم من العرب والأكراد والديلم، والتقى بعساكر السلطان في قِلَّة من عساكره فجاءه سهم في حلقه سلخ جمادى الآخرة سنة ٥٠١ هـ فمات منه، وأسر ابنه أبوالأغرنور الدولة دبيس فَوُضِعَ في السجن(١٤٦).

غضب السلطان من موقف جاولي سقاوو منه فقرر عزله وإرسال الأمير مودود بن التونتكين مكانه وسيَّره إلى الموصل مزوداً بالعساكر السلطانية في صَفر سنة ٥٠٢ هـ(١٤٧).

والذي يُستنتج من موقف جاولي بمحاربته جكرمش وقليج أرسلان والقضاء عليهما في الجزيرة، ومن ثم الدعوة والطاعة للسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، هو أنه كان ينظر من خلال ذلك إلى مصلحته لتدعيم مركزه في الجزيرة وتوسيع إمارته، ثم أنني أعتقد أنه تحالف مع صاحب الحلة وأمده على السلطان محمد فيما بعد، كي يتخلص من العهود والمواثيق مع السلطان، والتي قضت بإرسال الأموال السنوية للخزينة السلطانية(١٤٨) كما كانت له أطماع في توسيع إمارته ببلاد الشام على حساب

إمارة رضوان بن تتش صاحب حلب، وكان ذلك خروجاً على أوامر السلطان له عندما ولّاه الجزيرة[١٤٩] فأحب جاولي إنشغال السلطان بغيره حتى يستطيع أن يحقق أطماعه.

* إمارة مودود بن التونتكين على الجزيرة :-

أصدر السلطان محمد أمره إلى أحد أمرائه ويدعى مودود بن التونتكين للمسير إلى الموصل وإخراج جاولي منها، وزوَّده بالعساكر السلطانية التركمانية، فسار إليها في شهر صَفر سنة ٥٠٢ هـ فلما اقترب من الموصل، خرج جاولي متخفياً ودخل مودود الموصل بتعاون أهلها معه[١٥٠].

اتجه جاولي سقاوو بعد خروجه من الموصل إلى أُمراء الجزيرة يحرضهم على السلطان محمد ويطلب منهم المساعدة، فلم يسمع له أحد، ثم لجأ أخيراً إلى إيلغازي بن أرتق صاحب نصيبين في الجزيرة وطلب مساعدته وألح عليه الخروج معه وعصيان السلطان فلم يجبه في بادىء الأمر، ثم قبل عرضه بعد إلحاح وهو يبطن خلافه وخرج معه إلى الرحبة وسنجار[١٥١].

كان القمص بلدوين دي بورج صاحب الرها، الذي أُسر بيد جكرمش سنة ٤٩٧ هـ ثم انتقل من بعده إلى قبضة جاولي كان مع جاولي في هذه الرحلة، فأطلق سراحه على مال وسيَّره إلى أنطاكية[١٥٢]، وهنا انفصل عنه إيلغازي بن أرتق فاتجه جاولي ألى بالس فاستولى عليها، وكانت لرضوان بن تتش[١٥٣] فانضم إيلغازي إلى الأمير مودود بن التونتكين فاستوليا على حرَّان من أصحاب قليج أرسلان فأقطعها مودود إلى إيلغازي إضافة إلى ما بيده من ديار الجزيرة[١٥٤].

وأخيراً يئس جاولي سقاوو من أعماله في الجزيرة فأرسل إلى السلطان محمد السلجوقي يعتذر له عمَّا بدر منه فقبل عذره وصفح عنه فمضى جاولي إلى أصفهان والتحق بالسلطان[١٥٥].

كانت هذه صورة من صور الصراع بين الأُمراء في الجزيرة في عهد جكرمش وجاولي وبداية عهد مودود بن التونتكين، من أجل تحقيق زعامات شخصية، ثم انعكس ذلك على علاقاتهم مع السلطان السلجوقي، فلقد عصى جكرمش وتمرد على السلطان محمد ورفض تسليمه الموصل سنة ٤٩٨ هـ ثم عاد فأطاعه عندما رأى المصلحة تقتضي ذلك، لكنه عصاه مرة أُخرى عندما رفض تسليم الامارة إلى جاولي سقاوو وخرج لقتاله حتى وقع في يده ثم تمرد ابنه وتحالف مع قليج أرسلان وخطب له بعد أن قطع خطبة السلطان محمد، ولم ينته الأمر إلاّ بعد هزيمتهم على يد جاولي وأعاد الخطبة للسلطان محمد، لكنه ما لبث هو الآخر أن عصى وتمرد على السلطان محمد نفسه عندما أحسَّ بنيَّته على تبديله بوالٍ جديد فخرج يحرض الأُمراء عليه في الجزيرة حتى انتهى به المطاف إلى الفشل وطلب منه العفو والغفران فعفا عنه. وتدل هذه الأعمال على ضعف السلطنة السلجوقية المركزية في مواجهة أمرائها والحد من أطماعهم، كما تدل على عدم الولاء الكامل من هؤلاء الأُمراء لسلطانهم السلجوقي، فقد كانوا يثورون عليه لمجرد أن تتهدد مصالحهم وزعامتهم للخطر، وقد انعكست هذه الأزمات على حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين، الذين أفادوا من هذه النزاعات كثيراً فاستطاعوا التوغل في بلاد الشام وإقامة إمارات صليبية قوية فيها، وأصبح من الصعب إقتلاعها في عهد السلاجقة حتى قيَّض الله لهم أُمراء آخرين فيما بعد.

* جهاد مودود بن التونتكين ضد الصليبيين :-

كلّف السلطان محمد السلجوقي الأمير مودود بن التونتكين بمحاربة الفرنج وأمده بالعساكر التركمانية لهذا الغرض[١٥٦]، وقد ذكر ابن القلانسي أن السلطان راسل الأتابك طغتكين صاحب دمشق لمساعدة مودود في حركة الجهاد فاشترط عليه أن تكون إمرة الجهاد له[١٥٧] إلاّ أن شرطه لم يتحقق وتبعه كما سيأتي.

استعد مودود للجهاد وانضم إليه أُمراء الأطراف في الجزيرة وهم سقمان القطبي أمير خلاط وميافارقين، وإيلغازي بن أرتق صاحب ماردين واتجهوا ناحية الرها لأهميتها وخطورتها على الجزيرة وقاموا بحصارها في شوال سنة ٥٠٣ هـ[١٥٨]. فاجتمعت نجدات الفرنج لفك الحصار عنها بقيادة طنكري (تنكريد) صاحب أنطاكية، وابن صنجيل صاحب طرابلس وبغدوين ملك القدس، كما انضم الأتابك طغتكين صاحب دمشق إلى الأمير مودود، وكانت عساكر الفرنج كثيرة فانسحب الأمير مودود إلى الخلف في آخر ذي الحجة خديعة ومكراً كي يتبعه الفرنج فيوقع بهم، لكنهم لم يتبعوه إلاّ قليلاً وعادوا بعد أن فطنوا لحيلته فلحقتهم العساكر الاسلامية تتخطف أمتعتهم وأوقعوا بهم قتلاً وأسراً فعادوا خائبين إلى إماراتهم الصليبية، وعادت العساكر الاسلامية أيضاً لطول مدة الحملة حيث استمرت حتى نهاية عام ٥٠٣ هـ[١٥٩].

والواقع أن حملة مودود كان لها أهمية مميزة، ولو أنها لم تحقق أهدافاً مادية، فقد كانت بداية عمل جهادي سعى له السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه منذ مدة، إلاّ أن الظروف لم تساعده بسبب الاضطرابات والمشاكل التي واجهتها السلطنة السلجوقية من ناحية وفشل الأُمراء السابقين في الشام والجزيرة في تكوين وحدة حقيقية للجهاد بعد أن انغمسوا في خلافاتهم الداخلية لتحقيق مكاسب شخصية متجاهلين الأعمال العدوانية التي كانت تتعرض لها بلاد المسلمين في الشام والجزيرة من قِبل الصليبيين.

وكان من أبرز الأشياء التي ظهرت في حملة مودود، هو اشتراك معظم الأُمراء في الشام والجزيرة وطاعتهم لمودود، ولم يتخلف عنه سوى رضوان بن تتش صاحب حلب، كما كان من أهم نتائجها حسب رواية ابن القلانسي[١٦٠]، توطيد العلاقة الطيبة بين طغتكين صاحب دمشق ومودود واتفاقهم قبل افتراقهم على متابعة الجهاد فيما بعد.

تغلب الفرنج على شمال الشام سنة ٥٠٤ هـ وبسطوا سيطرتهم على كثير من القرى والحصون وانتشرت قواتهم في أعمال حلب تنهب وتحرق فأصاب الناس من أضرارهم أذى كثيراً[١٦١] كما هجر كثير من الأهالي مدنهم وقراهم لتعدد الاغارات عليهم، واستولى طنكريد صاحب أنطاكية على الأثارب[١٦٢] بعدما يئس أهلها من عون المسلمين وإعانتهم، كما استولى الفرنج على زردنا وبالس ومنبج من أعمال حلب[١٦٣].

وصالحهم رضوان بن تتش صاحب حلب على مال يؤديه لهم كجزية سنوية مقدارها ثلاثون

ألف دينار وعشرة رؤوس من الخيل ليكفوا أذاهم عن مدينة حلب[١٦٤] ثم صالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار سنوية وصالحهم علي بن الكردي صاحب حماة على ألفي دينار سنوية تُدفع في وقت الغِلال[١٦٥] كما تغلب جوسلين صاحب تل باشر، والملك بغدوين صاحب القدس وابن صنجيل صاحب طرابلس على نواحي بيروت سنة ٥٠٣ هـ وفرضوا على أهل صيداء[١٦٦] أتاوة سنوية مقدارها ستة آلاف دينار[١٦٧].

وعلى هذا النحو عجز هؤلاء الأُمراء وقبلوا أن يؤدوا الجزية إلى الصليبيين من أجل الاحتفاظ بحكمهم، ومع ذلك فلم تتوقف الأعمال العدوانية من الفرنج على الفلاحين والقرى نواحي حلب خاصة بعدما أيقنوا ضعف رضوان، وعظم المصاب على المسلمين، فتوجه وفد من أهل حلب إلى بغداد يستصرخون الخليفة العباسي المستظهر بالله والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه لاعانتهم على الفرنج[١٦٨] وقد صادف وجود هذا الوفد ببغداد مجيء وفد آخر من امبراطور الروم كومنين يستنصر السلطان محمد السلجوقي على الفرنج في ساحل الشام فيقول ابن الأثير في أحداث سنة ٥٠٤ هـ : ((وفيها ورد رسول الروم إلى السلطان يستنصره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان : أما تتقي الله تعالى أن يكون الروم أكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل إليك في جهادهم))[١٦٩].

وأعتقد أن وفادة امبراطور الروم إلى سلطان السلاجقة لم تكن محبة بالمسلمين ودفاعاً عن أرضهم، وإنما جاءت بعد خلافات نشبت بين زعماء الروم والفرنج على امتلاك بعض الامارات في ساحل الشام كان الروم اشترطوها على الفرنج عندما سمحوا لهم بالعبور من بلادهم في الحملة الأولى سنة ٤٩٠ هـ فأراد الروم من هذه الوفادة أن يضربوا المسلمين بالفرنجة وإشغالهم ببعضهم فينفرد الروم بالامارات التي يطلبونها.

أفادت صرخات الوفد الحلبي ببغداد فأثارت الأهلين على الصليبيين وخاصة أنهم سمعوا ما حل بالمسلمين على أيديهم من نِكال وعذاب وقتل وتشريد، فأرسل السلطان محمد إلى الأمير مودود بن التونتكين بالاستعداد لمجاهدة الفرنج[١٧٠] وسيَّر السلطان ابنه مسعوداً على جماعة من التركمان ليشاركوا ابن التونتكين في الجهاد[١٧١] كما أرسل السلطان إلى بقية الأُمراء في الشام والجزيرة أن يطيعوا أمير الجهاد مودود بن التونتكين ويشتركوا معه في الجهاد فسار لنجدته أحمد يل الكردي صاحب مراغة[١٧٢] وأبو الهيجاء صاحب اربل[١٧٣] وسقمان القطبي صاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر والأميران ايلنكي وزنكي ابنا برسق بن برسق صاحب همذان وهوزستان[١٧٤] ثم انضم إليهم فيها بعد ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق بعد مراسلة السلطان له والطلب منه الانضمام إلى أمير الجهاد مودود بن التونتكين[١٧٥] وأرسل إيلغازي بن أرتق ابنه إياز لينوب عنه في هذه الحملة[١٧٦].

سارت هذه القوات بقيادة مودود بن التونتكين أوائل سنة ٥٠٥ هـ تجاه الرها، وضربوا حصاراً شديداً عليها غير أن مناعة أسوارها وطول مدة الحصار واجتماع حشود وإمدادات الفرنج لفك

الحصار عنها، أجبرت أمير الجهاد بالرحيل عنها إلى مناطق أُخرى في الجزيرة يحرق ويخرب لهم ما يصادفه في طريقه(١٧٧).

ثم توجهوا إلى سرّوج (في الجزيرة) فحاصروها، فرد عليهم الفرنج بغارات إنتقامية على أعمال حلب لاجبارهم على فك الحصار(١٧٨) فعندئذ تركت القوات الاسلامية سرّوج وقطعت الفرات تجاه حصن تل باشر الفرنجي فقاموا بمحاصرته(١٧٩).

وفي هذه الأثناء وردت أخبار عن قدوم إمدادات جديدة من قِبل السلطان محمد السلجوقي بقيادة برسق بن برسق صاحب همذان(١٨٠).

وبعد أن اجتمعت هذه القوات حول تل باشر، حدث تطور خطير بين أُمراءالحملة، مما أفقدها قيمتها وقوتها ثم تداعت وفشلت فقد مرض سقمان القطبي واضطر إلى الانسحاب بقواته عائداً إلى بلاده فمات في الطريق(١٨١) وفي أثناء مرور جثمانه بديار بكر قام إيلغازي بن أرتق بمهاجمة عساكره، لكنهم هزموه ونهبوا أمتعته وعادوا إلى بلادهم سالمين(١٨٢) كما انسحب أحمد يل الكردي بقواته أيضاً على أمل أن يملكه السلطان محمد بلاد سقمان القطبي، وفي رواية لبعض المؤرخين أن جوسلين الفرنجي صاحب تل باشر راسل أحمد يل الكردي وأغراه بمبلغ من المال فانسحب لذلك عائداً إلى بلاده(١٨٣) وكذلك اشتد المرض ببرسق بن برسق وكان مصاباً بداء النقرس فانفصل عائداً لبلاده أيضاً(١٨٤).

وهكذا انفرط عقد هذه الحملة ولم يبق من أُمرائها سوى طغتكين ومودود علاوة على أن رضوان صاحب حلب تخلّف كعادته ولم يحضر هذا الغزو، وأرى أن افتراق هؤلاء الأُمراء عائدين إلى بلادهم على هذه الصورة سيعطي دفعاً قوياً للصليبيين فيزيدون من اعتداءاتهم على المدن والأهلين ويرفع من معنوياتهم، ويضعف الروح المعنوية عند سكان بلاد الشام عامة.

توثقت أواصر الصداقة والمحبة بين مودود وطغتكين فتوجها إلى حلب، إلاّ أن رضوان بن تتش أغلق الأبواب في وجوههم ومنع دخولهم أو التعاون معهم خوفاً منهم على نفسه(١٨٥) وفي رواية لابن العديم، أنه أغرى الباطنية بحلب وكان متعاوناً معهم ويتستر عليهم، أغراهم على العساكر الاسلامية خارج أسوار حلب يختطفونهم كي يرحلوا، كما استعان بهم على حراسة الأسوار والأبواب خوفاً من تعاون أهل حلب مع طغتكين ومودود(١٨٦).

طال انتظار مودود وطغتكين خارج أسوار حلب ورضوان مُصِرٌ على عدم استقبالهم فرحلوا عنه أواخر سنة ٥٠٥ هـ واتجهوا إلى معرة النعمان وشيزر حيث استعان بهم صاحبها أبو العساكر سلطان بن منقذ على الفرنج، وبينما هم سائرون إليهم لحقتهم الفرنج بقيادة بغدوين ملك بيت المقدس وابن صنجيل صاحب طرابلس، فبدأ الطرفان بشن غارات متواصلة ضد بعضهم البعض ثم ارتد الفرنج عائدين إلى إماراتهم(١٨٧) كما افترق مودود وطغتكين ورجعا إلى بلادهما أيضاً(١٨٨) بعد أن فشلت هذه الحملة فشلاً ذريعاً في تحقيق أي شيء من مهماتها.

وبعد عودة مودود إلى ديار الجزيرة، توجه وحده إلى الرها، وأخذ يتنقل بينها وبين سرّوج يخطف ويحرق ويخرب على الفرنج، وبينما هو كذلك، فاجأه جوسلين الفرنجي صاحب تل باشر والرها، على حين غرة فأخذ كثيراً من دوابه وقتل العديد من عساكره فعاد مودود خائباً حزيناً إلى الموصل لما أصابه في هذه الحملة[١٨٩]، ويرى المؤرخ ابن الأثير أن سبب افتراق مودود وطغتكين عن بعضهما وعودة كل منهما إلى بلاده، أن نفوراً حصل بينهما بسبب مراسلة طغتكين للفرنج ومصالحتهم سراً مما أضعف من موقف مودود كثيراً فرحل عائداً إلى الجزيرة[١٩٠] وتُعتبر هذه الرواية ضعيفة بالمقارنة إلى ما حصل بين الرجلين فيما بعد إذ التقيا على الجهاد مرة أخرى في نواحي دمشق سنة ٥٠٦ هـ كما سيأتي.

وأرى مما سبق أن السلطان محمد السلجوقي، صدق النية في مجاهده الفرنج، ولم يقصر في إمداد الأمراء بالعساكر السلطانية تباعاً، وقد أرسل ابنه مسعوداً مع هذه الحملات تأكيداً على اهتمامه بالجهاد ضد الصليبيين، وأوعز إلى سائر الأمراء في الشام والجزيرة بطاعة الأمير مودود والخروج معه، إلّا أن كثرة هؤلاء الأمراء وعدم الوفاق فيما بينهم وطمعهم في التوسع على حساب جيرانهم، كل هذا كان سبباً رئيسياً لفشل هذه الحملة، فقد عاد الأمراء إلى بلادهم ولم يبق سوى مودود وحده في هذه الحملة، بعد أن أغلق رضوان أبواب حلب في وجهه، ولم يخرج إليه أو يتعاون معه، علماً بأن هذه الحملة خرجت لنجدته على الفرنج بعدما جاء وفد من أهل حلب يستصرخ الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي كما أن رضوان رضي لنفسه بعقد الهدنة مع الفرنج ودفع لهم الجزية وارتضى لنفسه أن يكون قابعاً داخل أسوار حلب، بينما الفرنج يصولون ويجولون خارج أسوارها ويفعلون بالمسلمين الأفاعيل دون أن تحركه نفسه بالثأر أو الجهاد، وكان يعتقد أن الفرنج أقل خطراً من اخوانه السلاجقة إذ كان يخاف منهم على نفسه.

وتلك نقطة سيئة تُضاف إلى ماضي هذا الرجل، وستظل جميعها سبة في جبينه لأن مثل هذه الأخلاق غريبة على المسلمين ولا تتفق مع مبادىء الاسلام.

* حملة الأمير مودود بن التونتكين على الفرنج نواحي دمشق سنة ٥٠٦ هـ :-

ذكر ابن القلانسي أن العلاقة ساءت كثيراً بين الأمير مودود والسلطان محمد السلجوقي بسبب وشاية بعض الحاسدين، وهي أن مودوداً تآمر مع الأتابك طغتكين صاحب دمشق للاستقلال عن السلطان محمد، فلما عرف مودود بذلك، أرسل زوجته وابنه إلى السلطان للتنصل من هذه الأخبار وأنه على الولاء والطاعة، وأنه يجهز عساكره للغزو ومحاربة الفرنج نواحي دمشق[١٩١] ويرى ابن الأثير في حوادث سنة ٥٠٧ هـ أن طغتكين هو الذي استنجد بمودود عندما تأزمت العلاقات بينه وبين بلدوين الأول ملك بيت المقدس، وأخذ الأخير يهدد دمشق لكثرة إعتداءاته عليها، فأرسل طغتكين إلى مودود يحثه على سرعة الوصول لنجدته[١٩٢].

ولم يكن مودود في حاجة إلى إلحاح طغتكين، بل كان ينتظر فرصة للجهاد فسار بعساكره من الأتراك والأكراد أواخر ذي القعدة سنة ٥٠٦ هـ لمواجهة اعتداءات الفرنج على نواحي دمشق[١٩٣].

وقد خرج مع مودود إياز بن إيلغازي الأرتقي صاحب ماردين وغيرك صاحب سنجار(١٩٤) فانضمت هذه القوات إلى عساكر طغتكين عند سلمية خارج دمشق وتوجهوا جميعاً إلى طبرية(١٩٥) وكان متحصناً بها بغدرين صاحب الرها، حيث أقطعه أياها ملك القدس بعد خلافه مع جوسلين صاحب تل باشر(١٩٦).

التقت عساكر المسلمين بقوات الفرنج حول طبرية عند جسر الصنوبر في المحرم سنة ٥٠٧ هـ فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكثر القتل في جانب الفرنج، ثم انهزموا إلى داخل البلاد والتركمان يتتبعونهم قتلاً وسَلباً، وأغرقوا الكثير منهم في نهر الأردن، وظلت العساكر التركمانية تطارد فلولهم طيلة شهر صَفر، حتى جاءت إمدادات الفرنج بقيادة بغدوين ملك القدس وروجر صاحب أنطاكية وبونز صاحب طرابلس وجوسلين صاحب تل باشر، فانسحبت العساكر الاسلامية إلى دمشق للراحة، وسرح مودود عساكره إلى الموصل لقضاء فصل الشتاء بينما أقام هو في ضيافة طغتكين بدمشق(١٩٧).

وكان طغتكين ومودود قد طلبا مساعدة رضوان بن تتش فأرسل لهم أقل من مائة فارس فأنكر طغتكين ذلك عليه وقطع الخطبة باسمه في دمشق، وأوقف السكة باسمه أول ربيع الأول سنة ٥٠٧ هـ(١٩٨) وقد ذكر ابن العديم أن رضوان بن تتش ضعف كثيراً في سنة ٥٠٦ هـ بسبب اعتداءات الفرنج المتكررة عليه، وما يدفعه لهم كي يرحلوا عنه، كما كرهه عامة الناس لتعاونه مع الباطنية، فاضطروا إلى الاستعانة بطغتكين سنة ٥٠٦ هـ، فسار إليه وتعهد له طغتكين أن يخطب له بدمشق وينقش السكة باسمه بعد السلطان فلما نكث رضوان بوعوده قطع خطبته كما تقدم(١٩٩).

كما تأخر مودود بدمشق على أمل معاودة الجهاد بعد إنتهاء فصل الشتاء لسنة ٥٠٧ هـ إلاّ أن رغبته لم تتحقق بسبب مقتله على يد باطني في دمشق طعنه عدة طعنات بينما كان خارجاً من صلاة الجمعة الأخيرة لشهر ربيع الآخر سنة ٥٠٧ هـ وهو بصحبة طغتكين فمات في يومه(٢٠٠).

ويرى بعض المؤرخين أن مقتل مودود على يد الباطني في دمشق كان بتواطؤ طغتكين عليه خوفاً منه على دمشق، خاصة بعدما رأى نشاطه الواسع في مجاهدة الفرنج وتعاونه مع السلطان محمد السلجوقي، فأثار ذلك عنده الخوف من انتزاع إمارة دمشق منه، فعجل بالتخلص منه(٢٠١)، ويقول ابن الأثير مؤيداً صحة هذه الدعوى أن ملك الفرنج بعث إلى طغتكين يقول له : ((أن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لخليق على الله أن يبيدها))(٢٠٢).

كما أن السلطان السلجوقي، اتهم طغتكين بمقتله، وأعلن حربه عليه، وتلا ذلك عصيان طغتكين على السلطان، وتواطأ مع الفرنج على محاربة حملات السلطان السلجوقي فيما بعد (سنة ٥٠٩ هـ)(٢٠٣).

غير أن بعض المؤرخين يرون أن طغتكين لم يكن له ضلع في مقتل مودود، فقد ذكر هؤلاء أن طغتكين حزن على مقتله حزناً كثيراً وتصدق عنه بمال جزيل وأقام عليه العزاء لمدة سبعة أيام(٢٠٤).

وإذانظرنا إلى هذه القضية نظرة فاحصة، فإنه يمكن الاشارة بأصابع الاتهام إلى تورط طغتكين

بمقتل مودود، فكل الدلائل تشير إلى ذلك، فقد أعلن السلطان محمد السلجوقي الحرب عليه لاتهامه به، فإذا به يميل إلى الصليبيين ويتحالف معهم، فلو كان بريئاً لتوجه إلى العتبة السلطانية وبرأ نفسه، كما أن الأمير مودود ارتفع شأنه كثيراً في مجاهدة الفرنج وتولى قيادة الجيوش الاسلامية أكثر من مرة في مجاهدة الفرنج، وقد تطلع طغتكين إلى هذه القيادة وسبق أن طلبها بنفسه من السلطان السلجوقي وأمره بطاعة مودود، أما إقامة العزاء والتصدق بالأموال عن روحه، والتظاهر بالحزن عليه، فإنه يمكن أن يكون من باب التمويه والتضليل فلا يُعتد به.

ومهما يكن فإن فارساً من فرسان الجهاد قد سقط صريعاً في ساحة الجامع بدمشق على يد الباطنية وأغمد سيف من سيوف الاسلام، الذي خرج صادقاً ليقف الفرنج عند حدهم ويعيد إلى المسلمين ما فقدوه من عزة وسلطان.

* إمارة أقسنقر البرسقي(٢٠٥) على الجزيرة سنة ٥٠٨ هـ :-

سيَّره السلطان محمد السلجوقي إلى الجزيرة بعد مقتل الأمير مودود في الشام، وكتب إلى سائر الأمراء في الجزيرة بطاعته ومساعدته على مجاهدة الفرنج(٢٠٦) كما سيَّر السلطان ابنه مسعوداً الذي كان مع مودود سيَّره معه ليحكم الجزيرة باسمه وكانت هذه عادة السلاجقة في تسليم أبنائهم إلى الأمراء ليحكموا الامارات باسمهم ويشرفوا على تربيتهم(٢٠٧).

اتجه البرسقي إلى الجزيرة ومعه عساكر السلطان السلجوقي، وهو عازم على مجاهدة الفرنج فدخل جزيرة ابن عمر فأطاعه نائب مودود فيها وسار معه إلى ماردين، فأطاعه صاحبها إيلغازي بن أرتق وسيَّر معه ابنه إياز نائباً عنه في جهاد الفرنج ومعه ثلاثة آلاف فارس(٢٠٨) ثم توجه البرسقي بهذه القوات إلى الرها فضرب عليها حصاراً حوالي شهرين وأيام، ولكنها امتنعت عليه لحصانتها وقلة الامدادات الاسلامية(٢٠٩) فرحل عنها البرسقي إلى نواحي سرّوج وسميساط(٢٢٠) وهما للفرنج فدخل في طاعته أهالي مرعش(٢١١) ورعبان(٢١٢) وكيسوم(٢١٣) حيث كانت تابعة إلى كواسيل الفرنجي، فمات فاستولت عليها زوجته وأرسلت إلى البرسقي لتطيعه، فأرسل لها رسولاً فأكرمته وأذعنت له بالطاعة وحمّلته الهدايا إلى الملك مسعود بن السلطان محمد وإلى البرسقي(٢١٤).

تعرضت حملة البرسقي إلى ما لم يكن وارداً في الحسبان، فقد قام بالقبض على إياز بن إيلغازي بحجة أن أباه تغيب عن الغزو معه(٢١٥) ثم سار إلى حصن كيفا وكان لركن الدولة داود بن سقمان ,ابن أخي إيلغازي) فاستنجد داود بعمه إيلغازي على البرسقي فجاء لنجدته، فقاتلاه، فانهزم البرسقي وتشتت عساكره، وخلص إيلغازي ابنه من الأسر(٢١٦).

وكانت المودة مقطوعة بين السلطان محمد وطغتكين صاحب دمشق بسبب إتهامه له بقتل الأمير مودود، ثم أرسل السلطان محمد يتهدد إيلغازي بن أرتق على موقفه من الأمير البرسقي، فاتفق إيلغازي وطغتكين على عصيان السلطان محمد وقطع الخطبة له ومحالفة الفرنج، وراسلا صاحب أنطاكية لهذا الغرض وتم الاتفاق فيما بينهم، وعاد إيلغازي وطغتكين كل منهما إلى بلده بعد الاتفاق،

وبينما كان إيلغازي في طريق عودته، خرج إليه قرجان بن قراجة صاحب حمص فقبض عليه وسجنه، وأرسل إلى السلطان محمد يخبره ويطلب العون منه قبل أن يأتي طغتكين لتخليصه، وقد جاء طغتكين فعلاً قبل نجدة السلطان محمد، لكن صاحب حمص هدده بقتل إيلغازي إن لم يرجع إلى دمشق وتأخرت الامدادات السلطانية فاتفق قرجان مع إيلغازي أن يطلق سراحه على أن يأخذ ابنه إياز رهينة عنده وأطلق سراحه(٢١٧).

اتجه إيلغازي بن أرتق بعد خروجه من السجن إلى نواحي حلب، فجمع عدداً من التركمان وعاد بهم إلى حمص لتخليص ابنه إياز من الأسر، فوصلت العساكر السلطانية وانسحب إيلغازي قبل أن يحرر ابنه من قبضة قرجان صاحب حمص(٢١٨).

* حملة السلطان محمد السلجوقي على الشام سنة ٥٠٩ هـ :-

جهز السلطان هذه الحملة لتسير إلى الشام بقيادة برسق بن برسق صاحب همذان لتأديب طغتكين وإيلغازي على ما ارتكباه مع جيوش السلطان، فقد سبق أن اتهم طغتكين بقتل الأمير مودود بينما كان يستعد لمواصلة الجهاد في الشام وتآمر إيلغازي على حملة البرسقي وكان سبباً في فشلها ثم اجتمع الاثنان معاً وأعلنا عصيان السلطان السلجوقي فأرسل هذه الحملة لقتالهما، ثم لمتابعة الجهاد ضد الصليبيين في الشام(٢١٩).

وفي أثناء الاستعدادات لهذه الحملة أمر السلطان محمد بتعيين أحد أُمرائه ويدعى جيوش بك على إمارة الجزيرة بدلاً من أقسنقر البرسقي، وأمره بالمسير مع هذه الحملة، كما سيَّر السلطان ابنه مسعوداً مع جيوش بك ليشترك معه في الغزو(٢٢٠).

وأعتقد أن السلطان السلجوقي يهدف من إرسال هذه الحملة السيطرة على بلاد الشام والجزيرة، بعد فترة الفوضى التي شهدتها وعدم الجدية في محاربة الصليبيين من قِبل طغتكين ولؤلؤ الخادم وإيلغازي ومحاولة هؤلاء الأمراء الاستقلال عن السلطة السلجوقية المباشرة ووضع العراقيل أمام حملات السلطان لمجاهدة الصليبيين في هذه البلاد.

سارت هذه الحملة بقيادة برسق إلى الشام من ناحية حمص للاجتماع بقرجان وفي طريقه إليها دخل حماة(٢٢١) وكانت تابعة لطغتكين فنهبها ثلاثة أيام، وسلمها لقرجان صاحب حمص، وسلمه قرجان إياز بن إيلغازي الذي كان في قبضته، ثم توجهت الحملة نواحي حماة وحمص تستولي على بعض القلاع والحصون مثل كفر طاب وبزاعة(٢٢٢).

أدرك أيلغازي وطغتكين أن هذه الحملة موجهة ضدهما فاتفقا على التصدي لها والاستعانة بروجر صاحب أنطاكية، فاتصلا به وحذراه من حملة برسق بن برسق على الشام وطلبا مساعدته فسار لنجدتهم(٢٢٣) كما استعان روجر بملك القدس وبونز صاحب طرابلس فسارا لنجدته(٢٢٤) ثم أعلن لؤلؤ الخادم صاحب حلب إنضمامه للحلف ضد الحملة السلجوقية(٢٢٥).

وهكذا أصبحت الجبهة التي تضم أمراء الصليبيين والشام، قوية ضد حملة السلطان السلجوقي، التي يقودها برسق بن برسق، وأرى أن هذا الموقف الذي أبداه طغتكين، يؤكد تآمره الذي اتهم به بقتل أمير الجهاد مودود بن التونتكين، ولو أنه وضع يده بيد أمراء الجهاد وسائر الأمراء في الشام والجزيرة وتكاتفوا على قتال الفرنج ـ عدوهم الذي يتربص بهم جميعاً ـ لكان من الممكن أن يفعلوا شيئاً بالفرنج الذين تغطرسوا واعتدوا على ديار المسلمين في جميع أنحاء الشام، وكانت فرقة الأمراء المسلمين فيما بينهم وعداوتهم لبعضهم أكبر مُعين ونصير للامارات الصليبية بهذه البلاد.

انسحب برسق بن برسق إلى الشرق ليقطع نهر الفرات خديعة ومكراً ليوهم الفرنج عودة عساكره إلى الجزيرة، فانسحبت إمدادات الفرنج بقيادة بغدوين ملك القدس وبونز صاحب طرابلس، فأعاد برسق هجومه على كفر طاب والمعرة (وهما بيد الفرنج) فبادره روجر صاحب أنطاكية، وباغته من الخلف وهو لا يشعر فتفرقت عساكره منهزمة إلى الجزيرة على أسوأ حالة، بعد أن لحقت بها خسائر كبيرة في الأرواح والأحمال(٢٢٦) أما قائد الحملة برسق بن برسق فمات بعد مدة وجيزة كمداً وحزناً على ما حل به على يد الفرنج وحلفائهم من المسلمين، وقام المتوكل بإياز بن إيلغازي بقتله على ما قام به أبوه في تآمره وتعاونه مع الفرنج(٢٢٧).

وهكذا انتهت بالفشل حملة من حملات السلطان السلجوقي لتخليص بلاد الشام من مآسيها التي نزلت بها، بسبب الغزو الصليبي والتخاذل الواضح من بعض أمراء السلاجقة خوفاً على مصالحهم الشخصية.

* ولاية جيوش بك على الموصل سنة ٥٠٩ هـ :ـ

تقدم أن السلطان محمد أمر بعزل الأمير البرسقي عن الجزيرة أثناء قيام حملة برسق بن برسق، وأقام مكانه جيوش بك، حيث سار مع الحملة واشترك فيها، ثم عاد بعد الهزيمة التي لحقت بالحملة إلى الموصل.

أما البرسقي فقد اعتزل في الرحبة حتى وفاة السلطان محمد سنة ٥١٢ هـ، ثم انتقل إلى بغداد عندما تولى السلطان محمود بن السلطان محمد مكان أبيه، فتولى شحنكية بغداد(٢٢٨). كان الملك مسعود بن السلطان محمد مع جيوش بك في الموصل عندما توفى أبوه السلطان محمد، فأطاع أخاه السلطان محمود حتى سنة ٥١٤ هـ فحسَّن له جيوش بك الخروج على أخيه محمود وعدم طاعته وأقنعه أنه أحق منه بالسلطان، فوافقه واستعدا لذلك(٢٢٩).

وأثناء ذلك عصى دبيس بن صدقة صاحب الحلَّة على الخليفة والسلطان محمود وجمع حوله العرب والأكراد، فخرج لقتاله أقسنقر البرسقي شحنة بغداد(٢٣٠) فخلت بغداد ممن يحميها، فاستغل الملك مسعود وجيوش بك صاحب الموصل، استغلال هذه الفرصة فخرجا لمهاجمة بغداد، فتمكنا من دخولها، إلاّ أن الخليفة تدخل بين الأخوين وأصلح بينهما وأرضى مسعوداً فأضاف إلى مُلكه أذربيجان زيادة على الجزيرة، على أن يظل أخوه محمود في بغداد ثم هدأ ابن صدقة في الحلّة وعاد البرسقي إلى

بغداد، ومسعود وجيوش إلى الموصل[٢٣١].

ويُستنتج مما تقدم أن دبيس بن صدقة صاحب الحلّة لم يكن راضياً عن الوجود السلجوقي في بلاده، وهذا السبب في إعلان عصيانه للخليفة والسلطان معاً، ثم أن جيوش بك أقحم نفسه في خلافات بين الأخوين إن لم يكن هو الذي أوجد هذه الخلافات، ليزيد من رقعتها وكان الأجدر به أن يتفرغ لقتال الصليبيين الذين كانوا لا يزالون يجثمون على مقربة منه في الجزيرة والشام.

كما يتبين من موقف الخليفة العباسي في حل النزاع بين السلاجقة أن حل هذه النزاعات كان يتم بطريق المراضاة وتهدئة المتنازعين مما يدل على الضعف الشديد الذي وصل بالخلافة وعدم المقدرة على حسم الأمور بطريقة تتناسب مع مكانة الخليفة نفسه.

* ولاية البرسقي الثانية على الجزيرة سنة ٥١٥ هـ :-

قد تكون نتيجة طبيعية أن يأمر السلطان محمود بعزل جيوش بك عن الجزيرة وإقامة شخص آخر مكانه أكثر ولاء منه، خاصة بعدما انكشف أمره بالتآمر عليه، فأمر به فأحضر إلى بغداد بعد أن هدأت الأمور وأرسل مكانه أقسنقر البرسقي، ذلك أنه أثبت ولاءه ومناصحته للسلطان، وهو الذي أحضر أخاه الملك مسعوداً وأصلح بينهما، فترك ذلك أثراً طيباً في نفسه، وكان هذا سبباً في تعيينه مكان جيوش بك[٢٣٢].

كما أضاف له إقطاعاً خاصاً مكونا من سنجار وجزيرة ابن عمر وواسط، وطلب من أمراء الجزيرة طاعته فسار إليها هذه السنة ٥١٥ هـ وأقام في الموصل[٢٣٣].

* حملة البرسقي على حلب سنة ٥١٨ هـ :-

عاد صاحب الحلّة دبيس بن صدقة، إلى إثارة الشغب نواحي بغداد عاصياً الخليفة والسلطان السلجوقي، فخرج إليه أقسنقر البرسقي صاحب الجزيرة سنة ٥١٦ هـ فألحق به عدة هزائم[٢٣٤] حتى اضطر دبيس أخيراً أن يلجأ إلى الفرنج سنة ٥١٨ هـ ليتعاون معهم على حصار حلب، بعد أن اتفق معهم على أن يحكمها باسمهم إذا أعانوه عليها[٢٣٥].

لقيت هذه البادرة عند الفرنج استحساناً وقبولاً طيباً وطمعوا في مُلك حلب، وأغراهم على ذلك دبيس بن صدقة، وفي رواية لابن الأثير أنه قال لهم : ((ان أهلها شيعة وهم يميلون إليَّ لأجل المذهب فمتى رأوني سلموا البلد إليَّ))[٢٣٦].

وهكذا اجتمعت قوات دبيس بن صدقة مع الفرنج في حصار حلب سنة ٥١٨ هـ وكانت لحسام الدين تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق، فاستنجد أهلها بالبرسقي ليخلصهم مما هم فيه، فأسرع بالقدوم لنجدتهم، فانسحب الفرنج وابن صدقة من حول حلب ودخل البرسقي حلب بسلام[٢٣٧].

وبعد أن رتب البرسقي شؤون حلب، خرج إلى الفرنج يتخطفهم، ثم اتجه إلى قلعة عزاز[٢٣٨] وهي لجوسلين الفرنجي فحاصرها، فاستنجد جوسلين بالفرنج فجاءوا إليه بنجدات كثيرة، كما استعان البرسقي بطغتكين، فجاء لنجدته، إلّا أن الفرنج استطاعوا أن يلحقوا الهزيمة بقوات البرسقي فاضطر العودة إلى حلب، ثم ترك ابنه مسعوداً فيها ينوب عنه، وعاد إلى الجزيرة سنة ٥١٨ هـ ليجمع العساكر ثم يعود إلى متابعة الجهاد[٢٣٩].

جمع البرسقي ما يمكن جمعه من التركمان في الجزيرة وعاد بهم إلى حلب سنة ٥١٩ هـ، ليثأر لما أصابه على أيدي الفرنج في السنة الماضية فاستطاع مطاردتهم نواحي حلب، ثم وقّع معهم هدنة وعاد إلى حلب فأقام عليها أمير حاجب صارم الدين بابك بن طلماس نائباً عنه فيها ثم عاد إلى الموصل[٢٤٠].

عاد البرسقي مرة ثالثة إلى حلب أواخر ربيع الآخر سنة ٥٢٠ هـ لمتابعة الجهاد، لأن الفرنج نقضوا هدنتهم معه فاعتدوا على أعمال حلب وضايقوا المزارعين فيها، فراسله جوسلين الفرنجي يطلب إعادة الهدنة والصلح فأجابه إلى طلبه، غير أن جوسلين استعان بملك القدس وبدأ بشن غارات متواصلة على نواحي حلب ينهب ويعتدي على السكان الآمنين فرد عليه البرسقي بشن غارات إنتقامية، ثم عادوا فجددوا الهدنة مرة أخرى وعاد كل منهم إلى بلاده فأقام ابنه عز الدين مسعود نائباً عنه بحلب ثم قفل عائداً إلى الموصل في شهر ذي القِعدة سنة ٥٢٠ هـ[٢٤١].

يُستنتج مما تقدم أن أعمال البرسقي في مقاومة الفرنج كانت أعمالاً محدودة قام فيها بجهد فردي مع جماعة قليلة من التركمان، وكان شديد الحرص على إقامة هدنة بينه وبين الفرنج، ولو أنهم نقضوها عدة مرات، ولم يحترموا هدنته بالرغم من تجديدها مراراً مما يدل على أن البرسقي لم يكن مستعداً لهم، وأعتقد أنه كان يجهز لحملة أكبر بعد ترتيب أوضاعه في الجزيرة وحلب.

* مقتل البرسقي سنة ٥٢٠ هـ :-

بعد خروجه من صلاة الجمعة في مسجد الموصل، هاجمه جماعة من الباطنية فطعنوه بالسكاكين فقتلوه في شهر ذي الحجة سنة ٥٢٠ هـ[٢٤٢] ولما علم ابنه عز الدين مسعود بذلك وهو بحلب استناب عليها مكانه الأمير تومان وتوجه إلى بغداد يطلب الامارة لنفسه على ما كان لأبيه، فأمّره السلطان عليها وكتب له منشوراً بذلك ثم عاد إلى الموصل وتولى أمرها سنة ٥٢١ هـ[٢٤٣].

وهكذا يبرز الباطنية من جديد ليقتلوا قائداً كبيراً من قادة السلاجقة المخلصين، بعد أن وسّع إمارته إلى حلب وعقد العزم على مطاردة الفرنج، وتزعّم حركة الجهاد بعد مقتل الأمير مودود، وتمكن أن يرد إعتداءات الفرنجة عن حلب ويضمها إليه بعد أن كانت على وشك السقوط بأيديهم، ثم ربط حلب بالموصل وعمل على قطع طرق الامدادات عن الرها تمهيداً لغزوها، لذا فإن الفرنج استفادوا كثيراً من مقتله كما استفاد الباطنية من مقتله أيضاً لأنه كان يسعى إلى توسيع الامارت السلجوقية ونشر المذهب السني والقضاء على النفوذ الفاطمي والصليبي في الشام.

توجه عز الدين مسعود إلى الرحبة في الشام سنة ٥٢١ هـ ليستولي عليها، وقد ذكر ابن العديم، أنه كان يعتقد أن أهلها أعانوا الباطنية على قتل أبيه ليتخلصوا منه فقصدها لينتقم من أهلها[٢٤٤] بينما يرى بعض المؤرخين أنه قصد الشام ليأخذها فمال إلى الرحبة مبتدئاً بها[٢٤٥].

وأعتقد أن هذه الرواية أقرب إلى الصحة، إذ أن رواتها ممن عاصروا هذه الأحداث ويُحتمل أن عز الدين مسعود أصابه الغرور فاعتقد أن بإمكانه توسيع إمارته إلى مناطق جديدة إضافة إلى ما كانت بيد أبيه.

أرسل عز الدين مسعود إلى حلب ختلغ أبه غلام السلطان محمود ومعه منشور السلطان بتمليك حلب إلى عز الدين مسعود، فمنعه تومان (نائب عز الدين على حلب أيام أبيه) من الدخول فرجع ختلغ أبه إلى مسعود وهو مقيم على حصار الرحبة.

وقد ذكر المؤرخون أن صاحب الرحبة استسلم لعز الدين ونزل إليه ليسلمه المدينة فوجده قد مات[٢٤٦] وهذا يدل على أن مؤامرة حِيكَت ضده فقتل بالسم للتخلص منه. ثم عادت عساكر البرسقي إلى الموصل، وخطب فيها لأخٍ صغير لعز الدين مسعود البرسقي وتولى أموره أحد مماليك أبيه ويدعى جاولي، وسعى لدى السلطان محمود السلجوقي كي يقرره على البلاد التي كانت لأخيه من قبل، لكن السلطان السلجوقي أرسل عماد الدين زنكي ليتولى أمر الجزيرة ومتابعة الجهاد ضد الصليبيين كما سيأتي في فصل لاحق إن شاء الله تعالى وبعونه.

هوامش الفصل الرابع

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢٢. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٩٤.

(٢) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٧٠ ـ ٧١. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢١٩. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٣١٠ ـ ٣١١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٦٣.

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٩٩ ـ ٢٠٠. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/١١. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٧. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٣.

(٤) خاتون : بمعنى السيدة استُعملت لقباً لعاهلات المغول وأميراتهم وسيدات الطبقة العالية، وفي التركية يقال قاتون، بمعنى المرأة المتزوجة أو السيدة. واستعملت في عهد المماليك لقباً للملكات وبناتهن وأمهاتهم وأخواتهن. (دائرة المعارف الاسلامية مادة خاتون جـ ٨/١٧٩).

(٥) الراوندي : راحة الصدور/٢١٥. ابن النظام الحسيني : العراضة/٧٢. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام جـ ٢/٣٧. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧١.

(٦) ابن النظام الحسيني : العراضة/٧٢.

(٧) الراوندي : راحة الصدور/٢١٥ ـ ٢١٧. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٣٠٣. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧١.

(٨) الراوندي : راحة الصدور/٢١٧. ابن النظام الحسيني : العراضة/٧٤. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٤٦.

(٩) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٧٠ ـ ٧١. ابن خلدون : العبر م ٥/٣١٠ ـ ٣١١. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٦٣.

(١٠) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٧٥. ابن الأثير : الباهر/١٢، والكامل جـ ١٠/٢١٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٠٦ ـ ١٠٧. أبوشامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٦٥. ابن شداد : الاعلاق جـ ٣ ق ٢/٦٠٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٣. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٠.

(١١) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٧٠ ـ ٧١. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٩. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٧.

(١٢) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٢٩٣.

(١٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٢٠. ابن خلدون : العبر م ٤/٥٧٧. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٣٨ ـ ١٣٩.

(١٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢٢. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٢٠.

(١٥) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٣٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣١٠.

(١٦) ابن الأثير : الباهر/١٢ ـ ١٣. والكامل جـ ١٠/٢١٩ ـ ٢٢٠. أبوشامة : الروضتين في تاريخ الدولتين جـ ١ ق ١/٦٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٣. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٩. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٧٨، م ٥/٣١٠. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٢. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٧٠.

(١٧) ابن القلانسي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣١٠. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٤١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٦٤.

(١٨) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٣٦. ابن الأثير : الباهر/١٢ ـ ١٣. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٩.

(١٩) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٠٧ ـ ١٠٩. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٢٩، ٣١٠ ـ ٣١١.

(٢٠) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٣٢. أبوشامة : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ق ١/٦٥ ـ ٦٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٤. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣١٠.

(٢١) ابن الأثير : الباهر/١٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٠. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٣١٠ ـ ٣١١. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٧٠.

(٢٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢٦. الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٤٣. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨٣. أبو الفرج بن الجوزي : جـ ٩/٧٠ ـ ٧١. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١١١ ـ ١١٧. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٩. تاريخ سورية م ٥/٤٧٣. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/٢٢٧.

(٢٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢٦ ـ ١٣٠. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨٣. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٣٢ ـ ٢٤٤. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١١٨. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢٩٥. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٤٣. ابن خلدون : العبر م ٥/٣١١.

(٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١١٨. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٥.

(٢٥) الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٠. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٣.

(٢٦) أبو الحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٧٤. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/١٣، اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٤٣. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٤٦. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٨٧.

(٢٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٤٨. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٣٢. زكار : مدخل ألى تاريخ الحروب الصليبية/٢٢٨.

(٢٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٤٤.

(٢٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢٦ ـ ١٣٠. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٧٠.

(٣٠) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٤٣. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨٣. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٤٤. ابن العديم . زبدة الحلب جـ ٢/١١٩. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢٩٥. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٥. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٦. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٤٨.

(٣١) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٤٤ ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٥٨. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٢١. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢١٩.

(٣٢) سَرُوج : مدينة بنواحي حران في الجزيرة وهي من ديار بكر. ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٢١٦. أبو الفداء : تقويم البلدان/٢٧٦.

(٣٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٤٦. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٦. ابن خلدون : العبر م ٥/٣١٣.

(٣٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٤٨.

(٣٥) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١١٩ ـ ١٢٠.

(٣٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٤٦ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٦. ابن خلدون : العبر م ٥/٣١٣. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٤. الطباخ : أعلام النبلاء جـ ١/٣٧٣.

(٣٧) زبدة الحلب جـ ٢/١٢٣.

(٣٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٠. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٤٦. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣١٩. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٤٥. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٧٠.

(٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٢١. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٧. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٤.

(٤٠) الأتابك طغتكين : حظي بمركز مرموق عند تتش وقدمه على أبناء جنسه، ثم سلمه دقاق ليشرف على تربيته وزوّجه أمه (أم دقاق). ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٠.

(٤١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٢١ ـ ١٢٢. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣١٩.

(٤٢) تاريخ الفارقي/٢٧٨.

(٤٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٢١.

(٤٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣١ ـ ١٣٢. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٢٦٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٢٤ ـ ١٢٥.

(٤٥) سُمَيْسَاطُ : مدينة على شاطىء الفرات من ناحية الشام. ياقوت : معجم البلدان جـ٣/٢٥٨.

(٤٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٢٦ أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٠٩. اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/١٥٢. الدبس : تاريخ سورية م٥/٤٧٤. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/٢٣٥. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٧٣ ـ ٧٥.

(٤٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٣ ـ ١٣٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢١٠. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/١٥٨. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٥٤. كرد علي : خطط الشام جـ١/٢٧٣.

(٤٨) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٢٦٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٢٨ ـ ١٢٩. الدبس : تاريخ سورية م٥/٤٧٥. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٧٨. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية/٧٥.

(٤٩) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٦٩. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/١٩.

(٥٠) جَبَلَةُ : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/١٠٥.

(٥١) ابن القلانسي : ذيل دمشق/١٣٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢١٣.

(٥٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٤. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٣٤٧. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٣/٤٠٥.

(٥٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٥٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢١٧. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/١٩.

(٥٤) زبدة الحلب جـ٢/١٥٠.

(٥٥) بَعْلَبَك : مدينة مشهورة في الشام قرب دمشق بينهما أثنا عشر فرسخاً. القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد/١٥٦.

(٥٦) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢١٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٣٤٧. الدبس : تاريخ سورية م٥/٤٧٦.

(٥٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٨٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٢١. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٢٧.

(٥٨) كان برفقة رضوان أثناء عودته إلى حلب واستيلائه عليها سنة ٤٨٨ هـ. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٠٦. ابن خلدون : العبر م٥/٣١٣. الدبس : تاريخ سورية م٥/٤٧٤. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٢٤. زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٥٩) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/١٣٥. ابن العديم زبدة الحلب جـ٢/١٤٠ ـ ١٤١.

(٦٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٣. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٢٦٩. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٧٥.

(٦١) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٩/١٢٠. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٣١٣، ٤٩٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٢٢، ١٤٥ ـ ١٤٧، ١٥١. ابن النظام الحسيني : العراضة/٨٤. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٥٩. سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب/٢٨٠.

(٦٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٤٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٣٤٣.

(٦٣) زبدة الحلب جـ٢/١٤٤ ـ ١٤٥.

(٦٤) زبدة الحلب جـ٢/١٣٨ ـ ١٤٠.

(٦٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٦ ـ ٢٨٢ والباهر/١٧. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٣٣ ـ ١٣٨، ١٥٩. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٠، ٢٢٥. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٣/٣٩٦.

(٦٦) النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٠٥.

(٦٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٨٩. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٩٩. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٢٦. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٩٤. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٧٦. ابن خلدون : العبر م ٥/٣٢٦

(٦٨) أخبار الدول وآثار الأول/٢٧٧

(٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٦٧. أبو الفداء : المختصر جـ ٢/٢٢٧. العيني : عقد الجمان جـ ٢٠/ق ٤ ورقة ١٧٦ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٤.

(٧٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٠. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٩٤.

(٧١) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٧١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤١٧.

(٧٢) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/١٩١ وابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٢ ـ ٥٠٩. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٢٦. ابن خلدون : العبر م ٥/٣٢. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٠٨.

(٧٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٧١ ـ ١٧٢. أبو الفداء : المختصر جـ ٢/٢٢٨. العيني : عقد الجمان جـ ١٥/٧١٩ مخطوط ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات جـ ١ ورقة ١٠٢ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ تاريخ. الأراتقة : هم أبناء أرتق بن أكسب التركماني الذي ورد ذكره ص ٥٧ في الفصل الثاني وكان تابعاً للسلاجقة.

(٧٤) أنظر ص ٩٩ ـ ١٠٠ في البحث.

(٧٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٥٨ والباهر/١٥. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٢٨، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٨. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/١٧.

(٧٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٥٨ والباهر/١٥، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٥٢، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٧٨.

(٧٧) بَلَدْ : وتسمى بَلَطُ : وهي مدينة كبيرة على نهر دجلة فوق الموصل بينها سبعة فراسخ وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً. ياقوت : معجم البلدان جـ ١٠/٤٣٠. البغدادي : مراصد جـ ١/٢١٨.

(٧٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٣٠ والباهر/١٥. أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ق ١/٦٧.

(٧٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٣٠.

(٨٠) جزيرة ابن عمر : ورد تعريفها في هامش رقم (١٧١) في الفصل الثاني ص ٦٧.

(٨١) ابن الأثير . الكامل جـ ١٠/٢٥٨ ـ ٢٥٩ والباهر/١٥. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٨. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣٢٤. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٥٢. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٤٠ ـ ١٤١.

(٨٢) ابن الأثير : الباهر/١٦.

(٨٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣٩٠. ابن خلدون : العبر م ٥/٤٦٦.

(٨٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٤٦. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٩.

(٨٥) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٠٥، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٣/٣٩٦. باركر . الحروب الصليبية/٢٦. حتي : تاريخ العرب جـ ٢/٧٥٤.

٨٦) الكامل : جـ ١٠/٢٧٤.

٨١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٤. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٩ ـ ٢١٠. باركر : الحروب الصليبية/٣٣. الدبس : تاريخ سورية م ٦/٩ ـ ١١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٧٩. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٥٦. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٤٧٩.

(٨٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٢٩. باركر : الحروب الصليبية/٣١. زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية/٢٠. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٨٢ ـ ١٨٣.

(٨٩) الكامل جـ ١٠/٢٧٥.

(٩٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٤. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٧٧.

(٩١) الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٤. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٤٠. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/٣٩٦. الدبس : تاريخ سورية م ٦/١٣. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٧٧ ـ ٣٨٠.

(٩٢) مختصر تاريخ العرب/٢٨٥ وما بعدها.

(٩٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٦. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٤. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٣٢. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٤٦. زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية/٢٠ ـ ٢١. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٩٧ كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٨٠.

(٩٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٥. ابن الأثير . الكامل جـ ١٠/٢٧٤. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣٣٠. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٥٤. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٥٥.

(٩٥) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٣٥. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٠. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٤. الدبس : تاريخ سورية م ٦/١٣.

(٩٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٤٦. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/٣٩٦. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٨٠.

(٩٧) أنظر خلافات سلاطين السلاجقة فيما بينهم : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٧ ـ ١٤٧. أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٠٩، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٣. أبو الحسن الحسيني . أخبار الدولة السلجوقية/٧٦ ـ ٧٩. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤١. أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين جـ ١ ق ١/٦٥. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٧. ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية/٧٩ ـ ٨٢. ومما يُذكر أن محمد وسنجر يجتمعان مع أخيهم ملكشاه من ناحية الأب ملكشاه فقط. أنظر أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١١ ـ ٢١٢.

(٩٨) أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/١٨٩. زكّار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية/٢٤١. سميل : الحروب الصليبية/٤٩. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/١٧٤ وما بعدها. عليّة عبدالسميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/٥٣ ـ ٦٠.

(٩٩) تلّ باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة شمال حلب. ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/٤٠.

(١٠٠) الرَّاوَنْدَانُ : قلعة حصينة وكورة خصبة من نواحي حلب. ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٩.

(١٠١) باركر : الحروب الصليبية/٣٣. سميل : الحروب الصليبية/١٨٩. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/١٠٢.

(١٠٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٩١. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٣٣ ـ ١٣٧. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٠. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/١٩. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/٢٠٠.

(١٠٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٦. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٩٦.

(١٠٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٦. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٦. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٤ ـ ١٥. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٥٥. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٤٧. باركر : الحروب الصليبية/٣٩. حتّي : تاريخ العرب جـ ٢/٧٥٥. شاكر أحمد : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية/٣٩. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية/٢٠٤. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٨٠ ـ ٢٨١.

(١٠٥) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٣٦ ـ ١٣٧. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٤. الدبس : تاريخ سورية م ٦/١٨. زكي النقاش : العلاقات/٢١.

(١٠٦) ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/١٩

(١٠٧) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٤. وما بعدها. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٦. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٠. الدبس : تاريخ سورية م ٦/١٨. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٨٣.

(١٠٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ /٢٧٧. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٣٦ - ١٣٧. النويري : نهاية الأرب لوحة ٧٥ مخطوط، دار الكتب المصرية. نسخة مصورة رقم ٥٤٩ معارف عامة. ابن الشحنة : الدار المنتخب/٢١٦. العيني : عقد الجمان جـ ١٥/٥٠٣ مخطوط. دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤. تاريخ.

(١٠٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٦ وما بعدها ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٣٣ - ١٣٨. ابن خلدون : العبر م ٥/٤١. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٤٧. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣/٣٩٦. زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية/٢١. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٢٠٤. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٨٠ - ٢٨١.

(١١٠) أنظر حروب السلطان برقياروق مع اخوته محمد وسنجر ص ١١٢ في هذا البحث.

(١١١) أنظر نظام الاقطاع عند السلاجقة من الفصل السابع في هذا البحث.

(١١٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٨. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٦. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٠. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٤٧. الدبس : تاريخ سورية م ٦/٢٧. سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب/٢٨٦.

(١١٣) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/١٣٦ - ١٣٨. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣٠١. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/١٥٧ - ١٥٨.

أفَامِيَة : مدينة حصينة من سواحل بحر الشام وكورة من كور حمص وتسمى فامية بدون همزة. ياقوت : معجم البلدان جـ ١/٢٢٧.

(١١٤) عِرْقَةُ : بلدة شرقي طرابلس الشام وهي آخر أعمال بينها وبين بحر الروم (بحر الشام) نحو ميل. ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/١٠٩. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٢/٩٣٣.

(١١٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٨. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/١٤ - ١٥.

(١١٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ١٣٦ - ١٣٨. أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٠٨. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٥٥. نتنج : العرب/٢٣٦.

(١١٧) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣٢٤. أبو الفداء : المختصر جـ ٢/٢١٤. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣٣٨. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٨٩.

(١١٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٧ - ١٤٧. أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٠٩، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٣. أبو الحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٧٦ - ٧٩. ابن النظام الحسيني : العراضة/٧٩ - ٨٢.

(١١٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣٤١. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/٢٤.

(١٢٠) حِصْنُ كَيْفَا : ويُقال لها كيبا، وهي قرية وقلعة مشرفة على نهر دجلة بين آمد وميافارقين وجزيرة ابن عمر. ياقوت : معجم البلدان جـ ٢/٢٦٥. البغدادي . مراصد الاطلاع جـ ١/٤٠٧.

(١٢١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣٤١. أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٣٢.

(١٢٢) ابن الأثير : الباهر/١٥ - ١٦. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٥.

(١٢٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٠. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٨٨ - ٨٩.

(١٢٤) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٧. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٣٩٨. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٩٢. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/٩٥ - ١٠١.

(١٢٥) الكامل جـ ١٠/٣٧٣.

(١٢٦) نهر الخَابُور : ينبع من عين يُقال لها الزاهرية في الجزيرة ثم يسير فيصب في نهر الفرات. أبو الفداء : تقويم البلدان/٥٢.

(١٢٧) نهرُ البَلِّيخ : ينبع من أرض حرّان في الجزيرة ويصب في نهر الفرات أسفل الرقة. ابن خرداذبة : المسالك والممالك/١٧٥.

(١٢٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٣. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢١٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٩٢. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/٣٩٢. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٨٦.

(١٢٩) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٧٤. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣٧٣ - ٣٧٤. ابن خلدون : العبر م ٥/٦٩، ٣٩٨. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية/٢١٠.

(١٣٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٧ - ١٤٧. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٠٩، ١٢٣، ١٣٠ - ١٣٣. أبوالحسن : أخبار الدولة السلجوقية/٧٦ - ٧٩. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٤١، ٢٦٥، ٢٨٧، ٣٠٥، ٣٢٩، ٣٥٩. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣٣٢ - ٣٤٥.

(١٣١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٧. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣٨٢. ابن خلدون : العبر م ٥/٧٢.

(١٣٢) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٤١. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٧ - ١٩٨. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٢٠ السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٨٢.

(١٣٣) الكامل جـ ١٠/٣٨٣ - ٣٨٤.

(١٣٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٢٢ - ٤٢٣.

(١٣٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٥٦.

(١٣٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٢٣ والباهر/١٦. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٦٦. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٧٨.

(١٣٧) زنكي بن جكرمش، خلاف عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة أقسنقر جد الزنكيين.

(١٣٨) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢١.

(١٣٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٢٣. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٧٨.

(١٤٠) البداية والنهاية جـ ١٢/١٦٦.

(١٤١) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٧٢. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٥٠.

(١٤٢) ابن العبري . تاريخ مختصر الدول/١٩٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢١.

(١٤٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٥٦ - ١٥٧. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٢٣، ٤٢٩.

(١٤٤) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٧٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣٥٥، جـ ٤/٣. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٦٦. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية/٩٥.

(١٤٥) ابن الأثير : جـ ١٠/٤٣٣. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢١.

(١٤٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٥٩ - ١٦٠. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٨٠. ابن النظام الحسيني : العراضة/٩١. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/١ - ٢. عبدالجبار ناجي : الامارة المزيدية/١٢٥. دار الطباعة الحديثة - بغداد - بدون تاريخ. الجنزوري. إمارة الرها الصليبية/١٩٠.

(١٤٧) ابن الأثير . الكامل جـ ١٠/٤٥٧ والباهر/١٦ - ١٧. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٣. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٨٣.

(١٤٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٥٧. ابن خلدون : العبر م ٥/٨٣.

(١٤٩) ابن الأثير : الباهر/١٦ - ١٧.

(١٥٠) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٧٥. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٩. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٩٨.

(١٥١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٦٢. ابن خلدون : العبر م ٥/٨٤.

(١٥٢) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٩٨ - ٣٩٩. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٣٣.

(١٥٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٨٤.

(١٥٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٥٠ ـ ١٥١، ١٦٩. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤١٥.

(١٥٥) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٣. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٣٣ ـ ١٣٥.

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٩٤/٤٩٥. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٤. الجنزوري : إمارة الرها/١٣٧.

(١٥٧) ذيل تاريخ دمشق/١٦٥.

(١٥٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٤ رنسيمان · الحروب الصليبية جـ ٢/١٨٧ـ بيروت ١٩٦٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(١٥٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٦٩ ـ ١٧٠. رنسيمان : الحروب الصليبية جـ ٢/١٨٨ ـ ١٨٩. عاشور : الحركة الصليبية جـ ١/٤٥٨. عليَّة الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٣٧.

(١٦٠) ذيل تاريخ دمشق/١٧٠.

(١٦١) ابن الأثير · الكامل جـ ١٠/٤٨٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٧.

(١٦٢) الأثارِبُ : قلعة مشهورة بين حلب وأنطاكية، بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ. ياقوت · معجم البلدان جـ ١/٨٩.

(١٦٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٤. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥. الطباخ الحلبي · أعلام النبلاء جـ ١/٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(١٦٤) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/١٦٧. الحافظ الذهبي . دول الاسلام جـ ٢/٢٣.

(١٦٥) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(١٦٦) صيداء : مدينة على ساحب بحر الشام من أعمال دمشق (سابقاً) شرقي صور بينهما ستة فراسخ . ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٤٣٧ .

(١٦٧) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٨٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥. الدبس : تاريخ سورية م ٥/٤٧٦.

(١٦٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٧٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٧ ـ ١٥٨. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٤١٢. العيني : عقد الجمان جـ ٢٠ ق ٣ ورقة ٦٥٢ مخطوط.

(١٦٩) الكامل جـ ١٠/٤٨٣.

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٨. ابن الأثير : الباهر/١٨. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٧. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٨٧. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٤٢ ـ ١٤٣

(١٧١) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٠٦. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٧٢. أبوالمحاسن . النجوم الزاهرة جـ ٥/١٩٩. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٠٦ ـ ٤٠٨.

(١٧٢) مَرَاغَة · من مدن أذربيجان غربي تبريز. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ٣/١٢٥٠. أبوالفداء : تقويم البلدان/٣٩٩.

(١٧٣) إربِل : مدينة حصينة وكبيرة تعد من أعمال الموصل. ياقوت : معجم البلدان جـ ١/١٣٧.

(١٧٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٧٢ ـ ١٧٤. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٨٢ ـ ٤٩٥ أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٥. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٩.

(١٧٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٧٥ ـ ١٧٧. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٢٤.

(١٧٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٨٢. ابن خلدون : العبر م ٥/٤١٢.

(١٧٧) سميل : الحروب الصليبية/١٤٧. بيروت ١٩٨٢. عليَّة الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٤٣.

(١٧٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٩٥. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٩. ابن خلدون : العبر م ٥/٨٧.

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٨. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٩. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/١٧٧.

(١٨٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٧٤.

(١٨١) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٧٧. ابن الأثير : الباهر/١٧. اليافعي : مرآة الجنان جـ ١٧٧/٣. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٧٢/١٢. أبو المحاسن : النجوم الزهرة جـ ١٩٩/٥. سميل : الحروب الصليبية/١٤٨.

(١٨٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٤٨٥/١٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١٥٩/٢.

(١٨٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٧٥/١٧٧. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٤٣ ـ ١٤٥.

(١٨٤) ابن الأثير : الباهر/١٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٩/٤. ابن خلدون : العبر م ٨٧/٥. سميل : الحروب الصليبية/١٤٧.

(١٨٥) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢٢٥/٢. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٧٢/١٢. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١٩٩/٥ ـ ٢٠٥. ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات جـ ١ ورقة ٦٩ مخطوط. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ٤٠٦/١ ـ ٤٠٨. عاشور : الحركة الصليبية جـ ٣٠٥/١.

(١٨٦) زبدة الحلب جـ ١٥٩/٢.

(١٨٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٧٧. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١٥٩/٢ ـ ١٦١. ابن خلدون : العبر م ٤١٢/٥. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١٩٩/٥.

(١٨٨) ابن الأثير . الباهر/١٧ ـ ١٨.

(١٨٩) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٩ وما بعدها. . ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٨٧/٥.

(١٩٠) الباهر/١٨.

(١٩١) ذيل تاريخ دمشق/١٨٤

(١٩٢) الكامل جـ ٤٩٥/١٠ وما بعدها.

(١٩٣) ابن الأثير : الباهر/١٨ ـ ١٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١٦٣/٢. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٩. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢٦٦/٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ١٢/٤. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٨٨/٥. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٤٩.

(١٩٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٤٩٥/١٠. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢٦٦/٢. الجنزوري : إمارة الرها/١٤٩.

(١٩٥) طَبَرِيَّةُ . بلدة مطلة على بحيرة طبرية من أعمال الأردن (سابقاً) بينها وبين دمشق ثلاثة أيام. ياقوت : معجم البلدان : جـ ١٧/٤.

(١٩٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٨٤. ابن الأثير : الباهر/١٨ ـ ١٩.

(١٩٧) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٩. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ١٢/٤. اليافعي : مرآة الجنان جـ ١٩٣/٣. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٧٣/١٢. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٨٨/٥. سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب/٢٩٣.

(١٩٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٨٦.

(١٩٩) زبدة الحلب جـ ١٦٣/٢.

(٢٠٠) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٨٠. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٦١. أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ١٦٧/٩. ابن الأثير : الكامل جـ ٤٩٥/١٠. أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ٦٨/١ ـ ٦٩. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢٤٢/١. ابن العبري . تاريخ مختصر الدول/١٩٩. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٧٣/١٢. العيني : عقد الجمان جـ ٢٠/لوحة ٦٧٩ ـ ٦٨١، مخطوط.

(٢٠١) ابن الأثير : الباهر/٩. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢٢٦/٢. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٨٤. عبدالمنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب/٥٤. محمد الشيخ : الجهاد المقدس/٢٤٤.

(٢٠٢) الباهر/١٩.

(٢٠٣) ابن منقذ : الاعتبار/٧٣. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٩. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٨. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/١٧. ابن خلدون : العبر م ٥/٩٠. سميل : الحروب الصليبية/١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢٠٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٨٧. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨/٥١.

(٢٠٥) هو سيف الدين أبو سعيد البرسقي، كان مملوكاً تركياً عند السلاجقة ثم ترقّت به الأحوال إلى أن تسلم شحنكية بغداد سنة ٤٩٨ هـ ثم تولى إمارة الجزيرة سنة ٥٠٨. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢٤٢. ابن شدَّاد : الأعلاق جـ ٣ ق ٢/٥٧٧.

(٢٠٦) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠١. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٧. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٧٨. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٨٩. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤١٨. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية/٢٢٧.

(٢٠٧) أبو الحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٠٦. ابن الأثير : الباهر/١٩.

(٢٠٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠١. ابن خلدون : م ٥/٨٩ وما بعدها. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٥١. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٢٢٨.

(٢٠٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤١٨.

(٢١٠) سُمَيْسَاطُ : مدينة على شاطىء الفرات من الناحية الغربية. ياقوت : معجم البلدان جـ ٣/٢٥٨.

(٢١١) مَرْعَشُ : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم. ياقوت : معجم البلدان جـ ٥/١٠٧.

(٢١٢) رَعْبَانُ : مدينة قرب نهر الفرات بين حلب وسميساط. ياقوت : معجم اللدان جـ ٣/٥٢.

(٢١٣) كَيْسُوم : قلعة مستطيلة الشكل من أعمال سميساط في الجزيرة. ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/٤٩٧.

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤١٨. عمادالدين خليل : الامارات الأرتقية/٢٢٨.

(٢١٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠١. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٢٢٧.

(٢١٦) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٧ وما بعدها. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٩٠.

(٢١٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩١. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٢.

(٢١٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٢ وما بعدها.

(٢١٩) ابن منقذ : الاعتبار/٧٣. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٨. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/١٧. سميل : الحروب الصليبية/١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢٢٠) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٨٢. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٩. ابن خلدون : العبر م ٥/٩٢.

(٢٢١) حماة : مدينة كبيرة على نهر العاصي في الشام، بينها وبين حلب ثلاثة أيام. البغدادي : مراصد الاطلاع جـ ١/٤٢٣.
ابن منقذ : الاعتبار/٧٣. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٩. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/١٧. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٧٨. سميل : الحروب الصليبية/١٥٠.
بُزَاعَةُ : وتسمى بزاغا ، وهي قلعة تعد من أعمال حلب. ياقوت : معجم اللدان جـ ١/٤٠٩.

(٢٢٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٩٠. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٢١. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٥٣.

(٢٢٤) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر. سميل : الحروب الصليبية/١٥١.

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٩.

(٢٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٧٥. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/١٧. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٩٠.

(٢٢٧) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٠٩ وما بعدها. ابن خلدون : العبر م ٥/٩٠ وما بعدها.

(٢٢٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥١٤ ـ ٥٣٣. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢٢٩) ابن الأثير : الباهر/٢٣. أبو شامة . الروضتين جـ ١ ق ١/٧٢. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٧١.

(٢٣٠) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٣٩.
الشِّحْنَةُ : من فيه الكفاية من أولياء السلطان لضبط البلاد. ابن منظور : لسان العرب جـ ١١/٢٣٤.

(٢٣١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٣٠ وما بعدها. أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٧٢.

(٢٣٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٥٨٨. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٣٦. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٨٨.
الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٥٤.

(٢٣٣) ابن الأثير . الكامل جـ ١٠/٦٠٤. ابن كثير . البداية والنهاية جـ ١٢/١٩٠. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/١٠٧.

(٢٣٤) أبو الفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٢٤٢ ـ ٢٤٥. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٣٦. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٩٠.

(٢٣٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٠٧

(٢٣٦) المصدر نفسه/٦٢٣

(٢٣٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١١. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٢٢٢ ـ ٢٢٨. ابن خلدون : العبر م ٥/١١٢.
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٢٨. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٧٧ ـ ١٨٠. شاكر أبو بدر : الحروب الصليبية/٤٧.

(٢٣٨) عَزَازُ : بليدة وفيها قلعة شمالي حلب بينهما يوم واحد. ياقوت : معجم البلدان جـ ٤/١١٨.

(٢٣٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١٠. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٢٨. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٣٨.

(٢٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٢٣١ ـ ٢٣٣ الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٦١.

(٢٤١) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٢٣١ ـ ٢٣٣. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٦٢.

(٢٤٢) ابن الأثير : الباهر/٣٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢٤٢. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٣٨. الحافظ الذهبي . العبر في خبر من غبر جـ ٤/٤٦. العيني : عقد الجمان جـ ٢٠ لوحة ٨٤٧. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٣٠.
ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٤/٦١. الديوه جي : الموصل في العهد الأتابكي/١٩.

(٢٤٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١٦. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٢٣٦. أبو شامة : الروضتين جـ ١ ق ١/٧٤.
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٢. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٥٥.

(٢٤٤) زبدة الحلب جـ ٢/٢٣٦. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٧١.

(٢٤٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١٦ ـ ٢١٧. ابن الأثير : الباهر/٣٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان/٢٤٢. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٩٥. ابن خلدون : العبر م ٥/١١٧. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٣٢.

(٢٤٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢٤٢ وما بعدها.



الفصل الخامس

أتابكـة الشـام

الفصل الخامس
أتابكة الشام

أولاً : في دمشق

* الأتابك ظهير الدين طغتكين.
* جهاد طغتكين ضد الصليبيين.
* وفاة طغتكين.
* تاج الملوك بوري بن طغتكين.
* موقف تاج الملوك بوري من الباطنية في الشام والقضاء عليهم.
* شمس الملوك اسماعيل بن تاج الملوك بوري.
* جهود شمس الملوك اسماعيل ضد الفرنج.
* شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري.
* مجير الدين آبق بن جمال الدين محمد بن بوري.
* علاقة آبق بالصليبيين.

ثانيـاً : في حلب

* الأتابك لؤلؤ الخادم.
* إيلغازي بن أرتق بن أكسب التركماني.
* نور الدولة بلك غازي بن بهرام بن أرتق وموقفه من الفرنج.

أولاً

في دمشق

بعد أن تعرضت في الفصول السابقة الى قيام الإمارات السلجوقية في الشام والجزيرة وانشغال الأمراء السلاجقة في حروب دامية إما مع بعضهم البعض أو مع الإمارات الصليبية التي استحكمت وقويت في عهد السلاجقة في بلاد الشام. ثم أوضحت الظروف التي أتاحت قيام الأتابكيات السلجوقية في الشام مما زاد الأمور تعقيداً وتراجعاً أمام المد الصليبي، أنتقل الآن لبيان حكم الأتابكة الزنكيين السلاجقة في الجزيرة وكيفية امتداد حكمهم الى الشام، وسوف أسلط الأضواء في هذا الفصل إن شاء الله على الطريقة التي عالج فيها الزنكيون الأوضاع المتردية ليتسنى لهم مواصلة الجهاد، كما سأتطرق الى تقويم علاقاتهم مع سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين، وما آلت اليه أوضاع الجزيرة والشام ضمن ظروف متشابكة في العلاقات بين الخلفاء والسلاطين وأتابكتهم في هذه المنطقة.

* الأتابك[1] ظهير الدين طغتكين :

كان لقب الأتابك يُمنح لمن يفوضه السلطان السلجوقي في تربية أولاده الصغار فهو بمنزلة الأب المربي، ثم توسع السلاجقة في مفهوم هذا اللقب فأطلقوه على أمراء الجيوش وعظماء الدولة كلقب شرف يطلق عليهم[2] ثم جرت العادة عند سلاطين السلاجقة وأمرائهم أن يزوّجوا أمهات أولادهم الى هؤلاء الأتابكة ويمنحوهم حق الرعاية والوصاية عليهم وتدبير شؤون إماراتهم، كما عهد السلاطين إلى هؤلاء الأتابكة بحكم الإمارات السلجوقية باسم أولادهم بعد أن عهدوا اليهم بتربيتهم والإشراف عليهم[3].

ومن أشهر هؤلاء الأتابكة ظهيرالدين طغتكين، فقد كان من موالي الأمير تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي، فجعله أتابكا لولده دقاق وزوجه بأم دقاق الخاتون صفوة الملك[4].

يقول أبوالمحاسن : ((وزوجه (تتش) ام ابنه دقماق (دقاق) ونص عليه في أتابكيَّة ابنه دقاق المذكور، فقام بتدبير ملكه أحسن قيام، وغزا الفرنج غير مرة وله في الجهاد اليد البيضاء))[5].

والواقع ان هذا النظام الذي سار عليه السلاجقة، كان بقصد ضمان الإمارات الى أبنائهم بإشراف هؤلاء الأتابكة كأوصياء عليهم، وقد ساعد هذا النظام الأتابكة أن يتدخلوا في شؤون البلاد صغيرها وكبيرها حتى استطاعوا فيما بعد أن يقيموا لهم أسراً حاكمة ترتبط ارتباطاً اسمياً بالسلطان السلجوقي وذلك بذكر اسمه في الخطبة على منابر المساجد وبضرب السكة باسمه، ويتعهد أحياناً بدفع الأموال اللازمة الى السلطان وتجهيز الجيوش عند الحاجة لمساعدته إذا طُلب منه ذلك، وقد تقدم أن تتش السلجوقي ولىّ ميّافارين وديار بكر في الجزيرة الى الأتابك طغتكين عندما خرج لقتال السلطان برقياروق واستولى على الجزيرة، واشترك معه في المعركة التي قتل فيها، ثم أسر طغتكين بيد

عساكر برقياروق وأفرج عنه فيما بعد وعاد الى دمشق وانضم الى خدمة دقاق بن تتش السلجوقي، وعندما توفي دقاق بن تتش صاحب دمشق سنة ٤٩٧هـ، كان ابنه تتش طفلاً صغيراً، فتولى الأتابك طغتكين إدارة شؤونه بوصية من والده دقاق غير ان طغتكين عدل عنه وأقام مكانه عمه أرتاش بن تتش السلجوقي[٦] وقد ورد ذكره عند ابن خلدون باسم بكتاش بن تتش[٧]، وقد كان أرتاش بن تتش سجيناً في قلعة بعلبك عندما تولى طغتكين أمر الوصاية على ابن أخيه تتش، فأمر بإطلاق سراحه واستقدمه الى دمشق وأجلسه على كرسي الإمارة في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٩٧هـ[٨].

ولم يكد الحظ يبتسم له حتى استشعر خوفاً من الأتابك طغتكين، وأحسَّ بمؤامرة تحاك ضده، فخرج من عنده متخفياً الى ملك القدس يطلب النجدة منه على طغتكين الا انه لم يلتفت له فعاد خائباً الى الجزيرة وأقام فيها حتى مات[٩].

وفي رواية لإبن الأثير ان طغتكين تآمر على أرتاش بن تتش السلجوقي فأشار عليه الخروج الى الرحبة ليملكها، وكان قصده التخلص منه، فخرج أرتاش اليها وملكها وعند عودته الى دمشق منعه طغتكين من دخولها، وأعاد الخطبة الى تتش بن دقاق فخرج أرتاش يطلب النجدة من الفرنج[١٠].

ومهما تكن أسباب خروج أرتاش بن تتش، فإن هذه الروايات تشير الى أن طغتكين تآمر عليه كي يتخلص منه وهذا سر استقدامه من بعلبك فإذا أراد أن ينفرد بحكم الإمارة فلا بد من التخلص من ورثة تتش في الحكم قبل كل شيء، وهذا ما حصل فعلا فقد انفرد طغتكين بحكم دمشق وتوابعها فلم يذكر لأبناء تتش أو اخوته ذكر بعد ذلك.

أُصيب طغتكين بمرض أقعده سنة ٤٩٨هـ، فأوصى إلى سقمان بن أرتق صاحب ماردين بالحضور الى دمشق ليسلّمها له فحين سمع سقمان بذلك أسرع في الذهاب الى دمشق وكان يستعد مع الأمير جكرمش صاحب الجزيرة لمساعدة فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس على الفرنج أثناء حصارهم لها، وقد اغتمّ طغتكين لتسرعه بعد أن لامه خواصه على توصيته لسقمان، وتحيرٍ فيما يفعل معه، وبينما هو في هذه الحيرة، إذ جاءته الأخبار بوفاة سقمان في القريتين[١١] بينما كان في طريقه الى دمشق، فسُرَّ طغتكين بذلك سروراً عظيماً[١٢].

* جهاد طغتكين ضد الصليبيين :

كثرت اعتداءات الفرنج على عسقلان[١٣] سنة ٤٩٨هـ وكانت للفاطميين الذين استعانوا بطغتكين فأمدّهم بألفين من عساكر التركمان واشتركوا في صدّ هجمات الفرنج على عسقلان ثم عادوا بعد ذلك الى دمشق[١٤] ونكاية من الفرنج بطغتكين لمساعدته للفاطميين شرعوا في بناء حصن لهم نواحي دمشق قرب طبرية، لمضايقته فخرج طغتكين اليهم سنة ٤٩٩هـ، قاصداً حصنهم الذي بنوه فأغار على تجمعاتهم وقتل وأسر كثيراً منهم وهدم حصنهم ثم عاد إلى دمشق[١٥].

وفي سنة ٥٠٠هـ، خرج الفرنجة على أعمال حوران[١٦] فاستغاث أهلها بطغتكين، فخرج من

دمشق الى نواحي طبرية فطارد الفرنج في هذه المنطقة وقتل وأسر ونهب كثيراً من ممتلكاتهم[١٧] ثم عاد الى حوران يطاردهم في وادي موسى[١٨] بغور الأردن وجبال البلقاء[١٩] فدحرهم في هذه المناطق ثم أقطعها الى أصبهبذ التركماني وعاد الى دمشق[٢٠].

لكن الفرنجة عاودوا مهاجمة الأصبهبذ بغارات متواصلة حتى فقد معظم عساكره واضطر الى العودة الى دمشق سنة ٥٠٠هـ[٢١] ثم خرج طغتكين بعساكر التركمان سنة ٥٠٢هـ ليتحرش بالفرنج نواحي طبرية، فقدم اليه ابن اخت بغدوين (ملك القدس) فاقتتلوا قتالاً شديداً، انهزم فيه المسلمون أول الأمر، ثم عادوا الهجوم عليهم فهزموهم وأسر ابن اخت بغدوين، فطلب منه طغتكين أن يسلم فرفض فقام بقتله بيده[٢٢].

والذي يتضح ان بغدوين ملك القدس تضايق من هجمات طغتكين المستمرة فراسله وطلب مهادنته، فلقيت هذه البادرة صدى طيباً من طغتكين وأجابه الى طلبه وعقدت بينهما هدنة لمدة أربع سنوات تبدأ من سنة ٥٠٢هـ، الا أن هذه الهدنة كانت مجحفة في حق طغتكين حيث كان من شروطها، أن يكون ثلث غلال البقاع للفرنج، وأن يسلم لهم حصون المنيطرة وعكار قرب دمشق، ويحمل أهل حصون مصياف والطوفان والأكراد مالاً سنوياً الى الفرنج[٢٣].

ومع ذلك فإن الفرنج نقضوا هذه الاتفاقية عدة مرات واعتدوا على نواحي دمشق وضايقوا المزارعين وأهل القرى والحصون ثم جددت الهدنة بين الطرفين سنة ٥٠٤هـ على أن تزاد حصة بغدوين في سهول البقاع الى الثلثين[٢٤]، وقد ذكر ابن القلانسي أن طغتكين سار الى بغداد لمقابلة السلطان محمد السلجوقي سنة ٥٠٣هـ لترتيب الدعم السلطاني اليه في مجاهدة الفرنج وأن يملكه الجزيرة والشام ويجعله أمير الجهاد في بلاد الشام فلم يتحقق له ما أراد[٢٥].

ويستنتج من معاهدات طغتكين مع الفرنجة ضعفه أمامهم، فقد تنازل لهم عدة مرات عن غلال أجزاء من بلاده ليكفوا عن مهاجماتهم له ومع هذا فإنهم كانوا ينكثون عهودهم معه، مما يدل على أنهم يريدون منه مزيداً من التنازلات، فاضطر الى أن يستنجد بالأمير مودود بن التونتكين سنة ٥٠٦هـ، كما تقدم في الفصل السابق، الا انه غدر به وأغرى الباطنية بقتله عندما أحس انه يشكل خطورة على إمارته كما أوهمته له نفسه، وكان من نتيجة هذا الغدر، ان سخط عليه السلطان السلجوقي وأعلن حربه عليه لينتزع الإمارة منه وأرسل له حملة يقودها برسق بن برسق سنة ٥٠٩هـ فلجأ طغتكين الى الفرنج وتحالف معهم على ضرب هذه الحملة التي باءت بالفشل الذريع.

ولا يمكن تفسير هذا التصرف سوى شهوة الحكم وتغليب المصالح الفردية على المصالح العامة، اذ كان يجب على السلطان السلجوقي أن يخرج بنفسه فيضع حداً لهذا التصرف ويفطن الى السياسة الخاطئة التي اتبعها السلاجقة بتقسيم البلاد الى عدة إمارات يتنازعها أمراء لا تهمهم سوى مصالحهم الشخصية، ويعمل على توحيدها تحت قيادة واحدة وقوية.

ولم تطل مدة الجفاء طويلاً بين الأتابك ظهيرالدين طغتكين والسلطان محمد السلجوقي، فقد أدرك طغتكين خطأه فسار الى بغداد في شهر ذي القعدة سنة ٥٠٩هـ وحمل معه الهدايا الثمينة الى

السلطان والتقى به واعتذر له عما بدر منه، فبالغ السلطان في احترامه وعفا عنه، وكتب له تقليداً بإمرة الشام كله حرباً وخراجاً وأعاده معززاً مكرّماً إلى دمشق[٢٦].

والذي يتضح ان طغتكين ندم على تحالفه مع الفرنج لما يحدثه هذا التحالف من إضعاف الجبهة الاسلامية، فسار الى السلطان وأعلن توبته أمامه، وتعهد بمواصلة الجهاد والتزام الطاعة للسلطان السلجوقي، وقد أراد السلطان أن يستغل هذا الموقف فعفا عنه ومنحه منشوراً بملك الشام كله.

* مواصلة الجهاد ضد الصليبيين :

توفي ملك القدس بغدوين سنة ٥١٢هـ، وأوصى بالملك بعده للقمّص بلدوين دي بورج صاحب الرها، فاجتمعت له إمارة الرها والقدس[٢٧].

وكان طغتكين يطارد تجمعات الفرنج نواحي اليرموك (جنوب دمشق) وهو لا يعلم بوفاة بغدوين، ثم توجه الى عسقلان وأقام فيها شهرين يقاتل الفرنج، بينما كان ابنه بوري يهاجم تجمعات الفرنج نواحي طبرية في غور الأردن[٢٨].

الا أن رواية ابن خلدون تقول ان ملك القدس الجديد راسل طغتكين يطلب المهادنة والصلح، فرفض طغتكين طلبه، وأرسل ابنه بوري يواصل هجماته على الفرنج[٢٩] ومهما يكن فإن كلتا الروايتين تؤكدان عزم طغتكين على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين وصدق نيته في ما وعده للسلطان محمد السلجوقي.

أراد طغتكين أن يوسع من دائرة العمليات العسكرية فاتجه الى إيلغازي بن أرتق (وكان قد استولى على حلب سنة ٥١١هـ)، فالتقى به سنة ٥١٢هـ وتعاهدا على مجاهدة الفرنج، وافترقا على أن يجتمعا في العام القادم في شهر صفر من أجل هذا الهدف[٣٠] الا أن طغتكين تأخر عن ميعاده فلم يكن له دور في مجاهدة الفرنج مع إيغازي هذه السنة كما سيأتي.

* وفاة طغتكين سنة ٥٢٢هـ :

مرض طغتكين مرضاً شديداً سنة ٥٢٢هـ فأحضر ولده الأكبر بوري ولقّبه تاج الملوك وأوصى له من بعده وأشهد كبار الأمراء على ذلك ثم توفي في الثامن من صفر سنة ٥٢٢هـ[٣١].

قضى طغتكين حياته مجاهداً، وله مواقف مشهودة مع الفرنج فقد اشترك في حملات كثيرة، في مجاهدتهم، بالاشتراك مع بقية أمراء الشام والجزيرة، كما قام بنفسه في رد هجمات كثيرة ومتواصلة للفرنج على دمشق ونواحيها، وإن لم تكن هذه الحملات التي قام بها حرباً شاملة، بل كانت مناوشات تعقبها هدنة يخرقها الفرنج في أكثر الأحيان.

وبجانب جهاده ضد الفرنج في الشام والجزيرة، فقد كان عليه بعض المآخذ منها تعاونه مع الباطنية في الشام وتستّره عليهم والسماح لهم بممارسة نشاطهم في دمشق ومنح بهرام الأسداباذي

الباطني مدينة بانياس[٣٢] وكان معتنقاً عقيدة الاسماعيلية، فأضلّ خلقاً كثيراً، حتى كثر أتباعه في الشام ودمشق على وجه الخصوص، وتعاون مع الصليبيين وراسلهم وسلّمهم بانياس فيما بعد، وسيأتي تفصيل ذلك في مكانه إن شاء الله تعالى في الفصال السابع عند الحديث عن باطنية الشام وعلاقتهم بالسلاجقة.

ثم ان طغتكين اتهم بقتل أمير الجهاد الاسلامي مودود بن التونتكين بينما كان بضيافته في دمشق، يستعد لمجاهدة الفرنجة معه، فأرسل له السلطان السلجوقي حملة تأديبية بقيادة برسق بن برسق صاحب همذان، فتحالف طغتكين مع إيلغازي بن أرتق لمحاربة هذه الحملة واتفقا مع الفرنج على ذلك، وكان بإمكانه أن يتحاشى هذا الأمر الخطير، ويتحالف مع عساكر المسلمين لمجاهدة عدوهم المشترك، إذ أن التحالف مع الفرنج في ذلك الوقت يعتبر مشيناً لما فعلوه ببلاد المسلمين ونظراً لخطرهم المحدق بالأمة الأسلامية.

كما انه انتزع الحكم من تتش السلجوقي وكان وصياً عليه لصغر سنة ولم يكن له شأن بعد وصاية طغتكين عليه، واستقر الحكم للأتابك طغتكين ولعقبة من بعده، فانتهى أمر بني تتش السلجوقي على يديه، واستقرت إمارة دمشق السلجوقية لطغتكين وعقبه من بعده، وظلت في أيديهم حتى مجيء نورالدين زنكي وأخذها منهم سنة ٥٤٩هـ كما سيأتي.

* تاج الملوك بوري بن طغتكين :

سار تاج الملوك بوري سيرة حسنة في رعيته أول الأمر، حتى أحبّه الناس، وأرسل الى الخليفة العباسي المسترشد بالله، والسلطان السلجوقي محمود بن السلطان ملكشاه، أرسل لهما سنة تولّيه الإمارة بدمشق يخبرهم عن أحوال إمارته وعن بعض الأراضي المعطلة فيها والتي لا مالك لها، وأستأذنهم ببيعها وإنفاق ما يحصل من ثمنها على الأجناد المرتبين للجهاد فأذنا له بذلك فباعها[٣٣] وهذه بادرة طيبة من تاج الملوك بوري تدل على ولائه الكامل للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وأنه لا يتصرف بشيء إلا بإذنهما.

* موقف تاج الملوك بوري من الباطنية في الشام والقضاء عليهم :

كانت لتاج الملوك بوري سياسته الخاصة مع الباطنية التي تختلف عن سياسة أبيه والتي أدت الى التخلص منهم والقضاء على معاقلهم، فقد كان والده يسايرهم حتى كثروا بدمشق[٣٤].

وقد سبق أن اتفق معهم طغتكين وسلّم بانياس لزعيمهم بهرام الأسداباذي فنشط في دعوته وانضم اليه جماعة كبيرة من عوام الناس، وأصلح ثغر بانياس وتحصن فيها حتى قوى شره كثيراً واعتدى على الآمنين سلباً ونهباً وقتلاً واعتداءً على الحرمات، وكان بوري مطّلعاً على هذه الأمور ولا يستطيع أن يفعل شيئاً في حياة أبيه، ولكنه ظل يتحينّ الفرص، حتى جاءته الإمارة، وحدث أن اعتدى بهرام الأسداباذي على وادي التيم بالشام فقتل أحد المقدّمين فيه ويدعى برق بن جندل، فقام

أخوه الضّحّاك بن جندل وعشيرته للأخذ بثأره، فسمع باجتماعاتهم بهرام الباطني، فخرج لملاقاتهم، لكنهم فاجأوه وانقضوا عليه وعلى جماعته فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ومنهم الأسداباذي نفسه سنة ٥٢٢هـ[٣٥].

قام بأمر الباطنية في الشام مقام بهرام، نائبه في بانياس اسماعيل العجمي[٣٦] وأناب عنه في دمشق رجلاً يُقال له أبو الوفا[٣٧].

سار العجمي ونائبه بدمشق على نفس طريقة بهرام في الغواية والضلال واجتمع حولهم عامة الناس خوفاً منهم، واعتدوا على الحرمات، كما استمر الوزير أبوعلي طاهر بن سعد المزدغاني في التعاون معهم، وتآمروا مع الفرنج ليسلّموهم دمشق، ورتبوا يوماً لذلك سراً يأتون فيه فيفتحون لهم أبواب المدينة، وكان ذلك اليوم هو العاشر من رمضان سنة ٥٢٣هـ، الا أن تاج الملوك بوري فطن لتآمرهم، فعاجلهم ليقضي عليهم وأمر بتتبعهم وقتلهم أينما كانوا وقبض على الوزير المزدغاني فقتله، وثار بهم أهل دمشق قتلاً ونهباً وتشريداً حتى انه لم يبق منهم أحد فيها[٣٨].

جاء الفرنج على ميعادهم مع الباطنية، فوجدوا الأمر على غير ما حلموا به فقد جمع لهم تاج الملوك عدداً كبيراً من التركمان والعرب وتوجّه الفرنج إلى نواحي حوران لجمع الميرة والغلال ليستعينوا بها على حصار دمشق، فجرد لهم بوري حملة، قطعت الطريق عليهم، وأحاط بهم في مكان يُقال له بُراق[٣٩] فارتبك الفرنج ووقعت بهم الهزيمة بعد أن استخلصت منهم العساكر الاسلامية ما نهبوه من المزارعين[٤٠].

ولما سمع الباطنية في بانياس ما حل بجماعتهم في دمشق خافوا على أنفسهم فقام زعيمهم اسماعيل العجمي باستدعاء الفرنج فسلّمهم المدينة وخرج متسللاً منها الى بلادهم ومات عندهم سنة ٥٣٤هـ[٤١].

بدأ تاج الملوك بوري بترتيب أوضاعه في دمشق بعد القضاء على الباطنية فيها فأقام على وزارته مكان المزدغاني، ثقة الملك أبا الذواد المفرج بن الحسن الصوفي ثم عاد وعزله سنة ٥٢٥هـ وعيّن مكانه كريم الملك أبا الفضل أحمد بن عبدالرزاق المزدغاني.[٤٢].

وهكذا استطاع تاج الملوك بوري استئصال الباطنية من دمشق بعدما عاثوا في نواحيها الفساد، ولولا ان قيضه الله فقضى عليهم، لكان لتاريخ دمشق وغيرها من بلاد الشام شأن آخر مع الصليبيين.

وإنني أرى من هذا التحالف الواضح بين الباطنية والصليبيين، أن عملية اغتيال قادة الجهاد الاسلامي أمثال مودود والبرسقي، كانت بتدبير مشترك بينهم، إذ أن قادة الجهاد الاسلامي السلجوقي، كانوا يعملون على مبدأ الجهاد الاسلامي ضد الوجود الصليبي ببلاد الشام والجزيرة أولاً ونشر المذهب السني على أنقاض المذهب الفاطمي حليف الباطنية من جهة ثانية، وهذان مبدآن يجعلان التحالف بين الصليبيين والباطنية أنصار الفاطميين أمراً ذا بال، فالسلاجقة عدوهم المشترك،

والقضاء عليهم أمر مفيد لكلا الطرفين الباطنية والصليبيين.

كما ان استعانة طغتكين بالباطنية والتستّر عليهم بدمشق حتى كثروا، تؤكد التهمة التي نسبت اليه بقتل مودود، إذ أن الدلائل تشير الى انه استعان بالباطنية ليتخلص بواسطتهم من منافسيه، كما انه كان يرغب في إمارة الجهاد الاسلامي وطلبها من السلطان محمد السلجوقي غير مرة، فأعرض عنه ومنحها لمودود.

لم ينسَ الباطنية بخراسان ما فعله تاج الملوك بوري باخوانهم في الشام، فأخذوا يخططون لقتله، وأرسلوا لهذه المهمة إثنان منهم الى دمشق، وتخفّيا في زي الأتراك وتحايلا للوصول إلى غرضهما حتى وصلا الى جملة الخراسانيين الذين يقومون بخدمة تاج الملوك وأخذا يتحيّنان الفرصة حتى سنحت لهما في الخامس من جمادي الآخرة سنة ٥٢٥هـ فضرباه بالسيوف والسكاكين على رقبته وخاصرته فقتل الباطنيان وبرىء تاج الملوك من ضربته الى حين، ثم مات من جروحه بعد أشهر سنة ٥٢٦هـ(٤٣).

ولما أحس تاج الملوك بدنوّ أجله أوصى لإبنه شمس الملوك اسماعيل على دمشق ولإبنه الآخر شمس الدولة محمد على بعلبك(٤٤).

وهكذا سقط تاج الملوك بوري ضحية تآمر الباطنية لتتبعه لهم والقضاء عليهم في دمشق ونواحيها، وقد تحمل تبعة الخطأ الذي ارتكبه والده طغتكين، عندما سمح لهم بالدعوة الى مبادئهم حتى عظم خطرهم وزاد نشاطهم، فأصبحوا قوة كبيرة تهدد الدين والجماعة والأرض.

* شمس الملوك اسماعيل بن تاج الملوك بوري :

أقام شمس الملوك اسماعيل على تدبير إمارته في دمشق، الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق(٤٥) وسار في الناس سيرة حسنة فخفف عنهم الضرائب حتى أحبوه(٤٦).

وقد عصى شمس الدولة محمد في بعلبك أخاه شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق، وخرج الى حصنين لأخيه فاستولى عليهما وهما حصن اللبوة وحسن الرأس، فراسله شمس الملوك لإعادتهما والانصياع لطاعته فرفض، فاضطر اسماعيل أن يخرج إليه، فاستعاد منه الحصنين ورتب عليهما من يحفظهما ثم توجه لحصار أخيه ببعلبك لتأديبه لما فعله فراسله أخوه وطلب منه العفو، فعفا عنه وأقرّه على بعلبك ثم عاد عنه الى دمشق(٤٧).

وهذا نموذج آخر من نماذج الطمع والعصيان والتمرّد، والإنشغال عن واجب الجهاد في أمور جانبية على حساب الأخوة والأقارب فقد أوصى تاج الملوك بوري على إمارة دمشق لإبنه شمس الملوك اسماعيل ولإبنه الآخر على بعلبك، وكان من المفروض أن يطيع محمد أخاه اسماعيل، ولا يفتح باباً للعصيان لا يعرف مداه ونهايته، إلا أن الطمع وحب الذات دفعه أن يخرج على أخيه، ولولا أن الأمور حلّت بطريقة سريعة كما تقدم، لاشتعلت الحروب بينهما، ولأمكن للصليبيين استغلال ذلك لمصلحتهم لأنهم كانوا ينتظرون فرصة سانحة للإنقضاض على دمشق وما حولها لابتلاعها كما ابتلعوا بيت المقدس وأنطاكية قبلها.

* جهود شمس الملوك اسماعيل ضد الفرنج :

إستهان الصليبيون باسماعيل، فتعرضوا للمزارعين والتجار بنواحي دمشق فاعتدوا عليهم، واستولوا على تجارة لأهل بيروت سنة ٥٢٧هـ فشكى هؤلاء أمرهم لشمس الملوك اسماعيل، فراسل الفرنج وطالبهم بإعادة ما سلبوه، فلم يردوا عليه، فحملته الغيرة أن يقوم بحملة تأديبية على بانياس ونواحيها وهي مع الفرنج، فخرج اليها في أواخر المحرم سنة ٥٢٧هـ واستولى على بانياس بغتة وقتل وأسر من فيها من الفرنج ثم عاد إلى دمشق(٤٨).

يقول ابن الأثير تعليقاً على ذلك :

((فحملته الأنفة من هذه الحالة والغيظ على أن جمع عسكره وتأهب، ولا يعلم أحد أين يريد))(٤٩).

ثم سار في شهر رمضان سنة ٥٢٧هـ الى حماة ونواحيها وكانت تابعة لعمادالدين زنكي، وضرب حصاراً عليها، بينما كان زنكي مشغولاً بأحداث الجزيرة هذه السنة فاستسلمت حماة لشمس الملوك فرتب عليها من يحفظها(٥٠) ثم سار عنها الى شَيْزَر وكانت لبني منقذ، وأراد أن يأخذها منهم فصانعوه بمال وأطاعوه فرجع عنهم الى دمشق أواخر ذي القعدة سنة ٥٢٧هـ(٥١).

وفي المحرم سنة ٥٢٨هـ توجه الى حصن الشقيف(٥٢) وكان بيد الضّحّاك بن جندل رئيس وادي التيم فاستولى عليه(٥٣)، فانزعج الفرنج لهذا العمل، لأن الضحاك كان لا يتعرض لهم فأجمعوا أمرهم وتوجهوا الى نواحي حَوْران جنوب دمشق يسلبون وينهبون فأرسل شمس الملوك طائفة من عساكره التركمان لمناوشتهم، وتوجه بالباقي الى نواحي طبريّة وعكا ينهب ويخرب ببلاد الفرنج حتى دبّ الذعر في قلوبهم، فانسحبوا من نواحي حوران عائدين الى داخل حصونهم طالبين الهدنة من شمس الملوك اسماعيل(٥٤).

ويرى بعض المؤرخين ان شمس الملوك بدأ يتغير على أُمرائه ورعيته فغلب عليه سفك الدماء وانعدام الثقة في أقرب المقرّبين اليه ومن ضمنهم أمّه زمرّد خاتون(٥٥) ثم أكثر من الظلم والمصادرات والعقوبات لاستخراج الأموال، وظهر منه بخل زائد بأخذ الشيء اليسير من أيدي الناس بالعدوان فكرهه عامة الناس وملّوه وتآمروا على قتله(٥٦)، فخرج يوماً للصيد فانفرد به غلام يقال له إيلبا فضربه ضربتين بسيفه فأخطأه فقبض عليه فرسان شمس الملوك وأقرّ على جماعة آخرين فأمر بقتلهم جميعاً(٥٧) كما ارتاب في أمر أخيه سونج بن بوري بأنه من المتآمرين عليه فأمر بسجنه حتى مات جوعاً(٥٨).

ازدادت الأمور سوءاً بين شمس الملوك وأصحابه، فاستعان بعمادالدين زنكي صاحب الجزيرة وحلب وعرض عليه تسليمه دمشق ومما قاله في ذلك : ((وان اتفق اهمال لهذا الأمر وإغفال أو إمهال أحوجت الى استدعاء الفرنج من بلادهم وسلمت اليهم دمشق بما فيها وكان اثم دم من بها في رقبته «رقبة زنكي»))(٥٩) ثم بدأ ينكّل بقواده وامرائه أكثر وأكثر، حتى أجمعت امه زمرّد خاتون على التخلص

منه بعد تواتر الشكايات، فأشارت الى غلمانها فقتلوه في ربيع الآخر سنة ٥٢٩هـ قبل وصول زنكي الى دمشق(٦٠).

والواقع ان تغير سياسة شمس الملوك مع أصحابه، أمر يحتاج الى وقفة ونظر فقد أشار المؤرخون إلى ان مردّ ذلك يعود الى معارضته لأمه زمرّد خاتون واختلافها معه لارتيابه فيها واتهامها بشحنة دمشق يوسف بن فيروز، وكانت شخصية امه قوية فلم يستطع أن يحسم الأمر معها ومع من حولها فاستدعى عمادالدين زنكي لمساعدته في التخلص من خصومه، وانني أعتقد انه لم يكن في نيته تسليم دمشق للفرنج، إنما كان تلميحه بذلك لتهديد زنكي حتى يسرع في الوصول إليه، عندما أحس بالمؤامرة تحيط به من كل ناحية في دمشق فكان ذلك سبباً في التعجيل بالتخلص منه قبل وصول زنكي إليه.

* شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري :

تولى شهاب الدين محمود إمارة دمشق سنة ٥٢٩هـ بعد مقتل أخيه شمس الملوك اسماعيل بمساعدة امه زمرّد خاتون(٦١) وأقام على تدبير إمارته معين الدين أنز(٦٢) وخطب للخليفة العباسي الراشد بالله وللسلطان مسعود السلجوقي ولنفسه من بعدهما ونقش اسميهما مع اسمه على السكة بدمشق(٦٣).

لم يستفد شهاب الدين محمود من تجربة أخيه شمس الملوك مع امرائه، فارتكب نفس الأخطاء التي وقع فيها اخوه فبدأ بقتل من يشك في ولائهم له، فقتل رئيس دمشق محي الدين أبا الذوّاد المفرج بن الحسن الحسين الصوفي بالتعاون مع احد الأمراء يدعى بزواج(٦٤) ثم خرج بزواج هذا الى نواحي طرابلس ومعه جماعة من التركمان فهاجموا الفرنج بتلك النواحي وهزموهم وأسروا كثيرا منهم ثم عادوا الى دمشق(٦٥).

وانعدمت الثقة بين شهاب الدين محمود وبزواج فأقدم على قتله سنة ٥٣٢هـ، ثم رفع من منزلة معين الدين أنز واعتمد عليه في معظم أموره(٦٦).

تدهورت العلاقة بين شهاب الدين محمود وامرائه وانعدمت الثقة بينهم لكثرة ما قتل منهم فدبروا لقتله والتخلص منه قبل أن يغدر بهم ويفنيهم، فدسوا عليه ثلاثة غلمان له فقتلوه في الثالث والعشرين من شوال سنة ٥٣٣هـ(٦٧).

وفي رواية لإبن العديم ان القائم على تدبير أمره «معين الدين أنز» هو الذي تآمر على قتله لينفرد بأمر أخيه جمال الدين محمد بعده(٦٨).

وأرى أن هذه الرواية لا تستقيم مع واقع الحال فإن شهاب الدين وضع كامل ثقته بمعين الدين أنز وجمع المسؤوليات كلها بيديه في حين كان يشك في باقي الأمراء حوله كما ان الرواة السابقين لم يذكروا رواية ابن العديم مع انهم أقرب منه الى عصر شهاب الدين محمود.

* مجيرالدين آبق بن جمال الدين محمد بن بوري :

بعد مقتل شهاب الدين محمود سنة ٥٣٣هـ، أرسلت أُمه زمرّد خاتون إلى عماد الدين زنكي صاحب الجزيرة وحلب تستعين به ليأخذ لها بثأر ابنها القتيل من الأمراء الذين تآمروا عليه بدمشق، وكان زنكي ينتظر هذه الفرصة، فجاء مسرعاً الى دمشق واستولى في طريقه على بعلبك بعد أن منح أهلها الأمان وحلف لهم بالأيْمان المغلظة، لكنه غدر ونكّل بهم أشد تنكيل أواخر سنة ٥٣٣هـ(٦٩).

ومما يذكر ان عمادالدين زنكي حاول كثيراً أن يستولي على دمشق من أبناء بوري فلم يستطع فلجأ أخيراً الى الزواج من زمرّد خاتون والدة شهاب الدين محمود بعد مراسلة تمت بينه وبين شهاب الدين، الا أن غرضه لم يتحقق فأهملها فيما بعد(٧٠).

وفي الفترة التي كان فيها زنكي يستعد للقدوم الى دمشق أرسل امراء دمشق الى جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري للمجيء اليهم ليسلّموه إمارة دمشق فقدم إليهم من بعلبك وكان والياً عليها من أيام أبيه ودخل دمشق في الثالث والعشرين من شوال سنة ٥٣٣هـ(٧١) ثم أقرّ معين الدين أنز على تدبير شؤون إمارته(٧٢).

إلا أن الأيام لم تطل بجمال الدين محمد إذ توفي فجأة سنة ٥٣٤هـ بعدما استولى زنكي على بعلبك وتابع سيره الى دمشق(٧٣)، بينما قام على الإمارة بدمشق مجيرالدين آبق بن جمال الدين محمد وكان صبياً(٧٤) واستمر معين الدين أنز على ما كان عليه أيام أبيه(٧٥).

أما زنكي فقد اقترب من دمشق وأراد دخولها حسب الاتفاق الذي جرى بينه وبين زوجته زمرّد خاتون المقيمة في دمشق، إلا أن معين الدين أنز تحكّم في شؤون الإمارة وأغلق أبواب دمشق ومنع زنكي من الدخول، وراسل الفرنج ليعينوه على دفعه ووعد أن يساعدهم على استعادة بانياس، فلما جاء الفرنج انسحب زنكي إلى بعلبك ليعيد ترتيب قواته فيها ويجمع التركمان لمواجهة الفرنج، فخرج معين الدين أنز مع الفرنج الى بانياس وسلّمها لهم حسب شروطه معهم(٧٦).

ولا شك في أن هذه الفِعْلَة القبيحة من أسوأ الأعمال التي ابتدأ بها معين الدين أنز عهده في عهد مجيرالدين آبق، حيث انه فضل التعاون مع الفرنج على التعامل مع عمادالدين زنكي، كل ذلك خوفاً على المصالح الفردية ولو تعرضت مصالح المسلمين للخطر.

* علاقة آبق بالصليبيين :

استغل معين الدين أنز وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٤١هـ(٧٧) فخرج الى بعلبك وكانت لزنكي مستنيباً عليها نجم الدين أيوب بن شاذي، فحاصرها مدة، فاضطر نجم الدين أيوب الى التسليم بعد أن يئس من مساعدة أبناء زنكي له(٧٨)، وفي السنة ذاتها خرج أنز الى صرخد(٧٩) وانتزعها من صاحبها كمشتكين الأتابكي الذي كان يراسل الفرنج ويتآمر معهم ليأخذ دمشق(٨٠).

والذي يظهر ان اعتراف الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي بإمارة مجيرالدين آبق على دمشق

تأخر الى سنة ٥٤٢هـ، إذ أنه ورد ذلك في رواية لإبن القلانسي، من أن مكاتبات حصلت بين الطرفين، ثم جاء رسول الخليفة والسلطان السلجوقي سنة ٥٤٢هـ ومعه الرسم الذي جرت العادة عليه بإرساله الى الأمراء حين توليتهم الإمارة ويتكوّن من منشور السلطان بالتولية ومعه الخلع (الهدايا) الى الأمير وكبير قادته(٨١).

اتفق الروم والفرنج على تجهيز حملة صليبية جديدة لغزو ساحل الشام والاستيلاء على مدينة دمشق سنة ٥٤٢هـ(٨٢).

والذي يظهر ان الروم والفرنج علّقوا آمالاً كبيرة على هذه الحملة إذ سار ملوكهم على رأسها وهم كونرود الثالث ملك الألمان ولويس السابع ملك فرنسا والراهب الفرنسي سان برنادوا ومعهم ما يقرب من مليون جندي من المشاة والفرسان من طليان وألمان وفرنسيين وغيرهم(٨٣) وقد فنى قسم كبير من هذه القوات أثناء سيرها لمسافات طويلة ثم اتجه الباقي منها الى دمشق فحاصروها في السادس من ربيع الأول سنة ٥٤٣هـ(٨٤).

عسكرت القوات الصليبية حول دمشق، واجتمع التركمان من كل ناحية للدفاع عن دمشق، واشتبكوا مع الفرنج عدة أيام متواصلة لم يحرز الفرنج فيها أي تقدم(٨٥) فاستنجد معين الدين أنز بنورالدين زنكي صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الجزيرة فجاءوا لنجدته(٨٦).

واجتمعت القوات التركمانية بقيادة سيف الدين غازي وأخيه نورالدين قرب حمص وراسلوا معين الدين أنز يخبرونه بمجيئهم لمساعدته، واشترطوا عليه أن يقيم لهم نواباً عنده بدمشق على سبيل الاحتياط فيما لو حلت بهم الهزيمة على يد الفرنج فتكون دمشق لهم ملجئاً ثم تعهدوا له بالخروج الى بلادهم بعد رحيل الفرنج(٨٧).

ومما جاء في كتاب سيف الدين غازي بن زنكي الى أنز قوله:

((قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادي، فإن أنا جئت اليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد نوابي وأصحابي وكانت الهزيمة علينا لا يسلم منا أحد لبعد بلادنا عنا، وحينئذ يملك الفرنج دمشق وغيرها، فإن أردت أن ألقاهم وأُقاتلهم فتسلم البلد الى من أثق اليه وأنا أحلف لك ان كانت النصرة لنا على الفرنج أنني لا آخذ دمشق ولا أُقيم فيها الا مقدار ما يرحل العدو عنها وأعود الى بلادي))(٨٨).

والذي يستنتج من مراسلة سيف الدين غازي بن زنكي وأخيه نورالدين لمعين الدين أنز، انهما يريدان أن تكون دمشق لهما وبرّرا ذلك خوفهما من الهزيمة أمام الفرنج الذين يحاصرون المدينة، وتلك فرصة طيبة لو أُتيحت لتحقق هدفهما الذي طمعا فيه منذ مدة طويلة، لكي يضما دمشق لهما.

وكان نورالدين قد خطب ابنة معين الدين أنز مدبر أمر دمشق فتزوجها سنة ٥٤١هـ ونقلت إليه بحلب، فأراد أن يحقق بواسطتها أطماعه بدمشق، الا أن محاولته هذه باءت بالفشل كما فشلت محاولات أبيه عمادالدين زنكي عندما تزوج زمرّد خاتون والدة شهاب الدين محمود صاحب دمشق سنة ٥٣٣هـ(٨٩).

والواقع ان اشتراط الزنكيين على أصحاب دمشق ليقدموا لهم العون على الفرنج أمر غير موفق، إذ أن الوقت لم يكن مناسباً لمثل هذه الشروط في الوقت الذي يهدد فيه الصليبيون دمشق.

ومهما يكن الأمر فإن معين الدين أنز فطن لغرضهم فبدأ يماطل فيهم ريثما ينسحب الفرنجة عنه، وقد استعمل حيلة لذلك فراسل فرنجة الشام وقادة الحملة الصليبية يخوفهم من ملك سيف الدين غازي لدمشق، وأطمع فرنجة الشام إن هم تخلوا عن الحملة أن يعطيهم حصن بانياس ومما قاله لهم:

((بأي عقل تساعدون هؤلاء علينا وأنتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق أخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية، وأما أنا إن رأيت الضعف عن حفظ البلد سلّمته الى سيف الدين، وأنتم تعلمون انه إن ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام في الشام فأجابوه الى التخلي عن ملك الألمان وبذل لهم تسليم حصن بانياس،

فاجتمع الساحلية «فرنجة الشام» بملك الألمان وخوّفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الإمداد اليه وانه ربما أخذ دمشق وتضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتى رحل عن البلد وتسلموا اقلعة بانياس، وغادر الفرنج الألمانية الى بلادهم))[٩٠].

وهكذا نجح معين الدين أنز في التخلص من كلا الطرفين، قوات الفرنج الغازية والإمدادات الاسلامية التي جاءت لتعينه على الفرنج، ولكن ظهر منهم الطمع بملك دمشق في هذه الفترة الحرجة فرجع الجميع عائدين الى بلادهم.

ويمكن الاستنتاج مما سبق ان فرنجة الشام كانوا يهابون الزنكيين ويحسبون لهم حساباً ويخشون امتداد نفوذهم الى دمشق ففضلوا مهادنة مجيرالدين آبق ومعين الدين أنز لضعفهم.

عاد نورالدين بقوات التركمان سنة ٥٤٤هـ وبعد رحيل الحملة الصليبية الثانية الى بلادهم، عاد الى نواحي دمشق لمقاتلة الفرنج في منطقة حوران، بعد سلسلة من الغارات على المزارعين والأهلين[٩١]، واستعان بمعين الدين أنز على الفرنج فقد أرسل إليه يقول:

((إنني ما قصدت بنزولي هذا المنزل طالباً لمحاربتكم ولا منازلتكم، وإنما دعاني الى هذا الأمر كثرة شكاية المسلمين من أهل حوران والعربان، بأن الفلاحين الذين أخذت أموالهم وشتتت نساؤوهم وأطفالهم بيد الأفرنج وعدم الناصر لهم، لا يسعني مع ما أعطاني الله وله الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال، ولا يحل لي القعود عنهم والانتصار لهم، مع معرفتي بعجزكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالافرنج على محاربتي، وبذلكم لهم أموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلماً لهم وتعدياً عليهم، وهذا ما لا يُرضي الله تعالى ولا أحداً من المسلمين ولا بد من المعونة بألف فارس، تزاح العلة تجرد مع من توثق بشجاعته من المقدمين لتخليص عسقلان وغيره))[٩٢].

والذي يتضح من كتاب نورالدين لأنز انه يريد جرّه لمحاربة الفرنج وقد ثبت له تواطؤه معهم

وتخاذله عن مجاهدتهم بعد الذي حصل منه في السنة الماضية عندما سلمهم بانياس وهادنهم، كما ان معين الدين أنز لا يزال يرتاب من موقف نورالدين وانه يريد أن يأخذ دمشق منه، لهذا فقد رد عليه بكتاب ظاهر العداوة فقد أرسل اليه يقول : ((ليس بيننا وبينك إلا السيف وسيوافينا من الافرنج ما يعيننا على دفعك ان قصدتنا ونزلت علينا))[٩٣].

استغرب نورالدين من هذا الجواب، وعزم على محاربته قبل قدوم الفرنج فتحوَّل بقواته الى نواحي دمشق وكان يشفق على أهلها من سفك الدماء ويتحاشى محاربتهم فراسل مجيرالدين آبق وهادنه وصالحه على أن يخطب لنورالدين في دمشق وينقش اسمه على سكتها بعد الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله والسلطان مسعود السلجوقي ثم عاد نورالدين بعد ذلك الى حلب في مستهل محرم سنة ٥٤٥هـ[٩٤].

يستدل من هذا الموقف الجديد انه حصل بعد وفاة معين الدين أنز إذ أنه أُصيب في أواخر سنة ٥٤٤هـ بحمى مفاجأة فمات منها[٩٥]، فأصدر مجيرالدين آبق عدة قرارات لتحسين أحوال الناس بدمشق منها ابطال الفيئة المستخرجة من الرعية في التاسع من رجب سنة ٥٤٤هـ[٩٦]. بالإضافة الى مهادنته لنورالدين والخطبة له بدمشق ونقش اسمه على السكة كما تقدم، وهذا مكسب كبير حققه نورالدين بعد وفاة معين الدين أنز مما يدل على انه كان متسلط على أمور مجيرالدين في دمشق.

والذي تبين فيما بعد ان مهادنة آبق لنورالدين ما هي الا على سبيل الخداع وكسب الوقت، فقد كثرت اعتدادات الفرنجة على سهول حوران جنوب دمشق سنة ٥٤٥هـ، وجاء نورالدين لنصرة أهل حوران وطلب النجدة من مجيرالدين آبق غير انه تنكر له وراسل الفرنجة لنصرته على نورالدين، فلما علم نورالدين بذلك أعاد الكرَّة على دمشق وقام بمحاصرتها وطلب إمدادات التركمان من سائر النواحي، فاجتمعت اليه، فتراسلا مرة ثانية وجددا الهدنة والطاعة التي بذلها آبق لنورالدين، فرحل عنه عائداً الى حلب في ربيع الآخر سنة ٥٤٥هـ[٩٧].

أراد مجيرالدين آبق ان يثبت حسن نيته مع نورالدين فقام بزيارته في حلب في شهر رجب سنة ٥٤٥هـ، فأكرمه نورالدين غاية الإكرام وبذل له مجيرالدين الطاعة وحسن النيابة في دمشق وانكفأ عائداً عنه الى دمشق في السادس من شعبان ٥٤٥هـ، الا أنه عاد فنقض عهوده مع نورالدين وأوفى بعهوده مع الفرنج، ففي سنة ٥٤٦هـ أغارت جموع من التركمان على بانياس وهي للفرنج، فظهر لهم أهلها ولكنهم انهزموا أمام التركمان وأسر عدد منهم وغنم منهم غنائم كثيرة، فخرج مجيرالدين آبق وطارد التركمان بعساكره واستنقذ ما أخذوه من الفرنج ورده إليهم[٩٨].

ضاق نورالدين ذرعاً من مخالفات مجيرالدين آبق، وبدأ يعد العدة للاستيلاء على دمشق[٩٩].

ولما علم مجيرالدين آبق بنيَّة نورالدين عزم على زيارته في حلب ليؤكد له مودته له فسار اليه في شهر محرم سنة ٥٤٨هـ، فالتقى به واتفق معه على ضرورة مجاهدة الفرنج، وخرجا معاً من حلب الى بانياس وعملا على حصارها في التاسع والعشرين من صفر ٥٤٨هـ، وكان سهلاً عليهما أن يأخذاها، لكن مجيرالدين انفصل عن نورالدين فجأة من غير سبب وتوجه عائداً الى دمشق بينما سار نورالدين

الى حمص[١٠٠].

تأكدت العزيمة عند نورالدين أن يأخذ دمشق من مجيرالدين آبق بعد هذا الغدر الواضح منه، فبدأ يعد العدة لذلك، فسار إليها في المحرم سنة ٥٤٩هـ، وقدَّم من قبله أسدالدين شيركوه في جماعة من التركمان وقاموا بتطويق دمشق[١٠١]، ثم لحق بهم نورالدين في جمع كبير من التركمان، وبدأ بمراسلة مجير الدين وملاطفته حتى لا يثيره فيستعين بالفرنج وحتى لا يضيّق على الأهالي فلا يريد أن يسفك دماءهم[١٠٢].

واستعمل مع مجيرالدين اسلوب الخداع والمراوغة فراسله وشككه بامرائه الواحد تلو الآخر، وهو يقبض عليهم، حتى سهل الأمر على نورالدين، وشعر مجيرالدين بمقصد نورالدين، فاستعان بالفرنج فجاءوا لنجدته، ولكن بعد فوات الأوان حيث استطاع نورالدين أن يدخل المدينة ويستولي عليها بدون إراقة دماء في شهر صفر سنة ٥٤٩هـ قبل وصول الفرنج[١٠٣].

يقول ابن الأثير عن اسلوب نورالدين في امتلاك دمشق من مجيرالدين:

((فلما خطر له ذلك افكر فيه، فعلم انه ان رام ملكه بالقوة والحصار، تعذر عليه، لأن صاحبه كان متى رأى شيئاً من ذلك راسل الفرنج واستمالهم واستعان بهم وكان أبغض الأشياء الى الفرنج أن يملك نورالدين دمشق لأنه كان يأخذ حصونهم ومعاقلهم وليست له فكليف إذا أخذها (دمشق) وقوى بها وانضاف لذلك كراهيته لسفك دماء المسلمين، فان الدم كان عنده عظيماً لما كان قد جبل عليه من الرأفة والرحمة والعدل))[١٠٤].

ويقول ابن الأثير عن مراسلة نورالدين لأبق حتى أخذ منه دمشق:

((إن فلاناً قد كاتبني في تسليم دمشق - يعني بعض امراء مجيرالدين - فكان يبعد الذي قيل عنه، ويأخذ إقطاعه، فلما لم يبق عنده من الأمراء أحد قدم أميراً يُقال له عطا بن حفاظ السلمي الخادم وكان شهماً وشجاعاً، وفوَّض اليه أمر دولته، فكان نورالدين لا يتمكن معه من أخذ دمشق فقبض عليه مجيرالدين وقتله فسار حينئذ نور الدين الى دمشق... فما حصر نورالدين البلد أرسل مجيرالدين الى الفرنج يبذل لهم الأموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرّحلوا نورالدين عنه، فشرعوا في جمع فارسهم وراجلهم ليرحّلوا نورالدين عن البلد، فإلى أن اجتمع لهم ما يريدون، تسلّم نورالدين البلد وعادوا (الفرنج) بخفي حنين))[١٠٥].

وهكذا تمكّن نورالدين من الاستيلاء على دمشق وضمها الى إمارته في حلب، فأصبحت الشام كلها بيده ما عدا الإمارات الصليبية فيها، وقد يكون من السابق لأوانه أن أبينّ صلة نورالدين بالسلاجقة فقد أفردت فصلاً خاصاً للأتابكة الزنكيين الذين كانوا أمراء للسلاجقة في الشام والجزيرة، وسأوضح إن شاء الله تعالى، كيف تلاشت سلطة السلاجقة على بلاد الشام والجزيرة بمجيء نورالدين زنكي، حيث انه عمل ملكاً لنفسه فيها واكتفى بمد جسور العلاقة والمودة مع الخلفاء العباسيين فقط، وتجاهل سلاطين السلاجقة فلم يخطب لهم داخل حدود إمارته كما جرت العادة مع الأمراء الذين سبقوه.

ثانياً

أتابكة حلب

* الأتابك لؤلؤ الخادم :

عندما توفي الأمير رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب سنة ٥٠٧هـ[١٠٦] ترك ولدين هما ألب أرسلان وسلطان شاه، وكان الوصي عليهما بعد وفاة والدهما الأتابك لؤلؤ الخادم، فتولى رعايتهما وحَكَم الإمارة باسم ألب أرسلان لصغره، إلا أنه بعد مدة قصيرة تآمر عليه ودبّر قتله وأقام مكانه أخاه الأصغر سلطان شاه بن رضوان، فاضطربت الأحوال بعد ذلك في حلب وقلّت الأقوات فيها ووقعت الزلازل، فزادت الأمور سوءاً سنة ٥٠٨هـ وتعددت الهجمات الصليبية على نواحيها فانعدمت الزروع والثمار، فاضطر لؤلؤ الخادم أن يطلب النجدة من السلطان محمد السلجوقي لإرسال العساكر السلطانية ومَنْ يتسلّم إمارة حلب وخزائن الأموال التي خلّفها رضوان السلجوقي وولده ألب أرسلان[١٠٧]، فجهز السلطان حملة لإغاثة حلب، الا ان نية لؤلؤ الخادم تغيّرت وأغلق الأبواب في وجه العساكر السلطانية وانضم الى إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين والأتابك طغتكين صاحب دمشق واستعانوا بالفرنج حتى هزموا الحملة وعادت بقاياها من حيث أتت بعد أن فشلت فشلاً ذريعاً[١٠٨].

وقد سبق أن أوضحت في الفصل الرابع انه كان من ضمن أهداف هذه الحملة محاربة طغتكين وإيلغازي لمواقفهما السلبية من السلطنة السلجوقية وعدم الجدية في مجاهدة الفرنج في عهد السلطان محمد السلجوقي فقد تباطآ عن تقديم العون والمساعدة لحملات السلاجقة ضد الصليبيين في بلاد الشام[١٠٩].

والذي يستنتج من موقف لؤلؤ الخادم، انه يريد التحكّم بحلب ويجعلها لنفسه ويقلّد طغتكين فيما فعله بدمشق عندما تخلص من أبناء دقاق السلجوقي ثم جعل الإمارة لنفسه ولعقبة من بعده، فأقدم لؤلؤ الخادم على قتل ألب أرسلان (الأخرس) لِيَسْهُل عليه الانفراد بأخيه فيما بعد ثم يتخلص منه أيضاً، وما استغاثته بالسلطان محمد السلجوقي الا على سبيل المغالطة والخداع كي يستفيد من عنصر الزمن ويوهم انه لا يريد الإمارة لنفسه وقد انكشف أمره عندما جاء برسق بن برسق فأغلق أبواب حلب في وجهه وتعاون مع الفرنج لتحطيم حملته.

لم يمتد العمر طويلاً بلؤلؤ الخادم فقد خرج سنة ٥١٠هـ مع جماعة من عساكره الى قلعة جعبر[١١٠] لمقابلة صاحبها سالم بن مالك العقيلي وفي الطريق وثب عليه جماعة من غلمانه فقتلوه واستولوا على خزائن الأموال التي كانت معه وعادوا الى حلب[١١١].

وقد تضاربت الروايات في سبب مقتل لؤلؤ الخادم فقال بعضهم انه تآمر على سلطان شاه بن رضوان وكان يحكم باسمه فأراد أن يقتله لينفرد بإمارة حلب ففطن أصحاب سلطان شاه لقصده

فقتلوه لذلك[١١٢] وقال آخرون ان الذين قتلوه هم جماعة من التركمان من أصحاب البرسقي صاحب الجزيرة تظاهروا بمفارقته والانضمام الى لؤلؤ الخادم لتنفيذ قتله وتسليم حلب الى البرسقي[١١٣].

وذكر غيرهم ان لؤلؤ الخادم أراد أن يهرب من حلب فأخذ معه خزائن الأموال لكن التركمان الذين معه لم يمكّنوه من حيلته فقتلوه وعادوا بالأموال الى حلب[١١٤].

والذي يتضح من ذلك ان البرسقي صاحب الجزيرة هو الذي دسَّ هؤلاء النفر الذين قتلوا لؤلؤ الخادم، كي يسهل عليه الاستيلاء على حلب فيضمها اليه، ويتمكن من مجاهدة الفرنج في شمال الشام إذ كان لؤلؤ الخادم يعوق ذلك، ومما يدل على رغبة البرسقي في حلب انه راسل أهلها بعد مقتل لؤلؤ الخادم مباشرة وطلب منهم تسليمه البلاد لكنهم رفضوا طلبه[١١٥].

قام بالأمر بعد لؤلؤ الخادم، أحد غلمان الملك رضوان السلجوقي ويدعى ياروقتاش الخادم فجمع العساكر التركمانية، وعاد بهم الى حلب ومعه سلطان شاه بن الملك رضوان السلجوقي واستمر على تدبير شؤون حلب باسم الملك سلطان شاه السلجوقي[١١٦]. إلا أن ياروقتاش الخادم لم يدم طويلاً فقد أراد أن يقلّد لؤلؤ الخادم في البطش والتنكيل والتآمر، وهادن الصليبيين وأعطى روجر صاحب أنطاكية حصن القبة على طريق دمشق حلب، وجباية الضرائب على طريق قوافل الحجاج بين حلب والحجاز[١١٧]، فاجتمع أمراء حلب وعزلوه وولوا مكانه أبوالمعالي بن الملحي الدمشقي، بمباركة بنات رضوان بن تتش السلجوقي لصالح أخيهن سلطان شاه السلجوقي[١١٨].

أعاد البرسقي صاحب الجزيرة مراسلة أهل حلب ليسلّموه أمرها، فردوا طلبه فسار الى دمشق والتقى بالأتابك طغتكين، وخرجا معاً نواحي حلب وراسلا أهلها للتسليم، غير انهم أعادوا الرفض فعاد كل منهما الى بلاده[١١٩].

استفاد الفرنج من الأوضاع السيئة بحلب، وزادت أطماعهم فيها، وبدأوا بشن هجمات متلاحقة على مزارعها وقراها مما أضعف من موقفها كثيراً، فاضطر أهلها اللجوء الى إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين في الجزيرة وطلبوا منه القدوم اليهم لتسليمه المدينة سنة ٥١١هـ[١٢٠]، فجاء اليهم ودخل المدينة وتكفل بالإشراف على تربية سلطان شاه بن رضوان السلجوقي والحكم باسمه[١٢١].

* إيلغازي بن أرتق وجهوده القيِّمة في حرب الصليبيين :

كان ضمن الأمراء التركمان الذين رافقوا حملة تتش السلجوقي في الشام وملك بيت المقدس من قبل تتش السلجوقي ما بين سنة ٤٨٤هـ، حتى سنة ٤٨٨هـ، حين استردها الفاطميون منه فخرج منها الى بغداد، ثم تولى إمارة أخيه سقمان بعد وفاته سنة ٤٩٨هـ[١٢٢].

وعندما جاء الى حلب وتولى الإمارة فيها باسم سلطان شاه بن رضوان السلجوقي كانت البلاد تمر بظروف عصيبة، فخزائنها خاوية، والفرنج يتابعون هجماتهم عليها ينهبون ويخربون كل ما يصادفهم في طريقهم[١٢٣]، مما اضطر إيلغازي أن يهادن الفرنجة على مال سنوي يؤديه لهم وكانت

نيته كسب الوقت كي يصلح ما فسد في البلاد، ثم ترك ابنه حسام الدين تمرتاش نائباً عنه في حلب وعاد هو الى ماردين سنة ٥١١هـ ليجمع مزيداً من التركمان ويعود بهم إلى حلب(١٢٤).

وأثناء ذهابه إلى ماردين خرج إليه الأتابك طغتكين واجتمعا معاً، واتفقا على مجاهدة الفرنج، وحددا موعد اللقاء للجهاد في شهر صفر سنة ٥١٣هـ، بعد أن يجمع كل منهما عساكره ببلاده، وافترقا على ذلك(١٢٥).

جَمع إيلغازي عدداً كبيراً من التركمان بماردين وعاد سنة ٥١٣هـ إلى نواحي حلب ليلتقي في الميعاد مع الأتابك طغتكين لمواصلة الجهاد، الا أن الفرنج اجتمعوا له ما بين أنطاكية وحلب في مكان يقال له دانيث البقل(١٢٦) قبل أن تنضم اليه قوات طغتكين فاضطر الى مهاجمة الفرنجة بمن معه من التركمان قريباً من الأثارب(١٢٧) يوم السبت في السابع من ربيع الأول سنة ٥١٣هـ، واستطاع سحق قوات الفرنجة وقتل ما يقرب من خمسة عشر ألفاً من عساكرهم وفي مقدمتهم روجير صاحب أنطاكية، إضافة الى غنائم كثيرة(١٢٨).

وصل طغتكين صاحب دمشق الى نواحي حلب لينضم إلى إيلغازي ولكنه جاء بعد فوات الأوان فعاد كل منهما الى بلاده(١٢٩).

وهكذا لم يستفد إيلغازي بن أرتق من هذا النصر الكبير الذي أحرزه على الفرنج مع ان انطاكية كانت خالية ممن يحميها بعد مقتل صاحبها، وقد أضاعت عساكر إيلغازي الوقت في جمع الغنائم والتنقل نواحي حلب لجمع مزيد من الأسلاب من المناطق التابعة للفرنج.

ثم اتجه إيلغازي بن أرتق الى ماردين فجمع أعداداً جديدة من التركمان وعاد بهم الى حلب فأصلح من أوضاع الناس وأسقط عنهم الضرائب(١٣٠) ثم خرج بعساكره نواحي أنطاكية، لكنه لم يلتق بقوات فرنجية ولم تحصل عساكره على غنائم كالتي أحرزوها في السنة الماضية، فتذمرت عساكره من ذلك، وانضمت اليه عساكر طغتكين أتابك دمشق إلا أنه لم يحصل بينهم وبين الفرنج اشتباكات تذكر فعادوا إلى بلادهم(١٣١).

وقد علّق ابن الأثير على انسحاب إيلغازي بن أرتق بقوله :

((وكان إيلغازي لا يطيل المقام في بلد الفرنج، لأنه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاه، ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فإذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الأموال ما يفرقها فيهم))(١٣٢).

والذي يستدل من مقولة ابن الأثير هذه ان عساكر التركمان التي كان يجمعها إيلغازي بن أرتق لتقاتل معه لم يكن لهم مرتبات معينة تدفع لهم، وإنما يكون لهم ما يستنقذونه من أيدي أعدائهم، وتكون خطتهم المباغتة في الكر والفر وعدم التأخير لمدة طويلة في القتال للعودة الى أهلهم وذويهم وهذه طبيعة الترك في القتال كما وصفهم الجاحظ في رسالته التي بعثها الى الفتح بن خلقان(١٣٣) حيث يقول له :

((ورأينا التركي في بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تأويل ولا على ملك ولا على خراج ولا على عصبية ولا على غيرة دون الحرمة ولا على حمية ولا على عداوة ولا على وطن ومنع دار ولا مال وإنما يقاتل على السلب والخيار في يده))[١٣٤].

ويقول : ((أما التركي فلأن ينال الكفاف غصباً أحب إليه من أن ينال الملك عفواً ولم يتهنّ تركي بطعام إلا أن يكون صيداً أو مغنماً))[١٣٥].

وأعتقد ان الميل التركي الى السلب والنهب والرغبة في حسم المعارك بسرعة تعود الى طبيعتهم البدوية، إذ أنهم لم يألفوا عملية الحصار أو الإقامة في دار الكفر لمدة طويلة، وإنما يهمهم أن يحسموا الأمر مع عدوهم بأقصى سرعة ممكنة لاعتمادهم على خفة الحركة وعدم اصطحابهم للتموينات الكثيرة، يضاف لذلك بُعدهم عن مراكز إمداداتهم عندما يسيرون مسافات طويلة للقاء عدّوهم.

وبينما كان إيلغازي بن أرتق بماردين سنة ٥١٤هـ يجمع التركمان لمعاودة الغزو نواحي أنطاكية، جاءته الأخبار من حلب ان إبنه سليمان، قد حسَّن له بعض الأمراء عصيان أبيه وكان عمره عشرين سنة، فلما سمع إيلغازي بذلك قدم مسرعاً الى حلب وأقام خارجها، فأرسل له ابنه يعتذر عما فعل فعفا عنه، ودخل المدينة فعاقب الأمراء الذي حرَّضوا ابنه عليه فقتلهم[١٣٦].

وبعد أن رتَّب إيلغازي أوضاع حلب أقام عنه نائباً فيها ابن أخيه سليمان بن عبدالجبار بن أرتق وعاد الى ماردين[١٣٧] فأضاف له السلطان محمود السلجوقي ميَّافارقين في الجزيرة كإقطاع يضاف الى ما بيده بسبب ما قدمه من خدمات للقضاء على بعض الخارجين على السلطان[١٣٨].

أراد إيلغازي بن أرتق أن يوسع من أعماله العسكرية ضد الفرنج فاستعان بابن أخيه نورالدولة بلك غازي بن بهرام بن أرتق صاحب خرتبرت[١٣٩] فسار لنجدته سنة ٥١٦هـ. واستعدا للجهاد المشترك، فسارا الى نواحي حلب، وانضم اليهما الأتابك طغتكين صاحب دمشق، وأخذت قواتهم تتنقل ما بين حلب وأنطاكية استعداداً لمواجهة الفرنج وفي هذه الأثناء مرض إيلغازي بن أرتق فعاد كل منهما الى بلاده[١٤٠].

واتجه إيلغازي الى ماردين ثم سار الى ميَّافارقين فاشتد مرضه في الطريق فمات منه في أول رمضان سنة ٥١٦هـ[١٤١] ثم اقتسم اقطاعاته من بعده إبناه حسام الدين تمرتاش فأخذ ماردين وشمس الدولة سليمان فأخذ ميَّافارقين بينما بقي ابن عمهم سليمان بن عبدالجبار بن أرتق في حلب وكان نائباً لأبيهم فيها[١٤٢].

وهكذا انتهى دور إيلغازي بن أرتق في مجاهدة الفرنج، ولم يكن جهاداً بالقدر المطلوب، وإنما كانت أعماله العسكرية لا تعدو عن مناوشات مؤقتة، وقد أخطأ إيلغازي أكثر من مرة بعدم متابعة الفرنج بعد هزيمتهم، فلم يكن يستغل انتصاره الذي يحرزه بل كان يكتفي بما يحصل عليه من غنائم ويعود أدراجه الى بلاده وخلال فترة حكمه لحلب فإنه لم يحرر قطعة أرض أو حصن واحد من أيدي الفرنج في بلاد الشام والجزيرة وإنما كانت نشاطاته بالقدر الذي يحفظ له الحكم في هذه البلاد.

* نورالدولة بلك غازي بن بهرام بن أرتق وموقفه من الفرنج :

سبق أن بلك غازي صاحب خرتبرت تحالف مع عمه إيلغازي للجهاد المشترك، فحاول بعد وفاته أن يتزعّم حركة الجهاد فتابع أعماله العسكرية ضد الفرنج نواحي حلب والجزيرة(١٤٣) وكان أثناء مرض عمه إيلغازي قد هزم عساكر جوسلين صاحب الرها وأسره هو وابن حالته قالران (كليان) ووضعهما في سجن خرتبرت سنة ٥١٦هـ(١٤٤).

أما حلب فقد تجرأ عليها الفرنج بعد وفاة إيلغازي وطمعوا فيها فكثرت اعتداءاتهم عليها وعلى نواحيها طيلة سنة ٥١٦هـ، وضعف سليمان بن عبدالجبار بن أرتق نائب إيلغازي فيها، فاضطر الى مهادنة الفرنج وتنازل لهم عن بعض المواقع ومن ضمنها الأثارب سنة ٥١٧هـ(١٤٥) ثم قَدِمَ بغدوين صاحب أنطاكية الى نواحي حلب وكان نورالدولة بلك بهرام يحاصر قلعة كركر(١٤٦) التابعة للفرنج في شهر صفر سنة ٥١٧هـ، فترك الحصار وخرج لمواجهة صاحب أنطاكية، فهزم عساكره ثم أسره ووضعه في سجن خرتبرت مع بقية الأسرى الفرنج(١٤٧).

سار بلك بهرام الى حلب ليستولي عليها من سليمان بن عبدالجابر بن أرتق حيث أغاظه تصرفه مع الفرنج وتنازله لهم عن الأثارب، فاستطاع أن يدخل حلب ويأخذها منه في جمادي الأولى سنة ٥١٧هـ(١٤٨) وكان بقلعة حلب سلطان شاه بن رضوان بن تتش السلجوقي (ويحكم الأراتقة باسمه) فأنزله بلك منها وسيَّره الى حران فأقام فيها(١٤٩). والذي يتضح ان بلك بهرام أراد أن يبعد سلطان شاه السلجوقي عن حلب ليتسنى له التحكم في شؤون الإمارة بمفرده، حيث انه جرت العادة منذ وفاة الأمير رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب سنة ٥٠٧هـ أن يحكم الأتابكة في حلب باسم أولاد رضوان الذين بقوا على قيد الحياة في حلب وآخرهم سلطان شاه، الذي تحكم به لؤلؤ الخادم ثم إيلغازي بن أرتق كما تقدم.

وفي هذه الأثناء تمكّن جوسلين الفرنجي أن يهرب من قلعة خرتبرت سنة ٥١٧هـ وكان سجيناً فيها، وقد أعانه على التخلص من الأسر أصحابه الذين معه في الأسر على أن يذهب الى القدس وأنطاكية ويجمع العساكر ثم يعود الى القلعة ليخلِّصهم منها(١٥٠) وكان بلك بهرام أثناء ذلك يتابع جهاده نواحي حلب، فأسرع عائداً الى خرتبرت فنكّل بأهلها الذين أعانوا جوسلين على الهرب ثم نقل من تبقى في الأسر إلى حرَّان(١٥١).

أما جوسلين الفرنجي فقد استطاع أن يحشد جيشاً كبيراً وعاد إلى أصحابه ليخلصهم من الأسر كما اتفق معهم فعرف ما فعله بلك بهرام فيهم، فبدأ يتنقَّل بعساكره نواحي حلب ينهب ويحرق ويخرِّب ويعتدي على الآمنين انتقاماً من بلك بهرام واستولى على عدد كبير من المواشي من أعمال حلب(١٥٢).

ولما سمع بلك بهرام بهذه الأعمال جاء مسرعاً الى حلب في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ٥١٨هـ، وأمر الباطنية بالخروج منها بعدما قبض على زعمائهم ونكَّل بهم(١٥٣) ثم أقدم على الزواج من الفرخندة بنت الملك رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب سابقاً(١٥٤) ونقل أسرى الفرنج من حرَّان الى حلب سنة ٥١٨هـ(١٥٥).

وأعتقد أن بلك بهرام الأرتقي قد أقدم على الزواج من إبنة الملك رضوان السلجوقي صاحب حلب سابقاً، ليضمن لنفسه البقاء في الإمارة، ويعطي لنفسه الحق في الإشراف على أبناء الملك رضوان السلجوقي الذي عاشوا في حلب بعد وفاة أبيهم سنة ٥٠٧هـ.

إلا أن العهد لم يستمر طويلاً مع بلك إذ خرج ليستولي على قلعة منبج من حسان بن كمشتكين البعلبكي، وبينما هو محاصر لتلك القلعة جاءه سهم في رقبته من داخل القلعة فمات بسببه سنة ٥١٨هـ(١٥٦).

وكان معه في الحصار ابن عمه حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق، فعاد بعساكر بلك الى حلب واستولى عليها(١٥٧).

كان حسام الدين تمرتاش شاباً متهوراً، فأرسل الى حرّان من يقبض على سلطان شاه بن الملك رضوان السلجوقي لكنه هرب، كما أطلق سراح بغدوين الفرنجي صاحب تل باشر والرها وكان سجيناً في حلب من أيام بلك بن بهرام(١٥٨).

واعتقد أنه بذلك سينفرد بإمارة حلب بعد أن تخلص من ابن رضوان السلجوقي صاحب الحق الشرعي فيها، وكسب رضى الصليبيين بعد أن أطلق سراح بغدوين الفرنجي.

وقد تدهورت أوضاع حلب كثيراً بسبب الحصار الذي فرضه عليهم دبيس بن صدقة ومعه الصليبيون الذين تحالفوا معه في هذه السنة ٥١٨هـ فتوجه أهل حلب إلى الموصل وطلبوا مساعدة آقسنقر البرسقي وكان مريضاً فوعدهم بعد أن يبرأ من مرضه فعوفي بعد ثلاثة أيام، وجمع عساكره وسار الى حلب فوصلها أواخر ذي الحجة سنة ٥١٨هـ، ولما اقترب منها انسحب ابن صدقة والصليبيون عنها، ودخلت في طاعة البرسقي بأمان وسلام فأسقط عن أهلها الضرائب والمظالم، وضمّها إلى إمارته في الجزيرة(١٥٩).

وهكذا استطاع البرسقي أن يحقق رغبته في ملك حلب وضمها إلى إمارته في الجزيرة، بعد محاولات كثيرة بذلها لتحقيق هذا الهدف.

والواقع أن الرغبة كانت قوية لدى جميع الأمراء السلاجقة في الجزيرة لامتلاك حلب لما تمتاز به هذه المدينة من موقع استراتيجي هام ومتقدم يسهل من مواجهة الفرنج في جميع المناطق شمال الشام وقطع إمداداتهم المتجهة إلى جنوبها، وقد كانت تجربة أمراء الجزيرة فيما مضى صعبة ومريرة عند مجيء حملاتهم من الموصل الى نواحي حلب لقتال الفرنجة، عندما كانت حلب بأيدي أمراء ضعاف ومهادنين للفرنج ولا يتعاونون مع أمراء الجزيرة في الجهاد خوفاً على مصالحهم الفردية، مما أدى الى فشل معظم الحملات السلجوقية، لبعد المسافة بين الموصل وحلب ولعدم استطاعتها الإقامة في نواحي حلب لعدم الثقة بين الأمراء مما يجعلها تتعرض الى مباغتات الفرنج، فتضطر العودة إلى الجزيرة عبر مسافات طويلة وشاقة، ينالها خلال ذلك التعب والمشقة وعدم الأمن في طرقاتها الوعرة، لهذا كان أمراء الجزيرة حريصين أشد الحرص على أن تكون حلب تحت إشرافهم المباشر كي يضمنوا مواصلة الجهاد بنجاح وأمان، وهذا ما سنلاحظه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

هوامش الفصل الخامس

(١) الأتابك : كلمة مركبة من لفظين تركيين : أتا : ومعناها الأب، بك : بمعنى الكبير أو الجد، أما الكلمة المركبة أتابك فقد استعملت بمعنى المؤدب ومربي الأطفال وخاصة أطفال الأمراء والملوك، واستعملت بمعنى الملك أو الوزير الكبير كما أطلقت في عهد المماليك على أمير المؤمنين.

البستاني : دائرة المعارف : مادة أتابك جـ٥/٤٨٧.

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٨. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/١٤٧. حسن الباشا : الألقاب الاسلامية/١٢٢. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ٤/٦١. رشيد الجميلي : دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي/٢٧ كردعلي : خطط الشام جـ١/٢٧١.

(٣) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٩٦. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/١٨٩، ٢٣٤.

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٣٧٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٢٩٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٤٠ الحافظ الذهبي : العبر في خبر جـ٤/٥١. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٤٨ ـ ١٦٣. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤/٦٥.

(٥) النجوم الزاهرة جـ٥/٣٣٤.

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٤ ـ ١٤٥. إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٣٧٥. إبن خلدون : العبر م٥/٣١٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٣٩٣.

(٧) العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣١٧.

(٨) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢١٧ ـ ٢١٩. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٣٤٧.

(٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٥. ابن خلدون : العبر م٥/٣١٧.

(١٠) الكامل جـ١٠/٣٧٥. أنظر : القرماني · أخبار الدول وآثار الأول/٢٧٧.

(١١) القريتان : هي قرية كبيرة من أعمال حمص. ياقوت : معجم البلدان جـ٣/٣٦٦.

(١٢) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٦. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٣٨٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢١٩. عمادالدين خليل : الإمارات الأرتقية/٢١٨.

(١٣) عَسْقَلانُ : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين. ياقوت : معجم البلدان جـ٤/١٢٢.

(١٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٨. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٣٩٤. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر/٣/٣٥٠. ابن خلدون : العبر م٤/١٤٤ م٥/٥٠٠.

(١٥) إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٦٥. كردعلي : خطط الشام جـ١/٢٨٨.

(١٦) حَوْرَانُ : كورة واسعة من أعمال دمشق جهة الجنوب. البغدادي : مراصد الأطلاع جـ١/٤٣٥.

(١٧) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٥١ ـ ١٥٨. كردعلي : خطط الشام جـ١/٢٨٨.

(١٨) وادي موسى : بين بيت المقدس وأرض الحجاز منسوب الى موسى بن عمران عليه السلام. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٣١٧. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ١/٤٣٥.

(١٩) جبالُ البَلْقاء : كورة بين الشام ووادي القرى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة والكهف والرقيم. القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد/١٥٦.

(٢٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٥١ ـ ١٥٨. كردعلي : خطط الشام جـ١/٢٨٨.

(٢١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ١٥٨.

(٢٢) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٤٥٥ . الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٢٢ وقد ورد ذكر ابن أخت بغدوين في ذيل تاريخ دمشق لإبن القلانسي/١٦١ ـ ١٦٢ باسم جرفاش.

(٢٣) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٣. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/١٨٠.

(٢٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ١٦١ ـ ١٧٤.

(٢٥) المصدر نفسه / ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢٦) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٣ (أنظر منشور السلطان محمد السلجوقي الى الأتابك طغتكين في الملحق رقم(١). ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٥١٤. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٢٩. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٧٨. الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٢٣٣.

(٢٧) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٤٣. ابن خلدون : العبر م٥/٣٢٧.

(٢٨) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٤٣.

(٢٩) العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٢٧.

(٣٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٩ ـ ٢٠١. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٨٦. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٢٧ ـ ٤٣٠ عمادالدين خليل : الامارات الارتقية في الجزيرة والشام/٢٤٠ ـ ٢٤١. وقد ذكر ابن شداد في الأعلاق الخطيرة جـ١ق٣/٤٣٢ وأبوالمحاسن في النجوم الزاهرة جـ٥/٢٢٣ انه توجد علاقة مصاهرة بين طغتكين وإيلغازي حيث ان الأخير متزوج من إبنة طغتكين.

(٣١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١٨. إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٢٩٥. أبوالفداء : المختصـــر في أخبار البشر جـ٢/٢٤٠. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٥١. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤/٦٥.

(٣٢) بانياس : بلدة غربي دمشق. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٤٩. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ١/١٥٨.

(٣٣) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٢١٩.

(٣٤) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٣٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٤٢. ابن العماد : شذرات الذهبي جـ٤/٦٥. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٣. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/١٢١.

(٣٥) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٢٢١. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ٩٤ ـ ٩٥.

(٣٦) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٢٢١. إبن خلدون : العبر م٤/٢٠٦. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤/٦٥.

(٣٧) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٤.

(٣٨) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٣. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٢٩. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٣٤٩.

(٣٩) بُرَاقُ : من قرى حَوْران. ياقوت : معجم البلدان جـ١/٣٦٦.

(٤٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٢٤. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥٧.

(٤١) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر/جـ٤/٥٢ ـ ٥٣. ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/٩٥. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٢٩.

(٤٢) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٢٢٧ ـ ٢٢٩.

(٤٣) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٣٠ ـ ٢٣٤. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٧٩. إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٢٩٥. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٦٩. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/٩٧ ـ ٩٨. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٤٩.

(٤٤) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٦. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٣١. شاكر أحمد أبوبدر الحروب الصليبية والأسرة الزنكية /٩٩. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٦.

(٤٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٣١. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٥٩.
شِحْنَةٌ : من فيه الكفاية من أولياء السلطان لضبط البلاد. ابن منظور : لسان العرب/١١/٢٣٤.

(٤٦) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٤٧) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٨٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٧. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٨

(٤٨) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٣٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ/٧٠. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٥٠. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٧.

(٤٩) الكامل جـ١٠/٦٨٤

(٥٠) إبن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/٢٣٨ ـ ٢٣٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٧. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٣١، ٥١٤ شاكر أبوبدر : الحروب الصليبية/٩٩

(٥١) إبن الأثير . الكامل جـ١١/٦. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٧ ـ ٨.

(٥٢) حِصْنُ الشَّقِيف : قلعة حصينة قرب صور غربي بيروت. أبوالفداء : تقويم البلدان ٢٤٥.

(٥٣) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٤١. أبوالفداء : المختصر فى أخبار البشر جـ٣/٨.

(٥٤) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٦ ـ ١١. أبوالفداء : المختصر جـ٣/٨.

(٥٥) صفوة الملك زمرّد خاتون بنت الأمير جاولي اخت الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق لأمه وزوجة تاج الملوك بوري وأم ولديه شمس الملوك اسماعيل ومحمود ثم تزوجها عمادالدين زنكي فيها بعد فبقيت معه تسع سنين حتى قتل ثم رحلت الى المدينة فماتت ودفنت بالبقيع سنة ٥٥٧هـ. إبن العماد : شذرات الذهب جـ٤/١٧٨.

(٥٦) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٤٥ ـ ٢٤٦. إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٠ ـ ٢١. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٩. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٠٣. ابن خلدون . العبر م٥/٣٣٣. عمادالدين خليل : عمادالدين زنكي/١٢١.

(٥٧) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٤١. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٨.

(٥٨) إبن خلدون . العبر م٥/٣٣٣ وما بعدها أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٥٢.

(٥٩) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٤٥ ـ ٢٤٦. انظر ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٥٦. وابن الأثير : الكامل جـ١١/٢٠

(٦٠) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٠ ـ ٢١. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٧. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٠٣. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤/١٧٨. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٨.

(٦١) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٠. إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٢٩٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٧.

(٦٢) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٩. الحافظ الذهبي : العبر في خبر جـ٤/٧٧.

(٦٣) إبن الأثير . الكامل جـ١١/٣٨. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٣٣ وما بعده.

(٦٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٥٧.

(٦٥) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٥٨ ـ ٢٦٢. ابن الأثير : الكامل جـ١١/٥٠.

(٦٦) إبن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/٢٦٤.

(٦٧) إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٥٩٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٤. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٩. ابن خلدون : العبر م٥/٣٣٥. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٠٩. أبوالمحاسن . النجوم الزاهرة جـ٥/٢٦٤.

(٦٨) زبدة الحلب جـ٢/٢٧٢. عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي/١٢٦.

(٦٩) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٦٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧٢. كردعلي . خطط الشام جـ٢/١٢.

(٧٠) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٥٥. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٨٠. ابن العبري . تاريخ مختصر الدول/٢٠٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٢. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٦٢. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٤٥. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٨١.

(٧١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٦٩. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٢٩٥. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٠٩. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٦٤. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤/١٠٥.

(٧٢) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٦٨. ابن خلدون : العبر م٥/٣٣٥.

(٧٣) إبن خلِّكان : وفيات الأعيان جـ١/١٩٥. الحافظ الذهبي : العبر في خبر جـ٤/٩٣.

(٧٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٧١ ابن العماد : شذرات الذهب جـ٤/١٠٥. البستاني : دائرة المعارف جـ١/٣٢٣.

(٧٥) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٢٩.

(٧٦) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٧٢.

(٧٧) أُنظر مقتل زنكي وهو محاصر لقلعة جعبر سنة ٥٤١هـ ص٢٦٢ في البحث

(٧٨) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١١٨. ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٢٢. كردعلي : خطط الشام جـ٢/١٧.

(٧٩) صَرْخَدُ : بلد ملاصق لحوران من أعمال دمشق ياقوت . معجم البلدان جـ٣/٤٠١.

(٨٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٨١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٩٣ ـ ٢٩٤

(٨٢) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٢٩. وما بعدها. سميل : الحروب الصليبية/٥٢.

(٨٣) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٠٧. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٣٠. إبن الأثير : الباهر/٨٨. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٢٦ سيد أمير علي . مختصر تاريخ العرب/٢٩٨. كردعلي : خطط الشام/جـ٢/١٨ ـ ٢١.

(٨٤) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٢٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢٠ الحافظ الذهبي . العبر في خبر من غبر جـ٤/١١٦. ابن خلدون : العبر م٥/٣٣٨.

(٨٥) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٨٦) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢٠. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١١٦. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٣٨.

(٨٧) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٢٩ ـ ١٣٠. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٢١.

(٨٨) إبن الأثير : الباهر/٨٩. أُنظر إبن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ١٢٦.

(٨٩) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٨٨ ـ ٢٨٩. إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٢٣. أبوشامة : الروضتين في أخبار الدولتين : جـ١ق١/١٢٩. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٤٢. إبن العماد : شذرات الذهب جـ٤/١٧٨.

(٩٠) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٢٩. أُنظر الباهر/٨٩. والحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١١٧. وإبن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٢٦ ـ ١٢٨.

(٩١) إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٢٨. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٩٨. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٢٣ ـ ٢٤.

(٩٢) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٠٩. أُنظر أبوشامة الروضتين جـ١ق١/١٩٧ ـ ١٩٩. وإبن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٣٤.

(٩٣) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٣٠٩.

(٩٤)إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٠٩ ـ ٣١٠. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/١٦٣. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٢٨. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٣٥ ـ ١٣٦. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٩٨.

(٩٥) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢٢. إبن العماد : شذرات الذهب جـ٤/١٣٨.

(٩٦) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٠٧.

(٩٧) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٢٣. إبن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٣٧. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٣٠١.

(٩٨) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣١٧. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٩٩) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٩٧. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣٠٣. إبن خلدون : العبر م٥/٥٣٩.

(١٠٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٢٠.

(١٠١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٣٧. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٢٩.

(١٠٢) إبن الأثير : الباهر/١٠٦ ـ ١٠٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢٩. إبن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٤٤ ـ ١٤٥.

(١٠٣) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٢٧. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣٠٣ ـ ٣٠٥. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٢٣٥ ـ ٢٤٢. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢٩. الحافظ الذهبي . العبر في خبر من غبر جـ٤/١٣٥.

(١٠٤) الباهر/١٠٧.

(١٠٥) الكامل جـ١١/١٩٧.

(١٠٦) أنظر ما جاء في البحث ص ١٦٠.

(١٠٧) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٧٢ ـ ١٧٤. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤١٧ ـ ٤٢٣.

(١٠٨) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٧٤. أبوشامة : الروضتين جـ١ق٢/٢٩. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٦٤. عمادالدين خليل . الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٢٣٠.

(١٠٩) أنظر ص ١٢٥

(١١٠) قلعة جعبر · تقدّم تعريفها ص٩٢ هامش رقم ١٠٢.

(١١١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٠. ابن خلدون : العبر م٥/٣٢٦. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢١١.

(١١٢) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٣١. العيني : عقد الجمان جـ١٥/٧١٩.

(١١٣) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٧٧ ـ ١٧٩.

(١١٤) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٧٨. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٢٣.

(١١٥) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٩. إبن العديم · زبدة الحلب جـ٢/١٧٨ ـ ١٧٩.

(١١٦) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٠. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٢٣.

(١١٧) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق /١٩٩. إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٣١. إبن خلدون : العبر م٥/٣٢٦

(١١٨) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٧٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٠. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢١٣.

(١١٩) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٩ وما بعدها. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٧٩ ـ ١٨١.

(١٢٠) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٣١. إبن خلدون : العبر م٥/٣٢٦. الجنزوي : إمارة الرها الصليبية/١٦٤ ـ ١٦٥. عمادالدين خليل : الإمارة الأرتقية في الجزيرة والشام/٢٣٦.

(١٢١) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٣١. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٨٠ ـ ١٨٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٠. ابن خلدون : العبر م٥/٣٢٦. العيني : عقد الجمان جـ١٥/٧٢٠.

(١٢٢) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٣٦.

(١٢٣) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٣١. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٨١. إبن خلدون : العبر م٥/٣٢٦. إبن العماد : شذرات الذهب جـ٤/٤٨. عمادالدين خليل : الإمارات الأرتقية/١٠٢.

(١٢٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٩. وما بعدها. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٠. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٢٧.

(١٢٥) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق//٢٠٠ ـ ٢٠١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ٤٢٨ ـ ٤٣٠.

(١٢٦) دانيث البَقل : بلد من أعمال حلب. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٤٣٤.

(١٢٧) الأثارِبُ : قلعة مشهورة بين حلب وأنطاكية بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ. ياقوت : معجم البلدان جـ١/٨٩. البغدادي : مراصد جـ١/٢٤.

(١٢٨) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٥٣. زبدة الحلب جـ٢/١٨٨ ـ ١٩٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣١. عمادالدين خليل : الإمارات الأرتقية/٢٤٠ ـ ٢٤١.

(١٢٩) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق / ٢٠١ وما بعدها. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٣٤.

(١٣٠) إبن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/٢٠٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٩٥.

(١٣١) إبن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/٢٠٢. ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢/١٩٥. عمادالدين خليل : الامارات الأرتقية/٢٥٢.

(١٣٢) الكامل جـ١٠/٥٦٩.

(١٣٣) الفتح بن خاقان. أحمد بن غرطوج، كان وزيراً للمتوكل العباسي أديباً وشاعراً وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧هـ. الكتبي : فوات الوفيات جـ٢/١٥٣ ـ ١٥٤.

(١٣٤) الجاحظ : رسائل الجاحظ جـ١/٥٢.

(١٣٥) المصدر نفسه جـ١/٥٩.

(١٣٦) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٩١. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٠٠ ـ ٢٠٣. عمادالدين خليل : الإمارات الأرتقية/١٠٢.

(١٣٧) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٥ الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٤٠.

(١٣٨) إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٢، إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٨٨. عمادالدين خليل : الإمارات الأرتقية/١٠٠.

(١٣٩) خَرْتَبِرتُ : ويعرف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٣٥٥.

(١٤٠) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٤٣.

(١٤١) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٠٤. إبن شدّاد : الأعلاق جـ١ق١/٤٣٣. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٢. إبن العماد : شذرات الذهب جـ٤/٤٨.

(١٤٢) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٠٨. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٠٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٣٦. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٩١.

(١٤٣) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٥٩٣. شاكر أبوبدر : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية/٤٦. عمادالدين خليل . الإمارات الأرتقية/٢٦٣.

(١٤٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٠٨. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٠٦ إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٨٨.

(١٤٥) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٠٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٤٧. عمادالدين خليل : الإمارات الأرتقية/٢٦٥.

(١٤٦) قلعةُ كَرْكَر : قلعة حصينة جداً على جانب الفرات الغربي وهي من أعظم ثغور الشام. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٦٤.

(١٤٧) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦١١. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢١٠. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٢١.

(١٤٨) إبن العبري · تاريخ مختصر الدول/٢٠٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٧.

(١٤٩) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣١٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٤٨.

(١٥٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٠٩. وما بعدها. إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦١٣. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/ ١٢٢ - ١٢٥. سميل : الحروب الصليبية/٥٠.

(١٥١) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦١٣. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢١٣.

(١٥٢) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦١٣ وما بعدها. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٥٠ - ٤٥٢.

(١٥٣) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢١٦.

(١٥٤) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٢١٦. عمادالدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٢٧١.

(١٥٥) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢١٧. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/٢٠٧.

(١٥٦) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦١٩. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٧ الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٤٢.

(١٥٧) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٢٠. إبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٧ الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٤٢.

(١٥٨) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٢٠. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٥٣ - ٤٥٤.

(١٥٩) إبن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/٢١١. إبن العديم : زبدة الحلب : جـ٢/٢٢٨ - ٢٣٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٧.

الفصل السادس

الأتابكة الزنكيّون في الجزيرة

الفصل السادس
الأتابكة الزنكيون في الجزيرة

أولاً : عمادالدين زنكي.
* إمارة زنكي على الجزيرة (٥٢١ ـ ٥٤١هـ).
* خروج زنكي لمجاهدة الفرنج في الشام.
* إنشغال زنكي بالخلافات السلجوقية العباسية.
* عودة زنكي الى جهاد الصليبيين في الشام والجزيرة.
* حملة زنكي على دمشق سنة ٥٣٣هـ.
* علاقة زنكي بالأراتقة في الجزيرة.
* إستيلاء زنكي على الرها الصليبية سنة ٥٣٩هـ.
* مقتل عمادالدين زنكي سنة ٥٤١هـ.
* إنقسام إمارة زنكي بعد مقتله سنة ٥٤١هـ.

ثانياً : نور الدين محمود بن زنكي في الشام وصلته بالسلاجقة ٥٤١ ـ ٥٦٩هـ.
ثالثاً : إمارة سيف الدين غازي في الجزيرة وصلته بالسلاجقة ٥٤١ ـ ٥٤٤هـ.
رابعاً : إمارة قطب الدين مودود بن زنكي في الجزيرة ٥٤٤ ـ ٥٦٥هـ.
* موقف قطب الدين مودود من النزاع الذي نشب بين زعماء السلاجقة والخليفة العباسي بعد وفاة السلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٤٧هـ.
* إنحسار النفوذ السلجوقي في الشام والجزيرة.

أولاً : عمادالدين زنكي :

ينسب الزنكيّون إلى عمادالدين زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر، وكان أبوه آقسنقر أحد مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي، الذي سبق أن ولاه على حلب سنة ٤٧٨هـ، ثم قتل على يد تتش بن السلطان ألب أرسلان سنة ٤٨٧هـ، بعد الخلاف الذي نشب بين السلاجقة على أحقية كل منهم في السلطنة السلجوقية[١] فالتف مماليك آقسنقر حول ابنه الوحيد عماد الدين زنكي[٢] وكان صغيراً لا يتجاوز العشر سنوات من عمره مقيماً في حلب، فلما ملك الأمير كربوغاً السلجوقي إمارة الموصل من قبل السلطان برقياروق السلجوقي سنة ٤٨٩هـ، استمال زنكي إليه ومن معه من مماليك أبيه ليعزز بهم قواته في الموصل، فرحل زنكي إليه من حلب وأقام معه في الموصل طوال مدة ولايته التي استمرت حتى سنة ٤٩٤هـ[٣].

ثم تنقل زنكي تحت رعاية الولاة الذين جاءوا بعد كربوغا بوصية من السلطان برقياروق، ومعه مماليك أبيه واشتركوا مع هؤلاء الولاة كجنود في مجاهدة الصليبيين[٤].

وقد ظهرت شجاعة عمادالدين زنكي ومقدرته أثناء هذه الحروب فيقول عنه ابن الأثير : ((انه كان في نفر وقدم الفرنج من البلد (طبرية) فحمل (زنكي) عليهم هو ومن معه وهو يظن انهم (عساكر السلاجقة) يتبعونه، فتخلفوا عنه، وتقدم وحده وقد انهزم من بظاهر البلد من الفرنج، فدخلوا البلد ووصل رمحه الى الباب فأثر فيه وقاتلهم عليه، وهو ينتظر وصول من كان معه ليقاتلوا الفرنج ويتقدم باقي العسكر فيملكون البلد، فحيث لم يرَ أحداً حمى نفسه وعاد سالماً فعجب الناس من إقدامه أولاً ومن سلامته ثانياً))[٥].

وقد أكرمه السلطان محمود السلجوقي وأوصى به ثم عيَّنه على ولاية البصرة سنة ٥١٨هـ[٦] وبقي فيها إلى أن عينه على شحنكية بغداد سنة ٥٢١هـ[٧].

* إمارة زنكي على الجزيرة سنة ٥٢١هـ :

لم تستمر إقامته ببغداد كثيراً إذ أصدر السلطان محمود السلجوقي مرسوماً بإقطاع الموصل وتوابعها لعمادالدين زنكي سنة ٥٢١هـ وسيَّره إليها بعد مقتل صاحبها عزالدين البرسقي[٨].

يقول صاحب المنتظم : ((وفوضت ولاية الموصل وما يجري مجراها إلى زنكي فخرج إليها[٩].

ثم عهد السلطان السلجوقي كذلك الى زنكي بالإشراف على تربية ولديه فرّخشاه الملقّب بالخفاجي، وألب أرسلان وسيرهما معه إلى الموصل))[١٠].

وقد ذكر بعض المؤرخين[١١]، ان الخفاجي بن السلطان محمود هو نفسه ألب أرسلان الذي اصطحبه زنكي معه الى الموصل ليشرف على تربيته ويحكم البلاد باسمه، إلا أن سياق الأحداث فيما سيأتي أثبتت أن الخفاجي وأخاه ألب أرسلان كانا مع زنكي في الجزيرة مما يدل على صحة الرواية القائلة ان الخفاجي هو خلاف ألب أرسلان، وهما اخوان اصطحبهما زنكي معه الى الجزيرة بوصية من

السلطان محمود السلجوقي سنة ٥٢١هـ.

وهكذا يعود قائد جديد الى الجبهة الاسلامية في الموصل والجزيرة ليتولى مهمة الجهاد ضد الصليبيين بتكليف من السلطان محمود بن السلطان محمد السلجوقي، خاصة وان هذه الجبهة خلت من أعظم الأمراء مثل آقسنقر البرسقي، والأتابك طغتكين، ومودود بن التونتكين.

سار زنكي الى الموصل سنة ٥٢١هـ، وكان بها جاولي (مدبّر الأمور في الموصل بعد وفاة عزالدين مسعود بن البرسقي سنة ٥٢١هـ). وقد سبق البيان أن جاولي كان مملوكاً للبرسقي، فأرسل وفداً الى السلطان محمود يطلب تثبيت الإمارة في الموصل لأبناء البرسقي، لينال جاولي منصباً عندهم، الا ان السلطان أعرض عن الفكرة وأرسل عمادالدين زنكي الى الجزيرة.

وقد كان زنكي خائفاً من امتناع جاولي عليه، لكنه خرج لاستقباله وسلّمه الموصل في العاشر من رمضان سنة ٥٢١هـ، فأقطعه زنكي مدينة الرحبة وسيّره إليها فأقام فيها نائباً عن زنكي(١٢).

بدأ زنكي تنظيم إدارة الموصل فجعل نصيرالدين جقر على دزدارية(١٣) القلعة بالموصل وعهد إليه سائر دزداريات القلاع في الجزيرة وجعل صلاح الدين محمد الياغيسياني أمير حاجب، وبهاءالدين الشهرزوري قاضي قضاة بلاده، وزاده أملاكاً وإقطاعاً وكان لا يصدر إلا عن رأيه(١٤).

كانت أحوال الجزيرة عندما قدم زنكي إليها سيئة جداً، يتنازعها عدة أُمراء ضعاف بسبب نظام الإقطاع الذي اتبعه السلاجقة ثم أن الصليبيين قويت شوكتهم على المسلمين فأخذوا يعيثون فيها الفساد، يقول إبن الأثر: ((لما ملك المولى الشهيد (زنكي) البلاد كان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وتضاعفت سطوتهم وعلا شرهم واشتد بطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام أيديهم وضعف أهلها عن كف عاديتهم وتتابعت غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب وركبوهم بالتبار والتباب))(١٥).

نظر زنكي الى مجمل الأوضاع التي تحيط به فرأى ضرورة توحيد الإمارات الصغيرة في سائر بلاد الشام والجزيرة تحت قيادته قبل الدخول في مجاهدة الصليبيين، فبدأ بأعماله بالاستيلاء على جزيرة ابن عمر من أحد مماليك البرسقي(١٦)، كما سار الى سنجار فاستولى عليها، ثم توجه الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش الأرتقي فامتنع على زنكي ورفض طاعته، واستعان عليه بابن عمه ركن الدولة داود فخرج لمساعدته، واستمر زنكي على حصار نصيبين وتمرتاش يراسل أهلها ويحثهم على الصمود فوقعت إحدى الرسائل التي وجهها تمرتاش الى اهل نصيبين بيد زنكي، وكانت مرسلة على جناح حمامة، كتب فيها يحثهم على الصبر بينما تصلهم إمدادات ابن عمه خلال اسبوع، فغيّر زنكي محتواها وأطال المدة التي وعدهم تمرتاش بها وأرسلها فيئس أهل نصيبين من طول المدة وسلّموها لزنكي(١٧).

والذي يتضح أن زنكي أراد ببعد نظره وتجربته السابقة مع الأمراء الذين سبقوه على الجزيرة والشام أن يقضي على الإمارات الصغيرة ويضعها تحت مسؤوليته المباشرة حتى يستطيع مواجهة الفرنج

بقيادة واحدة لا بقيادات كثيرة كما حصل في الماضي وكانت كثرة الأمراء سبباً في فشل المواجهة مع الصليبيين طوال السنين السابقة، وقد لمس زنكي هذه التجربة عن قرب أثناء خدمته كجندي مع هؤلاء الأمراء ابتداء من كربوغا حتى قسيم الدولة آقسنقر البرسقي

وفي الفترة التي كان زنكي ينظم أموره في الموصل لمتابعة الجهاد ضد الصليبيين جاءته الأخبار بنية السلطان محمود السلجوقي على عزله عن الجزيرة وإقامة دبيس بن صدقة المزيدي صاحب الحلّة مكانه سنة ٥٢٢هـ، بإيحاء من الملك سنجر بن السلطان ملكشاه السلجوقي والى خراسان، حيث كان السلطان في زيارة له، وكان دبيس مقيماً عنده، هارباً من وجه الخليفة المسترشد بالله بعد ما عصى أمره، فعاد السلطان وبصحبته دبيس بن صدقة ليوليه الجزيرة، ولكنه عرض الفكرة على الخليفة العباسي أولاً فلقي منه معارضة قوية، فتوقف السلطان عن عزل زنكي[١٨].

وكان زنكي عندما علم بما عزم عليه السلطان تجهز للمسير الى بغداد لمقابلة السلطان محمود فسار إليها سنة ٥٢٣هـ محمّلاً بالهدايا وتكفّل للسلطان بمائة ألف دينار سنوياً خلا الثياب والخيول، فأقره السلطان على ملك الغرب كله (الشام والجزيرة) فعاد زنكي بالتواقيع السلطانية الى الموصل[١٩].

والذي يتضح من ذلك ان مقاليد الأمور كلها اجتمعت بيد السلطان السلجوقي فهو الذي يعين الولاة ويخلعهم، ولقد وصل الأمر بالخليفة العباسي استرضاء السلطان السلجوقي بالأموال حتى يعدل عن تعيين دبيس بن صدقة المزيدي على ديار الجزيرة مما يدل على أن دبيسا كان يعمل ضد الخليفة، لهذا السبب خشي الخليفة من تعاظم قوته فيما لو حكم الجزيرة أو غيرها فيخشى جانبه فيما بعد.

كان في حلب عند وفاة البرسقي سنة ٥٢١هـ ابنه عزالدين مسعود وكان نائباً عن أبيه فيها، فلما سمع بوفاة أبيه، سار الى الموصل وترك نائباً عنه في حلب أحد مماليك أبيه، ثم أمر بعزله وأقام مكانه مملوكاً آخر يسمى قتلغ أبه، فكثرت مظالمه وساء سلوكه كثيراً حتى كرهه عامة الناس وزاد تجبّرة بعد وفاة عزالدين البرسقي بعد والده بقليل، فقام أهل حلب ضده وأرادوا عزله وإقامة بدر الدولة سليمان بن عبدالجبار بن أرتق وكان مقيماً في حلب، ثم استغل الفرنج هذه الأحداث، فصعّدوا من عملياتهم العسكرية على نواحي حلب[٢٠].

أرسل أهل حلب يسغيثون بزنكي لتخليصهم مما هم فيه، فأرسل لهم من قبله بعض الأمراء ليملكوا حلب باسم زنكي ومعهم تواقيع السلطان محمود لزنكي بملك الجزيرة والشام، فدخلوا حلب واستقر الرأي بينهم وبين ابن أرتق وقتلغ أبه، الذهاب الى الموصل ليصلح زنكي بينهم فساروا اليه، ولكنه قبض عليهم وأبقاهم في الموصل وسيّر من قبله صلاح الدين محمد الياغيسياني الى حلب لترتيب أمورها[٢١].

ثم لحقه زنكي وملك في طريقه بزاعة ومنبج من الفرنج[٢٢] ثم دخل حلب فاستقبله أهلها بالبشر والترحاب وسلّموه المدينة وقلعتها سنة ٥٢٢هـ[٢٣].

والذي يستدل من هذا التاريخ ان زنكي استولى على مقاليد الأمور في حلب قبل ذهابه الى

بغداد سنة ٥٢٣هـ، ولا شك ان الله قد منّ على أهل حلب بمجيء زنكي اليهم فقد خلصهم مما هم فيه من البلاء، إذ لولا مجيئه لقدر للفرنج أن يستولوا على بلاد الشام بأكملها، يقول ابن الأثير: ((كان الفرنج خذلهم الله تعالى قد استضعفوا بلاد الشام الاسلامية فتابعوا الغارات على أهلها وقصدوها محاصرين لها لخلوّها من حامٍ ومانع وقد قوي طمعهم في ملك ما بقي في يد المسلمين من البلاد لا يعلمون ما أعده الله سبحانه في سرٍ الغيب وما قدره من الانتقام منهم وإدالة المسلمين عليهم ليذهب غيظ قلوبهم ويشف صدور قوم مؤمنين.....

ولولا أن الله تعالى منَّ على المسلمين بولاية الشهيد (زنكي) لكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعها))[٢٤].

وهكذا تعود الوحدة الاسلامية من جديد بين شمال الشام والجزيرة لمتابعة حركة الجهاد الاسلامي بقيادة بطل جديد من أبطال المسلمين الذي شهد له العدو والصديق لعل الله يكتب على يديه النصر بعد تلك الهزائم التي حصلت في عهد من سبقوه.

أقْدَمَ زنكي على قتل قتلغ أبَه جزاء له على ما ارتكبه من أعمال في حلب[٢٥] ثم بدأ بترتيب الأوضاع فيها فأقام على رياستها أبا الحسن علي بن عبدالرزاق العجلاني ليتفرغ هو الى الأعمال العسكرية في سائر البلاد[٢٦] ثم خرج الى حماة[٢٧] ولكنه تظاهر بخروجه لجهاد الفرنج، وطالب مساعدة أميرها فخرج لمساعدته، لكن زنكي قبض عليه وأسره واستولى على حماة سنة ٥٢٣هـ[٢٨]. كما غَدَرَ بصاحب حمص ثم رحل عائداً الى الموصل[٢٩].

ويستنتج من تصرّف زنكي مع صاحب حمص وحماة انه كان لا يثق بأمراء الشام فأراد أن يقبض عليهم قبل المبادرة بالدخول في حرب شاملة مع الفرنج، إلا أنني أعتقد خطأ هذه الطريقة التي اتبعها زنكي بالقبض عليهم بعد أن أعطاهم الأمان، إذ كان بإمكانه أن يمهلهم ويستعين بهم فعلاً ولا يستعدي هؤلاء وأنصارهم في بداية عهده بالشام لأنهم سيفقدون الثقة به ولن يصدقوه مستقبلاً فيما لو طلب منهم المساعدة على قتال الفرنج.

* خروج زنكي لمجاهدة الفرنج في الشام:

وبعد أن وحّد زنكي الإمارات تحت قيادته عاد من الموصل الى حلب سنة ٥٢٤هـ لتصفية بعض مواقع الفرنج هناك خاصة تلك التي ينال منها أهل حلب مضايقات شديدة فسار الى الأثارب، وهو حصن استعمله الفرنج وكراً لمهاجمة الفلاحين حول حلب باستمرار ونال منه الناس أذى كثيراً، فاستطاع زنكي أن يستولي عليه بعد حصار شديد وصالح أهل حارم[٣٠] التابع للفرنج على نصف غلاته[٣١].

وكان حصن الأثارب لفولك الفرنجي ملك بيت المقدس فشهد لزنكي بمقدرته العسكرية فقال عنه: ((أليس هذا الغضنفر (زنكي) الذي أثر في طبرية بمفرده ما أثر، فكيف به اليوم وهو في عدة وعديد ومتطوعة وجنود))[٣٢].

ولا شك ان سقوط الأثارب بيد زنكي، قد خفف الضغط عن أهل حلب من قبل الصليبيين، كما توطّد الأمن فيها، يقول ابن الأثير: ((وأمر الشهيد (زنكي) فيهم (الفرنج) الأثخان ومنع من الأسر وإعطاء الأمان فملأت جثث القتلى تلك الصحراء في الطول والعرض وتأوّل قوله تعالى: ((ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)) الأنفال. فلما استقر له الأمر وآل به الى الظفر، رجع الى الحصن (الأثارب) فملكه عنوة وقهراً وعم بكل من فيه قتلاً وسبياً وأسراً... ثم رحل الى حصن حارم ـ ببلاد الشام ـ فحصره، فأنفذ من لم يحضر المعركتين من الفرنج ومن نجا منها يسألونه الصلح ويبذلون له المناصفة على حصن حارم، فأجابهم الى ذلك لأن عساكره قد كثرت فيهم الجراحات والقتل فأراد أن يستريحوا ويريحوا، وعاد عنهم وقد أيقن المسلمون بالشام بالأمن وحلول النصر وسيرت البشائر الى البلاد وأعلنت في الحاضر والباد))[٣٣].

عاد زنكي الى حلب فتزوج بالخاتون فرخنده بنت الملك رضوان بن تتش السلجوقي (صاحب حلب سابقاً) ويبدو انه أراد بهذه الزيجة أن يرث إمارة رضوان بصورة شرعية إلا أنه عندما فتح خزانة أبيه في حلب (قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب ما بين ٤٧٨هـ ـ ٤٨٧هـ) رأى ثيابه ملطخة بالدماء حيث قتل بيد تتش السلجوقي جد الخاتون سنة ٤٨٧هـ فهجرها من ذلك اليوم[٣٤].

وفي أثناء وجوده في حلب اتصل به سوار بن آيتكين التركماني بعد أن قدم عليه من دمشق، وعرض عليه خدماته، فاستحسنه وأكرمه وأنابه عنه في حلب واعتمد عليه في قتال الفرنج أثناء فترة غيابه في الجزيرة[٣٥] ثم عاد الى الموصل ليريح جنوده مما عانوه في مجاهدة الفرنج[٣٦].

* إنشغال زنكي بالخلافات السلجوقية العباسية :

في الفترة التي كان بها زنكي في الموصل سنة ٥٢٥هـ، أُسِرَ دبيس بن صدقة صاحب الحلّة بيد بوري بن طغتكين أتابك دمشق، وكان دبيس عاصياً للخليفة العباسي وحاربه عدة مرات وتآمر مع الفرنج سنة ٥١٨هـ على حلب، وقد سبق أن الخليفة عارض فكرة السلطان السلجوقي بتعيينه على الجزيرة بدلاً من زنكي فاستقر بدبيس المقام في البصرة ينهب ويخرب[٣٧] ثم فارقها الى قلعة صرخد[٣٨] في الشام ليملكها، حيث مات صاحبها فملكتها من بعده زوجته وأوصت الى دبيس بالقدوم إليها ليتزوج منها، فسار اليها، ولكنه ضل الطريق وقبض عليه العربان وسلموه إلى بوري بن طغتكين أتابك دمشق، فبادله بابنه سونج الذي كان لا يزال أسيراً بيد زنكي منذ سنة ٥٢٣هـ[٣٩].

كان زنكي شديد العداوة لدبيس بن صدقة، ولكنه عندما قبض عليه أكرمه غاية الإكرام وقرَّبه إليه[٤٠].

ويستدل من ذلك أن زنكي أراد أن يستفيد من دبيس بن صدقة ومن رجاله المحيطين به، ولكنه بالمقابل سيثير حنق الخليفة عليه لأنه كان عاصياً للخليفة ثم أن بوري بن طغتكين كان قد أرسل الى الخليفة في بغداد يخبره بالقبض على دبيس فرد عليه بالتوثق منه والاحتياط عليه الى حين ورود من يتسلمه ويحضره الى بغداد، وقد أرسل الخليفة من قبله سديد الملك بن الأنباري ليحضر دبيساً من

دمشق، فوجد بوري قد سلمه الى زنكي وأثناء عودة ابن الأنباري الى العراق تعرضت له خيول زنكي وقبضت عليه وسلموه الى زنكي فلقي منه عنتاً شديداً ثم أطلق سراحه وعاد الى بغداد(٤١).

توفي السلطان محمود السلجوقي سنة ٥٢٥هـ وحصل تنافس على السلطان بين اخوته مسعود بن السلطان محمد وسلجوق شاه طغرلبك، وبين عمهم سنجر بن السلطان ملكشاه، وداود بن السلطان محمود، وكان أبوه أوصى له من بعده وهو صبي فطالب كل واحد منهم الخليفة المسترشد بالله أن يخطب له في بغداد ويعترف بسلطانه على السلاجقة، الا ان الخليفة مال الى سلجوق شاه بن السلطان محمد وخطب له في بغداد، فاستعان الملك مسعود بزنكي لإعانته على الخليفة، وطلب منه الحضور بعساكره الى بغداد لإرغام الخليفة على الاعتراف بسلطانه(٤٢).

استجاب زنكي لمسعود السلجوقي، فسار بعساكره من الموصل الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة لإجبار الخليفة على الرضوخ لمطالب مسعود السلجوقي، وكان الخليفة قد خرج من بغداد لمحاربة السلطان مسعود السلجوقي الذي زحف بعساكره الى بغداد، ولما علم بقدوم زنكي عاد اليها فالتقى بعساكر زنكي ودبيس فهزمهما هزيمةً منكرة فاتجه دبيس الى الحلّة وعاد زنكي الى الموصل ناجياً بنفسه سنة ٥٢٦هـ(٤٣).

استمرت الصراعات بين السلاجقة على السلطان طوال سنة ٥٢٦هـ فبرز منهم طغرلبك بن السلطان محمد وتحالف معه عمه سنجر فمال الخليفة الى السلطان مسعود وقبل الخطبة له والاعتراف بسلطانه، فانضم زنكي الى طغرلبك وسنجر ضد الخليفة والسلطان ومسعود وقدمت عساكرهم الى بغداد لمحاصرتها لكن حلفهم انهزم فاتجه دبيس ناحية الفرات وعاد زنكي الى الموصل، ثم تصالح أفراد الأسرة السلجوقية فيما بينهم واتفقوا على أن تكون السلطنة لطغرلبك بن السلطان محمد بعد أن تنازل له مسعود عنها واتجه الى فارس فأقام فيها(٤٤).

وبعدما انتهى الخليفة من خلافاته مع السلاجقة المتنازعين على السلطان أرسل الى زنكي، بهاءالدين أبا الفتوح الاسفراييني الواعظ ليزجره على أفعاله التي ارتكبها ضد الخليفة وزوّده برسالة ضمنها سخطه الشديد عليه، فقبض زنكي على الرسول وأهانه وعامله بما يكرهه(٤٥).

اغتاظ الخليفة من موقف زنكي مع رسوله اليه، وكان حانقاً عليه سابقاً فقرر أن يسير اليه بنفسه في حملة تأديبية ولخلعه والقضاء عليه، فسار ناحية الموصل سنة ٥٢٧هـ بجيش قوامه ثلاثون ألفاً، لكن زنكي خرج من الموصل الى سنجار وترك نائبه نصيرالدين جقر ليقوم بحماية الموصل(٤٦).

بدأ الخليفة بحصار الموصل، وطالت مدة الحصار ما يقرب من ثلاثة أشهر، فتعب جيشه كثيراً بسبب الهجمات المستمرة التي كان يشنها زنكي عليه من سنجار فاضطر الخليفة أن يفك الحصار ويعود الى بغداد بعد أن فشل في تنفيذ هدفه(٤٧).

وفي رواية لبعض المؤرخين أن سبب عودة الخليفة الى بغداد هي الأخبار التي جاءته باتفاق مسعود السلجوقي مع دبيس بن صدقة على مهاجمة بغداد والخطبة فيها الى مسعود بدلاً من طغرلبك(٤٨).

وإنني أميل إلى صحة هذا القول لأن زنكي خصم مسعود راسل الخليفة بعد عودته إلى بغداد وتصالح معه وأرسل له الهدايا والخدم فرضي لخليفة عنه(٤٩) وزاد بعض المؤرخين فقالوا أن زنكي سار الى الخليفة بنفسه سنة ٥٢٩هـ، والتقى به في بغداد ثم عاد إلى الموصل(٥٠).

وأعتقد ان سوء علاقة الخليفة المسترشد وزنكي بالملك مسعود هو الذي وحّد بينهما من جديد لمواجهة الأخطار التي قد تنجم عن التحرك الجديد الذي يبديه مسعود للخروج ضد السلطان طغرلبك، الذي رضي عنه الخليفة واعترف به سلطاناً على السلاجقة.

والذي لا بد من بيانه أن زنكي قد أخطأ أخطاء فاحشة مع الخليفة المسترشد بالله عندما تحالف مع عدوه اللدود دبيس بن صدقة المزيدي، لا سيما ان الخليفة كان له فضل سابق على زنكي عندما عارض فكرة السلطان محمود سنة ٥٢٢هـ بإقامة دبيس بن صدقة مكانه على الجزيرة، كما ان زنكي تقلّب في موقفه أكثر من مرة بين المطالبين بالسلطنة السلجوقية وبين الخليفة وحارب الخليفة أكثر من مرة، ولا شك ان هذا التصرف يوحي بأنه كان يخاف على مصالحه الشخصية فيبحث عن الذي يرعى مصالحه أكثر ليحافظ على بقائه في الجزيرة، ومهما يكن من أمر فإنه ينبغي عليه أن لا يقدم على رفع السيف في وجه الخليفة العباسي مع بقية السلاجقة الذين شغلتهم الزعامة والملك عن الخروج للجهاد وطرد الصليبيين من بلاد المسلمين.

وفي جمادى الأولى من سنة ٥٢٩هـ أرسل شمس الملوك اسماعيل بن بوري صاحب دمشق، الى زنكي يطلب منه سرعة المجيء الى دمشق ليسلمه إياها، بعد خلافات نشبت بينه وبين امرائه، وقد هدد شمس الملوك بتسليم دمشق للصليبيين إذا تأخر زنكي عن الوصول اليه فانتهز زنكي هذه الفرصة وتهيأ لها وكان طامعاً في دمشق منذ زمن طويل(٥١).

إلا أن أمراء دمشق ومنهم والدة شمس الملوك أسرعوا في التخلص من شمس الملوك وقتلوه وأقاموا مكانه أخاه شهاب الدين محمود وأغلقوا أبواب دمشق في وجه زنكي عندما وصل إليها(٥٢).

وقد كانت فرصة طيبة أمام زنكي لو أنه استطاع أن يضم دمشق إليه ويوسع من دائرة نفوذه وتكوين جبهة اسلامية قوية تحت قيادته ولكن الحظ لم يحالفه فارتد عن دمشق خائباً بسبب تحالف امرائها ضده.

وفي الفترة التي كان فيها زنكي يحاصر دمشق توفي السلطان طغرلبك السلجوقي سنة ٥٢٩هـ، وقام أخوه مسعود يطالب بالسلطنة لنفسه وكاتب الخليفة المسترشد يطلب منه الاعتراف به فرفض طلبه وتوترت العلاقة بينهما واستعد كل منهما للآخر فاستنجد الخليفة بزنكي لينصره على السلطان مسعود السلجوقي(٥٣) وطلب منه الرحيل عن دمشق، وأن يخطب لألب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقي وكان معه في حصار دمشق(٥٤).

وقد أورد أبوالفرج بن الجوزي ما يفيد ان أمراء دمشق راسلوا الخليفة ليدفع عنهم زنكي على أن يدفعوا له مالاً سنوياً فيقول ابن الجوزي عن مقولة الأمراء للخليفة: ((ادفع عنا زنكي، ونحن

نحمل هذا (المال) في كل عام، فبعث اليه تنحّ عنهم واخطب للصبي (ألب أرسلان السلجوقي) وتعالى معه الى العراق حتى أخطب له ونتساعد على مسعود فقال: السمع والطاعة وخطب للصبي))(٥٥).

وفي رواية لإبن القلانسي: أن زنكي اتفق مع امراء دمشق قبل رحيله على أن يخطبوا في دمشق للسلطان ألب أرسلان الذي يرافق زنكي حسب وصية الخليفة ثم رحل زنكي عائداً إلى العراق(٥٦).

إلا أن زنكي وصل متأخراً عن نصرة الخليفة، فقد سبقه السلطان مسعود بمهاجمة بغداد والقبض على الخليفة المسترشد(٥٧) ثم اصطحبه معه الى مراغة، وأقام له خارجها خيمة أجلسه فيها فهجم عليه جماعة من الباطنية فقتلوه في خيمته(٥٨) ثم أمر السلطان مسعود أن تكون الخلافة للراشد بالله بن الخليفة القتيل(٥٩).

وهكذا وصل الأمر بالسلطان مسعود السلجوقي أن يتجرأ على قتل الخليفة العباسي لمجرد معارضته له، ولا شك ان هذا العمل سيكون له نتائج خطيرة فيما بعد ويعجل بزوال السلاجقة، إذ أن الخلفاء العباسيين لن يسكتوا على مثل هذه التجاوزات وسيشنّون حرباً لا هوادة فيها على السلاجقة كي يتخلصوا منهم عندما تسنح لهم الظروف.

وصل زنكي الى بغداد لينصر الخليفة المسترشد بالله على السلطان مسعود السلجوقي وكان بصحبته ألب أرسلان بن السلطان محمود لإقامته سلطاناً على السلاجقة إلا أنه وجد الأمر محسوماً كما تقدم، فأقام بجوار الخليفة الراشد بالله فأكرمه غاية الإكرام ثم فارقه وعاد الى الموصل في ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ(٦٠).

أعلن الخليفة الراشد بالله قطع الخطبة للسلطان مسعود السلجوقي وطلب أن تكون الخطبة الى داود بن السلطان محمود وكان صحبة زنكي في الموصل - يعتقد انه اصطحبه معه الى الموصل بعد مفارقة الراشد بالله - ثم جاء زنكي الى بغداد سنة ٥٣٠هـ لنجدة الراشد بالله على مسعود وللثأر بدم الخليفة المسترشد بالله(٦١).

إلا أن السلطان مسعود قدم بجيش كثيف وحاصر بغداد وعجز الراشد بالله وزنكي عن دفعه، فخرج الراشد بالله متخفياً في صحبة زنكي الى الموصل، ودخل السلطان مسعود السلجوقي بغداد وأقام المقتفي لأمر الله بن المستظهر مكان الراشد بالله بعد أن أعلن خلعه عن الخلافة العباسية(٦٢).

وقد استمر زنكي يخطب في إمارته للخليفة الراشد بالله وإلى داود بن السلطان محمود السلجوقي حتى جاءته رسل الخليفة المقتفي لأمر الله والملك سنجر بن السلطان ملكشاه السلجوقي والى خراسان يأمرانه إخراج الراشد بالله وداود من الموصل والخطبة للخليفة المقتفي لأمر الله والسلطان مسعود السلجوقي، فامتثل للأمر وخرج الراشد بالله وداود بن السلطان محمود من بغداد الى نواحي همذان وظلا يتنقلان في تلك النواحي حتى هجمت الباطنية على الراشد بالله فقتلوه في شهر رمضان سنة ٥٣٢هـ(٦٣).

والواقع ان الأمور تدهورت بين الزعامة السلجوقية والخلافة العباسية الى هذا الحد الذي اتضحت معالمه، فقد انحطت قيمة الخلافة العباسية عند السلطان مسعود الى هذه الدرجة، وسوف يكون لهذه السياسة نتائج خطيرة على العلاقة العباسية السلجوقية فيما بعد لأن العباسيين لن يسكتوا على هذه الإهانات، كما أن مثل هذه النزاعات التي طالت مدتها دون حسم، هي التي أثرت تأثيراً سلبياً على الإمارات السلجوقية في الشام والجزيرة وأضعفت ارتباطها بالزعامة السلجوقية الأم، بسبب فقدان المسؤولية وتسيّب الأمور فتصرف كل واحد منهم حسب ما ترتضيه ظروفه مع الصليبيين ليدفعوا عن أنفسهم تهديداتهم، بينما انشغل زنكي في هذه الصراعات فترة ليست بسيطة وكانت الآمال معقودة عليه لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين الذي توقف منذ حين.

* عودة زنكي إلى الجهاد ضد الصليبيين في الشام والجزيرة :

كان سوار بن آيتكين التركماني نائب زنكي في حلب يصد هجمات الصليبيين طوال الفترة التي كان فيها زنكي غائباً عن مسرح الأحداث في الشام[٦٤].

ثم جاء زنكي أخيراً الى حلب ودخلها في رمضان سنة ٥٣١هـ[٦٥] واصطحب معه نائبه سوار وصلاح الدين محمد الياغيسياني واتجه الى حمص ليستولي عليها من معين الدين أنز (مدبر شؤون إمارة شهاب الدين محمود في دمشق) فاستعان أنز بالصليبيين على زنكي، فجاءوا لنجدته، فاضطر زنكي أن يترك حمص ويتجه للقاء الفرنج قبل أن يصلوه فانعطف على حصن بارين[٦٦] الفرنجي وحاصره حصاراً شديداً ومنع الدخول اليه أو الخروج منه حتى استسلم الحصن ومنح الفرنجة الذين فيه الأمان[٦٧].

يقول إبن الأثير في وصف حصن بارين : ((فلا ترمقه الأبصار إلا عادت حسيرة، ولا تؤمّه الطيور إلا أضحت أجنحتها مهيضة كسيرة، ومن به من ملوك الفرنج وفرسانهم وكهولهم وشبانهم واثقين بحصانته معتزين بعلو مكانه ومكانته، متيقنين ان الحوادث لا تنالهم وهم به معتصمون))[٦٨].

قدمت إمدادات فرنجية كبيرة لنجدة الحصن وهم لا يعلمون سقوطه بيد زنكي، فخرج زنكي للقائهم، ودارت معركة حاسمة بين الطرفين، ثم لاذ الفرنجة بالفرار بعد أن خسروا أعداداً كبيرة من القتلى والأسرى[٦٩]، يقول ابن الأثير : ((وصبر الفريقان صبراً لم يسمع بمثله في سالف الدهور الا ما يُحكى عن ليلة الهرير[٧٠] ونصر الله المسلمين نصراً عزيزاً))[٧١].

توجه زنكي بعد بارين الى كفر طاب والمعرة وهما للفرنج فاستولى عليهما وأعاد الأراضي المسلوبة الى أهلها[٧٢] ثم عاد الى نواحي حمص ليأخذها من معين الدين أنز ولكنه لم يستطع ثم تقرر الصلح بينه وبين شهاب الدين محمود صاحب دمشق سنة ٥٣٢هـ تنازل فيها شهاب الدين عن حمص وعوّض صاحبها معين الدين أنز بقلعة بارين، كما تم الاتفاق على أن يتزوج زنكي بالخاتون صفوة الملك زمرد والدة شهاب الدين محمود[٧٣].

وفي الفترة التي كان زنكي يحاصر حمص جاءه رسول السلطان مسعود السلجوقي فتقرر بينهما

الصلح والموادعة، وأطاع زنكي السلطان مسعود على أن يستمر في قتال الفرنج[٧٤]، ثم قدمت حملة الروم في هذه السنة (٥٣٢هـ) قاصدة حلب، فاضطر زنكي الى مغادرة حمص بعساكره من التركمان عائداً الى حلب لمواجهة ملك الروم الذي استطاع أن يستولي على بزاعة[٧٥] من المسلمين ونكّل بأهلها كثيراً ثم اتجه الى شيزر وهي لأبي العساكر بن علي بن منقذ الكناني، فحاصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقاً فوصل زنكي اليه وبدأ بمناوشته لإبعاده فاستغل فرنجة الشام انشغال زنكي بحملة الروم فهاجموا حصون المسلمين فاستولوا على أكثرها في هذه المناطق[٧٦].

تنبَّه زنكي الى خطورة الموقف فلجأ الى الحيلة كي يفسد بين الفرنجة والروم، فراسل الطرفين وخوَّفهم من بعضهم البعض فحذَّر فرنجة الشام من الروم إنْ تغلّبوا على الشام، وخوَّف ملك الروم من تخلي الفرنج عنه، فانسحب ملك الروم عائداً إلى بلاده دون إحراز شيء يذكر بل ترك كثيراً من متاعه وسلاحه غنائم للمسلمين[٧٧].

وقبل انسحاب الروم عائدين الى بلادهم بعث زنكي الى السلطان مسعود السلجوقي يطلب منه النجدة، فتهيأ لنجدته، وجهّز العساكر السلطانية للجهاد وكان ذلك بعد رحيل الروم، فأرسل زنكي يخبره برحيلهم والعدول عن الإمدادات فتوقفت العساكر ولم تتحرك للجهاد[٧٨].

يقول ابن الأثير عما دار من حديث بين زنكي ورسوله كمال الدين الشهرزوري الى السلطان مسعود لطلب النجدات منه لقتال الروم والفرنج : ((فحكى لي والدي عن كمال الدين قال : قلت للشهيد (زنكي) لمّا أرسلني (الى السلطان) أخاف أن تخرج البلاد من أيدينا، ويجعل السلطان هذا حُجَّة وينفذ العساكر فإذا توسطوا البلاد ملكوها فقال الشهيد : ان هذا العدوَّ قد طمع في البلاد وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام، وعلى كل حال فالمسلمون أولى بها من الكفار))[٧٩].

ويستنتج من هذه المقولة أن المخاوف كانت تراود زنكي من السلطان مسعود السلجوقي، وانه ما تزال النية قائمة في ذهنه بعزل زنكي عن الجزيرة والشام بالرغم من المصالحة التي تمت بين الطرفين وأعرب زنكي عن حُسن نيته معه فأخرج الراشد بالله وداود بن السلطان محمود السلجوقي من الموصل وكان يخطب لهما في بلاده.

والذي أُرجِّحُه أن زنكي أحسَّ بتسرعه عندما طلب النجدة من السلطان مسعود فسارع الى تدبير الأمر مع الروم والفرنجة، ثم أرسل على وجه السرعة الى السلطان يطلب منه العدول عن إرسال النجدات التي طلبها منه، وكان السلطان قد أمر بتجهيزها فور وصول الطلب من زنكي، ربما حتى يتخلص منه كما أشار رسوله كمال الدين الشهرزوري، وحتى لا يدع فرصة لقدوم مزيد من الحملات السلجوقية إلى الشام لانتزاع البلاد منه.

وهكذا كانت المخاوف التي تراود الأمراء والسلاطين من بعضهم البعض تقف عائقاً في سبيل العمل الجاد والمثمر في شن حرب شاملة على الصليبيين والبيزنطيين كتلك الحملة التي شنها ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٦٢هـ عندما أسر أرمانوس البيزنطي وطرد بقايا الروم من ديار المسلمين في نواحي الشام والجزيرة.

وقعت عدة زلازل في أيام متفرقة من سنة ٥٣٣هـ بعد رحيل الروم من الشام، أصابت عدداً من الحصون والقرى والمدن في الشام والجزيرة، فهلك كثير من الناس وهجر آخرون منازلهم وديارهم، فسار زنكي الى الجزيرة ليتفقد أحوال الناس فيها(٨٠).

* حملة زنكي على دمشق سنة ٥٣٣هـ :

توترت العلاقات بين شهاب الدين محمود بن بوري في دمشق مع بعض امرائه فدّبر هؤلاء قتله وتخلصوا منه، فأرسلت أمه زمرّد خاتون (زوجة زنكي) تطلب من زنكي سرعة القدوم الى دمشق ليأخذ لها بثأر ابنها من قاتليه، وكان زنكي مقيماً في الموصل فأسرع بالمسير الى دمشق وكان طامعاً في ملكها(٨١).

وقد تقدم أن زنكي تزوج زمرّد خاتون باتفاق بينه وبين ابنها شهاب الدين محمود، وكان طامعاً بملك دمشق بواسطتها الا أن رغبته لم تتحقق فأعرض عنها وبقيت على ذمته في دمشق(٨٢).

قطع زنكي نهر الفرات في طريقه الى دمشق فمرّ على بعلبك(٨٣) ليأخذها وكانت لمعين الدين أنز وزير شهاب الدين محمود، فحاصرها وضربها بالمجانيق، ثم استأمن أهلها من زنكي فأعطاهم الأمان ودخل البلدة لكنه غدر بهم وسفك دماءهم(٨٤) ثم أقام على المدينة نجم الدين أيوب شادي، وتابع سيره إلى دمشق(٨٥).

تعجّل أمراء دمشق وعلى رأسهم معين الدين أنز بتدبير أمرهم قبل وصول زنكي إليهم. فاتفقوا على تولية جمال الدين محمد بن بوري مكان أخيه شهاب الدين محمود فكاتبه زنكي وطلب منه التسليم، فمال جمال الدين الى ذلك حقناً لدماء المسلمين وسكون الدهماء، لكن أمراءه خوّفوه عاقبة ذلك وذكّروه بما فعله زنكي بأهل بعلبك بعد أن أعطاهم الأمان ومما قالوه له : ((لو ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء (أهل بعلبك) فازداد نفوراً وجدّ في محاربته))(٨٦).

شدد زنكي الحصار حول دمشق وبدأ بتخريب نواحيها للتضييق على أهلها فيحملهم على الاستسلام، فمات أثناء ذلك جمال الدين محمد وأقيم ابنه مجيرالدين آبق مكانه، واستمر معين الدين أنز على تدبير شؤونه وعصيان زنكي(٨٧).

وهكذا عاد سوء التصرف الذي ارتكبه زنكي بأهل بعلبك على مستقبله في الشام فانعدمت الثقة به وكان ذلك حجة عليه عندما مال جمال الدين محمد الى التسليم، ورغب في طلب الأمان لولا وقوف أنز ضد هذه الفكرة وذكّره بما فعله زنكي بأهل بعلبك وخوفه أن يكون مصير أهل دمشق وأمرائها كمصير أهل بعلبك فعدل جمال الدين عن التسليم وأغلق الأبواب في وجه زنكي، وإلا لكان من الممكن أن يأخذ دمشق بهذه المناسبة السهلة.

راسل معين الدين أنز الفرنج وطلب مساعدتهم على زنكي وخوّفهم منه لو ملك دمشق ووعدهم أن يعطيهم بانياس إذا جاءوا لنجدته، فجاءوا مسرعين، فترك زنكي حصار دمشق وتوجه

الى نواحي حوران للقائهم، ثم أخذ يخرّب وينهب كل ما في طريقه ثم انسحب عائداً الى بعلبك في رمضان سنة ٥٣٤هـ[٨٨]، وجاء الفرنج الى دمشق على ميعادهم مع معين الدين أنز وطلبوا منه الوفاء بالتزاماته فخرج معهم الى بانياس وسلّمها لهم[٨٩].

ولما علم زنكي بما فعله أنز عاد لمحاصرة دمشق، وفرّق عساكره التركمان في سهول حوران تنهب وتخرب طوال شهر ذي القعدة ثم عاد الى بلاده، بعد أن يئس من أخذ دمشق[٩٠].

والحق ان اهتمام عماد الدين زنكي كي يأخذ دمشق يعود الى أهمية موقعها التجاري والعسكري بين حلب ومملكة بيت المقدس الصليبية والطريق المؤدي الى مصر وحرصه الشديد على التخلص من حكام دمشق بسبب موقفهم المتخاذل من حركة الجهاد الاسلامي، لهذا كان زنكي يصر على أن يأخذ دمشق من أتابكتها فلم يترك فرصة إلا واتبعها لكنه فشل بذلك فشلاً ذريعاً، وكانت أمامه الفرصة الوحيدة كي يأخذها سلماً عندما أوصت له زوجته زمرّد خاتون ففاتته هذه الفرصة بسبب تعنّت امراء دمشق وعلى رأسهم معين الدين أنز.

والذي يتضح ان الصليبيين كانوا يخشون امتداد إمارة زنكي الى دمشق لمواقفه معهم وإصراره على محاربتهم على عكس امراء دمشق الذين لم يظهروا تلك الجديّة في محاربة الصليبيين.

وفي رواية لإبن العديم أن زنكي تصالح مع معين الدين أنز قبل رحيله عن دمشق على أن يخطب لزنكي في دمشق بعد السلطان السلجوقي ومجيرالدين آبق، إشارة الى طاعته وعدم عصيانه[٩١].

وإنني أميل الى قبول هذه الرواية لأن زنكي رجع الى الجزيرة وتفرغ لتدبير أحوالها الداخلية والتخلص من الحصون الصليبية فيها ولم يرجع بعد ذلك لحصار دمشق أو مهاجمتها حتى وفاته.

* علاقة زنكي بالأراتقة في الجزيرة :

كان في الجزيرة بعض الإقطاعات لبني أرتق التركماني مثل اقطاعات نصيبين وماردين لحسام الدين تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق التركماني، وحصن كيفا لركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق التركماني، وقد عصى هذان الرجلان زنكي ورفضا طاعته عندما جاء الى الجزيرة سنة ٥٢١هـ، ولكنهما عندما شعرا أن زنكي سيأخذ منهما اقطاعاتهما صالحاه وأعلنا طاعته[٩٢].

وقد مال الأراتقة في الجزيرة الى الهدوء والسكينة طوال الفترة التي كان فيها زنكي مشغولاً في صراعاته مع زعماء السلاجقة وامراء دمشق، الا انه ما كاد يرجع الى الموصل سنة ٥٣٤هـ، حتى برز له حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وصاحب حصن كيفا فتهيأ زنكي لهما وعزم على الاستيلاء على ما بيدهما من مدن الجزيرة، وتمكن أن يكسب صاحب حصن كيفا الى جانبه وأطاع زنكي، وبقي حسام الدين وحيداً، فشعر بالضعف أمام زنكي فراسله وطلب مصالحته وطاعته وزوّجه ابنته فعاد زنكي عنه الى نصيبين سنة ٥٣٦هـ[٩٣]، ثم تفرغ بعد ذلك لتصفية الزعامات القديمة في بعض

المناطق في الجزيرة، فجرد حملة عسكرية سنة ٥٣٧هـ، على شمال الجزيرة فاستولى على قلاع الأكراد فيها مثل آشب والشعباني وكانت وكراً لزعماء الأكراد يفسدون منها فهدمها وبنى مكانها قلعة جديدة سُمِّيت بالعمادية نسبة إليه[٩٤].

ثم تابع نشاطه في سائر أنحاء الجزيرة فاستولى على كثير من الحصون مثل أسعرد وطنزة[٩٥].

* إستيلاء زنكي على الرّها الصليبية سنة ٥٣٩هـ :

حصلت نفرة ووحشة بين زنكي والسلطان مسعود السلجوقي في سنة ٥٣٨هـ، فقرر السلطان غزو الجزيرة لينتزعها من زنكي بسبب اعتقاده انه من وراء كثير من المشاكل والفتن التي تثور في وجه السلطان من بعض الولاة في الأقاليم السلجوقية[٩٦].

ويعزو المؤرخون قصد زنكي بإثارة هذه المشاكل حتى يلهي السلطان عنه فلا يستطيع أن يقوى عليه مستقبلاً ويظل محتاجاً إليه، خاصة بعدما قوي مركز زنكي في الشام واتسعت أملاكه[٩٧].

ثم ترددت الرسل بينهما، فتصالحا ورضي السلطان بطاعة زنكي له على أن يدفع مائة ألف دينار سنوياً ويتعهد بفتح الرّها وتخليصها من الصليبيين، ثم توقف السلطان عن المسير الى الجزيرة فقد احتاج الى مداراة زنكي لكثرة مشاكله الداخلية وأثبت زنكي حُسن نيته فيما بعد[٩٨].

بدأ زنكي يعدّ العدّة ليأخذ الرّها من جوسلين الفرنجي ليوفي بوعده مع السلطان. وتعتبر الرّها أكبر إمارة صليبية في الجزيرة وأخطرها على المسلمين نظراً لموقعها وسيطرتها على خطوط المواصلات بين بغداد وحلب والموصل وسلاجقة الروم[٩٩].

بثّ زنكي عيونه لمراقبة جوسلين، وأظهر التشاغل بغير الرّها للخداع والتضليل حتى اعتقد جوسلين الأمان، فقطع نهر الفرات واتجه الى بعض الحصون الفرنجية للشام، وكانت أخباره تصل الى زنكي باستمرار، فانقضّ زنكي بأقصى سرعة على الرّها وضرب عليها حصاراً شديداً من جميع الجهات[١٠٠].

ثم نصب التركمان المنجنيقات، وبدأ النقّابون بنقب الأسوار في عدة مواضع ونصبت الأخشاب تحت الأسوار لحرقها وهدمها، وزنكي يحث على الجد والاجتهاد قبل وصول النجدات الفرنجية، وحرص على تشديد الحصار حتى لا تدخلها الأخبار أو تخرج منها، وأصر على دخولها عنوة فدخلها في جمادي الأخرة سنة ٥٣٩هـ بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوماً[١٠١].

وفي رواية لإبن القلانسي ان نجدات كبيرة من الفرنج جاءت لفك الحصار عن الرّها فأرسل لهم زنكي جماعة من التركمان، فهاجموهم فجأة وشتتوا جموعهم واستولوا على متاعهم ودوابهم[١٠٢].

أوصى زنكي عساكره من التركمان بعد دخولهم الرّها، بأن يتركوا المدينة على حالها وإعادة كل ما نهب الى أصحابه وأوصى بأهلها خيراً وكتب لهم أماناً بذلك[١٠٣] ويدحض هذا التصرف من زنكي ما رواه سميل أن زنكي عندما دخل الرّها كان متعطشاً للدماء وحشياً بأفعاله في مدينة الرّها، وكان

هذا في نظره كافياً لإثارة حرب صليبية ثانية(١٠٤).

قام زنكي بإصلاح ما تهدَّم في الرّها ورتَّب أوضاعها وأناب عليها من يقوم مقامه في الدفاع عنها ثم خرج الى الحصون الفرنجية المجاورة فاستولى على سرُوج بعدما أعطى أهلها الأمان، ثم توجه إلى البيره(١٠٥) فضرب حولها حصاراً شديداً(١٠٦).

من هنا نستطيع أن نقرر أن زنكي عمل شيئاً يذكر له، فقد اقتلع جذور الخطر من أصوله في الجزيرة، لأن الرّها كانت حصناً منيعاً للصليبيين يأوون إليه ويشنّون منه هجمات متتالية على قوافل المسلمين وقراهم ومزارعهم، ومما لا شك فيه أن زنكي نجح في إقرار الأمن والهدوء قبل الإقدام على احتلال الرّها فقد ضم إليه عدداً كبيراً من الحصون والمدن والقلاع في الشام والجزيرة، واستقر الحال بينه وبين السلطان السلجوقي، وكل هذه العوامل ساعدته لكي يتقدم بثقة الى الرّها ويحاصرها حتى سقطت على يديه وأصبحت الطريق مأمونة بين الموصل وحلب وسائر بلاد الشام واهتزت معنويات الفرنج فسقطت بعض الحصون الأخرى تباعاً مثل سرّوج وغيرها من القلاع.

أوشكت البيرة على السقوط بيد زنكي لولا حدوث بعض التطورات في الموصل، فقد قتل نائبه نصيرالدين جقر فيها، فاستوجب الأمر عودته على وجه السرعة للقضاء على الفتنة التي برزت أثناء غيابه عن الموصل فترة طويلة من الزمن وذلك بقيام الملك فرّخشاه الملقب بالخفاجي بن السلطان محمود السلجوقي الذي يقيم بصبحة زنكي من أيام أبيه السلطان محمود فقد حسّن له بعض أنصاره قتل جقر نائب زنكي ليخلوا له الحكم في الموصل، الا أن عودة زنكي بسرعة أخمدت الفتنة في مهدها وقُتل الملك الخفاجي بدم جقر وعُيِّن مكانه على الموصل أحد أتباع زنكي ويدعى زين الدين علي كوجك بن بكتكين(١٠٧).

وفي رواية لبعض المؤرخين ان الملك ألب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقي، أخو فرّخشاه الخفاجي، هو الذي تآمر على زنكي فحدث ما حدث، وكان الاخوان تحت رعاية زنكي منذ صغرهما بتكليف من أبيهما السلطان محمود(١٠٨).

والصحيح أن الذي قام بهذه المؤامرة هو فرّخشاه وان الرواية الأولى هي الأصح لأن فرّخشاه هو الذي كان يقيم في الموصل أثناء محاصرة زنكي للبيرة، بينما كان ألب أرسلان سجيناً بسنجار، وبعد مؤامرة أخيه عطف عليه زنكي وأخرجه من السجن وأكرمه وظل معه حتى مقتله أثناء حصار قلعة جعبر سنة ٥٤١هـ، كما سيأتي إن شاء الله.

أما الفرنجة في البيرة، فقد راسلوا حسام الدين تمرتاش بن أرتق صاحب ماردين وميّافارقين وسلّموه البيرة خوفاً من عودة زنكي اليهم سنة ٥٣٩هـ(١٠٩).

ويدل هذا التصرف من الفرنج على أنهم كانوا يخافون امتداد نفوذ زنكي الى بلاد كثيرة فيقوى عليهم، فزادوا من أملاك حسام الدين تمرتاش كي يخلقوا منافساً قوياً لزنكي فينشغل المسلمون بعضهم عن جهادهم.

* مقتل عمادالدين زنكي سنة ٥٤١هـ :

بدأ زنكي في أواخر سنة ٥٤٠هـ يستعد للسير إلى قلعة جعبر[١١٠] ليأخذها من صاحبها الأمير عزالدين علي العقيلي[١١١] لأنه مصر على سياسته بأن لا يكون في الجزيرة ما هو ملك لغيره، ليستطيع مجاهدة الفرنج وهو مطمئن إلى أوضاعه الداخلية فلا ينازعه أحد داخل إمارته، ثم سار اليها وحاصرها حصاراً شديداً وكاتَب العقيليّ يطلب منه التسليم لكنه رفض العرض وعصى أمر زنكي[١١٢] فاستمر في الحصار، وفي أثناء ذلك هاجمه ثلاثة من غلمانه على رأسهم يرنقش الخادم، فقتلوه أثناء نومه ثم فرّوا الى داخل القلعة واحتموا فيها[١١٣].

وهرب يرنقش الخادم من القلعة الى دمشق فيما بعد، فقام معين الدين أنز بتسليمه إلى نورالدين محمود بن زنكي في حلب سنة ٥٤١هـ ثم نقل الى الموصل فقُتل فيها[١١٤].

وفي رواية لبعض المؤرخين ان هؤلاء الغلمان قتلوا زنكي وهو نائم بسبب حقدهم عليه لتهديدهم بالقتل، ويفسر المؤرخون سبب الحقد، أن زنكي شرب ثم نام فاستيقظ فوجد غلمانه يشربون فضل شرابه فتوعّدهم ثم نام فأجمعوا على قتله أثناء نومه فقتلوه[١١٥].

وإنني أستبعد صدق هذه الرواية، فلا يعقل أن يقدم غلمان زنكي على قتله لسبب تافه مثل هذا، وقد كان لزنكي هيبة عظيمة على أمرائه وجنوده، وأقرب ما يمكن قبوله أن صاحب الحصن دسَّ هؤلاء الغلمان على زنكي لقتله عندما أصر على أن يأخذ القلعة منه.

وهكذا يرحل قائد عظيم من قادة الجهاد الاسلامي، وقد اجتهد كثيراً لتوحيد إمارة الشام والجزيرة تحت قيادة واحدة، ليتقوى على مجاهدة الفرنج وقد سلك لتحقيق هذا الهدف جميع السبل العسكرية وغيرها فاتخذ الزواج من بنات الأمراء وسيلة لتحقيق هذا الهدف فتزوج الخاتون إبنة الملك رضوان صاحب حلب كما تزوج ابنة حسام الدين تمرتاش وإبنة جناح الدولة حسين صاحب حمص وصفوة الملك زمرّد خاتون إبنة الأمير جاولي وأم شمس الملوك اسماعيل وشهاب الدين محمود أتابكة دمشق كما كان حازماً غيوراً على نساء الجنود كثير الحيطة والحذر والشجاعة، لكن الحظ خانه فأُتيَ من مأمِنِه.

* إنقسام إمارة زنكي بعد مقتله سنة ٥٤١هـ :

عندما قتل زنكي سنة ٥٤١هـ كان إبنه الأكبر سيف الدين غازي مقيماً بشهرزور[١١٦] وهي إقطاعه من قبل أبيه[١١٧] بينما كان إبنه الأصغر نورالدين محمود مع أبيه عند قلعة جعبر، فتسرع ولم ينتظر للتشاور مع أخيه سيف الدين وماذا سيفعلان بعد مقتل أبيهما بل أخذ خاتم أبيه من يده وسار ببعض العساكر التركمانية الى حلب وملكها هي وتوابعها في ربيع الآخر سنة ٥٤١هـ[١١٨].

كما كان مع زنكي أيضاً الملك ألب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقي وكان زنكي يُظهر انه يحكم البلاد باسمه منذ سنة ٥٢١هـ حيث اصطحبه معه الى الموصل بأمر من السلطان محمود

السلجوقي عندما ولّاه على الجزيرة ليشرف على تربيته ويحكم البلاد باسمه[119].

وفي رواية لبعض المؤرخين[120] أن سيف الدين غازي كان معهم عند مقتل أبيه عند قلعة جعبر ولم يكن في شهرزور كما ذكر، والحق انه كان غائباً عن أبيه في هذه الفترة وانه كان بشهرزور فعلاً لعدة أدلة سيأتي تفصيلها لاحقاً.

عزم الملك ألب أرسلان السلجوقي على أن يحل محل زنكي في ملك البلاد مباشرة وعَزْلِ أولاده عنها فجمع عساكره وأعدَّ العدَّة كي يتوجه الى الموصل للاستيلاء عليها[121] ولكن جمال محمد الأصفهاني وزير زنكي وحاجبه صلاح الدين محمد الياغيسياني اتفقا فيما بينهما على حفظ الإمارة لأولاد زنكي وإبعاد الملك ألب أرسلان السلجوقي عنها[122] فقد قال جمال الدين الى صلاح الدين : ((ان المصلحة أن نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا ونسلك طريقاً يبقى به الملك في أولاد صاحبنا (زنكي) ونعمِّر بيته جزاءً لإحسانه إلينا، فإن الملك ألب أرسلان السلجوقي قد طمع في البلاد واجتمعت عليه العساكر، ولئن لم نتلافَ هذا الأمر في أوله ونتداركه في بدايته، ليتسعنَّ الخرقُ، ولا يمكن رقعه، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك وحلف كل واحد منهما لصاحبه))[123].

وكان أول عمل قام به جمال الدين وصلاح الدين أن أرسلا رسولاً على وجه السرعة إلى زين الدين علي كوجك[124] نائب زنكي في الموصل ليخبراه بما حصل لزنكي وليرسل إلى ابنه سيف الدين غازي للحضور من شهرزور إلى الموصل ليسلّمه الإمارة فيها، فنفذ كوجك هذه التعليمات وجاء غازي إلى الموصل وملكها قبل أن يتمكن ألب أرسلان السلجوقي من الوصول إليها[152].

وفي رواية لإبن القلانسي أن زين الدين امتنع بادىء الأمر من تسليم الموصل لسيف الدين غازي ثم عاد وأجلسه على كرسي الإمارة بعد ذلك[126]، وأرى ان هذه الرواية غير قابلة للتصديق لأن كوجك هو الذي أرسل في طلبه من شهرزور بناء على التعليمات التي وجهها له جمال الدين محمد الأصفهاني وصلاح الدين محمد الياغيسياني لترتيب الإمارة فيها فكيف يمتنع عليه بعد ذلك أو يتردد في طاعته.

أما الملك ألب أرسلان السلجوقي، فقد حجبت هذه الأخبار عنه وتكفّل جمال الدين محمد وصلاح الدين الياغيسياني بإلهائه ومخادعته ريثما تستتب الأمور لسيف الدين غازي في الموصل وبما ذكراه له على سبيل المغالطة والخداع : ((إن أتابك (زنكي) كان غائباً عنك في البلاد وباسمك كنّا نطيعه، فقبل قولهما وظنه حقاً وقربهما في أن يكونا عوناً له على تحصيل غرضه))[127]، ثم خرجا به مع العساكر المجتمعة قرب قلعة جعبر نحو ماكسين[128] وهما يحّلفان العساكر لسيف الدين غازي سراً وهيّئا للملك السلجوقي الطعام والشراب وسماع الأغاني حتى لا يعرف شيئاً مما يدور حوله، وظلا يتنقلان به من مكان الى آخر في الجزيرة حتى تفرق معظم أصحابه عنه وبقي في قلة من العساكر ثم اتجها به الى الموصل، فقبض عليه وأودع بسجن الموصل واستتب الأمر لسيف الدين غازي دون منازع[129].

وقد ذكر ابن خلّكان ان الملك ألب أرسلان أحسَّ بما يدور حوله في نهاية الأمر فهرب من

القوم، لكن بعض العساكر لحقوا به فردّوه الى السجن[١٣٠] وفي رواية لجمهرة من المؤرخين انه قُتل في الموصل ولم يأت له ذكر بعد هذا التاريخ[١٣١].

ثانياً: نورالدين محمود بن زنكي في الشام وصِلَته بالسلاجقة (٥٤١هـ - ٥٦٩هـ):

شهد نورالدين مصرع أبيه قرب قلعة جعبر في ربيع الآخر سنة ٥٤١هـ فأخذ خاتم أبيه من يده وسار ببعض عساكر أبيه الى حلب فملكها وملك ما كان لأبيه في الشام (حمص وحماه) إضافة الى سرُوج وحرّان والرّها من ديار الجزيرة[١٣٢]، ثم انضم اليه في حلب بعض الأمراء لمساعدته في تنظيم شؤونه مثل مجد الدين أبي بكر بن الداية فاعتمد عليه في النيابة عنه في حلب[١٣٣] كما انضم اليه صلاح الدين محمد الياغيسياني صاحب أبيه فاعتمد عليه في تدبير شؤونه الداخلية في حلب[١٣٤].

وعمل نورالدين محمود على الاستقلال بنفسه في الشام فلم يتصل بسلاطين السلاجقة ليطلب الاعتراف منهم كما جرت عادة أتابكة الشام والجزيرة من قبل بل تجاهلهم ولم يراسلهم، وأعتقد ان سبب ذلك يعود الى الضعف الشديد الذي لحق بسلاطين السلاجقة وخاصة بعد وفاة السلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٤٧هـ، وإنشغال السلاجقة فيما بينهم بعد ذلك وانحصر نفوذهم في منطقة فارس فقط، وقد قويت إمارة نورالدين محمود بعد ما ضم اليه دمشق من مجيرالدين آبق آخر الأتابكة البوريين سنة ٥٤٩هـ[١٣٥]، ثم حرص نورالدين على إقامة علاقة خاصة مع الخلفاء العباسيين وخطب لهم في إمارته ونقش السكة باسمهم مع اسمه في بلاده ولم يأتِ ذكر على أي علاقة بينه وبين سلاطين السلاجقة تدل على ولائه لهم، فَفَصل إمارة الشام عنهم، بينما بقي اخوته في الجزيرة على ولائهم كما كان الحال في عهد أبيهم عماد الدين زنكي، وان فَتَرت هذه العلاقة بشكل تدريجي بسبب ما آلت إليه سلطنة السلاجقة في بغداد وفارس وتدهورت العلاقة بينهم وبين الخلفاء العباسيين بعد سنة ٥٤٧هـ كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

كما ان نورالدين محمود جاهد الصليبيين في الشام ومصر ما يقرب من ثلاثين عاماً، فلم يطلب عوناً من السلاجقة أو يشترك معهم في حملة ما، تدل على تبعيته لهم، وأرسل نورالدين ثلاث حملات نورية إلى مصر في عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين (سنة ٥٥٩هـ، ٥٦٢هـ، ٥٦٤هـ)[١٣٦] ولم يأتِ ذكر بأن نورالدين استشار أحداً من سلاطين السلاجقة حول هذه الحملات أو طلب الدعم منهم.

وبعد إسقاط الخطبة للفاطميين في مصر سنة ٥٦٧هـ على يد يوسف صلاح الدين الأيوبي بفضل المساعي التي بذلها نورالدين زنكي معه وتحوَّلت البلاد الى التبعية العباسية وخطب فيها للخليفة المستضيء بأمر الله[١٣٧]، جرت مراسلات بعد ذلك بين نورالدين محمود وبين الخليفة المستضيء بأمر الله فقط دون ذكر السلطان السلجوقي طغرل بن السلطان أرسلان الذي كان قابعاً بفارس في ذلك الوقت بعد أن فقد سيطرته ونفوذه في جميع الولايات، ثم أنعم الخليفة على نورالدين

على ما قدمه فأرسل له الخلع ومنشوراً بملك الشام والجزيرة ومصر مع رسوله كمال الدين الشهرزوري سنة ٥٦٨هـ[١٣٨] مما يدل على انتهاء النفوذ السلجوقي في هذه البلاد بهذا التاريخ وستتحدث فيما يلي عن علاقة الأتابكة في الجزيرة مع الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة بعد وفاة عماد الدين زنكي.

ثالثاً : إمارة سيف الدين غازي في الجزيرة وصلته بالسلاجقة (٥٤١ ـ ٥٤٤هـ) :

استقر الأمر لسيف الدين غازي في الجزيرة وملكها دون منازع، بفضل الجهود التي قدمها له جمال الدين محمد الأصفهاني، فأقرَّه سيف الدين على الوزارة كما أقر زين الدين علي كوجك نائباً عنه في الموصل كما كان في عهد أبيه[١٣٩].

ثم أرسل الى السلطان مسعود السلجوقي يطلب منه إقراره على البلاد وكان سيف الدين قد خدم السلطان في عهد زنكي فأحبه السلطان كثيراً، لذا فإنه لم يتردد في إقراره على ملك أبيه وأصدر له منشوراً بذلك[١٤٠].

والذي يتضح من هذا ان سياسة سيف الدين غازي تختلف عن سياسة أخيه نورالدين، فبينما نرى أن نورالدين لم يراسل السلاجقة كي يطلب الإذن منهم بحكم الشام واعتبر ذلك أمراً واقعاً بعد أن دخل حلب وخضعت له بحكم الفراغ السياسي فيها بعد مقتل أبيه، وبمعونة أمرائه الذين رافقوه إليها، أما اخوه سيف الدين فقد راسل السلطان مسعود السلجوقي وطلب منه الاعتراف بحكمه على الجزيرة فنال منه مراده مما يدل على تبعيته وطاعته للسلاجقة وعدم نيّته عصيانهم.

ولما اطمأن سيف الدين على استتباب الأمن في الجزيرة ونال اعتراف السلطان به، عزم على الخروج الى حلب ليلتقي بأخيه نورالدين لتسوية الأمور بينهما والتي نشأت بعد مقتل أبيهما زنكي، وكان سيف الدين عاتباً على أخيه في تسرّعه بالمسير الى حلب قبل أن يأخذ رأيه، خاصة ان سيف الدين هو الأكبر سناً فخالف نورالدين بذلك العادات المتبعة عند السلاجقة بأن يملك الأخ الأكبر، كما أن نورالدين عندما سار إلى حلب ترك الملك ألب أرسلان السلجوقي يطلب الملك لنفسه في الجزيرة بينما كان سيف الدين غائباً في شهرزور، وكان ينبغي على نورالدين أن ينتظر حتى تنحسم الأمور ثم يتوجه بعد ذلك الى حلب بالاتفاق مع أخيه.

وقد ذكر جمهرة من المؤرخين أن سيف الدين غازي أرسل الى أخيه طالباً قدومه إليه كي تزول أسباب التوتر بينهما، فتردد نورالدين خوفاً منه على نفسه[١٤١].

إلا أن سيف الدين ظل يلحّ على أخيه ويطمأنه، حتى نجح في إزالة الجفوة بينهما ووافق نورالدين على مقابلته في الخابور (داخل حدود الجزيرة) وقد ظهرت علامات الخوف على نورالدين عند مقابلته لأخيه فقد اصطحب معه خمسمائة فارس، بينما كان يرافق أخاه خمسة فرسان فقط[١٤٢] ثم تعاتب الأخوان حتى أزيلت عناصر الجفاء والخوف وكان مما قاله سيف الدين لأخيه : ((لِمَ امتنعت من المجيء إليَّ، كنت تخافني على نفسكَ؟ والله لم يخطر ببالي ما تكره، فلمن اريد البلاد ومع من أعيش وبمن اعتضد إذا فعلت السوء مع أخي واحبّ الناس إليَّ فاطمأن نورالدين وسكن روعُه[١٤٣].

فاعتذر نورالدين لأخيه وأظهر له الاحترام والطاعة فيقول ابن الأثير : ((وترجّل «نور الدين» وقبَّل الأرض بين يديه وقعدا سوية بعد أن اعتنقا وبكيا))(١٤٤).

وهكذا تم الاتفاق وانقسمت إمارة زنكي بين الأخوين، فقد ذكر المؤرخون ان الحد الفاصل بينهما كان نهر الخابور في الجزيرة(١٤٥).

ويؤخذ من موقف نور الدين انه أعلن تبعيته وطاعته لأخيه، ولكي يبرهن على ذلك، فإنه بعد عودته الى حلب جمع عساكره وقصد الجزيرة للقاء أخيه مرة ثانية ليؤكد الولاء والطاعة فأمره سيف الدين بالعودة وقال له :

((لا غرض لي في مقامك عندي، وإنما غرضي أن نُعْلِمَ الملوك والفرنج اتفاقنا، فمن يريد السوء بنا يكف عنّا))(١٤٦).

وهكذا تتجلى صلة الرحم بين ذوي القربى، فلو أن بقية العائلة السلجوقية سلكت نفس هذه الروح الطيبة لما انتكس سلطانهم ولما أصبحوا هدفاً لذي طامع ولدامَ سلطانهم ونفوذهم زمناً أطول في سائر بلاد المسلمين، ولما استطاع الصليبيون أن يقيموا إمارات صليبية في بلاد المسلمين على أنقاض الخلافات والانقسامات الدموية التي شهدتها البلاد طوال حكم السلاجقة.

وقد أظهر الاخوان فيما بعد الود والوئام والتعاون على الجهاد، فقد ذكر ان جوسلين الفرنجي (صاحب الرّها وتل باشر قبل أن يأخذهما منه زنكي سنة ٥٣٩هـ)، راسل أهل الرّها من الأرمن بعد مقتل زنكي سنة ٥٤١هـ، كي يعينوه على استردادها من المسلمين، فوعدوه النصرة فجاء لهم ودخل المدينة سنة ٥٤١هـ، فأسرع نور الدين من حلب فاستعادها منه عنوة وهرب جوسلين للنجاة بنفسه وقتل الأرمن الذين ساعدوه في جمادي الآخرة سنة ٥٤١هـ(١٤٧) وقد أعان سيف الدين غازي أخاه نورالدين فأمدّه بعساكر من قِبَله بقيادة عز الدين أبي بكر الدبيس إلا أن هذه العساكر لم تشترك في قتال الفرنج لأنها وصلت متأخرة(١٤٨).

ثم تجمعت جيوش الصليبيين وجيوش الروم على محاصرة دمشق سنة ٥٤٣هـ ليأخذوها من مجيرالدين آبق فتعاونت عساكر الموصل بقيادة سيف الدين غازي وعساكر حلب بقيادة نورالدين محمود وتجمعوا قرب حمص لمساعدة آبق ولما رحلت قوات الصليبيين والروم عادت عساكر حلب والموصل الى بلادها(١٤٩).

رابعاً : إمارة قطب الدين مودود بن زنكي على الجزيرة ٥٤٤ ـ ٥٦٥هـ :

تولى قطب الدين مودود الملقّب بالأعرج(١٥٠) مكان أخيه سيف الدين غازي بعد وفاته سنة ٥٤٤هـ بمعاونة الوزير جمال الدين محمد والنائب زين الدين علي كوجك(١٥١) وكان أخوه نور الدين محمود بن زنكي أكبر منه سناً(١٥٢) فراسله بعض امراء الجزيرة كي يؤمروه عليهم ويسلّموه الجزيرة بعد سيف الدين غازي، وكان على رأس هؤلاء الأمراء المقدم عبدالملك والد شمس الدين محمد صاحب سنجار(١٥٣).

لقيت هذه البادرة قبولاً طيباً عند نور الدين وطمع في ملك الجزيرة على اعتبار أنه الوارث الشرعي لإمارة أخيه، فجدّ في السير وقطع نهر الفرات متجهاً الى سنجار فاستولى عليها(١٥٤).

انزعج قطب الدين مودود وأمراؤه المخلصون له لهذا العمل واعتبروه اعتداءً مباشراً عليهم على اعتبار ان سنجار تابعة لهم، وكان ردهم عليه شديداً فقد أرسلوا يتهددونه فيقول ابن الأثير : ((وأسلوا الى نورالدين ينكرون عليه إقدامه وأخذه ما ليس له ويهددونه بقصده واخراجه عن البلاد قهراً إن لم يرجع اختياراً))(١٥٥).

لم يعبأ نورالدين بتهديدات امراء أخيه فرد عليهم بقوله :

((أنا الأكبر واني أحق أن أُدبر أمر أخي منكم، وما جئت إلا لَمّا تتابعت إليَّ كتب الأمراء يذكرون كراهيتهم لولايتكما عليهم فخفت أن يحملهم الغيظ والأنفة على إخراج الأمر عن أيدينا، وأما تهديدكم إيَّايَ بالحرب والقتال فأنا لا أُقاتلكم إلا بجندكم))(١٥٦).

والذي يستنتج من خطاب نورالدين، أن له أنصاراً في الجزيرة يؤيدونه ويفضلون زعامته، وأنه ما جاء إلا بعد مراسلتهم له بهذا الخصوص، وقد أماط اللثام عن ذلك عندما قال : بأن هؤلاء الأمراء يكرهون الأميرين جمال الدين محمد وزين الدين علي كوجك وهذا يدل على الحسد والضغينة التي يكنّها هؤلاء الأمراء الذين استدعوا نورالدين كي يتخلصوا من كوجك وجمال الدين بسبب منزلتهما عند قطب الدين مودود.

ولا شك أن نور الدين مخطىء في تصوره وتصرفه إذ أن هذين الأميرين هما اللذان حفظا الإمارة لأبناء زنكي بعد مقتله سنة ٥٤١هـ ولولا حسن سياستهما لاستطاع ألب أرسلان السلجوقي التحكم في البلاد وقضي على الأتابكيّة الزنكية في الشام والجزيرة.

أدرك الوزير جمال الدين محمد، وزين الدين علي كوجك ما تنطوي عليه الأمور من أخطار، وأن نورالدين مُصرّ على موقفه فأشارا على قطب الدين مودود مصالحة أخيه والتنازل له عن بعض المواقع في الشام كانت تتبع إمارته مثل حمص والرحبة والرقة مقابل انسحاب نورالدين من سنجار والعودة الى حلب، فوافقهما قطب الدين على ذلك، فسار جمال الدين محمد الى نورالدين بسنجار واتفق معه على ما تقدم ذكره وانسحب من سنجار محملاً بالكنوز التي كانت بخزائن سنجار من أيام أبيه(١٥٧).

والحق أن جمال الدين محمد وزين الدين علي كوجك أثبتا حسن نيتهما مع أبناء زنكي وعملا على حل المشكلة بينهما بسلام بعد أن كادت تتفاقم الأمور بينهما الى نزاع مسلح، فيقول الوزير جمال الدين محمد : ((ليس من الرأي محاقته وقتاله (نور الدين) فإننا نحن قد عظّمنا محله عند السلطان، وما هو بصدده من الغزاة، وجعلنا أنفسنا دونه، وهو يظهر للفرنج تعظيمنا وانه تبعنا ولا يزال يقول لهم : ان كنتم كما يجب وإلا سلمت البلاد الى صاحب الموصل، وحينئذ يفعل بكم ويصنع، فإذا لقيناه، فإن هزمنا طمع السلطان فينا ويقول : هذا الذي كانوا يعظمونه ويحتمون به أضعف منهم، وقد هزموه

وإن هو هزمنا طمع فيه الفرنج ويقولون : ان الذي كان يحتمي بهم أضعف منه وقد هزمهم، وبالجملة فهو ابن أتابك الكبير «زنكي»))[١٥٨].

وفي رواية لإبن الأثير : ان نورالدين بن زنكي جاء الى الجزيرة ودخل سنجار طمعاً في كنوز الذهب التي كانت لا تزال فيها من أيام أبيه فرجع بها الى حلب وكانت محملة على ستمائة جمل خلا البغال[١٥٩].

ولو نظرنا الى هذه الرواية نظرة فاحصة فإنه يتبين ان هذه الرواية خيالية وغير ممكنة، فقد مضى على وفاة زنكي ثلاث سنوات، فلو انه ترك مثل هذه الكنوز الهائلة لتقاسمها أبناؤه بعد وفاته مباشرة، ثم ان زنكي كان دائم الحروب، وينفق على جنوده بسخاء ويدفع الى السلطان السلجوقي مائة ألف دينار سنوياً، وقد جاء في رواية المؤرخين ان السلطان أسقط جزءاً من هذا سنة ٥٣٨هـ لعدم توفره مع زنكي[١٦٠] فمن أين جاءت هذه الكنوز التي يفوق تصديقها الحد المعقول.

* موقف قطب الدين مودود من النزاع الذي نشب بين زعماء السلاجقة والخليفة العباسي بعد وفاة السلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٤٧هـ :

عهد السلطان مسعود بن السلطان محمد السلجوقي قبل وفاته سنة ٥٤٧هـ أن تكون السلطنة من بعده لإبن أخيه ملكشاه بن محمود، الا أن أمير جيشه خاص بك التركماني قبض على ملكشاه بعد وفاة مسعود وأرسل الى الملك محمد بن محمود (أخي ملكشاه الموصىَ له) وكانت نيته أن يقبض عليه أيضاً لينفرد بالزعامة السلجوقية لكن محمداً فطن لغرضه فقبض عليه ثم قتله[١٦١] وهرب أخوه ملكشاه الى خوزستان فأقام فيها[١٦٢].

أما الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله، فتدل التطورات التي تلاحقت بينه وبين السلاجقة فيما بعد، انه كان ينتظر الفرصة السانحة كي يتخلص منهم ويطردهم من بغداد، لِما لحقَ بالخلافة العباسية من مشاكلهم وأزماتهم، حتى أصبحوا عبئاً ثقيلاً يهدد الجماعة الاسلامية بدلاً من أن يكونوا سنداً لها، كيف لا وقد شهد أفعالهم مع المسترشد بالله وابنه الراشد بالله، فانتهز المقتفي لأمر الله فرصة وفاة السلطان مسعود السلجوقي واختلاف السلاجقة بعده فيمن يخلفه وقرر التخلص منهم، فرفض الاعتراف بالسلطان محمد بن محمود الذي أعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة وكان قد طلب من الخليفة العباسي أن يعترف له ويأمر بالخطبة له في بغداد[١٦٣].

ثم قام الخليفة أيضاً بطرد مسعود البلالي ممثل السلاجقة في بغداد وطرد معه جميع السلاجقة الذين كانوا يقيمون معه وأمر بمهاجمة دورهم ونهبها[١٦٤] ثم ورد عنه قوله : ((لا صبر على الضيم بعد اليوم ولا قوام مع هؤلاء القوم))[١٦٥].

انزعج أُمراء التركمان لموقف الخليفة العباسي منهم، فقاموا بتحريض السلطان محمد السلجوقي على محاربة الخليفة وفرض الخطبة له في بغداد وإعادة الهيبة الى ما كانت عليه، ومما قالوه له :

((أرزاقنا قد أقطعت وأعراقنا قد أقلعت ودورنا قد أنزلت، وولاتنا عزلت، ولا بد من مداواة هذا الداء قبل أعضاله وتداركه قبل استفحاله))[١٦٦].

والذي يستنتج من ذلك ان السلطان رأى ان الأمور لا تسير لصالحه لضعفه أمام الخليفة فمال الى التريث وعدم التسرع، ومداراة الخليفة، فردّ على أمرائه يقول :

((لا تعلجوا فإن مخالفة الخليفة شؤم، ومُواليه محمود، ومُعاديه مذموم وأنا أستقبح أن أستفتح سلطنتي بمعاداته ونية مناوأته))[١٦٧].

ولكن أُمراء السلاجقة ظلوا يلحون عليه لقبول رأيهم، حتى يئس منهم وأذن لهم أن يفعلوا ما يشاؤون، يقول الأصفهاني عما رده امراء السلاجقة الى سلطانهم : ((نحن نمضي ونقضي هذا الشغل ونخفف عنك هذا الثقل ونلقي بجمعنا الجمع ونحصد بسيوفنا الزرع. . . فقال لهم : كان رأيي ما ذكرته وعرفتكم ما أنكرته والآن فافعلوا ما رأيتموه واعملوا ما نويتموه))[١٦٨].

اتخذ الخليفة العباسي عدة اجراءات احتياطية فبدأ بجمع العساكر في بغداد وخلع على وزيره عون الدين بن هبيره (أبا المظفر يحيى بن محمد بن هبيره استوزره سنة ٥٤٤هـ) قميصاً وعمامة ولقبه سلطان العراق ملك الجيوش[١٦٩].

ثم سارت العساكر السلجوقية وأمراؤها من أصفهان سنة ٥٤٩هـ متجهة الى بغداد الا أن الخليفة وعساكره تصدوا لهم فهزموهم هزيمة نكراء[١٧٠].

وهنا تأكدت القدرة العباسية على الإمساك بزمام الموقف أكثر من ذي قبل، كما يمكن القول أن هذه المعركة كانت فاصلة بين السلاجقة والعباسيين فيقول إبن القلانسي :

((وتناصرت الأخبار في هذا الأوان من ناحية العراق بأن الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين قد اشتدت شوكته وظهر واستظهر على كل مخالف له، وعادل عن حكمه، ولم يبق له مخالف مشاق ولا عدو منافق، وانه مجمع على قصد الجهات المخالفة له))[١٧١].

وفي أواخر سنة ٥٥٠هـ أرسل أحد ملوك السلاجقة ويدعى سليمان شاه بن السلطان محمد (إبن أخي السلطان محمد الذي ينازع الخليفة) أرسل الى الخليفة المقتفي لأمر الله يستأذنه الدخول الى بغداد ليساعده على إبن أخيه شريطة أن يعترف بسلطانه على السلاجقة ويخطب له في بغداد فلقيت هذه البادرة قبولاً حسناً عند الخليفة العباسي فدخل سليمان شاه بغداد في المحرم سنة ٥٥١هـ بإذن الخليفة المقتفي لأمر الله بعد أن حلف له أن لا يتعرض للعراق بسوء[١٧٢].

ويستنتج من موقف الخليفة انه أراد أن يضرب السلاجقة ببعضهم وهذا ما دفعه الى الترحيب بسليمان شاه، نكاية بالسلطان محمد، ولم يكتف الخليفة بذلك بل أوصى الى ملكشاه أخي السلطان محمد، وكان يقيم بخوزستان منذ سنة ٥٤٧هـ[١٧٣] واتفق معه أن ينضم اليه ضد أخيه السلطان محمد على أن يكون ولي عهد سليمان شاه، فوافقه على ذلك وتكوّن الحلف على هذا النحو[١٧٤].

وصلت أخبار هذا الحلف الى السلطان محمد، فكاتب قطب الدين مودود لينضم إليه في مقاومة

الخليفة وأعوانه، فرحب إبن زنكي بذلك وأمدّه بأمير جيشه زين الدين علي كوجك، فقدمت عساكر الجزيرة بقيادة كوجك وعساكر السلطان من ناحية همذان حتى تطبق الخناق على بغداد(١٧٥).

ضاق الأمر كثيراً بأهل بغداد من شدة الحصار الذي ضربته عليها عساكر الجزيرة بقيادة زين الدين علي كوجك والسلطان محمد السلجوقي(١٧٦) وفي هذه الأثناء أرسل نور الدين محمود بن زنكي يلوم أخاه قطب الدين مودود على إمداداته ضد الخليفة العباسي(١٧٧) ثم جاءت الأخبار من همذان ان ملكشاه بن محمود (حليف الخليفة) أقبل بعساكره نحو همذان، فأصيب السلطان محمد وأمراؤه بحالة من الذعر والخوف على نسائهم وممتلكاتهم بهمذان فبدأت العساكر والأمراء يتسللون راجعين الى بلادهم كما رحلت عساكر زين علي كوجك راجعة هي الأخرى إلى الموصل(١٧٨) يقول إبن القلانسي :

((ورحلوا عن بغداد مفرّقين مغلولين خاسرين بعد المضايقة والتناهي في المحاصرة والمصابرة))(١٧٩).

وفي رواية لبعض المؤرخين أن زين الدين علي كوجك استطاع أن يقبض على سليمان شاه بن السلطان محمد حليف الخليفة الذي اعترف بسلطانه في بغداد وخطب له فيها، أثناء عودته من حصار بغداد راجعاً الى الموصل، ثم أرسل الى السلطان محمد يخبره بذلك ويطلب منه الحضور الى الموصل لاستلامه بعد أن أودعه في سجن الموصل(١٨٠).

ومما تقدم يمكن أن نخلص بعدة حقائق، أولها الدور الذي قام به أتابك الموصل ضد الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي الشرعي الذي يعترف به الخليفة، وهذا أمر يؤخذ على أتابك الموصل وقائد جيشه، وثانيتها، مراسلة نور الدين لأخيه ولومه له على تصرفه من الخليفة مما يدل على انحيازه للخليفة وعدم رغبته التدخل في شؤون السلاجقة، وقد ظل على مبدئه هذا حتى آخر حياته، وثالثتها ان هزيمة السلطان محمد وحليفه زين الدين علي كوجك لا شك أنها ستعطي دفعاً قوياً إلى الخليفة في موقفه من السلاجقة وعدم رضوخه لهم لإرغامهم على احترام الخلافة العباسية على الشكل الصحيح.

ثم توفي السلطان محمد بن السلطان محمود السلجوقي سنة ٥٥٤هـ، فأرسل أمراء السلاجقة في همذان الى الأتابك قطب الدين مودود في الموصل يطلبون منه إرسال سليمان شاه، بعد أن اتفق السلاجقة فيما بينهم بتوليته على السلطنة السلجوقية، وأن يكون قطب الدين مودود أتابكهُ وجمال الدين محمد (وزير قطب الدين) وزيراً للسلطان وزين الدين علي كوجك قائداً لجيشه(١٨١).

لقِيَت هذه الفكرة قبولاً عند قطب الدين وأمر زين الدين بالخروج من الموصل صحبة سليمان شاه الى همذان بعد أن جهّزه بما يلزم، وصحبه كوجك الى همذان إلا أن الأمر لم يستقر لسليمان فقد قبض عليه أمراء السلاجقة وأودع السجن واقيم على السلطنة السلجوقية أرسلان شاه بن طغرل بن السلطان محمد السلجوقي(١٨٢).

والذي يتضح مما سبق ان أمراء السلاجقة في همذان قد استعملوا الخديعة والمكر بقطب الدين مودود حتى سلّمهم سليمان شاه فقبضوا عليه وأودعوه السجن حتى يتخلصوا منه لأنه كان ينافسهم

على الزعامة السلجوقية منذ وفاة السلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٤٧هـ وقد نجحوا في تدبيرهم، وذكر المؤرخون أنه بقي في سجنه حتى مات سنة ٥٥٦هـ(١٨٣).

ولم تتحسن العلاقات بعد ذلك بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة فقد ظل المقتفي لأمر الله على سياسته معهم حتى وفاته سنة ٥٥٥هـ ثم تولى الخلافة بعده ابنه المستنجد بالله، فسار على سياسة أبيه في الاستبداد بالسلاجقة وعدم السماح لهم بإعادة نفوذهم على ما كانوا عليه في بغداد(١٨٤)، يقول ابن الأثير: ((وأول خليفة «المقتفي لأمر الله» تمكّن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكّم المماليك على الخلفاء))(١٨٥).

* إنحسار النفوذ السلجوقي في الشام والجزيرة والعراق:

لم يذكر أحد من المؤرخين عودة السلاجقة إلى بغداد بعد ما أخرجهم منها الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله، فاقتصر نشاطهم ونفوذهم في همذان وفارس وخراسان، حتى تلاشى سلطانهم نهائياً سنة ٥٩٠هـ(١٨٥).

أما بالنسبة لأتابكة الجزيرة والشام (الزنكيين) فلم يعد ارتباطهم بالسلاجقة ذو قيمة بسبب الضعف الشديد بالذي أصاب سلطانهم وعدم اعتراف الخليفة العباسي بهم وإنما اقتصرت علاقة الأتابكة الزنكيين بالخلفاء العباسيين، فأطاعوهم وخطبوا لهم في البلاد التي تقع تحت أيديهم، وهكذا توضح المكاتبات بين نورالدين وخلفاء العباسيين حتى وفاة نورالدين سنة ٥٦٩هـ(١٨٧).

أما بالنسبة لقطب الدين مودود في الجزيرة، فلم يعد له صلة تذكر مع سلاطين السلاجقة بعد المؤامرة التي دبرها أمراؤهم سنة ٥٥٤هـ وقبضوا على سليمان شاه بن السلطان محمد، وكان سجيناً في الموصل، وقد اقتصرت علاقة مودود بالخليفة العباسي الذي وجد اسمه مقترناً باسم مودود على السكة في الموصل حتى وفاة مودود سنة ٥٦٥هـ(١٨٨).

كان قطب الدين مودود بن زنكي قبل وفاته سنة ٥٦٥هـ قد أوصى بأتابكيته من بعده لإبنه الأكبر عمادالدين زنكي(١٨٩)، إلا أن المتولي لشؤون الأتابكية فخرالدين عبدالمسيح(١٩٠) كان يكره نورالدين محمود بن زنكي ويعرف ميل عمادالدين له لأنه متزوج من ابنته(١٩١) فتآمر فخرالدين مع الخاتون زوجة قطب الدين على تحويل الزعامة الى إبنها الآخر سيف الدين غازي، ليتسنى له الاستبداد به أكثر، فسار عماد الدين زنكي الى عمه نور الدين يستصرخ به لينصره على استرداد حقه في الإمارة(١٩٢).

أنف نورالدين من استبداد فخر الدين بأولاد أخيه، فسار في عساكره الى الموصل أول عام ٥٦٦هـ، فدخل مدن الرقة والخابور ونصيبين، ثم سار الى سنجار فسلّمها لإبن أخيه عماد الدين زنكي ونزل على نهر دجلة شرقي الموصل انتظاراً لدخولها وحسم الموقف بين أولاد أخيه(١٩٣).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن نور الدين أرسل الى الخليفة المستضيء بأمر الله يستأذنه في دخول

الموصل فجاءته رسل الخليفة، ومعهم الهدايا المحملة له مع الإذن بدخول الموصل وحل المشاكل بين أولاد أخيه بالطريقة التي يراها مناسبة[١٩٤].

وعلى الجانب الآخر، بعث سيف الدين غازي أخاه عزالدين مسعود الى الأتابك إيلدكز السلجوقي صاحب همذان وبلاد الجبل وأذربيجان[١٩٥] يستنجده على عمه نورالدين، فأرسل الى نورالدين ينهاه عن الموصل بقوله :

((إن هذه البلاد للسلطان السلجوقي فلا تقصدها)) وهدَّده بالحرب إنْ لم يرجع عنها إلى بلاده[١٩٩]، فأغلظ نورالدين في الرد عليه فقال للرسول : ((قُل لصاحبك : أنا أولى لأولاد أخي منك فلا تدخل بيننا، وعند الفراغ من إصلاح بلادهم يكون لي الحديث معك على باب همذان، فإنك قد ملكت هذه المملكة العظيمة وأهملت الثغور، حتى غلب الكرج عليها وقد بليت أنا ولي مثل ربع بلادك بالفرنج فأخذت معظم بلادهم وأَسَرْتُ ملوكهم))[١٩٧].

والذي يُؤخذ مما تقدم، أن نورالدين بمراسلته للخليفة يريد أن يضفي على تصرفه الصبغة الشرعية في حل المشاكل بين أولاد أخيه ويؤكد ارتباطه القوى بالخليفة العباسي فقط والالتزام بتوجيهاته وعدم رغبته أن يكون له علاقة بالسلطان السلجوقي فكان رده عليهم كما تقدم، بينما نلمس العكس من إبن أخيه سيف الدين غازي فإنه اتخذ سياسة مخالفة لسياسة عمه نورالدين، فقد لجأ الى السلاجقة وكاتبهم كي ينصروه، مما يدل على رغبته في توثيق علاقته بهم وطاعته لهم، وتقديمهم على طاعة الخليفة العباسي.

أحسَّ فخر الدين عبدالمسيح بضعف موقفه لأن أكثرية الأمراء في الموصل يميلون الى نورالدين، فأعاد مراسلته وطلب منه الهدنة والصلح، فأجابه نورالدين الى ذلك ودخل الموصل بسلام، وأصلح بين أولاد أخيه على أن يكون سيف الدين على إمارة الجزيرة ما عدا سنجار فقد أقطعها لعمادالدين زنكي (الإبن الثاني لمودود)[١٩٨] ثم أمر على قلعة الموصل خصياً له يدعى سعدالدين كمشتكين[١٩٩] وزوَّج ابنته لسيف الدين غازي وأمر ببناء الجامع النوري في الموصل ثم عاد الى الشام واصطحب معه فخرالدين عبدالمسيح بعد أن غيّر اسمه إلى عبدالله[٢٠٠].

ومن هنا نستطيع أن نستنتج ان مقصد نورالدين الابتعاد عن السلاجقة وقطع الصلة بهم وتمتين العلاقة بالعباسيين فقط، وكان يريد من اخوته وأبنائهم في الجزيرة أن ينهجوا نهجه، فنجح في ذلك، وأصبح سيف الدين غازي في الموصل مجرَّد حاكم تابع لنورالدين، ويعمل حسب توجيهات سعدالدين كمشتكين الذي عيَّنه نورالدين على قلعة الموصل، كما أعلنت الخطبة في مساجد الموصل وأعمالها لنورالدين بعد الخليفة العباسي وضربت السكة باسمها[٢٠١] ثم اعترف له الخليفة العباسي المستضيء بأمرالله بحكم هذه البلاد إضافة إلى الشام ومصر[٢٠٢].

وبهذا تكون صلة الجزيرة بالسلاجقة قد انقطعت نهائياً فلم يعد لهم سلطة عليها وبقيت تحت إمارة نورالدين حتى وفاته أواخر سنة ٥٦٩هـ.

هوامش الفصل السادس

(١) تقدم تفصيل ذلك ص ١٠٠ - ١٠١ في الفصل الرابع.

(٢) إبن الأثير : الباهر/٤، إبن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب/٧٠٤.

(٣) أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٦٧. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام جـ٤/٦٨ - ٦٩، الديوه جي/الموصل في العهد الأتابكي ١٧. شاكر أحمد أبوبدر : الحروب الصليبية/٦٢ - ٦٤.

(٤) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٠٤. إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٤١٧. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٩٤. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٨٩.

(٥) الباهر / ١٨.

(٦) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٢٢. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٧٣. رشيد الجميلي : الموصل في العهد الأتابكي/١٨. نتنج : العرب/٢٤٠.

(٧) إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٣. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٨.

(٨) إبن الأثير . الباهر/٣٤. إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/٤١٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر ٤/٤٩، ١١٢. أحمد حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ١٥٥. زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية/٣٨.

(٩) إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٥.

(١٠) الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١١٢ بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٤٧.

(١١) إبن الأثير : الباهر/٣٤. الجنزوري : إمارة الرّها الصليبية/١٥٧. شاكر أحمد أبوبدر : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية/٧١.

(١٢) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٤٥، أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٧٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٩، الديوه جي/الموصل في العهد الأتابكي ٢٠ - ٢١.

(١٣) دزدار : مكونة من مقطعين : دز : بمعنى القلعة أو الحصن، ودار بمعنى الحاكم فتصبح دزدار بمعنى حاكم القلعة. مادة دزدار : دائرة المعارف الاسلامية جـ٩/٢٣٠.

(١٤) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٤٥. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٧٦. الجميلي : دولة الأتابكة في الموصل/٤٦.

(١٥) الباهر/٣٢ - ٣٤، انظر بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٣٤٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٧٢.

(١٦) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٤٣ وما بعدها. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٩. ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/٩٣ - ٩٤.

(١٧) إبن الأثير : الباهر/٣٦ - ٣٧. والكامل جـ١٠/٦٤٣ - ٦٤٦. ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/٩٣ - ٩٤. عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام/١٤.

(١٨) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥٤. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٢ - ٣٣ والعبر في خبر من غبر جـ٤/٥٠. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٣٤.

(١٩) العظيمي : تاريخ العظيمي/٤٠١. إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥٤. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٥٤٣. إبن واصل : مفرّج الكروب جـ١/٤٠. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٧٥ - ٤٧٦.

(٢٠) إبن القلانسي : ذيل دمشق/٢١٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٩. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٥.

(٢١) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥٠. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٤١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٧٣ - ٤٧٤.

(٢٢) أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٧٧. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١٩٩. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٠٥. عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية/٢٨٧. نتنج : العرب/٢٤٠.

(٢٣) إبن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق/٢١٨. ابن الأثير : الباهر/٣٧ـ٣٨. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٤١ـ٢٤٢. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٣. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٩.

(٢٤) الباهر/٣٧ـ٣٨.

(٢٥) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣١٨. إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥٠. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٤٣. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٩.

(٢٦) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٥٠. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٤٣. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٠٥. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٧٤ـ٤٧٥.

(٢٧) حَمَاةُ : مدينة كبيرة على نهر العاصي، من أعمال حمص، بينها وبين دمشق خمسة أيام وبينها وبين حلب أربعة أيام. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٣٠٠.

(٢٨) أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٠٧٧. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٣. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/٩٤. نتنج : العرب/٤٠.

(٢٩) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٢٨. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٣٦. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٦.

(٣٠) حَارِم : حصن عظيم وكورة واسعة تجاه أنطاكية من أعمال حلب. ياقوت : معجم البلدان جـ٢/٢٠٥.

(٣١) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٦٢. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٧٨.

(٣٢) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٣. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٠٠. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر/م٥/٥٠٨.

(٣٣) الباهر / ٤١ـ٤٢.

(٣٤) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٤٤. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٣١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٧٦.

(٣٥) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٤٧. الطباخ الحلبي . أعلام النبلاء جـ١/٤٧٦.

(٣٦) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٦٢. إبن خلدون : العبر م٥/٥٠٨. الجنزوري : إمارة الرّها الصليبية/٢٦٣.

(٣٧) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/٢٣٦. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٧١.

(٣٨) صَرْخَدُ : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. وفيها قلعة حصينة ويتبعها ولاية واسعة. ياقوت : معجم البلدان جـ٣/٤٠١. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ٢/٤٣٨.

(٣٩) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٣٠ـ٢٣١. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٥٢. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٠٩. شاكر أبوبدر : الحروب الصليبية/٩٨. عبدالجبار ناجي . الإمارة المزيدية/١٥٤ـ١٥٥. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٦.

(٤٠) إبن الأثير : الباهر/٤٦ـ٤٧. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٤٩. أبوالفداء : المختصر جـ٣/٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٤.

(٤١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٣٠ـ٢٣١.

(٤٢) إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٢٥. إبن الأثير : الباهر/٤٥ـ٤٨ أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٧٩ـ٨٠. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥١٠. شاكر أحمد : الحروب الصليبية/٧٣ـ٧٦.

(٤٣) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٧٤. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٣. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٧٦.

(٤٤) إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٢٥. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٤. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٠٣.

(٤٥) إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٣.

(٤٦) إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٣٠. إبن الأثير : الباهر/٤٥ ـ ٤٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٧. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٧٠.

(٤٧) الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٥. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥١٠.

(٤٨) إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٣٠ وما بعدها. إبن الأثير : الباهر/٤٧. عبدالجابر ناجي/الإمارة المزيدية/١٥٧.

(٤٩) إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٤. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٧٣.

(٥٠) إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٣٥ ـ ٤٢. إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٧.

(٥١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٤٥ ـ ٢٤٧. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ٢٥٥ ـ ٢٥٧. الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٥. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٠٣. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٨.

(٥٢) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢١. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٧٥. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥١٧.

(٥٣) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٦ ـ ٤٠. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٥٨. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٧٩ ـ ٨٠. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٧٥. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٧٩ ـ ٨٠. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٧٥.

(٥٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٤٧. شاكر أحمد : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية/١٠١.

(٥٥) المنتظم جـ١٠/٤٣.

(٥٦) ذيل تاريخ دمشق/٢٤٨.

(٥٧) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٥٩. الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٥.

(٥٨) أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٧٩ ـ ٨٠. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٧٥.

(٥٩) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٥٩. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٧٩ ـ ٨٠. الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٦ ـ ٣٧.

(٦٠) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٥٩.

(٦١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٥٦. إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٥٧. إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٦ ـ ٤٠.

(٦٢) إبن الجوزي : المنتظم جـ١٠/٦٧. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٨٠. الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٦ ـ ٣٧.

(٦٣) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٥٦ ـ ٢٥٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١١ ـ ١٣. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥١٨.

(٦٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٣٦ ـ ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١١ ـ ١٢. الجنزوري : إمارة الرّها الصليبية/٢٦٦، ١٨٣. شاكر أحمد : الحروب الصليبية/١٢٦.

(٦٥) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٦١.

(٦٦) بَارِينُ : وتسمى بَعرِينُ : وهي مدينة وقلعة بين حلب وحماة. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ١/١٥٢.

(٦٧) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٥٠. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٦١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٨١. كردعلي : خطط الشام جـ٢/١٠ ـ ١١.

(٦٨) الباهر / ٦٠.

(٦٩) الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٨٤. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٢٠.

(٧٠) لَيْلَةُ الهَرير : هي الليلة الثالثة والأخيرة من موقعة القادسية بين سعد بن أبي وقاص والقائد الفارسي رستم في العراق سنة ١٤هـ. الطبري : تاريخ الطبري : جـ٣/٥٦٣ ـ ٥٧٠.

(٧١) الباهر / ٦٠.

(٧٢) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٥٠ ـ ٥٣. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٨٧ ـ ٨٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٢ إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٢٠. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١١١.

(٧٣) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٦٦. إبن الأثير : الكامل جـ١١/٥٥ وما بعدها. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٦٨ ـ ٢٦٩. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٦ أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٢.

(٧٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٧٥) بزاعة : بضم الباء أو كسرها، وتسمى بزاعا، وهي بليدة من أعمال حلب. ياقوت : معجم البلدان جـ١/٤٠٩. البغدادي : مراصد جـ١/١٩٢.

(٧٦) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٥٦. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٨١. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٢٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٧٧) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٥٦. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٢٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٨٧.

(٧٨) إبن الأثير : الباهر/٦٢. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٨٩ ـ ٩٠. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٢٢.

(٧٩) الباهـــر / ٦٢.

(٨٠) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧٠ وما بعدها. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٩٤ وما بعدها.

(٨١) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٦٨. الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٣٩. إبن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٣٥، ٥٢٤. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٠٩. كردعلي : خطط الشام جـ٢/١٢.

(٨٢) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٦٨ ـ ٢٦٩. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٢.

(٨٣) بعلبك : تقدّم تعريفها ص١٣٣ هامش رقم (٥٥).

(٨٤) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٦٨. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٨٥) إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٠٩.

(٨٦) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٦٩. أنظر إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧٣. والذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٩٣ ـ ٩٤.

(٨٧) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٦٩ وما بعدها. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٥. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٣٣٥. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١١٠.

(٨٨) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٧٠. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٨٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٥. إبن خلدون : العبر م٥/٣٣٥.

(٨٩) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٦٨ ـ ٧٣. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١١١. كردعلي : خطط الشام جـ٢/١٢.

(٩٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٧٣ وما بعدها : الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/٩٣ ـ ٩٤

(٩١) زبدة الحلب جـ٢/٢٧٤.

(٩٢) إبن الأثير : الكامل جـ١٠/٦٤٣ وما بعدها. عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام/١١٤.

(٩٣) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٧٩ وما بعدها. ابن خلدون : العبر وديوان المتبدأ والخبر م٥/٥٢٧. عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام/٩٢ وما بعدها.

(٩٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٧٧. إبن الأثير : جـ١١/٩١. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٦. إبن خلدون . العبر م٥/٥٢٧.

(٩٥) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧٦. أبوالفداء : المختصر جـ٣/١٦.

إسْعِرد : بالقرب من شط دجلة جنوب ميّافارقين. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٨٩.

طَنْزَةُ : بلد بجزيرة إبن عمر من ديار بكر. ياقوت : معجم البلدان جـ٤/٤٣.

(٩٦) أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٩٢-٩٣. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٦. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١١٥. شاكر أحمد : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية/٨٠.

(٩٧) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٠٥. إبن الأثير : الكامل جـ١١/٩٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٩٨.

(٩٨) إبن الأثير : الباهر/٦٥. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢١٨. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/١٤٢.

(٩٩) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٩٧. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٩٤. عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام/١٣٩.

(١٠٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٧٩ ـ ٢٨٠. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ٢٧٩. إبن خلدون : العبر م٥/٥٢٨.

(١٠١) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١١٢. إبن الأثير : الكامل جـ١١/٩٧. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٦. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(١٠٢) ذيل تاريخ دمشق/٢٨٠.

(١٠٣) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٩٧. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٧٩. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٧٥. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/٩٤. الجنزوري : إمارة الرّها الصليبية/٣٠٦.

(١٠٤) الحروب الصليبية/٥٢.

(١٠٥) البيرة : قلعة حصينة على حافة نهر الفرات من الناحية الشرقية داخل الجزيرة. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(١٠٦) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٩٧. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨٠. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٧. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٢٨.

(١٠٧) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٨١. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨١. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/١٠٣.

(١٠٨) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٨٨ ـ ١٨٩. إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٠٠ والباهر/٧١ ـ ٧٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٧. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٢٩ وما بعدها.

(١٠٩) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٠٢. والباهر/٧٠. الجنزوري : إمارة الرّها الصليبية/٣٠٧.

(١١٠) قلعة جعبر : تقع على نهر الفرات بين بالس والرقة قرب صفين وكانت قديماً تسمى قلعة دوسر فملكها رجل من بني قشير يقال له جعبر بن مالك فسميت باسمه فلما قصد السلطان ملكشاه ديار ربيعة استولى عليها من بني قشير ونفاهم عنها.

ياقوت : معجم البلدان جـ٢/١٤٢. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ١/٣٣٥.

(١١١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٤٨٤. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٨٩. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨١. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٨.

(١١٢) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٠٩.

(١١٣) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١١٩. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨١. أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/١٠٧. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٦. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١١١. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٥٤١.

(١١٤) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٨٨.

(١١٥) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ١/٥٠٧ ـ ٥١٨.

(١١٦) شَهْرَزُورُ : بلدة بين الموصل وهمذان. أبوالفداء : تقويم البلدان/٤١٢ ـ ٤١٣.

(١١٧) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٩٠. إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/٣. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٧. إبن واصل : مفرّج الكروب جـ١/١٠٧. أبوالفداء : المختصر جـ٣/١٩.

(١١٨) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١١٢. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨٥.

(١١٩) إبن الأثير : الباهر/٧١ ـ ٧٢، ٨٤ ـ ٨٦، أبوشامه : الروضتين جـ١ق١/١٢٠. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٧٨.

(١٢٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٨٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٩.

(١٢١) إبن الأثير : الباهر/٧١ ـ ٧٢، إبن واصل : مفرّج الكروب جـ١/٩٦.

(١٢٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٩٠ ـ ١٩١. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/١٢٠. إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ٤/٣. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٩. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٣١.

(١٢٣) إبن الأثير : الباهر/٨٤ ـ ٨٥.

(١٢٤) زين الدين علي كوجك : تركيا، ناب عن زنكي في الموصل واستمر نائباً عليها في عهد سيف الدين غازي بن زنكي في عهد قطب الدين مودود بن زنكي، ثم رحل الى إربل سنة ٥٦٣هـ، وأقام فيها حتى توفي في نفس السنة. أبوشامة . الروضتين جـ١ق١/٣٨٣. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٨٢. إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات م٤جـ١/١٣.

(١٢٥) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٩٠ ـ ١٩٢. إبن الأثير : الكامل جـ١١/١١٢ وما بعدها. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨٩. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/١٢٠. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول الدول/٢٠٧. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/١٩.

(١٢٦) ذيل تاريخ دمشق/٢٨٥.

(١٢٧) إبن الأثير : الباهر/٨٥.

(١٢٨) ماكسين : بلد في ديار ربيعة في الجزيرة. ياقوت : معجم البلدان جـ٥/٤٣. البغدادي : مراصد الإطلاع جـ٣/١٢٢١.

(١٢٩) إبن الأثير . الباهر/٨٤. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/١٢١ إبن خلكان . وفيات الأعيان جـ٤/٣. إبن واصل : مفرّج الكروب جـ١/١٠٩.

(١٣٠) وفيات الأعيان جـ٤/٣.

(١٣١) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٩١. إبن واصل : مفرج الكروب جـ١/١٠٩.

(١٣٢) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٨٥. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١١٩. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٧. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٢٨٢. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٢١ ـ ١٢٢.

(١٣٣) أبوبكر الداية : من أكابر أمراء نورالدين وأخوه من الرضاعة ومن أشد المتعصبين للسنة أسند إليه نور الدين النيابة عنه في حلب حتى وفاته ٥٦٥هـ. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣٣٠. إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات م٤جـ١/١٠٧.

(١٣٤) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١١٣. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٨٥ ـ ٢٨٦. إبن واصل : مفرّج الكروب جـ١/١٠٧.

(١٣٥) أُنظر صفحة ١٥٩ في البحث.

(١٣٦) أُنظر الحملات النورية على مصر. إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٩٨، ٣٢٤، ٣٣٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٤١ ـ ٤٥. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢١٢ ـ وما بعدها إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات م٤جـ١/١٩ وما بعدها

(١٣٧) إبن الأثير : الباهر/١٥٦. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/٤٩٢، إبن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٩٦.

(١٣٨) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٩٢. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٦١.

(١٣٩) أبوشامة : الروضتين جـ١ق٢/١٢١.

(١٤٠) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٠٠. إبن الأثير : الباهر/٨٤ ـ ٨٦.

(١٤١) إبن الأثير : الباهر/٨٦. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٧.

(١٤٢) إبن الأثير : الباهر/٨٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨/١٩٢.

(١٤٣) إبن الأثير : الباهر/٨٨. إبن واصل : مفرج الكروب جـ١/١١١.

(١٤٤) الباهر/٨٨. ثم انظر إبن واصل : مفرج الكروب جـ١/١١٢.

(١٤٥) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٣٤٧. عاشور الحركة الصليبية جـ٢/٦٢١. العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية/٥٣٤.

(١٤٦) إبن الأثير : الباهر/٨٨. إبن واصل : مفرّج الكروب جـ/١١٢.

(١٤٧) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٨٨. أبوشامة : الروضتين جـ١ق٢/١٢٥. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٢٣. كردعلي : خطط الشام جـ٢/٢٢.

(١٤٨) إبن الأثير : الباهر/٨٧. والكامل جـ١١/١١٤.

(١٤٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨/١٩٨. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٩١.

(١٥٠) إبن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٣٠٢. إبن الفرات : تاريخ ابن الفرات م٤جـ١/٩٨. إبن العماد : شذرات الذهب جـ٤/٢١٦.

(١٥١) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٠٦ أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/١٦٧ - ١٧٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٢١. الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٢٣. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٣١ - ١٣٢. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/١٥٥.

(١٥٢) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٩٦.

(١٥٣) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٣٩. إبن واصل : مفرج الكروب جـ١/١١٨.

(١٥٤) أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/١٧٢ - ١٧٤. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٧.

(١٥٥) الباهر/٩٦.

(١٥٦) إبن الأثير : الباهر/٩٦.

(١٥٧) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٣٩. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٩٦ - ٢٩٨. أبوشامة : الروضتين جـ١ق١/١٧٣. إبن واصل : مفرج الكروب جـ١/١٢٠.

(١٥٨) إبن الأثير : الكامل جـ١١/١٤٠، أنظر إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٢٩٧ - ٢٩٨.

(١٥٩) الباهر/٩٨.

(١٦٠) إبن الأثير : الباهر/٦٥. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢١٨.

(١٦١) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٠٩. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٤٧ - ١٥٣. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٢٦. إبن النظام الحسيني : العراضة/١٣٣. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٩٩.

(١٦٢) الراوندي : راحة الصدور/٣٥٨.

(١٦٣) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/ ٢١٦ - ٢١٨. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٦٨. أحمد حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/١٦٣. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/١١٢.

(١٦٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان مخطوط جـ١٠/٥٢٣ - ٥٢٤. الذهبي : العبر في خبر من غبر/جـ٤/١٣٤. النويري : نهاية الأرب : مخطوط جـ٥/٢٧.

(١٦٥) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢١٦.

(١٦٦) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢١٧. أنظر أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٢٩ - ١٣١.

(١٦٧) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢١٧. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٢٩ - ١٣١.

(١٦٨) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢١٧ - ٢١٨. أنظر الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٣٤.

(١٦٩) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٥٧. حسن الباشا : الألقاب الاسلامية/٦٤.

(١٧٠) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٢٩. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٤٦ - ٤٧.

(١٧١) ذيل تاريخ دمشق/٣٣٢.

(١٧٢) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٠٥. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٤١. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٤٥.

(١٧٣) الراوندي : راحة الصدور/٣٥٨.

(١٧٤) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٢٢.

(١٧٥) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(١٧٦) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٠٥. الذهبي : دول الاسلام جـ٢/٤٨.

(١٧٧) الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٤٥.

(١٧٨) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٧١. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٣١.

(١٧٩) ذيل تاريخ دمشق/٣٤٣.

(١٨٠) إبن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٣٣٧. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٣٣. العيني : عقد الجمان جـ٢١/٢٦٤.

(١٨١) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٩٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٣٤. الحافظ الذهبي · العبر في خبر من غبر جـ٤/١٥٥. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٣٣٠.

(١٨٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٦٧. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٩٢. إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٥٤ ـ ٢٦٦. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٤٣.

(١٨٣) الراوندي : راحة الصدور/٣٥٨. إبن النظام الحسيني : العراضة/١٤١. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٥٦ ـ ١٦٠. إبن العماد : شذرات الذهب جـ٤/١٧٧.

(١٨٤) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٩٤. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٩ ـ ٢١١. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٣٣٢. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٧٠٠.

(١٨٥) الكامل جـ١١/٢٥٦.

(١٨٦) الراوندي : راحة الصدور/٤٦٢ ـ ٥١٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ١٠/٥٢٣ مخطوط.

(١٨٧) أنظر المكاتبات بين الخلفاء العباسيين في إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٩٢. أبوشامة : الروضتين جـ١/٤٦ ـ ٤٧. إبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٦١. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٧٠٠. إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات م٤جـ١/١٢١، ١٦١، ١٧٣، ١٧٤.

(١٨٨) باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العصر الأتابكي/٤٢.

(١٨٩) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣٣١. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٩١. إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات م٤/١٠٠٠.

(١٩٠) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٣١. الباهر/١٣٥. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول ٢١٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٣/٤٤، وقد ذكر المؤرخون أن فخرالدين عبدالمسيح كان من مماليك زنكي وأنه كان مسيحياً يتظاهر بالاسلام فآذى المسلمين بظلمه فكرهه نورالدين لذلك. أبوشامة : الروضتين جـ١ق٢/٤٨١. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٩٠.

(١٩١) أبوشامة : الروضتين جـ١ق٢/٤٧٢. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥/٣٨٣.

(١٩٢) إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢١٣. أبوالفداء : المختصر جـ٣/٤٩.

(١٩٣) إبن الأثير : الباهر / ١٥٢ ـ ١٥٤. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٦٢. إبن قاضي شهبه : الكواكب الدرية/١٩٠.

(١٩٤) إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات : م٤جـ١/١٢١.

(١٩٥) إيلدكز : هو أحد مماليك السلطان مسعود السلجوقي : أقطعه السلطان أجزاء واسعة من البلاد حتى عظم شأنه كثيراً وتزوج بأم السلطان أرسلان شاه بن طغرل فازداد نفوذه بعد ذلك كثيراً، إبن الأثير : الكامل جـ١١/٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(١٩٦) الديوه جي : الموصل في العهد الأتابكي / ٣١.

(١٩٧) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣٣٢ أنظر أبوشامة : الروضتين جـ١ق٢/٤٧٧ تاريخ إبن الفرات م٤جـ١/١١١.

(١٩٨) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٦٢. إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣٣٢. إبن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢١٤. إبن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢٦٢.

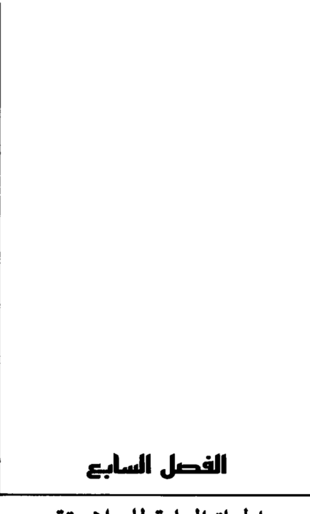
(١٩٩) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٦٢.

(٢٠٠) إبن العديم : زبدة الحلب جـ٢/٣٣٢. أبوشامة : الروضتين جـ١ق٢/٤٧٧ ـ ٤٧٨. إبن الفرات : تاريخ إبن الفرات م٤جـ١/١١٣ ـ ١١٤.

(٢٠١) محمد باقر الحسيني : العملة الاسلامية في العصر الأتابكي/٤٧.

(٢٠٢) إبن الأثير : الكامل جـ١١/٣٩٥. إبن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر م٥/٥٦١ ـ ٥٦٢.





الفصل السابع

الحياة العامة للسلاجقة

الفصل السابع
الحياة العامة للسلاجقة

* علاقاتهم بالخلافة العباسية .

أولاً : في عهد سلاطينهم العظام حتى سنة ٤٨٥ هـ.

ثانياً : في عهد التفكك والانقسام بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ.

* أحوالهم السياسية والعسكرية والادارية .
* علاقاتهم بالباطنية في الشام والجزيرة .
* نظـــام الاقطـــاع .
* أثرهم الثقافي والاجتماعي في الشام والجزيرة .

* علاقاتهم بالخلافة العباسية :-

أولاً : في عهد سلاطينهم العظام حتى سنة ٤٨٥ هـ :

تكلمنا في الفصل الأول عن أول اتصال رسمي بين الخليفة العباسي والسلاجقة سنة ٤٢٩ هـ، عندما أرسل الخليفة القائم بأمر الله كتاباً إلى أول سلاطينهم أبي طالب طغرلبك محمد السلجوقي، واستنكر في كتابه أعمال النهب والتخريب والاعتداء على الآمنين خلال عملياتهم العسكرية في نواحي خراسان وفارس، وحث السلطان في كتابه على ترك أعمال الفساد وحفظ الأمن والنظام في هذه المناطق، فاعتبر السلطان السلجوقي مكاتبة الخليفة شرفاً له وللسلاجقة فاعتزوا وتفاخروا بها، فرد السلطان السلجوقي عليه بكتاب ضمَّنه تبريره لأعمالهم ضد الغزنويين والأسباب التي جعلته يحاربهم حتى أخذ البلاد منهم، كما تعهد له السلطان بالطاعة وحفظ الأمن وأنه لن يعصى للخليفة أمراً.

ثم ترددت المراسلات بين الخليفة والسلطان حتى سنة ٤٤٧ هـ حين طلب الخليفة منه القدوم إلى بغداد لمناصرته على البساسيري الذي أعلن العصيان على الخلافة العباسية ومناصرة الدعوة الفاطمية، وقد لبى السلطان دعوة الخليفة وقضى على البساسيري كما سبق بيانه في الفصل الثاني، وانتهى بذلك عهد البويهيين في العراق وما حولها وحلت محلهم زعامة السلاجقة باعتراف الخليفة العباسي نفسه.

ومن هنا يمكن القول، أن دعوة الخليفة العباسي للسلطان السلجوقي للقدوم إلى بغداد كانت بمثابة تفويض للسلاجقة في القيام بمهمة الدفاع عن الخلافة العباسية وحمايتها من الأطماع الخارجية ثم الاعلان عن تحالف مبدئي بين العباسيين والسلاجقة ضد المد الفاطمي على بلاد الشام والجزيرة والعراق، فقد بدا وكأنه تحالف بين أهل السُنَّة الذي يجمع بين السلاجقة والعباسيين ضد المذهب الشيعي الذي يتبناه الفاطميون، خاصة وأن السلاجقة كانوا سُنَّة متعصبين، فجعلوا من أنفسهم حماة ومدافعين عن الخلافة العباسية السُنيَّة، ووجدوا في الخليفة العباسي المقام الروحي الأول الذي يستمدون منه أحقيتهم في الحكم.

وكذلك يمكن القول بأن الخليفة كان ينتظر الفرصة المناسبة للتخلص من البويهيين حيث كانت تراوده المخاوف منهم فكان ظهور السلاجقة فرصة مناسبة يمكن الاستفادة منهم في هذا الخصوص.

وانني أرى أن السلاجقة كان في استطاعتهم لو رغبوا سلب الحكم من العباسيين وإقامة دولة سلجوقية على أنقاضهم، ولو فعلوا ذلك لكان بقاءهم في البلاد محدوداً جداً ولاعتبرهم المسلمون غزاة تجب مقاتلتهم وردهم، إنما يمكن القول بأنهم أقاموا إمارات سلجوقية ضمن الدولة العباسية وكان لهم سلطان يسوس أمورهم، وحكموا بتفويض من الخلفاء العباسيين، ونفذوا ما يتطلبه الأمر من وسائل الدفاع والحماية والجباية لتأمين سلامة الدولة العباسية، وهذا ينفي القول بأنه كان للسلاجقة دولة داخل الدولة العباسية، وقد كانت تجربتهم لاثبات حُسن نيتهم مع الخليفة هي صدامهم الأول مع البساسيري وحليفه الفاطمي هبة الله الشيرازي داعية الفاطميين في الشرق الاسلامي، فقضوا على حركتهم قضاء كاملاً.

ثم أصدر الخليفة منشوراً للسلطان السلجوقي بالدعوة له على منابر بغداد وغيرها من البلاد التي تقع تحت سيطرتهم ولقبه بملك المشرق والمغرب، يقول الأصفهاني :ـ

((ثم قام طغرلبك مقام الرفعة ومكان الخلعة، واحتبى بعز الاحتباء واجتاب خلع الاجتباء وتوّج وسوّر وأفيضت عليه سبع خلع سود في زيق واحد وشرف بعمامة مسكية مُذهّبة فجمع له ما بين تاجي العرب والعجم وسما بهما وتسمى بالمتوج والمعمم وقلد سيفاً محلى بالذهب فخرج في أحلى الحلى وأهيب الاهب وعاد وجلس على الكرسي ورام تقبيل الأرض ولم يتمكن لموضع التاج الخسروي، وسأل مصافحة الخليفة فأعطاه يده دفعتين فقبلها ووضعها على العين وقلده سيفاً آخر كان بين يديه، فتم له بتقليد السيفين تقلد ولاية الدولتين فخاطبه بملك المشرق والمغرب وأحضر عهده وقال : هذا عهدنا يقرؤه عليك محمد بن منصور بن محمد (الكندري وزير السلطان فيما بعد) صاحبنا ووديعتنا عندك فاحفظه واحرسه فإنه الثقة المأمون وانهض في دِعة الله محفوظاً وبعين الكلأة ملحوظاً))[1].

اتخذ السلطان الري عاصمة له يقيم فيها، وبُني له بيت في بغداد للاقامة فيه عندما يأتي زائراً إليها[2] ثم أنشأ السلاجقة نظاماً يقضي بأن يكون للسلطان نائب في بغداد ليكون حلقة إتصال بين الخليفة والسلطان، يشاركه عدد كبير من التركمان يقيمون عنده بصفة دائمة لحفظ الأمن والنظام[3].

وأعتقد أن هؤلاء التركمان الذي فوض لهم حفظ الأمن في عاصمة العباسيين ويشرف على توجيههم نائب السلطان ويدعى (الشحنة)[4] ما هم إلاّ قوة دائمة لضمان البيعة للسلاجقة وتوجيه الخليفة الوجهة التي ترضي مصالحهم وأهدافهم في الحكم.

أراد السلطان السلجوقي أن يوثق علاقته بالخليفة أكثر فزوَّجه من بنت أخيه جغري بك داود أرسلان خاتون (خديجة) سنة ٤٤٨ هـ، وزُفت إليه في هذه السنة[5].

وفي رواية لابن القلانسي أن العقد على أرسلان خاتون كان على ذخيرة الدين بن الخليفة القائم، فتوفى الذخيرة قبل أن يدخل بها فنقل العقد للخليفة ودخل بها[6].

ومهما يكن فإن الهدف من هذا الزواج واحد، وهو تدعيم العلاقة بين السلاجقة والعباسيين حتى يدوم النفوذ السلجوقي في الدولة الاسلامية، يقول الأصفهاني :

((ودخلت سنة ٤٤٨ هـ، وفي المحرم منها عقد الخليفة على ابنة أخي طغرلبك أرسلان خاتون بنت داود بن ميكائيل، وقصد بذلك تعظيمه والتبجيل ولئلا يجد الأعداء بهذه الوسيلة إلى قطع المودة بينهما))[7].

ثم أقدم السلطان على خطوة أُخرى فخطب ابنة الخليفة للزواج منها، فانزعج الخليفة لذلك انزعاجاً شديداً وامتنع عن الموافقة عليه بادىء الأمر[8]، فغضب السلطان لهذا الموقف الرافض واعتبره إهانة له فقال :

((هذا جزائي من الامام القائم وقد قتلت أخي (يشير إلى أخيه إبراهيم ينال الذي قتله السلطان عندما عصى عليه سنة ٤٥٠هـ) في طاعته ووهبت عمري لساعته وأنفقت أموالي في خدمته

وطلبت فقري لثروته فما باله ما يبالي برد قولي وقال بردي وصد قصدي))[٩].

وقد تطور موقف السلطان السلجوقي من الخليفة العباسي، فكتب إلى وزيره عميد الملك الكندري وكان في بغداد كي يلح على الخليفة ويقبض إقطاعاته ولا يترك له إلاّ ما كان باسم أبيه القادر بالله وأن يستمر على معارضته فرد الخليفة على ذلك بقوله :

((ما رجونا من ركن الدين «طغرلبك» ما صنع وما توقعنا ما وقع وبين يديك الاقطاعات فاقطعها وقد ارتفعت الموانع فامنعها))[١٠].

والذي يتضح أن الخليفة أنِفَ لزواج ابنته من السلطان السلجوقي لأنه لم تجر العادات العباسية بذلك وأوشكت القطيعة أن تقع بين الخليفة والسلطان إلاّ أن الخليفة ضعف فرضخ لطلب السلطان وزُفت ابنته إلى السلطان بتبريز سنة ٤٥٤ هـ ثم نقلت إليه في الري[١١] لكنه توفى قبل دخوله بها[١٢]، وذكر بعض المؤرخين أنه دخل بها لكنه كان عقيماً فلم يُرزق منها بمولود[١٣] إلاّ أنني أرجح عدم دخوله بها لأنها عادت إلى بغداد بعد مدة بسيطة من وصولها الري وبعد وفاة السلطان في هذه الفترة[١٤].

وهكذا أصبح موقف الخليفة ضعيفاً أمام السلاجقة بعدما سلَّم لهم مقاليد الأمور لدرجة أن زواج ابنته أُجبر عليه، مما يدل على أنه فقد كل عناصر القوة فلم يبق له من الخلافةغير اسمها وصار تابعاً لا متبوعاً، يقول ابن الأثير :

((فلما ملك السلاجقة جددوا من هيبة الخلافة ما كان قد درس لا سيما في وزارة نظام الملك فإنه أعاد الناموس والهيبة إلى أحسن حالاتها، إلاّ أن الحكم والشجن بالعراق كان للسلطان وكذلك العهد وضمان البلاد ولم يكن للخلفاء إلاّ إقطاع يأخذون دخله))[١٥].

ويُستنتج من تصرفات السلطان طغرلبك السلجوقي أنه كان يخطط لشيء مع العباسيين، فقد زوَّج الخليفة ابنة أخيه، ثم تلا ذلك فأراد أن يتزوج ابنة الخليفة، فهل يريد شرف القُربة والنسب فعلاً أم أنه يريد أن يكون الوارث الشرعي للدولة العباسية ؟

والحق أن الأحداث أثبتت فيما بعد أن السلاطين السلاجقة لم يرغبوا في انتزاع السُلطة من الخلفاء، إلاّ أنهم أرادوا تدعيم علاقاتهم بهم حتى لا تفسد الأمور بينهم فيما بعد ويجعلوا هذه العلاقة دائمة وطويلة ويكون النفوذ كله بيد السلاجقة.

وفيما يتعلق بالجزيرة والشام، فقد أقام السلطان طغرلبك أخاه إبراهيم ينال على الجزيرة، لكنه أظهر عصيانه فخرج إليه وقتله، وبقيت البلاد بيد مسلم بن قريش العقيلي حيث أطاع الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي، فقد أرسل في السنة التي تولى فيها الامارة بعد أبيه سنة ٤٥٢ هـ إلى الخليفة في بغداد يستشيره فيما يفعل ثم سار بنفسه والتقى بالخليفة وقدم له الطاعة ثم رجع إلى الموصل، وخطب فيها وفي سائر البلاد الجزرية للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ولنفسه بعدهما، ثم سار في عهد السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٢ هـ إلى أصفهان والتقى به هناك وقدم له الطاعة ثم خطب اخته فأمر السلطان وزيره نظام الملك فعقد له عليها[١٦]، أما الشام فإنها لم تخضع للسلاجقة في

عهد طغرلبك بل تأخر دخولهم إليها حتى عهد السلطان ألب أرسلان السلجوقي كما سبق بيانه في الفصل الثاني.

وقد اعتلى السلطان ألب أرسلان عرش السلاجقة سنة ٤٥٥ هـ بعد وفاة عمه طغرلبك واعترف به الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وأمر بالخطبة له في بغداد[١٧]، ثم أقر السلطان على وزارته عميد الملك أبانصر محمد بن منصور الكندري، إلاّ أنه قبض عليه وسجنه ثم أمر بقتله واستوزر مكانه نظام الملك سنة ٤٥٦ هـ[١٨].

سار السلطان ألب أرسلان على سياسة سلفه السلطان طغرلبك في توطيد العلاقة بالخليفة العباسي، فزوَّج المقتدي لأمر الله بن الخليفة القائم وولي عهده من سفري خاتون ابنة السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٤ هـ[١٩] كما استأذن السلطان السلجوقي من الخليفة أن يأذن له بالوصية لابنه ملكشاه بولاية العهد من بعده، فأذِنَ له سنة ٤٦٤ هـ[٢٠].

ويُستنتج مما تقدم أن السلاطين السلاجقة قلدوا الخلفاء العباسيين بجعل السلطنة في نظامهم وراثية كما هو الحال عند العباسيين، وقد انتقلت السلطنة السلجوقية بعد مقتل ألب أرسلان سنة ٤٦٥ هـ وراء نهر جيحون أثناء غزوة، لابنه ملكشاه[٢١].

يقول أبوالحسن الحسيني: ((ووصى بالسلطنة إلى ولده ملكشاه فكان عمره «السلطان أرسلان» أربعين سنة وشهرين ودُفن بمرو عند أبيه وعمه، وأوصى وزيره نظام الملك بطاعة ولده ملكشاه واستحلفه له واستحلف العساكر))[٢٢].

لقد أثبت تاريخ السلاجقة أن السلطان ملكشاه كان من أقوى سلاطينهم بالنظر إلى ما وصل إليه السلاجقة في عهده من القوة والهيبة وما آل إليه الأمر بعده من التفكك والانحلال، فقد اعتلى المقتدي بأمر الله عرش الخلافة العباسية سنة ٤٦٧ هـ بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله[٢٣] فطلب البيعة من السلطان ملكشاه وكان عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة هو الرسول بينهما[٢٤].

كما أن الخليفة رغب في الزواج من تركان خاتون ابنة السلطان ملكشاه فقام بخطبتها سنة ٤٧٤ هـ وزُفت إليه سنة ٤٨٠ هـ[٢٥].

ويتبين من هذا مدى النفوذ والقوة التي وصل إليها السلطان السلجوقي بالمقارنة إلى الضعف الشديد الذي وصل إليه الخليفة العباسي، فلأول مرة يطلب الخليفة العباسي البيعة من السلطان، وكان السلاطين هم الذين يطلبون الاعتراف بهم، ثم أن السلاطين كانوا هم الذين يطلبون قُربة النسب من الخلفاء وقد حصل العكس ما بين المقتدي لأمر الله والسلطان ملكشاه السلجوقي، ولا أعتقد أن الخلفاء العباسيين الذين ستكتب لهم الخلافة مستقبلاً سيرضون بهذه التبعية، ولا بد أنهم سيثورون في وجه السلاجقة ويتخلصون منهم، لأن التاريخ لا يرحم وإذا سكت بعض الخلفاء على مضض لتجاوزات السلاجقة فسيأتي آخرون ليعيدوا مجد العباسيين على ما كانوا عليه في أيامهم الأولى.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد أقدم السلطان ملكشاه على عمل آخر ينقص من قدر الخليفة فعزل وزيره محمد بن الحسين وأقام مكانه أبامنصور بن محمد جهير[٢٦] ثم أمر بعد ذلك بإرسال حملة جديدة إلى الجزيرة بقيادة فخر الدولة بن جهير دون إذن الخليفة سنة ٤٧٦ هـ[٢٧].

وقد تراكمت هذه التجاوزات من السلطان فأثّرت تأثيراً سلبياً على العلاقة بينه وبين الخليفة المقتدي بأمر الله بعد سنة ٤٨١ هـ، فأعرض الخليفة عن زوجته تركان خاتون ابنة السلطان ملكشاه، فشكت إلى أبيها، فأمرها بموافاته في أصفهان فسارت إليه وتوفيت عنده سنة ٤٨٢ هـ[٢٨] ومما زاد من الهواجس والظنون لدى السلطان أن الخليفة أمر بطرد الأتراك الذين كانوا مع زوجته الخاتون ببغداد بعد أن غادرتها إلى أصفهان[٢٩].

وقد ذكر الأصفهاني أن السلطان ملكشاه عرض على الخليفة نقل عاصمته ومقر إقامته من العراق إلى دمشق أو الحجاز[٣٠] وذكر غيره أن السلطان تدخل في ولاية العهد بعد الخليفة فرغب في أن تكون لأبي الفضل جعفر (ابن أخت السلطان تركان خاتون) بينما كان الخليفة يميل إلى ابنه الآخر المستظهر بالله[٣١].

تأزم الموقف بين الخليفة والسلطان وزاد الخلاف وبعدت الشقة نتيجة المخالفات والتدخلات السابقة، وأظهر الخليفة سخطه الشديد على سياسة السلاجقة معه فعزم السلطان على غزو بغداد سنة ٤٨٥ هـ ليفرض نفسه على الخليفة بالقوة، وجاءت عساكره فعلاً وحاصرت بغداد، وأمر السلطان الخليفة بالخروج منها، فطلب مهلة لذلك فلم يمهله يوماً واحداً بالرغم من المراسلات والتوسلات التي طلبها الخليفة، فتدخل القدر لانقاذه من هذه المعضلة فتوفى السلطان فجأة لمرض أصابه أثناء الحصار[٣٢].

وفي رواية لبعض المؤرخين أن السلطان دخل بغداد في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٤٨٥ هـ ثم توفى في النصف من شوال ٤٨٥ هـ لمرض أصابه بسبب لحم صيد أكله[٣٣] كما ذكر مؤرخون آخرون أن السلطان ملكشاه مات بتدبير أتباع نظام الملك إنتقاماً لمؤامرة السلطان عليه وقتله قبل حوالي شهر من وفاة السلطان نفسه[٣٤].

والواقع أن السلطان السلجوقي قدم إلى بغداد سنة ٤٨٥ هـ وعاد إلى أصفهان قبل تأزم العلاقات بينه وبين الخليفة[٣٥] ثم عاد مرة أخرى لمحاصرة بغداد، وهي المرة التي أنذر الخليفة فيها بالخروج ثم مات أثناء الحصار كما تقدم ذكره.

وانني أُرجح الرواية التي تقول بأن السلطان مات بسم دُس له في اللحم الذي أكله ومات منه كما ذكر، بسبب ما أقدم عليه حين تآمر على نظام الملك فقتله، ولا يخفى أن نظام الملك كان له أتباع كثيرون حول السلطان لطول المدة التي وزر فيها بما يقرب من ثلاثين عاماً، ثم تطاول السلطان على الخليفة العباسي، فجاء ليطرده من بغداد ليقيم مكانه آخر كما يستنتج من حيثيات القضايا التي كانت أسباباً للنزاع بينهما وذكرها معظم المؤرخين.

ثانياً : عهد التفكك والانقسام بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ :ـ

ظهر فراغ كبير عند السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ، فقد احتدم صراع دام بين أبناء السلطان ملكشاه، كل منهم يدعي الحق والأولوية في السلطان كما ظهر عمهم تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي في الشام يدعو لنفسه، وكان من ضمن المطالبين بالسلطنة طفل صغير لا يتجاوز عمره أربع سنوات هو محمود بن السلطان ملكشاه الذي كان مع أمه في بغداد عند وفاة أبيه السلطان، فطلبت أمه من الخليفة المقتدي بأمر الله أن يعترف له بالسلطنة ويخطب له في بغداد، فرفض طلبها أول الأمر ثم عاد وقبله بعد إلحاح متواصل فاعترف به وأمر بالخطبة له وأعرض عن أخيه الأكبر برقياروق الذي كان يقيم مع أمه في أصفهان (زوجة ملكشاه الثانية) كما أعرض عن عمهما تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي صاحب الامارة السلجوقية في الشام[٣٦].

يقول ابن النظام الحسيني عما قاله الخليفة عن محمود بن السلطان ملكشاه قبل الاعتراف به : ((السلطنة والرئاسة والمحافظة على أصول السياسية وتعمير العالم ليس أمراً هيناً كلعب الأطفال، ومن الصعوبة أن يتمكن طفل عديم التجربة أن يقر قواعد السلطنة ويدفع حُساد وأعداء المملكة، ولم يشبع محمود من لبن الرضاعة حتى الآن فلا يستطيع أن يكون درعاً يصد عن الدولة سيف كل جبار، والمثل يقول : الصبي صبي ولو كان ابن النبي))[٣٧].

وانني أعتقد أن الخليفة المقتدي لأمر الله لم يرضخ إلى تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه بقبول الخطبة لابنها بعد تمنع كما ذكر بعض المؤرخين، لأن الخليفة سبق له أن رفض مطالب السلطان ملكشاه نفسه فكيف يرضخ لامرأة وإنما يمكن القول أن الخليفة رضى الاعتراف بطفل صغير ليكون سلطاناً على السلاجقة ورفض من هم أكبر وأقوى منه نظراً لضعف الصبي وسهولة التصرف معه ومع أمه لاعادة الهيبة العباسية بعد الأزمات التي مرت بها.

ثم توفى الخليفة المقتدي بأمر الله سنة ٤٨٧ هـ وتولى الخلافة بعده ابنه المستظهر بالله[٣٨]، وفي عهده انقسم السلاجقة فيما بينهم إلى طوائف متصارعة على السلطان كل طائفة تميل ألى أحد أبناء ملكشاه وهم برقياروق ومحمود ومحمد وسنجر وعمهم تتش، وقد جاءت هذه الانقسامات في أحرج الأوقات التي أصابت المسلمين أثناء الغزو الصليبي لبلاد المسلمين، ثم استطاع برقياروق أن ينفرد بالسلطنة بعد وفاة تركان خاتون وابنها محمود سنة ٤٨٧ هـ بعد نزاع على السلطان دام حوالي سنتين[٣٩] فخطب له الخليفة المستظهر بالله في جوامع بغداد[٤٠] إلاّ أنه ما كاد ينتهي من أخيه محمود حتى برز له منافس آخر أقوى من أخيه، وهو عمه تتش بن السلطان ألب أرسلان فقد خرج من الشام طالباً السلطنة، واستطاع أن ينال تأييد أمراء السلاجقة في الشام والجزيرة بعد مراسلة تمت بينه وبينهم وهم قسيم الدولة أقسنقر الحاجب صاحب حلب، وكربوغا صاحب الجزيرة وبوزان صاحب الرها، إلاّ أن هؤلاء تراجعوا عن موقفهم واتفقوا على خلع طاعة تتش ومساعدة برقياروق لاعتقادهم أنه أحق منه في السلطنة فانفصلوا عن تتش وقفلوا راجعين إلى إماراتهم وراسلوا برقياروق وأعلموه بحالهم[٤١] إلاّ أن تتش عاد إلى دمشق وأعد العدة، ثم خرج لمقاتلة الأمراء الذين انفصلوا عنه، فالتقى بهم قرب

حلب سنة ٤٨٦ هـ فهزم عساكرهم شر هزيمة وقتل بوزان وأقسنقر وقبض على كربوغا[٤٢] ثم تابع سيره إلى الجزيرة فاستولى عليها بعدما قتل زعيم العقيليين فيها إبراهيم بن قريش بن بدران العقيلي[٤٣] واستمر في مسيرته إلى نواحي همذان وأذربيجان كي يحسم الأمر مع السلطان برقياروق فالتقى به قرب الري، إلاّ أن الدائرة دارت عليه فقتل في المعركة بعد هزيمة جيشه[٤٤].

ولم يكد يبتسم الحظ للسلطان برقياروق وينتهي من عمه تتش حتى برز له خصوم آخرون وهم اخوته محمد وسنجر[٤٥] فدامت الحرب بينهم حوالي خمس سنين (ما بين ٤٩٢ هـ ـ ٤٩٧ هـ) فقد تقلبت فيها نتائج المعارك بين الطرفين فتارة تكون لمصلحة برقياروق وتارة أخرى لصالح اخوته المتحالفين وهما محمد وسنجر، وقد تقلب الخليفة المستظهر بالله في موقفه منهم حسب نتائج المعارك بينهم، فإذا ما رجحت كفة السلطان برقياروق خطب له في بغداد، وإذا دارت الدائرة عليه وتغلب اخوته عليه، أمر الخليفة بقطع الخطبة له وخطب لأخيه محمد في جوامع بغداد[٤٦].

وقد تردد تبعاً لذلك موقف أمراء الجزيرة مع برقياروق واخوته، وظل الأمر هكذا حتى سئم الطرفان المتحاربان الحرب سنة ٤٩٧ هـ واتفقا على الصلح النهائي على أن يكون سنجر والياً على خراسان وتكون الخطبة في العراق لبرقياروق بينما نال اخوه الثالث «محمد» الشام والجزيرة[٤٧].

وهكذا اقتسم أبناء السلطان ملكشاه البلاد فيما بينهم، وأصبح للسلاجقة ثلاثة سلاطين بدلاً من سلطان واحد، أحدهم السلطان برقياروق الذي كانت له الخطبة في العراقين بينما خطب لسنجر في خراسان، ونال ثالثهم الشام والجزيرة، وبالرغم من أن هذا التقسيم سيكون له آثار سيئة على كافة السلاجقة في المستقبل، إلاّ أن الأهم من ذلك هو أنه في الوقت الذي كان فيه النزاع قائماً بين الاخوة السلاجقة وبقية العساكر التركمانية، كان الصليبيون ينتزعون أراضٍ واسعة من بلاد المسلمين ويقيمون فيها إمارات صليبية لهم، وعجز أمراء السلاجقة في الشام والجزيرة وغيرهم من الأمراء عن مواجهة الصليبيين وصدهم للضعف الشديد الذي أصابهم نظراً لغياب السلطة السلجوقية الرئيسية وللخلاف الذي دب بينهم سنين طويلة وما صاحب ذلك من تفكك وانحلال، ولم يكن حال السلاجقة في الشام أحسن حالاً من غيرهم فقد قتل تتش السلجوقي سنة ٤٨٨ هـ واقتسم إبناه دقاق ورضوان الامارة بعده، فأخذ رضوان حلب، وأخذ دقاق دمشق، وناصب كل منهما العداء للآخر، ولم يقم بينهما أي تنسيق مشترك لمقاومة الصليبيين[٤٨] ناهيك عن الولاءات المزدوجة للامارات السلجوقية عندما انقسم السلاطين على أنفسهم وتقاسموا البلاد فيما بينهم، وقد انعكس ذلك كله على البلاد الاسلامية التي كانت مهددة أمام الزحف الصليبي في نهاية القرن الخامس الهجري.

وأحب أن أوضح موقف الخليفة المستظهر بالله العباسي وطريقة معالجته للمشاكل مع السلاجقة في نزاعاتهم المريرة بعد وفاة السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ فقد وقف موقف المتفرج على هذه الصراعات، ولم يستغل هذه الأحداث ليعيد الهيبة إلى الخلافة العباسية، بل كان ينتظر حتى ترجح كفة الصراع ليعلن تأييده لها، ثم يعود ويرجع عن ذلك ليقف مع آخر وهكذا، وأعتقد أنه كان ينبغي عليه أن يسرع إلى حسم هذه الأمور حتى لا تعود بعواقب وخيمة على الأمة الاسلامية فيما بعد.

ولو قيل أنه كان ينتظر حتى ينهك السلاجقة بعضهم بعضاً فيسهل عليه بعد ذلك التخلص منهم، لقلنا أنه لم يكن هناك متسع من الوقت لمثل هذا الاعتقاد لأن الصليبيين كانوا قد وصلوا إلى بيت المقدس خلال هذه الأزمات وكان المفروض على الجميع أن يجتمعوا صفاً واحداً ويخرجوا سوية للجهاد ويكون للحديث عن باقي المسائل وقت آخر.

لم يمتد العمر طويلاً بالسلطان برقياروق بعد إتفاقه مع اخوته سنة ٤٩٧ هـ إذ أُصيب بمرض توفي منه سنة ٤٩٨ هـ بعدما أوصى بالسلطنة من بعده لابنه ملكشاه إلّا أن عمه محمد تغلب عليه وتراضيا على أن تكون السلطنة لمحمد في نفس هذه السنة ٤٩٨ هـ[٤٩].

والحق أن السلطان محمد كان صادق النية في مواجهة الأزمات التي كانت تعصف بالمسلمين، فقد هدأت الخلافات بينه وبين الخليفة المستظهر بالله وتزوج الخليفة من اخته الخاتون ابنة ملكشاه وزُفت إليه سنة ٥٠٤ هـ[٥٠] ولم يُقصرّ في إمداد ولاة الشام والجزيرة بالحملات السلجوقية لمتابعة الجهاد ضد الصليبيين إلّا أن المشكلة كانت تكمن في علاقة هؤلاء الأمراء ببعضهم البعض، فإنه لم يكن بينهم أي تنسيق أو تفاهم، فذهبت حملات السلطان السلجوقي لنجدتهم أدراج الرياح[٥١] ثم توفي السلطان محمد سنة ٥١١ هـ بعدما ترك من الأبناء محمود، وطغرل، ومسعود، وسليمان شاه، وسلجوق شاه[٥٢] إلّا أنه أوصى بالسلطنة من بعده لابنه الأكبر محمود فاستقرت الأمور له[٥٣] كما توفي الخليفة المستظهر بالله العباسي وخلفه ابنه المسترشد بالله سنة ٥١١ هـ[٥٤].

شهدت فترة حكم السلطان محمود ما بين سنة ٥١١ هـ ـ ٥٢٥ هـ نفس القلاقل والأزمات التي عانى منها أسلافه، فقد أعلن الملك سنجر صاحب خراسان سنة ٥١٢ هـ أنه أحق بالسلطنة من محمود فقدم بعساكره من خراسان إلى همذان لقتال السلطان محمود إلّا أن بعض الأمراء السلاجقة تدخلوا فأصلحوا بينهم على أن تظل السلطنة لمحمود ويعود عمه سنجر إلى خراسان[٥٥] ولم يكد السلطان محمود ينتهي من عمه سنجر حتى برز له منافس آخر سنة ٥١٤ هـ وهو أخوه مسعود بن السلطان محمد، حيث أن مسعوداً كان يقيم في الموصل مع صاحبها جيوش بك فأقنعه جيوش بضرورة عصيان أخيه، وأنه سيساعده على أخيه السلطان محمود فأجابه مسعود إلى ذلك وانضم إليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلّة المزيدية ودعا مسعود لنفسه بالسلطنة وخطب له في الموصل وتوابعها ثم خرج مع مؤيديه إلى همذان، فتصدى له السلطان محمود وهزم عساكره، فطلب مسعود العفو من أخيه فعفا عنه وأمره بالعودة إلى الموصل في صحبة جيوش بك[٥٦].

وأما دبيس بن صدقة فقد سار إلى خراسان وأقام عند صاحبها سنجر بن السلطان محمد[٥٧]، ثم وقعت منافرة بين الخليفة المسترشد وشحنة السلطان في بغداد (ممثل السلطان في بغداد) واسمه يرنقش الزكوي[٥٨] الذي خرج إلى همذان وحرض السلطان على الخليفة وأثاره عليه، فقدم السلطان إلى بغداد بالرغم من معارضة الخليفة لسوء الحال فيها، ونهبت عساكر السلطان دور الخليفة وغيرها، ثم اصطلح الخليفة والسلطان وخرج عائداً إلى همذان[٥٩] ثم توفي السلطان بعد ذلك سنة ٥٢٥ هـ[٦٠].

كانت هذه صورة أُخرى من صور النزاع وعدم الاستقرار بين الخلفاء والسلاطين تشابكت فيها الأطماع مما يدل على التسيُّب والفوضى التي أصابت الخلافة والسلطنة السلجوقية، إذ لو كان السلاجقة على المستوى المطلوب والوعي السليم لما كانت تصرفاتهم المملَّة بهذا الشكل من النزاعات والانقسامات الدائمة.

ترك السلطان محمود من الأبناء طغرل ومحمد وملكشاه وداود وقد تنازع هؤلاء الاخوة على السلطان فيما بينهم كما دخل ساحة الصراع والمنافسة أعمامهم سنجر ومسعود ومحمد وطغرل أبناء محمد بن السلطان ملكشاه، وقد ظلوا في نزاع دائم حتى سنة ٥٢٩ هـ عندما توفى السلطان طغرل بن السلطان محمد أقوى هؤلاء المتنافسين وتولى السلطنة بعده أخوه مسعود[٦١].

وهنا دخلت العلاقات العباسية السلجوقية مرحلة جديدة، إذ رفض الخليفة المسترشد الاعتراف بالسلطان مسعود والخطبة له في بغداد، وتدخل الوشاة فتعقدت الأمور بينهما أكثر وأكثر، فحشد كل منهما للآخر، وعزم السلطان مسعود على محاربة الخليفة، فحاول الخليفة المسترشد أن يثنيه فلم يستطع وأصر على دخول بغداد بالقوة ليقيم الخطبة لنفسه فيها فاضطر الخليفة أن يخرج بعساكره من بغداد ليمنعه، فلما اقتربت عساكرهما من بعضها، انخذل جند كثير من عساكر التركمان الذين قدموا مع الخليفة وانضموا إلى السلطان وهرب الباقي، فبقي الخليفة في فئة قليلة فوقع في قبضة السلطان مسعود[٦٢]، وفي خيمة نُصبت له قرب مراغة[٦٣] أقام الخليفة المسترشد فيها، وفي هذه الأثناء قدم وفد من عند الملك سنجر بن السلطان ملكشاه صاحب خراسان على ما ذُكر لاصلاح الحال بين الخليفة والسلطان، فخرج السلطان لاستقبالهم ولم يبق مع الخليفة أحد يحميه، فهجم عليه جماعة من الباطنية فطعنوه بالسكاكين وقطعوا رأسه وشوهوا جسده ومزقوا ثيابه فمات رحمه الله في السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ هـ[٦٤]، يقول ابن الأثير:

((فاتفق أن رسول السلطان سنجر وصل إلى السلطان مسعود، فخرج إلى لقائه واشتغل الناس بذلك فهجم على الخليفة أربعة عشر نفراً من الباطنية وبقي خارج الخيمة عشرة رجال فضربوه بالسكاكين فجرحوه خمساً وعشرين جراحة وقطعوا رأسه وشقوا جوفه وجدعوه وأخذوا ثيابه وتركوه عرياناً وكانت خيمته خارج العسكر))[٦٥].

وقد تضاربت الروايات حول المحرِّض على قتل الخليفة، فيرى بعض المؤرخين أن الباطنية الذين قتلوا الخليفة كانوا ضمن رُسل الملك سنجر إلى السلطان مسعود، فيعتبر هو المحرض لذلك[٦٦]. يقول الأصفهاني:

((فعرف بقرائن الأحوال أن سنجر سيَّر الباطنية لقتله وما أشنع وأفظع ما أقدم عليه من فعلة))[٦٧].

ويرى بعض المؤرخين أن سنجر أرسل إلى السلطان مسعود يستنكر عليه ما فعله مع الخليفة وذكر له أنه ظهر عنده آيات ومعجزات تدل على غضب الله بسبب عمله فكثرت العواصف والزلازل وانقلبت البلدان ... ورجاه إعادة الخليفة إلى بلده[٦٨].

وأستطيع أن أقرر بناء على سلوكيات السلاجقة مع الخلفاء العباسيين أن الخليفة المسترشد عاين كثيراً من التجاوزات والاستفزازات والاستهانة بالشرف العباسي، فأراد أن يثأر لكرامته وكرامة الخلفاء الذين سبقوه، ويقضي على الفوضى والاضطراب والشغب الذي يثيره السلاجقة وأراد أن يفرض رأيه على السلطان مسعود السلجوقي ورفض الاعتراف به، مما يدل على أنه ملّ من أفعال السلاجقة ومن مسايرتهم إلى أقصى درجات المسايرة، فأراد أن يتخلص منهم وأصر على المواجهة وأن لا يرضخ للسلطان مسعود، حتى لاقى المصير الذي رأيناه فيما سبق، وكانت هذه النتيجة كما أرى نتيجة حتمية، إذ أن الأمور معهم أصبحت لا تُطاق، ولا شك أن الخليفة مات ميتة شريفة إذ أنه انتفض لشرفه ودافع عن موقفه وعزم على وقف المهاترات التي تعوَّد السلاجقة عليها.

وأعتقد أن الذي دفع القتلة على الخليفة هو السلطان مسعود السلجوقي نفسه لأن عملية القتل تمت بعد خروجه لاستقبال رسل عمه سنجر كما هو واضح وهذا يدل على أنه هو الذي رتب هذه المؤامرة، ثم أن النزاع القائم بينه وبين الخليفة وليس للملك سنجر أي مصلحة في النزاع، وأن السلطان مسعود أصبح ينظر إلى الخليفة كحجر عثرة في طريقه لأنه رفض الاعتراف به، فأراد أن يتخلص منه، وكانت الطريقة التي أقدم على قتله فيها طريقة حقد وكراهية يأنف لها الاحساس الاسلامي، وأما الملك سنجر بن السلطان ملكشاه فقد عايش نزاعات الخلفاء والسلاطين ما يقرب من أربعين عاماً حتى تاريخ مقتل الخليفة، فلم يشهد له التاريخ في يوم من الأيام أن عصى أو أشهر سلاحه ضد الخليفة، فكيف يرسل لقتله، ثم أن ابن العبري يقول: ((وبقي حتى دفنه أهل مراغة))[٦٩]، بعد أن بقي على حاله عدة أيام فأين كان السلطان مسعود وأمراؤه عند ذلك، وما ذلك إلّا دليل على التشفي بقتله وأنه هو الذي دس عليه رجاله وليس الباطنية كما قيل انهم جاءوا ضمن رُسل سنجر لقتله.

وأما ما ذكره الأصفهاني من أن قرائن الأحوال تدل على أن سنجر هو الذي دس الباطنية فإنني أعتقد أن الأصفهاني بنى هذه القرائن على الفترة التي قتل فيها بوصول رُسل سنجر، والحق أن هذه القرينة تزيد اليقين أن مسعود هو المدبر إذ أنه أوعز إلى القتلة كي يقدموا على فعلتهم بينما يكون هو منشغلاً باستقبال الرُسل حتى يُبعد التهمة عن نفسه.

ولمزيد من التمويه والخداع كما يذكر المؤرخون أمر السلطان مسعود بقتل دبيس بن صدقة المزيدي صاحب الحلة لكي يوقع الظن به وأنه هو الذي دبر مقتل الخليفة، إذ كان معادياً له وكان مع جيش السلطان في فترة النزاع التي حصلت بينهما[٧٠] وفي رواية لبعض المؤرخين أن دبيس بن صدقة قُتِلَ في المعركة التي حصلت بين الخليفة والسلطان قرب مراغة[٧١] غير أنني أُرجح الرواية الأولى لمعاصرة رواتها للواقعة وكثرتهم المتواترة.

وفي الوقت الذي كان الخليفة المسترشد بالله يستعد لمحاربة السلطان مسعود كان عماد الدين زنكي محاصراً لدمشق ليأخذها من شمس الملوك إسماعيل بن بوري فأرسل له الخليفة المسترشد بالله للحضور إلى بغداد على وجه السرعة لمساعدته على السلطان مسعود، كما أمره أن يخطب ببلاده لألب أرسلان بن السلطان محمود وكان بصحبته منذ سنة ٥٢١ هـ وطلب منه أن يعلنه سلطاناً على

السلاجقة ـ نكاية بمسعود ـ فنفّذ زنكي تعليماته، غير أنه وصل إلى بغداد متأخراً بعد مقتل الخليفة فالتقى بالراشد بالله بن الخليفة المسترشد بالله الذي تولى الخلافة مكان أبيه(٧٢).

ثم أن الفترة التي تلت هذه الأحداث بين السلاجقة والعباسيين، ناقشتها بإسهاب في الفصل السادس ضمن الأتابكة الزنكيين في الشام والجزيرة، وبيَّنت أن الخليفة المقتدي بالله، استطاع أن يصل إلى حل مع السلاجقة فطردهم إلى غير رجعة من بغداد وقلَّص نفوذهم كثيراً حتى أصبح نفوذهم مقتصراً في بعض النواحي بهمذان وفارس وخراسان وبعض الأجزاء من بلاد الروم، ولم يسمح لهم الخلفاء العباسيون بعد ذلك بالعودة إلى بغداد، وانقطع نفوذهم وسلطانهم في الشام والجزيرة على يد نور الدين بن زنكي وانتهت صلتهم فيها.

* أحوالهم السياسية والادارية والعسكرية :ـ

يُستفاد مما جاء في فصول هذاالبحث أن السلطان هو السلطة العليا في الادارة والحكم عند السلاجقة، وأن طغرلبك محمد أول من جلس على كرسي الحكم في نيسابور سنة ٤٢٩ هـ واتخذها عاصمة لملكه ولقب نفسه بالسلطان بعد هزيمة جيش السلطان مسعود الغزنوي في خراسان، وبعد ذلك أحرز لنفسه اعتراف الخليفة العباسي القائم بأمر الله كحاكم في هذه المنطقة.

ثم تطورت الأحداث في عاصمة العباسيين بين الخليفة العباسي والبساسيري حين شق عصا الطاعة وراسل الفاطميين ودعا لهم، مما جعل الخليفة القائم بأمر الله يطلب العون والمساعدة من السلاجقة، وكان ذلك فرصة طيبة للسلطان السلجوقي كي يوسع نفوذه إلى العراق وغيرها من البلاد الاسلامية وكان يتطلع إليها، فقدم إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ وطارد البساسيري وأنصاره حتى قضى عليهم وعمل على استتباب الأمن والسكنية في بغداد لصالح العباسيين.

والحق أن مجيء السلاجقة إلى بغداد في عهد الخليفة القائم بأمر الله كان مكسباً كبيراً إلى العباسيين لتخليصهم من البويهيين الذين كانوا يشكلون خطراً على الخلافة العباسية، بحكم اتفاقهم في المذهب مع الفاطميين، كما أظهر السلاجقة تعاطفاً مع الخلفاء العباسيين بحكم المذهب المشترك أيضاً مما جعل الخلفاء يدعمون تحالفهم معهم، ففوضوا لهم إدارة البلاد بنواحيها السياسية والادارية والعسكرية.

واني أرى من خلال مجريات الأحداث أن السلاجقة أثبتوا جدارتهم بادىء الأمر في حفظ الأمن ونجحوا في إدارة البلاد وقاد سلاطينهم الحملات العسكرية بأنفسهم ضد الأطماع الخارجية، وقد تجلى هذا الأمر في عهدسلاطينهم العظام طغرلبك وألب أرسلان وابنه ملكشاه، فتوسع حكمهم حتى شمل الشام .والجزيرة، وطاردوا البيزنطيين في داخل بلادهم.

وقد أناب السلاطين على الشام والجزيرة أُمراء من أبناء القبائل العربية بادىء الأمر، ثم نقلوا الأمر إلى ولاة منهم حين استتبت الأمور تماماً في هذه البلاد.

وقد أمدهم السلاطين بالمال والرجال لمتابعة الجهاد ضد الصليبيين، ودحر الفاطميين، بل واشترطوا عليهم متابعة الجهاد كشرط أساسي لاستمرار ولايتهم على هذه الامارات السلجوقية واتخذ سلاطين السلاجقة فارس قاعدة لهم يوجهون منها باقي إماراتهم ومتابعة نوابهم في سائر الأقاليم، وأقاموا لهم في دار الخلافة شِحْنَة يمثلهم عند الخليفة ويساعده عدد كبير من التركمان للعمل على استتباب الأمن والسكينة(٧٣).

أما عن إنتقال السلطة بعد وفاة السلطان، فقد جرت العادة عندهم أول ظهورهم أن تنتقل إلى الأكبر من ذرية آل سلجوق، ثم حرصوا بعد ذلك أن يوصوا بولاية العهد لابنائهم من بعدهم كما هو الحال عند العباسيين واستمرت هذه العادة طوال مدة حكمهم كما تقدم في فصول هذا البحث.

إلّا أنه من الملاحظ أن الأمر لم يكن يستقر على هذا النحو بسهولة، فكثيراً ما كانت تقع صراعات دموية واسعة بعد أن يموت السلطان، بين أبنائه واخوته للاستئثار بالسلطة، وكانت الأمور تحسم في النهاية لصالح الأقوى منهم، أو لمن ينال دعماً واعترافاً من الخليفة العباسي، لذا فقد حرص كل واحد من المتصارعين على أرضاء الخليفة لينال الاعتراف منه والخطبة له في جوامع بغداد، فوسع هذا الأمر من دائرة النزاع حتى أقحم الخلفاء في خلافاتهم ودسائسهم، فراح البعض ضحية ذلك، كما هو الحال مع المسترشد بالله وابنه الراشد بالله وغيرهما أثناء تطور النزاع بين العباسيين والسلاجقة.

ولم تكن الشام والجزيرة بعيدتين عن هذه النزاعات، فقد انعكست هذه الخلافات على أُمرائها فوقعت الصراعات بينهم لتعدد ولاءاتهم بين المتصارعين على النفوذ والسلطنة من آل سلجوق، ودخلوا في أحلاف جانبية لم تُفِدْ سوى حملات الصليبيين الذين جاءوا إلى المنطقة إبان هذه الفترة.

هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية الادارية، فقد كان الجهاز الاداري في الشام والجزيرة مضطرباً في عهد ولاة السلاجقة وأتابكتهم، بسبب كثرة الحروب والمؤامرات الداخلية والعزل المتواصل الذي تعرض له الأُمراء من قِبل سلاطينهم، وأعتقد أن هذه الأسباب أعاقت كثيراً من الاستقرار الاداري، والعمراني في هذه البلاد.

ولقد اتخذ أُمراء الشام والجزيرة كلّاً من الموصل وحلب ودمشق مراكز إقامة لهم، على اعتبار أن هذه المدن أهم المراكز الرئيسية في هذه المنطقة، واقتضت مهمة هؤلاء الأُمراء المحافظة على الأمن وقيادة الجيوش للجهاد ومساعدة السلطان السلجوقي ضد الخارجين عليه وإمداده بالأموال عند الحاجة.

والذي لا يمكن إنكاره أن بعض السلاطين والأُمراء قاموا بجهد كبير ومخلص لتكوين نواة حقيقية للجهاد، غير أن هذه الجهود ضاعت هباء بسبب كثرة المؤامرات والصراعات المتواصلة، وروح الحسد والطمع الذي استشرى بينهم كما تقدم في فصول هذا البحث.

وإذا أمعنا النظر في طريقة إدارة الأُمراء السلاجقة للشام والجزيرة لوجدنا أنهم اتخذوا لهم نواباً يسمى أحدهم الدزدار أو مستحفظ القلعة(٧٤) ويعتبر الشخصية الثانية بعد الوالي في الحفاظ على

الأمن أثناء غياب الأمير، ومن أمثلة هؤلاء النواب غزغلي، مستحفظ قلعة الموصل في عهد جكرمش على الجزيرة (٤٩٥ هـ ـ ٥٠٠ هـ) وعندما نشبت الخلافات بين جكرمش وجاولي، ووقع جكرمش في الأسر بيد جاولي، بادر غزغلي بتسليم الحكم إلى زنكي بن جكرمش(٧٥) ثم برزت أهمية الدزدار عندما توفي الأمير عز الدين مسعود بن البرسقي في الموصل سنة ٥٢٠ هـ فبادر جاولي، مستحفظ القلعة وأوصى بالحكم لأخي مسعود وأرسل إلى السلطان محمود السلجوقي يطلب منه تثبيت الامارة إليه، إلّا أن السلطان صرف النظر عنه وأقطع البلاد لعماد الدين زنكي بن أقسنقر(٧٦).

ومن أشهر نواب زنكي في الموصل، نصير الدين جقر، وزين الدين علي كوجك، كما ناب عنه في حلب سوار الدين بن آيتكين التركماني(٧٧).

كما اتخذ زعماء السلاجقة وزراء لهم، وكانت مهمتهم استشارية بتقديم النصح والارشاد والاشراف على شؤون الحكم، ومن أشهر وزراء السلاجقة على الاطلاق نظام الملك الطوسي، الذي أشرف على شؤون السلاطين الادارية والعسكرية والسياسية ما يقرب من ثلاثين عاماً(٧٨).

أما في الشام والجزيرة، فقد روى ابن الأثير(٧٩) أنه لم يظهر دور لهؤلاء الوزراء في العهد السلجوقي الأول بسبب إنشغال الولاة في صراعاتهم الداخلية وحروبهم مع الصليبيين واكتفى هؤلاء الأمراء بالنواب الذين قاموا بمهمة الادارة في غياب الأمير عند خروجه للجهاد، غير أنه ورد في رواية لابن القلانسي(٨٠) عن عهد تتش السلجوقي بأنه اتخذ لنفسه وزيراً يدعي أبا نجم هبة الله محمد بن بديع الأصفهاني، ثم وزر لابنه رضوان بعده في حلب، ثم اتخذ الأتابك طغتكين في دمشق وبقي حتى سنة ٥٠٢ هـ حيث أنه قبض عليه وسجنه.

أما الأتابك عماد الدين زنكي وأبناؤه فقد اتخذوا لأنفسهم وزراء يعتمدون عليهم في إدارة شؤونهم، ومن أشهرهم جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني الذي وزر لزنكي وأبنائه سنين طويلة، وكان له فضل كبير في حفظ إمارة زنكي لابنائه بعد مقتله سنة ٤٤١ هـ، وقد جاء تفصيل ذلك في مكانه في الفصل السادس.

كما اتخذ أتابكة الشام وزراء لهم يديرون لهم شؤون أتابكياتهم مثل أبي علي طاهر بن سعيد المزدغاني في عهد طغتكين وابنه بوري ومعين الدين أنز في عهد شهاب الدين محمود ومجير الدين آبق(٨١).

وهناك وظيفة أخرى عند السلاجقة مثل وظيفة الحاجب، وهي من الوظائف الهامة وتقتصر نشاطاته على تبليغ أوامر السلطان إلى الوزير، فهو همزة الوصل بينهما(٨٢) غير أنه لم يرد ذكر للحجابة عند أمراء الشام والجزيرة سوى حجابة صلاح الدين محمد الياغيسياني للبرسقي في الموصل في الفترة ما بين ٥١٥ هـ ـ ٥٢٠ هـ ثم كافأه عماد الدين زنكي عندما تولى الامارة في الموصل فعينه أمير حاجب(٨٣) ثم اتخذه وزيراً له فيما بعد واستمر معه طيلة حياته حتى وفاة زنكي سنة ٥٤١ هـ وقد قدم الياغيسياني لأبناء زنكي خدمات جليلة وأعانهم على تثبيت الامارة لهم بعد مقتل أبيهم بالتعاون مع الوزير جمال الدين محمد الأصفهاني(٨٤).

* جيش السلاجقة وطُرقهم القتالية في الحروب :ـ

تقدم في الفصل الأول أن سلجوق بن دقاق وعشيرته وأنصاره رحلوا من بين أظهر الترك في أواخر القرن الرابع الهجري واستقروا فيما رواء النهر جوار المسلمين ثم انضمت إليهم جماعات أخرى من التركمان، فكان هؤلاء هم جيشه الذين صاروا تحت قيادته والذين عرفوا فيما بعد بالسلاجقة نسبة إليه، يقول القلقشندي :

((وكانوا «التركمان» طوائف كثيرة وجماعة كبيرة))[٨٥] ثم انضم إليهم جموع من الديلم والخراسانيين وقبائل الكرج[٨٦].

كما اشترك العرب والأكراد من المزارعين أهالي البلاد في الشام والجزيرة ضمن الحملات السلجوقية التي جاهدت الصليبيين[٨٧].

والذي لا شك فيه أن السلاجقة أثبتوا كفايتهم القتالية في بداية أمرهم عندما كانوا يداً واحدة وقبل أن تدخل الخلافات إلى صفوفهم ففرضوا أنفسهم بالقوة على مساحات واسعة من البلاد، وأعتقد أن ذلك يعود إلى كثرتهم العددية وحاجتهم إلى موطىء قدم يستقرون فيه، ثم استعان بهم الخليفة العباسي القائم بأمر الله للقضاء على الخارجين عليه، ثم سلّم لهم إدارة البلاد السياسية والعسكرية، فتوسعوا في نواح أخرى كالجزيرة والشام وبلاد الروم وتصدوا للحملات الصليبية ما يزيد على نصف قرن من الزمان.

وقد رأينا في فصول هذا البحث كيف اختار السلاجقة قادة أكْفاء لمتابعة الجهاد وسيَّروا الجيوش تلو الجيوش لرد المعتدين عن ديار الاسلام، يقول الجاحظ : ((وإذا أدبر «التركي» فهو السم الناقع والحتف القاضي، لأنه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب به وهو مقبل))[٨٨].

ويقول : ((قد عوّد برذونة أن لا ينثني، وإن ثناه، أن يملأ فروجه[٨٩] للأمر يديره مرة أو مرتين))[٩٠].

وأما فشل السلاجقة في الاستمرار والتصدي لأعداء المسلمين فإن ذلك يعود إلى إنتشار روح الحسد والطمع وإنعدام الثقة بين أمرائهم وكثرتهم، فافتقرت أعمالهم إلى روح الجماعة والتنسيق المشترك، فتعرقلت الامدادات واختفى التخطيط، ولو توفرت هذه الأسباب لأمكن مواجهة الصليبيين وصدهم عن ديار الاسلام بسهولة ولطالت أيام السلاجقة أكثر مما رأيناه، ولكان لهم شأن أعظم وأكبر في تاريخ المسلمين.

ويُستفاد من حروب السلاجقة وأعمالهم العسكرية أن وقت الحرب عندهم كان معظم أيام السنة، فإن حل فصل الشتاء، فإنه يُسمح للعساكر أن تعود إلى أماكن إقامتها المعتادة، ثم يتأهبون للخروج مرة أخرى بعد إنتهاء فصل الشتاء ويستأنفون أعمالهم العسكرية[٩١] أما دوافعهم في الغزو والحروب فكان إما رغبة في الجهاد أو طمعاً في الغنائم، فإذا طال مقامهم دون أن يحققوا مكاسب مادية تفرقوا وعادوا إلى بلادهم[٩٢].

ونظراً لتعدد الأمراء السلاجقة في الشام والجزيرة حسب ما ورد في فصول هذا البحث، فقد تعددت تبعاً لذلك ولاءات التركمان السلاجقة وتشتت قواتهم، كقوات أمراء الموصل وقوات الأراتقة في الجزيرة وقوات طغتكين وأبنائه في الشام، ثم قوات أمراء حلب، مما قلل من فاعلية هذه القوات على الصعيد الداخلي والخارجي.

كما زاد إنقسام العائلة السلجوقية الحاكمة على نفسها واختلافهم مع الخلفاء العباسيين من تعدد ولاءات الأمراء في الشام والجزيرة مما جعلهم يقاتلون بعضهم بعضاً، وتعطل الجهاد تبعاً لذلك وكان فرصة طيبة لمصلحة الصليبيين لتمكين إماراتهم في بلاد الشام فترة طويلة من الزمن.

أما طريقتهم في القتال، فكان الأمير يقسم عساكره إلى فصائل معينة منهم الفرسان وآخرون من المشاة، وكل فئة لها دورها في القتال ومنهم النفَّاطون الذين يرمون النيران داخل الحصون، كما أن منهم النقَّابين الذين يحسنون نقب الأسوار وفتح ثغرات فيها تمهيداً للدخول(٩٣).

ويُستنتج من خلال حروبهم التي خاضوها منذ مجيئهم إلى خراسان وقتالهم للغزنويين حتى مجيئهم إلى الشام والجزيرة وحروبهم مع البيزنطيين والصليبيين وغيرهم أن السلاجقة كانوا يفضلون حرب الصحراء فكثيراً ما كانوا يستدرجون خصومهم إلى مواقع معينة بعد أن يرهقوهم من خلال الكر والفر حتى يوقعوهم في كمائن ينصبونها لهم فيقع العدو فريسة ويسهل الانقضاض عليه وإفنائه(٩٤).

وأعتقد أن طبيعة السلاجقة البدوية هي التي أكسبتهم هذه الخبرة القتالية، يُضاف إلى ذلك خفة حركتهم وسلاحهم فكانوا على استعداد دائم للكر والفر.

يقول البيهقي :

((لقد كان السلاجقة خفافاً لا تعوقهم مؤنهم عن الحركة . . . . ولا يرتبطون بهذه المؤن))(٩٥).

لهذا فإنه من الملاحظ على السلاجقة عند مجيئهم إلى الشام والجزيرة ووجدوها مليئة بالحصون والأسوار كانوا يفضلون المناوشة خارج هذه الأسوار لجر العدو بعيداً عنها بهدف التحكم في القتال وإبعادهم عن إمداداتهم، فإذا لم يخرج العدو إليهم فإنهم سرعان ما ينسحبون راجعين إلى بلادهم.

وبعد أن طال مقامهم في بلاد العرب ومرنوا على فنون القتال، وعرفوا الحصون وبناء الأسوار، اضطروا إلى تطوير وسائل الحرب واقتحام الحصون، فخصصوا جماعة لنقب الأسوار وحفر الخنادق تحتها وحرقها ثم هدمها واقتحامها بعد ذلك، وهذا ما فعله عماد الدين زنكي في فتح الرها سنة ٥٣٩ هـ(٩٦) كما اهتم زنكي أيضاً ببناء الحصون وتحصينها فبنى قلعة العمادية (نسبة إليه) في الجزيرة وحشدها بالذخائر والتموين والرجال(٩٧).

وأما سلاح السلاجقة في الحروب فكان في بداية الأمر السيوف والرماح والسِهام(٩٨).

يقول الجاحظ :

((وقناة التركي مطرد أجوف))[٩٩]، وقد اصطحبوا إلى جانب ذلك الدروع والتروس[١٠٠]، يقول البيهقي يصف طغرلبك وأصحابه عند دخولهم نيسابور سنة ٤٢٩ هـ :

((كان معه «طغرلبك» ثلاثة آلاف فارس أكثرهم مدرعون وكان له قوس بنشاب معلق في كتفه وفي وسطه ثلاثة سهام وكان مدججاً بالسلاح))[١١٠].

كما اصطحبوا معهم فيما بعد آلات الحصار مثل المجانيق والعرادات[١٠٢] ثم لبس جنودهم أثناء الحصار ملابس خاصة غير قابلة للاحتراق، أما الفرسان فكانوا يلبسون الزردية والخوذة واستعملوا السيف والدبوس[١٠٣].

* علاقات الباطنية بسلاجقة الشام والجزيرة :ـ

الباطنية (الاسماعيلية)، طائفة يعتقد أفرادها بأحقية إسماعيل بن جعفر الصادق (الامام السابع) بالنص في أعقابه من بعده[١٠٤] ومن مبادئهم تأويل الظاهر إلى الباطن، ولا يعلم هذا التأويل إلّا الأئمة ويجب الايمان بهم فإذا مات الانسان تندمج روحه في الملائكة إذا كان مؤمناً بالامام، وإذا كان خلاف ذلك دخل في النار وموالاة أعداء الأئمة أو معاداة الامام تعتبر من أكبر الكبائر[١٠٥].

وسُمّوا بالباطنية لأنهم جعلوا لكل نوع من أنواع العقاب باطناً[١٠٦]، وسُمّوا بالملاحدة لأن مذهبهم كله إلحاد[١٠٧].

والباطنية كما يشهد لهم تاريخهم جماعة دموية قامت على القتل والاغتيال للخلفاء والزعماء الذين يقع عليهم الاختيار ممن يعارضونهم أو يتتبعونهم وقد اتخذوا التقيّة مبدءاً من مبادئهم ليسهل عليهم الفتك بخصومهم[١٠٨].

وقد انتشرت هذه الجماعة بشكل واسع في أواخر القرن الخامس الهجري على يد الحسن الصباح[١٠٩] في أصفهان الذي كان يعمل لمناصرة الدعوة العلوية وتأييد نزار بن المستنصر في أحقيته بالخلافة العلوية بمصر بعد أن سلبها منه أخوه المستعلي (وكان أصغر سناً من نزار) بمساعدة وزير مصر الأفضل بن بدر الجمالي، بعد وفاة أبيهم المستنصر بالله سنة ٤٨٣ هـ في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي[١١٠] لهذا أُطلق على هذه الحركة اسم النزارية لاعتقاد جماعتها بحق نزار بن المستنصر بالله في الامامة[١١١].

وقد اتصل الحسن الصباح بالخليفة المستنصر بالله الفاطمي في مصر سنة ٤٧١ هـ واتفق معه أن يدعو للفاطمية في الولايات الاسلامية، فعاد من مصر وطاف بالشام والجزيرة إلى أن استقر به المقام في أصفهان وأسس لنفسه قلعة آلموت سنة ٤٨٣ هـ[١١٢].

ويلاحظ أن هذا الاتفاق بين الحسن الصباح والمستنصر بالله الفاطمي جاء في فترة التفوق الذي أحرزه السلاجقة في الشام والجزيرة على حساب الفاطميين، خاصة بعد مقتل البساسيري الذي تبنى العمل لصالح الفاطميين وفشلت حركته أمام المد السلجوقي المتحالف مع العباسيين، وأعتقد أن

المستنصر بالله الفاطمي فوَّض الحسن الصباح ليكون داعية الفاطميين في الشرق الاسلامي ومنحه الصلاحيات اللازمة لدعوته فعاد من مصر إلى أصفهان بعد أن اختار لنفسه مكاناً آمناً يأوي إليه هو وأنصاره.

وقد ذكر ابن الجوزي أن السلطان ملكشاه السلجوقي أرسل رسولاً إلى الحسن الصباح يدعوه إلى الطاعة، فكان جوابه أمام رسول السلطان أن أمر أحد أتباعه بقتل نفسه ففعل، ثم آخر ففعل أيضاً ثم التفت إلى رسول السلطان وقال له : ((هذا جوابي))(١١٣).

ويُستنتج من هذا العمل، التحدي الواضح للسلطان السلجوقي والاستعداد لقتال السلاجقة، كما يظهر الطاعة العمياء من أتباع الحسن الصباح واستعدادهم للتضحية من أجله، ولو أن العمر امتد طويلاً بالنسبة للسلطان ملكشاه لكان له معه شأن وشأن، ولكن المنية عاجلته قبل أن يحسم الأمر معهم، ثم اتسعت أعمال الباطنية وانتشرت بسبب ما آل إليه السلاجقة من النزاعات والتفكك بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ.

وفي رواية لبعض المؤرخين أن نزار بن المستنصر بالله هرب من مصر والتجأ إلى الحسن الصباح وأقام عنده في قلعة آلموت(١١٤) بينما يقول آخرون أن أخاه المستعلي بالله قبض عليه ووضعه في السجن إلى أن مات فيه(١١٥).

وأعتقد أن هذا القول أقرب إلى القبول، لأن بعض رواته ممن تخصصوا في تاريخ العلويين بمصر، ثم أن نزار بن المستنصر بالله العلوي، لو غادر مصر إلى أصفهان لذكر عن رحلته وإقامته في أصفهان بشكل واسع مما يتناسب مع أمر خروجه للمطالبة بأحقيته في الخلافة العلوية في مصر ومن غير المعقول أن يذهب إلى قلعة آلموت ويقيم مع الحسن الصباح وينتهي أمره عند هذا القول.

وأعتقد أن الذي أشاع بوجود نزار بن المستنصر بالله في قلعة آلموت هو الحسن الصباح نفسه حتى يجعل لعصابته أهمية أكبر وقبولاً أكثر عند الذين يميلون إلى المذهب الفاطمي فينضمون إليه ويصبح له جيش كبير يحقق أهدافه وآماله.

ويرى المؤرخون أن بعض سلاطين السلاجقة وأُمرائهم آووا هذه الفئة وتستروا عليها واستخدموا رجالها كأدوات لاغتيال وتصفية معارضيهم كمقتل نظام الملك بإيعاز من السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ ومقتل المسترشد بالله سنة ٥٢٩ هـ بإيعاز من السلطان مسعود السلجوقي ومقتل الأمير مودود بن التونتكين في دمشق سنة ٥٠٧ هـ بإيعاز من الأتابك طغتكين وغيرهم(١١٦).

وأعتقد أن كثيراً من الاغتيالات والتصفيات التي نُسبت إلى الباطنية غير واقعية وإنما كان الأُمراء والسلاطين يتخلصون من خصومهم بواسطة أتباعهم، ثم يلصقون التهمة بالباطنية لإبعاد التهمة عن الجناة الحقيقيين ولاشتهار الباطنية بالقتل والاغتيال في تلك الفترة فصار كل عمل من هذا القبيل يُنسب لهم.

إلّا أنه يمكن القول أن الباطنية كان لهم دور مباشر في اغتيال عدد من القادة والأُمراء السلاجقة

وغيرهم ممن كان لهم دور كبير في تتبعهم وجهاد الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة مثل أقسنقر البرسقي وبوري بن طغتكين ومودود بن التونتكين.

وقد انتشرت الباطنية في الشام في عهد الملك رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب، حيث أنه استعان بهم وتستر عليهم وشجعهم وسمح لهم بحرية العمل في حلب فاستولوا على كثير من النواحي وخافهم الناس لكثرة تعرضهم لهم بالقتل والأذى(١١٧).

وكان على رأس هؤلاء الباطنية في حلب الداعية الباطني الحكيم المنجم، الذي وجهه الحسن الصباح إلى حلب في بداية عهد رضوان السلجوقي (٤٨٨ هـ - ٥٠٧ هـ) فتودد إلى رضوان واستماله إليه حتى سمح له بنشر الدعوة الباطنية وبنى له داراً في حلب بالرغم من نصائح الأمراء التراجع عن دعم الباطنية أو السماح لهم بنشر دعوتهم لكنه رفض نصائحهم واستمر في تأييدهم(١١٨).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن جناح الدولة حسين صاحب حمص كان على رأس المحرضين ضد الباطنية، فانكشفت نواياه للباطنية فبدأ الحكيم المنجم يحرض رضوان بن تتش عليه وأقنعه بأنه يتآمر عليه للاستيلاء على حلب منه، وأنه لا بد من التخلص منه فوافقه رضوان، وأرسل له ثلاثة من الباطنية فقتلوه في حمص بينما كان يهم لدخول المسجد لأداء صلاة الجمعة في شهر رجب سنة ٤٩٦ هـ(١١٩).

ثم مات بعده بأيام قليلة داعية الباطنية في حلب الحكيم المنجم، فقام بأمر الدعوة مكانه أبوطاهر الصائغ العجمي، يساعده أبوالفتح السرميني فاستمر هؤلاء في التقرب من رضوان وطلبا منه حصناً يأوون إليه فمنحهم حصن سرمين نواحي حلب فاستقروا به(١٢٠).

ثم استطاع الباطنية أيضاً أن يحصلوا على حصن أفامية (نواحي حلب) بمساعدة رضوان وأقاموا عليه صاحبهم خلف بن ملاعب، لكن رضوان حرضهم عليه فيما بعد لشكه في إخلاصه فقاموا بقتله سنة ٤٩٨ هـ وأقام دعاتهم أبوطاهر الصائغ وأبوالفتح السرميني في الحصن(١٢١) فتوجه مصبح بن ملاعب (أخو خلف بن ملاعب) إلى الفرنج واستعان بهم لكي يساعدوه على الأخذ بثأر أخيه واستعادة أفامية من الباطنية، فقدم الفرنج معه وقبضوا على الباطنية الذين فيه بعد مقتل أبي الفتح السرميني، فافتدى أبوطاهر الصائغ وغيره من الباطنية أنفسهم بالمال من الفرنج وعادوا إلى حلب سنة ٥٠٠ هـ(١٢٢).

وقد استمر رضوان في الاعتماد على الباطنية، فقد أغلق أبواب حلب سنة ٥٠٥ هـ في وجه الحملة السلجوقية التي جاءت إلى حلب بقيادة مودود بن التونتكين لمتابعة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين، وطلب تعاون رضوان معه، إلّا أنه رفض طلبه وتعاون مع الباطنية لحفظ الأمن داخل حلب وأغراهم على تخطف عساكر مودود وإزعاجهم خارج الأسوار حتى رحلوا عنه(١٢٣).

وأرى أن رضوان اعتمد على الباطنية في حفظ الأمن داخل حلب لعدم ثقته بأهلها لأنهم كانوا يكرهونه لتعاونه مع الباطنية، وكان يخشى أن يفتحوا أبواب حلب لعساكر مودود فيدخلوا حلب،

ويبدو أنه كان يخشى منه على ملكه في حلب لسوء سمعته ولأفعاله التي ارتكبها مع المسلمين ولتعاونه مع الباطنية ولتهاونه مع الصليبيين فلم يخرج لقتالهم بالرغم من اعتداءاتهم المتكررة على نواحي حلب.

وقد ذكر ابن الفرات أن رضوان بن تتش فطن لنوايا الباطنية في أُخريات حياته وأنهم يخططون ليأخذوا حلب مع قلعتها وأعدوا العدة لتنفيذ خطتهم فأعطاهم أماناً للخروج من حلب فبدأوا بالهروب خوفاً منه[١٢٤].

والواقع أن رواية ابن الفرات لا يؤخذ بها لأنه لم يعاصر هذه الأحداث من جهة ومن جهة أُخرى فإن ألب أرسلان بن رضوان الملقب بالأخرس هو الذي تولى هذه المهمة بعدما ورث إمارة حلب كما سيأتي إن شاء الله تعالى وبعونه.

وعندما تولى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي زعامة السلاجقة سنة ٤٩٨ هـ وجه عنايته لتتبع الباطنية والقضاء عليهم في كل مكان فهاجمهم عدة مرات في نواحي أصفهان وضيَّق عليهم كثيراً واستخلص بعض قلاعهم وقتل أحد زعمائهم ويدعى أحمد بن عبدالملك بن غطاش سنة ٥٠٠ هـ واستولى على قلاعه في جبال أصفهان[١٢٥].

وبعد وفاة رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب سنة ٥٠٧ هـ وتولية ابنه ألب أرسلان (الأخرس) مكانه، راسله السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه وأوصاه بقتل الباطنية وتتبعهم وعدم التهاون في أمرهم كما فعل أبوه من قبله، فقد كتب السلطان إلى ابن رضوان يقول :

((كان والدك يخالفني في الباطنية وأنت ولدي فأُحب أن تقتلهم))[١٢٦].

أطاع ألب أرسلان صاحب حلب أوامر السلطان السلجوقي فاتفق مع أُمرائه على استئصال الباطنية والقضاء عليهم في حلب فقبض على زعمائهم ومنهم (أخوالحكيم المنجم) وأبوطاهر الصائغ فقتلهم وأمر بمطاردة من تبقى منهم في حلب فقتلوا وشردوا ولم يبق منهم أحد في حلب[١٢٧].

وقد أفلت من مذبحة حلب أحد مقدمي الباطنية يدعى إبراهيم بن إسماعيل العجمي فلجأ إلى شيزر[١٢٨] عند بني منقذ وبدأ الاتصال بالباطنية سراً في أفامية وسرمين ومعرة النعمان، واتفق معهم على الاستيلاء على شيزر من بني منقذ وحددوا لذلك يوم عيد الفصح، عندما يخرج أهل الحصن خارجه لمشاهدة عيد النصارى بالقرب منهم فاستطاعوا أن يستولوا على الحصن بهذه الطريقة سنة ٥٠٧ هـ . . . إلّا أن أصحابه عادوا إليهم ليلاً وقتلوا كل من كان في الحصن من الباطنية واستعادوه منهم[١٢٩].

وفي رواية لبعض المؤرخين أن هذه المؤامرة وقعت سنة ٥٠٢ هـ[١٣٠] إلّا أن تسلسل الأحداث السابقة تؤكد صحة الرواية الأولى وبطلان الثانية.

والذي يتضح من ذلك أن الحسن الصباح أوفد إلى الشام داعية جديداً ليخلف إبراهيم العجمي الذي مات في حصن شيزر، وهذا الداعية يدعى بهرام بن موسى الاسترابادي[١٣١] وقد

استطاع بهرام أن ينشر دعوته بين عوام الناس فتبعه خلق كثير منهم[١٣٢] ثم عادت الاسماعيلية إلى حلب في عهد إيلغازي بن أرتق (٥١١ هـ ـ ٥١٦ هـ) فجاملهم وسمح لهم بنشر دعوتهم كما كانوا أيام رضوان، وتزعمهم في حلب رجل يقال له أبو محمد[١٣٣].

وقد راسل إيلغازي بن أرتق، طغتكين أتابك دمشق وطلب منه أن يسمح للباطنية بنشر دعوتهم والاستعانة بهم عند الحاجة، فقبل رأيه وسمح لبهرام الاستراباذي بالإقامة في دمشق سنة ٥٢٠ هـ، فبدأ بنشر دعوته على نطاق واسع، يساعده في ذلك أبوعلي بن سعد المزدغاني وزير طغتكين ثم طلب بهرام من طغتكين قلعة يأوي إليها فمنحه قلعة بانياس سنة ٥٢٠ هـ فزاد أنصاره من الفلاحين وعوام الناس حيث استهوتهم أباطيله حتى كثروا في الشام وعظم خطرهم وخافهم عامة الناس[١٣٤].

وقد ظل الباطنية في عهد طغتكين يعملون بحريتهم حتى وفاته سنة ٥٢٢ هـ فتولى أمر دمشق ابنه تاج الملوك بوري وكان غير راض عن سياسة أبيه مع الباطنية لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً[١٣٥].

وانني أعتقد أن تعاون إيلغازي بن أرتق صاحب حلب (٥١١ هـ ـ ٥١٦ هـ) وطغتكين أتابك دمشق مع الباطنية مرده إلى العلاقة السيئة التي كانت بينهما وبين السلطان محمد بن ملكشاه، حيث أنهما سبق أن عصيا أوامره وتعاونا مع الفرنج ضد حملة برسق بن برسق السلجوقي التي سيَّرها السلطان إلى الشام سنة ٥٠٩ هـ لقتال الفرنج، وخابت هذه الحملة ولم تحقق أهدافها ومات قائدها حزناً على ما أصابه من هزيمة كما سبق القول عنه في الفصل الرابع[١٣٦].

ولو أن إيلغازي وطغتكين تصالحا مع السلطان بعد هذه الحملة سنة ٥١٠ هـ إلاّ أن استمرار الشك والريبة بينهم مما جعل إيلغازي وطغتكين يحتمون بالباطنية ويتعاونون معهم، وهذا يدل أيضاً على القوة الخفية المخيفة التي تمتع بها الباطنية في هذه الفترة.

تفاقم خطر الباطنية في الشام بعدما اعتدوا على أهالي وادي التيِّم نواحي دمشق سنة ٥٢٣ هـ فقتلوا مقدمهم برق بن جندل لغير ذنب، فثار هؤلاء على الباطنية وفي مقدمتهم الضحاك بن جندل ليثأروا لقتلاهم فلقيهم بهرام وجماعته فهُزموا بعد أن قُتل زعيمهم بهرام[١٣٧].

قام بأمر الباطنية مكان بهرام نائبه إسماعيل العجمي في بانياس وأناب عنه في دمشق رجلاً يُقال له أبو الوفا الكردي[١٣٨] وقد سار إسماعيل ونائبه على نفس طريقة بهرام في الغواية والضلال فكثر حولهم عوام الناس كما استمروا في الاعتداء على الأهلين، يساعدهم في ذلك أبوعلي طاهر المزدغاني وزير بوري ثم تعاون هؤلاء فيما بينهم على استدعاء الفرنج ليأخذوا دمشق، ورتبوا ذلك معهم وحددوا يوماً يأتون فيه ليفتحوا لهم أبواب دمشق وهو العاشر من رمضان سنة ٥٢٣ هـ إلاّ أن بوري كان ينتظر الفرصة المناسبة لقتلهم، وفطن لمؤامرتهم فأمر بقتلهم أينما كانوا، وقبض على وزيره المزدغاني فقتله وثار بهم أهل دمشق قتلاً ونهباً وتشريداً حتى لم يبق منهم أحد في دمشق بعد أن قُتل منهم ما يقرب من ستة آلاف شخص[١٣٩].

وأعتقد أن الباطنية اتفقوا سراً مع الفرنج ليسلموهم دمشق وغيرها من الحصون التي في أيديهم

بعدما أحسوا أن بوري بن طغتكين يخطط للقضاء عليهم، فلجأوا إلى الفرنج حتى يفسدوا عليه أمره فكان ربهم لهم بالمرصاد، ونالوا جزاءهم الذي يستحقونه.

جاء الفرنج على ميعادهم مع الباطنية وهم لا يدرون ما جرى لهم، فلم يحصل لهم ما أرادوا، فرحلوا إلى بانياس حيث راسلهم إسماعيل العجمي وسلَّمها لهم بعد أن عرف ما أصاب اخوانه في دمشق ورحل إلى بلاد الفرنج فمات عندهم سنة ٥٢٤ هـ(١٤٠).

والذي لا شك فيه أنه قد جرى على يد الباطنية في الشام ويلات وويلات بسبب الخطأ الذي ارتكبه بعض ولاتها حين سمحوا لهم بممارسة نشاطهم حتى كثر أنصارهم واستولوا على كثير من الحصون وسلموا بعضها للفرنج وكادوا يأخذون دمشق أيضاً لولا أن قيَّض الله لهم تاج الملوك بوري فكشف نواياهم وأخذ على أيديهم حتى قضى عليهم.

نظر الباطنية في خراسان إلى ما أصاب اخوانهم في الشام على يد تاج الملوك بوري فقرروا الثأر منه. وبذلوا لهذه المهمة اثنين من رجالهم الأتراك فجاءا إلى دمشق وتحايلا حتى وصلا إلى جملة الخراسانيين المرتبين لخدمة بوري، وأخذا يتحينان الفرص، حتى تمكنا من ذلك فضربه أحدهما بالسيف على رقبته وطعنه الثاني بسكين في خاصرته إلّا أنه نجا من الموت إلى حين، ثم توفى من جراحه سنة ٥٣٦ هـ. (١٤١).

أراد الباطنية أن يعوضوا عما أصابهم في الشام على يد تاج الملوك بوري فاشتروا حصن القدموس في الشام من سيف الملك بن عمرون وكان عليه من قبل بوهيمند صاحب أنطاكية فعمروه واتخذوه مقراً للاعتداء على المسلمين الذين يجاورونهم(١٤٢).

كما اشتروا قلعة الكهف من ابن عمرون أيضاً سنة ٥٢٧ هـ وهو يتبع إلى حصن القدموس(١٤٣).

وبعد سلسلة من المطاردات التي شهدها الباطنية في الشام أصبح موقفهم ضعيفاً حتى سنة ٥٥٨ هـ حين قدم أبوالحسن سنان بن سليمان بن محمد الباطني من خراسان فأقام متنكراً في حلب يدعو الناس إلى مبادىء الباطنية سراً، ثم اتجه إلى مصياف(١٤٤) وأقام فيها يوجه دعاته حتى توفى سنة ٥٨٨ هـ(١٤٥).

ومما تقدم يتبين أن الباطنية اتخذوا في ظاهرهم مبدأ نصرة آل البيت، وأخفوا في باطنهم العمل على إشاعة الشك والضلال في قلوب الناس وإثارة الفتن والقلاقل بين صفوف المسلمين والقتل العمد لأهم الشخصيات التي تقف في طريقهم بواسطة جماعة منهم يتخفون بشتى الوسائل والطرق للوصول إلى أهدافهم وقد برزت هذه الجماعة في بداية أمرها في خراسان ثم تسللوا إلى الشام وعمدوا إلى الاقامة في حصون قوية يحتمون فيها، فتبعهم عوام الناس وسفهاؤهم، وأسسوا لهم أوكاراً في هذه البلاد لكي يسهل عليهم تنفيذ مخططاتهم، وكان لهم قيادة وجيش وتحصنوا في قلاع قوية يصعب الوصول إليها، بينما تخفى رجالهم بين الناس واستطاعوا اغتيال شخصيات بارزة من الذين يعادونهم،

مما أوقع الاضطراب والشك والتوتر في صفوف الناس، وقد أعانهم على ذلك النزاعات التي استشرت بين السلاجقة فاندسوا بين صفوفهم وزادوا من الشقاق والنزاع.

وتجدر الاشارة إلى أن الوقت الذي ظهر فيه الباطنية، كان عند بروز السلاجقة كقوة كبيرة هددت كيان الفاطميين، ثم صعَّد الباطنية من نشاطهم عند مجيء الصليبيين إلى بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري، ولم تكن أيديهم تنال سوى الأشخاص الذي أظهروا شجاعة وبأساً ضد الفاطميين أو الصليبيين، بينما نجدهم يتساهلون مع الذين تهاونوا مع الصليبيين أو الفاطميين فعقدوا المعاهدات معهم، ثم خفت حدتهم كثيراً بعدما استتب الأمر للصليبيين بديار الشام وأسسوا إمارات ثابتة لهم، وهذه الأمور تؤكد أن هدف الباطنية، هو عرقلة نشاط السلاجقة وإثارة المشاكل في طريقهم حتى يعجزوا عن الوصول إلى مقر الخلافة الفاطمية ولو أدى ذلك إلى التعاون مع الصليبيين.

* نظام الاقطاع[١٤٦] عند السلاجقة :-

اعتبر السلاجقة البلاد التي تغلَّبوا عليها مُلكاً لهم، ومن حقهم أن يُقطِعُوا أجزاء منها لمن يشاؤون من أقاربهم وأمرائهم، وهذا ما فعله سلاطينهم في الولايات التابعة لهم[١٤٧].

ومن ضمن الامارات السلجوقية التي طبق عليها نظام الاقطاع، الشام والجزيرة إذ قسمت إلى إقطاعيات عسكرية يحكمها عدد من الأمراء بتفويض من السلطان السلجوقي أو من ينوب عنه في حكم هذه الاقطاعات على أن يلتزم المقطَعُون مقابل ذلك إمداد السلطان بالقوات العسكرية أو تسييرها للجهاد وقت الحاجة ودفع المال المحدد على الاقطاع إلى خزينة السلطنة السلجوقية، والالتزام بالولاء والطاعة للسلطان والخطبة له في إقطاعه[١٤٨].

ومن أمثلة ذلك إقطاع السلطان ملكشاه السلجوقي الشام إلى أخيه تتش عندما وجهه إليها سنة ٤٧٠ هـ[١٤٩] وإقطاع حلب إلى الأمير مسلم بن قريش العقيلي سنة ٤٧٢ هـ بثلاثمائة ألف دينار سنوياً[١٥٠] وإقطاع السلطان ملكشاه أيضاً جزيرة ابن عمر في الجزيرة إلى أحد أمرائه ويدعى جكرمش وإقطاع جكرمش حصن كيفا في الجزيرة إلى موسى التركماني وجعله نائباً عنه فيه[١٥١] كما أقطع السلطان ملكشاه أجزاء من الجزيرة إلى محمد بن مسلم بن قريش العقيلي وزوَّجه باخته زليخة خاتون سنة ٤٧٩ هـ[١٥٢] ثم اقطع أيضاً سالم بن مالك العقيلي قلعة جعبر بعدما أخذ منه قلعة حلب سنة ٤٧٩ هـ[١٥٣].

وأقطع السلطان محمود السلجوقي سنجار وواسط وجزيرة ابن عمر إلى البرسقي سنة ٥١٥ هـ[١٥٤] وأقطع أيضاً ميافارقين في الجزيرة إلى إيلغازي بن أرتق إضافة إلى ماردين وكانت إقطاعاً له من أيام السلطان محمد السلجوقي[١٥٥].

وتعهد عماد الدين زنكي للسلطان محمود السلجوقي سنة ٥٢٣ هـ بمائة ألف دينار سنوياً مقابل إقطاع الجزيرة له[١٥٦].

وكانت شهرزور إقطاعاً إلى سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي[١٥٧] وحمص إقطاعاً إلى جناح الدولة حسين أتابك الأمير رضوان بن تتش السلجوقي[١٥٨].

وهناك الكثير من الاقطاعات الصغيرة التي وزعت على القادة والأمراء، والتي ورد ذكرها في هذا البحث في مناطق متفرقة في الشام والجزيرة.

وقد ذكر المؤرخون أن الذي أشار بهذا النظام على السلطان ملكشاه وسار عليه سلاطين السلاجقة بعد ذلك هو وزيره نظام الملك عندما اتسعت أملاك السلاجقة بقصد توزيع الأراضي على الجند لاستغلالها بدلاً من أعطياتهم ومرتباتهم لتخفيف العبء على ميزانية السلاجقة مع الابقاء على ملكية الأرض لأصحابها الأصليين ويقصد نظام الملك أيضاً زيادة الدخل إلى الخزينة السلطانية وإنعاش اقتصادها والعمل على استقرار التركمان في البلاد المفتوحة وإنعاش الزراعة[١٥٩].

يقول أبو الفتح البنداري الأصفهاني :

((وكانت العادة جارية بجباية الأموال من البلاد وصرفها إلى الأجناد ولم يكن لأحد من قبل إقطاع، فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها، ففرقها على الأجناد أقطاعاً وجعلها لهم حاصلاً وارتفاعاً، فتوفرت دواعيهم على عمارتها وعادت في أقصر مدة إلى أحسن حالة من حليتها))[١٦٠].

وأعتقد أن نظام الملك كان يقصد من هذا النظام بالاضافة إلى ما تقدم بيانه، أن يرسخ الوجود السلجوقي في هذه البلاد بصورة دائمة لأن ارتباط السكان بالأرض هو الذي يضمن استمرار الحياة للشعوب، ولا حياة لشعب لا يعرف قيمة الأرض والوطن خاصة أن التركمان غرباء عن هذه البلاد وهم جماعة عُرفوا بالتجوال وعدم الاستقرار، لهذا يمكن القول أن عبقرية نظام الملك وإخلاصه للسلاجقة هي التي جعلته يدبر هذا الأمر لربط السلاجقة بالأرض حتى يجعل سلطانهم وحكمهم يدوم سنين طويلة في البلاد التي يديرونها.

غير أن نظام الملك ما كان يدري ما تخفيه الأيام من أن هذا النظام سيكون عبئاً ثقيلاً وخطراً بالغاً على الادارة السلجوقية، بمرور الأيام وسيكون السبب الذي سيعجل بنهاية السلاجقة، فقد زاد البلاد سوءاً وألحق المقطَوُن أضراراً كبيرة بأصحاب الأراضي بسبب استغلالهم ومعاملتهم بالقسوة فاستشرى الظلم وعم الفساد وأُهملت الأرض إلى درجة كبيرة ثم تحولت الأراضي الزراعية إلى خراب بعد عمار، كما يقول المؤرخون[١٦١].

والذي يتضح من خلال هذا البحث أن هؤلاء المقطَعُون لكثرتهم أصبح من الصعب على الادارة السلجوقية التحكم فيهم فتعددت إنتماءاتهم وولاءاتهم وطمع كل واحد منهم بإقطاعات غيره فظهرت الأحلاف الداخلية والصراعات الجانبية والأسر الحاكمة، وساعدت هذه الأمور التمرد على السلطة المركزية بل ومحاربتها إذا لزم الأمر وتضاربت الأهواء والمصالح، فانشغل الأمراء والسلاطين ببعضهم وأصبح بأسهم بينهم شديد، واستغل الصليبيون هذه العداوات لأنفسهم، وانكمشت السلطة السلجوقية في نهاية الأمر على الصورة التي رأيناها في فصول هذا البحث.

وقد فطن عماد الدين زنكي عندما جاء إلى الجزيرة إلى أضرار هذا النظام الخاطىء، فنهى عن إمتلاك الأراضي واقتطاعها، وأمر بأن تُترك بيد أصحابها، فازدهرت البلاد في عهده وعمرت[١٦٢]، يقول زنكي لأصحابه :

((مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم في الاملاك . . . ومتى صارت الاملاك لأصحاب السلطان، ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوا أملاكهم))[١٦٣].

وكان لا بد على زنكي بعد أن ألغى نظام الاقطاع أن يخصص رواتب معينة للجند، فحددها، بحيث تدفع لهم كل ثلاثة أشهر مرة واحدة، وكان حريصاً كل الحرص ألّا تتأخر هذه المرتبات، وجعل لها ديواناً خاصاً يشرف على متطلبات الجنود، كما حرص على نسائهم أثناء غيابهم في الحروب وهدد من يتعرض لهن بشيء من الأذى والمكروه[١٦٤].

وأعتقد أن زنكي عرف الأضرار البالغة من كثرة الاقطاعات في إمارته وخطورتها على وحدة البلاد السياسية وعجزها عن التصدي للحملات الصليبية فشن على المقطعين حملة واسعة النطاق فقضى على أكثرهم ووحد الجزيرة وأجزاء واسعة من الشام تحت قيادته، وهذا ما جعله ينجح في مطاردة الصليبيين وتصفية معظم حصونهم ومعاقلهم حسب ما تقدم تفصيله باستفاضة في الفصل السادس من هذا البحث.

* أثرهم الثقافي والاجتماعي في الشام والجزيرة :-

* الناحيـــــة العلميـــــة :-

أبدى الوزير السلجوقي نظام الملك اهتماماً كبيراً بالعلم فأنشأ عدة مدارس عُرفت باسم (المدارس النظامية) في بغداد وخراسان وفارس وغيرها من البلاد الاسلامية، كي تكون هذه المدارس منبراً دينياً لنشر المذهب السني ومقاومة التشيُّع[١٦٥] غير أن النشاط العلمي لم يظهر في الشام والجزيرة بشكل واسع وظاهر إبان عهد السلاجقة لأنهم كما يقول المؤرخون غرباء عن هذه البلاد، يُضاف لذلك أن عهدهم كان عهد قلاقل وحروب بين بعضهم البعض من ناحية، وبينهم وبين الصليبيين من ناحية ثانية، فلم يحصل لهم الاستقرار اللازم كي تتاح لهم الفرصة للبناء الداخلي في الجوانب الحضارية[١٦٦].

ويُضاف إلى هذه الأسباب، أن السلاجقة بدو متنقلون لم يألفوا حياة الاستقرار والتمدن، وقد وصف الجاحظ حياة الترك (وهم الأصل الذي منه السلاجقة) فقال :

((وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم أعراب العجم كما أن هذيلا أكراد العرب فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ولا غرس ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ولم يكن همهم غير الغزو والغارات والصيد وركوب الخيل ومقارعة الأبطال وطلب الغنائم وتدويخ البلدان))[١٦٧].

وفي رواية لأحد المؤرخين[١٦٨] أن نظام الملك افتتح أول مدرسة نظامية في دمشق سنة ٤٥٨ هـ.

وانني أعتقد أنه يقصد بذلك المدرسة النظامية في بغداد، التي ذكر المؤرخون أنه بدأ في بنائها سنة ٤٥٧ هـ وافتُتحت سنة ٤٥٩ هـ[١٦٩].

ومما تجدر الاشارة إليه أن دمشق كانت في هذا التاريخ لا تزال بيد الفاطميين ولم يصل السلاجقة إليها بعد فتكون المدرسة المشار إليها هي المدرسة النظامية في بغداد.

وعندما جاء الزنكيون إلى الشام والجزيرة اهتموا ببناء المدارس والمساجد ودور الحديث الملحقة بها في كل من الموصل وحلب ودمشق[١٧٠] فنشطت الحركة العلمية كثيراً، ومن أشهر هذه المدارس الكمالية القضوية في الموصل التي أشرف على بنائها أبوالفضل محمد بن أبي محمد عبدالله بن القاسم الشهرزوري الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي (٤٩٢ هـ ـ ٥٧٢ هـ)[١٧١].

كما اتخذ علماء الموصل مسجد العماد بن الجلادين لالقاء دروسهم الدينية، وكان يضم خزانة كبيرة مليئة بالكتب الخاصة لطلاب العلم[١٧٢].

ثم اهتم نور الدين بن زنكي ببناء المدارس والمساجد في حلب ودمشق والموصل وعين لها العلماء للتدريس مثل مدرسة الحلاوين في حلب التي أشرف على التدريس فيها برهان الدين أباالحسن علي بن الحسن البلخي الحنفي[١٧٣] والمدرسة العصرونية والزجاجية في حلب اللتان أسسهما نور الدين سنة ٥٥٠ هـ[١٧٤]، ثم المدرسة العمادية في دمشق التي بناها نور الدين ودرس فيها أبوالبركات الخضر بن شبل بن عبدالحارث الدمشقي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ[١٧٥].

* الآثار الاجتماعية لسلاجقة الشام والجزيرة :ـ

لقد تبين من دراسة موضوع السلاجقة أنهم قوم غلب عليهم طابع البداوة فاشتغلوا في مبتدأ ظهورهم بالنهب والسلب والتخريب خلال تنقلهم من مكان لآخر، وأثناء صراعهم مع الغزنويين، وتنقلهم في نواحي خراسان وفارس والشام والجزيرة، عن طريق أفواج وجماعات قبل أن تنضبط أمورهم على يد سلطانهم الأول طغرلبك السلجوقي، الذي بدأ يحد من أعمالهم التخريبية بعد أن سنحت لهم الظروف بالوصول إلى مدن العراق والشام والجزيرة وغيرها من المدن والقرى، ثم بدأوا بعد ذلك ينظمون أنفسهم ضمن إمارات تتبع السلطان السلجوقي الذي اتخذ من الريّ ثم أصفهان عاصمة له[١٧٦].

وقد تبين أن أهل البلاد في الشام والجزيرة لم يتقبلوا الهجرة السلجوقية إليهم بسهولة ويسر، خاصة أن هذه الهجرات لم تكن مسالمة في قدومها، بل صاحبتها أعمال عسكرية تريد أن تحكم، فاستمرت أعمال العنف بين الطرفين طيلة عهدهم الأول حتى نهاية عهد السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ.

ثم توقفت مقاومة القبائل العربية للسلاجقة بعد القضاء على زعمائهم من العقيليين والكلابيين وبسبب قدوم الصليبيين في أواخر القرن الخامس الهجري إلى الشام والجزيرة، حيث توحدت الجهود

تحت قيادة السلاجقة لمواجهة الزحف الصليبي الذي بات يهدد الجميع بالفناء التام.

ولكنها برزت مشاكل جديدة على المنطقة انعكست آثارها على المجتمع السكاني في البلاد، ألا وهي المنازعات الدائمة بين أمراء السلاجقة، بسبب نظام الاقطاع الذي سبق الحديث عنه، فبدأت الواردات الزراعية تقل، حتى أضحت الشام والجزيرة أقل البلاد إنتاجاً للزراعة بعد أن كانت أكثرها إنتاجاً(١٧٧).

ثم زاد الخراب والفوضى بسبب العزل المتواصل للأمراء والحروب التي شنها هؤلاء على بعضهم البعض كما هو الحال بين دقاق وأخيه رضوان ابنا تتش السلجوقي والحملات المتواصلة بين الزنكيين والبوريين للاستيلاء على دمشق والنزاع بين جكرمش وجاولي سقاوو في الجزيرة وقد سبق الحديث عن هذه النزاعات باستفاضة في فصول هذا البحث.

كما تدهورت الأوضاع الاقتصادية في حلب ونواحيها طيلة عهد رضوان بن تتش السلجوقي لكثرة اعتداءات الفرنج واستيلائهم على معظم الأراضي الزراعية التي انعدمت الأقوات فيها وهرب الفلاحون عن أراضيهم(١٧٨).

يُضاف لذلك الموقف السلبي من رضوان السلجوقي من الحملات الاسلامية لمجاهدة الصليبيين ومهادنته لهم وإرهاقه الناس بجمع الضرائب ودفعها للصليبيين لارضائهم حتى يكفوا عن إمارته متناسياً ما يلحقونه من أضرار على سائر النواحي الأخرى(١٧٩).

ثم جاء بعده لؤلؤ الخادم فصادر أموال الناس وزادت الأوضاع سوءاً(١٨٠) وتلاه سلطان شاه بن رضوان السلجوقي فعمد إلى بيع القرى والأملاك إلى الصليبيين(١٨١) واستمرت اعتداءات الفرنج طيلة عهد إيلغازي بن أرتق وأبنائه على حلب (٥١١ هـ - ٥١٨ هـ) ثم جاء البرسقي فضم حلب إلى الموصل وحاول تحسين أوضاع المزارعين(١٨٢)، غير أن يد الغدر لم تمهله حتى يكمل مشروعاته فقتل بيد الباطنية سنة ٥٢٠ هـ كما تقدم.

وأما الناحية التجارية، فقد تعرضت إلى الكساد بسبب عدم الاستقرار وسوء الأحوال المعيشية، بعد أن كانت الموصل وحلب المراكز الرئيسية لتجارة الشرق ومنهما تمر جميع القوافل التجارية ما بين بلاد الروم والعراق(١٨٣).

لهذا يمكن القول أن قدوم السلاجقة إلى الشام والجزيرةكان له نتائج سلبية على السكان الأصليين من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بسبب سوء تصرفهم في قيادة المنطقة، ويعود ذلك كما تبين من مجريات الأحداث إلى عدم درايتهم ومعرفتهم بأصول السياسة وإهمالهم لمصالح الأمة وتغليب المصالح الفردية على المصالح العامة، ناهيك عن أنهم كانوا من ضمن الأسباب التي عجلت بمجيء الصليبيين إلى المنطقة فعجزوا عن ردهم ووقف أطماعهم.

* المرأة في المجتمع السلجوقي :-

كان للمرأة السلجوقية مركز مرموق ونشاط ملحوظ في شؤون الحكم والسياسة والحرب فقد اتخذها السلاطين عاملاً من عوامل التقارب مع الخلفاء العباسيين فزوجوهم من بناتهم، وهذا

ما حصل بين السلطان طغرلبك السلجوقي مع الخليفة القائم بأمر الله عندما زوَّجه ابنة أخيه جغري بيك داود سنة ٤٤٨ هـ[١٨٤] ثم تلا ذلك فتزوج طغرلبك من ابنة الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٥٤ هـ[١٨٥] كما تزوج الخليفة المقتدي بأمر الله من تركان خاتون ابنة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٠ هـ[١٨٦]، ثم تزوج المقتفي لأمر الله من فاطمة خاتون ابنة السلطان مسعود سنة ٥٣٤ هـ[١٨٧] وتزوج السلطان مسعود من ابنة الخليفة المقتفي في نفس السنة[١٨٨].

وقد سار على نفس هذه السياسة أُمراء السلاجقة في الشام والجزيرة فتزوج عماد الدين زنكي من زمرد خاتون والدة شهاب الدين محمود صاحب دمشق سنة ٥٣٢ هـ طمعاً في ملك دمشق بواسطتها[١٨٩] كما تزوج نور الدين ـ عندما تولى إمرة حلب سنة ٥٤١ هـ ـ من ابنة معين الدين أنز وزير مجير الدين آبق صاحب دمشق طمعاً في ملكها بواسطتها[١٩٠].

كما جرت العادة عند زعماء السلاجقة أن يزوجوا أُمهات أبنائهم إلى قادة عندهم يثقون فيهم ليشرفوا على تربيتهم ويحفظوا لهم حكم إمارات يمنحونها لهم، كما فعل تتش السلجوقي صاحب دمشق حين زوج أم ابنه رضوان إلى الأتابك جناح الدولة حسين، ثم زوج أم ولده الثاني دقاق إلى الأتابك طغتكين وقد ورد تفصيل ذلك في الفصلين الرابع والخامس من هذا البحث.

كما قادت المرأة السلجوقية الحروب وشاركت السلاطين فيها، فقد خرجت زوجة السلطان طغرلبك من بغداد سنة ٤٥١ هـ بقوات إضافية لمساعدة السلطان في القضاء على أخيه إبراهيم ينال بعدما عصاه وتمرد عليه في همذان[١٩١].

كما أنفذ السلطان ألب أرسلان زوجته السفرية ووزيره نظام الملك سنة ٤٦٣ هـ إلى أصفهان ليجمعوا مزيداً من الامدادات لمحاربة أرمانوس ملك الروم[١٩٢].

وقامت صفية خاتون عمة السلطان ملكشاه السلجوقي زوجة الأمير مسلم بن قريش العقيلي بالخروج للمطالبة بأحقية ابنها علي بن مسلم في إمارة الجزيرة بعد مقتل زوجها مسلم بن قريش وتزوجت من أخيه إبراهيم بن قريش واتفقت معه على المحافظة على الجزيرة لابنها سنة ٤٨٥ هـ[١٩٣].

كما خرجت تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه تطلب السلطنة لابنها محمود بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ ونالت الاعتراف له من الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله[١٩٤].

ويُستنتج مما تقدم أن المرأة السلجوقية خاضت غمار الحروب والسياسة في المجتمع السلجوقي واتخذها السلاطين والأمراء وسيلة لتحقيق التقارب ودوام المودة ووقف النزاع المسلح بين المتحاربين.

والله الموفق ؟

هوامش الفصل السابع

(١) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٦ ـ ١٧.

(٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٣ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢.

(٣) أحمد عطية الله : القاموس الاسلامي م٣/٤١٠. أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٧٠.

(٤) سبق تعريفها ص١٦٨ هامش رقم (٤٥).

(٥) ابوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٦٩ ـ ١٧١. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٠٧. ابن الأثير : الكامل جـ٩/٦١٧.

(٦) ذيل دمشق/٨٦.

(٧) تاريخ دولة آل سلجوق/١٣ أنظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢ وابن العماد : شذرات الذهب جـ٣/٢٧٧.

(٨) الراوندي : راحة الصدور/١٧٦. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٨١. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٨٦.

(٩) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٢ ـ ٢٣.

(١٠) المصدر نفسه/٢٢/٢٣.

(١١) ابن الأثير الكامل جـ١٠/٢٠ ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٦. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٥. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٦٧ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٧٠

(١٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٧. الراوندي : راحة الصدور/١٧٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٠٢.

(١٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٤ ـ ١٨٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٨٣ الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر/ـ٣/٢٣٤.

(١٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٦٦. الراوندي : راحة الصدور/١٧٦. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٨٦.

(١٥) الباهر/٥١

(١٦) سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان/١٠٢ ـ ١٠٤، ١٣٢-١٤٢.

(١٧) ابن شدّاد : الاعلاق الخطيرة جـ٣ ق٢/٥٩٤. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٨٥. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٨٣. ابن النظام الحسيني : العراضة/٤٥.

(١٨) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٣٠. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٣١. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٣٦. اليافعي : مرآة الجنان جـ٣/٧٧ج

(١٩) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٧١.

(٢٠) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٧٠. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٧٣.

(٢١) الراوندي : راحة الصدور/١٩٤ ـ ١٩٥. أبوالفداء : المختصر جـ٢/١٨٩. ابن النظام الحسيني : العراضة/٥٥. ابن العماد : شذرات الذهب جـ٣/٣٧٦. نتنج . العرب/٢٣٠.

(٢٢) أخبار الدولة السلجوقية/٥٥.

(٢٣) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٥٤. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/٢٩١. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/١١٠.

(٢٤) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٥٩.

(٢٥) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٢. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٢٠، ١٦٠. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥/٢٨٣ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٢٢ - ١٢٣. أرمينوس فامبري : تاريخ بخارى/١٣٨.

(٢٦) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٧٨.

(٢٧) ابن الأثير : الباهر/٥.

(٢٨) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٧٥. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٥.

(٢٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ - ١٦٥.

(٣٠) تاريخ دولة آل سلجوق/٧١.

(٣١) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٧٨. عاشور الحركة الصليبية جـ ١/١٠٧.

(٣٢) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٧١. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥/٢٨٣. ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية/٢١٦. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٨. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٧٦.

(٣٣) ابن الأثير . الكامل جـ ١٠/٢١٠. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٤. أبوالفداء . المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٣

(٣٤) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٧٤. ابن النظام الحسيني · العراضة/٦٨. الحافظ الذهبي . العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٠٩. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٥.

(٣٥) ابن الأثير . جـ ١٠/١٩٩ - ٢٠٠. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٧. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢/٧.

(٣٦) أنظر الصفحات ٩٨ - ٩٩ وما بعدها في الفصل الرابع.

(٣٧) العراضة في الحكاية السلجوقية/٧٢.

(٣٨) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨١. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٨. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٣١٦.

(٣٩) الراوندي : راحة الصدور/٢١٧ - ٢١٩. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٤. ابن النظام الحسيني . العراضة/٧٢ - ٧٤

(٤٠) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٧٤ - ٧٥. ابن الأثير : الكامل جـ ٨/١٧٠.

(٤١) لقد تقدم في الفصل الرابع ص٩٨ - ١٠٧.

(٤٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨٣. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١١١ - ١١٧. أبو المحاسن · النجوم الزاهرة جـ ٥/١٣٩.

(٤٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢١٩ - ٢٢٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٣.

(٤٤) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٤٣. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١/٢٩٥. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٥.

(٤٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٧ - ١٤٧. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٧٦ - ٧٩. ابن النظام الحسيني · العراضة/٧٩ - ٨٢.

(٤٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٨/١٩٣. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/٩٣.

(٤٧) الأصفهاني : المنتظم جـ ٩/١٠٩، ١٢٣، ١٣٠ - ١٣٣. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٧٦ - ٧٩. ابن الأثير الكامل جـ ١٠/١٤١، ٢٦٥، ٢٨٧، ٣٠٥، ٣٥٩، ٣٢٩. ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية/٧٩ - ٨٢.

(٤٨) لقد تقدم ذلك بالتفصيل في الفصل الرابع صفحة ١٠٧ وما بعدها

(٤٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٧. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨٨. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٧ السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٨٢.

(٥٠) ابن الأثير : جـ ٤٨٣/١٠ .

(٥١) أنظر الحملات السلجوقية في الفصل الرابع.

(٥٢) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٨٢. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٢٠٠/٣ .

(٥٣) الراوندي : راحة الصدور/٣٠١. ابن الأثير : الباهر/٢٠ - ٢١. ابن شدّاد : الاعلاق الخطيرة جـ ٣ ٧١٥/٢.

(٥٤) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ١٩٧/٩. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٨٢/١٢.

(٥٥) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٢٠٥/٩، ٢١٦. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤٢٧/٢. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/٨٤ - ٨٦.

(٥٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٥٦٢/١٠. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢٣٢/٢. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٨٥/١٢ .

(٥٧) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٢٥. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢٢١/٥. الجنزوري : إمارة الرها الصليبية/١٩٢ .

(٥٨) ابن الأثير : الباهر/٢٨ - ٢٩. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/١٢٢ .

(٥٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١٥. ابن الأثير : الكامل جـ ٦٣٥/١٠. أحمد كمال حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/١٦٠ .

(٦٠) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٣. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٨٨.

(٦١) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٢٠/١٠ - ٣٥، ٥٣. ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية/١١٥. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٦٦/٤. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٧٧/٤، ٨٧.

(٦٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٤٨ - ٢٤٩. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٦٤ - ١٦٥. ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية/٢٢٠. أبوالفداء : المختصر جـ ٩/٣.

(٦٣) مَرَاغَةُ : من قواعد أذربيجان غربي تبريز أبوالفداء : تقويم البلدان/٣٩٩.

(٦٤) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٤٣/١٠. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٤. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٠٠ - ١٠١. السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٨٨ - ٦٨٩.

(٦٥) الباهر/٥٠.

(٦٦) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٦٥. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٤٣/١٠.

(٦٧) تاريخ دولة آل سلجوق/١٦٥.

(٦٨) السيوطي : تاريخ الخلفاء/٦٨٨ - ٦٨٩. جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية/٢١٥.

(٦٩) تاريخ مختصر الدول/٢٠٤.

(٧٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٥١. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٦٦. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر/جـ ١٠. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٧٨/٤. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٠٢.

(٧١) ابن الأثير : الكامل جـ ٦٠/١١. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢١٢/١٢.

(٧٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٢٤٧. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٤٣/١٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢٥٩/٢.

(٧٣) تقدم تعريف الشِحّنة ص١٦٨ هامش رقم (٤٥).

(٧٤) أنظر التعريف ص٢٠١ هامش رقم (١٣).

(٧٥) سبق تفصيل هذه الأحداث في الفصل الرابع.

(٧٦) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٥/١٠. ابن الأثير : الباهر/٣٢ - ٣٤. أبوشامة : الروضتين جـ ١ ق/٧٥.

(٧٧) لقد تقدم تفصيل ما قام به هؤلاء النواب ضمن الحديث عن أتابكة عماد الدين زنكي في الجزيرة والشام في الفصل السادس.

(٧٨) أنظر الملحق رقم ٢.

(٧٩) الكامل جـ ١٠/٦٣٤.

(٨٠) ذيل تاريخ دمشق/١٦٣.

(٨١) ابن الأثير : الكامل جـ ١١/٦٨. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٣/٢، ٩. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٣٣.

(٨٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٠٧.

(٨٣) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٤٢. والباهر/٢٢ ـ ٢٤، ٣٥. العيني : عقد الجمان مجلد ٢١/٤.

(٨٤) أنظر ص ١٩٠ وما بعدها في الفصل السادس.

(٨٥) صبح الأعشى جـ ٧/١٩٠.

(٨٦) نظام الملك : سياستنامة/١٣٦. عبدالنعيم : سلاجقة إيران والعراق/١٩.

(٨٧) سميل : الحروب الصليبية/٧٠ ـ ٧١، ٧٤.

(٨٨) رسائل الجاحظ جـ ١/٤٦.

(٨٩) فروجه : ما بين قوائم الفرس، كناية عن شدة العدو. ابن منظور : لسان العرب، مادة فَرَجَ جـ ٣/١٦٥.

(٩٠) رسائل الجاحظ جـ ١/٤٤.

(٩١) تامارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم/٩٧. سميل : الحروب الصليبية/٧٣ ـ ٧٤.

(٩٢) البيهقي : تاريخ البيهقي/٣٤. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٤٣٥.

(٩٣) سميل : الحروب الصليبية/٧٧.

(٩٤) أنظر معركة سرخس صفحة ٢٠ ـ ٢١ ومعركة داندانقان صفحة ٢١ ـ ٢٢ ومعركة ملازكرد صفحة ٥١ ـ ٥٤.

(٩٥) تاريخ البيهقي/٣٥. ثم أنظر رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك، رسائل الجاحظ جـ ٢/٤٢.

(٩٦) أنظر فتح الرها في الفصل السادس صفحة ١٨٨.

(٩٧) أنظر بناء قلعة العمادية في الفصل السادس صفحة ١٨٨.

(٩٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٠٣. ابن الأثير : الكامل جـ ٨/١١٢.

(٩٩) رسائل الجاحظ جـ ١/٥٢. مطرد : الرمح القصير

(١٠٠) نظام الملك ؛ سياستنامه/١٢٧.

(١٠١) تاريخ البيهقي/٦٠٣.

(١٠٢) الراوندي : راحة الصدور/٢٠١. العرَّادات : مفردها العرَّادَةُ، وهي شبه المنجنيق، من عرَّد الحجر يعرده عرداً أي رماه رمياً بعيداً.

(١٠٣) ابن منقذ : الاعتبار/٩٨. الديوه جي : الموصل في العهد الأتابكي/٧٢.

(١٠٤) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١/٢٣٣ ـ ٢٣٤. أبو الفرج بن الجوزي : تلبيس ابليس/١٠٣ ـ ١٠٦.

(١٠٥) القلقشندي : صبح الأعشى جـ ١٣ /٢٤٣ ـ ٢٤٥. محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية/١٤٩، ١٧٢.

(١٠٦) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١/٢٣٣ ـ ٢٣٤. ابن الجوزي : تلبيس ابليس/١٠٢.

(١٠٧) الحمادي : كشف أسرار الباطنية/٥٨. كرد علي : خطط الشام جـ ٢/٣.

(١٠٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٩، ١٨٩، ٢٢١ ـ ٢٢٤. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٢٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٦٨. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٧٨.

(١٠٩) الحسن الصباح : هو الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن الصباح الحميري، ولد في مدينة الري سنة ٤٤٤ هـ وتلقى العلم في نيسابور ومات في ربيع الثاني سنة ٥١٨ هـ.
الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٤٢.

(١١٠) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٣١٣. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٧٨. محمد السعيد جمال الدين : دولة الاسماعيلية في أيران/٨٨.

(١١١) طه شرف : دولة النزارية/٥٠. عبدالله عنان : تراجم إسلامية/٤٥.

(١١٢) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/١٢٠. ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية/٢١٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٠. بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٨١.
قلعة آلموت : قلعة حصينة بين قزوين وبحر الخزر على قمة جبل عال، وكان حولها وهاد لا يمكن نصب المنجانيق عليها اتخذها الاسماعيلية مقراً لهم. آثار البلاد وأخبار العباد/٣٠١ ـ ٣٠٢.

(١١٣) المنتظم جـ ٩/١٢١.

(١١٤) الفارقي : تاريخ الفارقي/٢٧٦.

(١٥) النويري : نهاية الأرب جـ ٢٦/١٠٤ مخطوط ابن كثير : البداية والنهاية/١٤٨. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٤٥.

(١١٦) لقد سبق التفصيل لهذه الأحداث في الصفحات ٢٢٢ ـ ٢٢٣، ثم أُنظر الملحق رقم ٢.

(١١٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٩، ١٨٩ ـ ١٩٠. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٩٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٧٧. كرد علي : خطط الشام جـ ١/٢٨٧.

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٢٥. العيني . عقد الجمان جـ ٢٠/٦٧٧. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٨٨.

(١١٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٢. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨/٣. أبوالفداء : المختصر جـ ٣/١٢١.

(١٢٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٤٥ ـ ١٤٧. عمر أبوالنصر : قلعة آلموت/١٥٧. مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية/٤٠٠.

(١٢١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٤٩. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ١/٣٩٥.

(١٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب/٢/١٥١. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ ٢/٢٠.

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٥٩. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٥. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٩٩ ـ ٢٠٥.

(١٢٤) تاريخ ابن الفرات جـ ١/٧١.

(١٢٥) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٨٨ ـ ٨٩. الراوندي : راحة الصدور/٢٤٠ ـ ٢٤٦. ابن النظام الحسيني : العراضة/٨٩. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣ ـ ٣٥٤. أحمد حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/١٨١ ـ ١٨٢. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة أيران والعراق/٩٧.

(١٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/١٦٨.

(١٢٧) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق/١٨٩. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٤٩٩. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨/٤٦ ـ ٤٧. العيني : عقد الجمان جـ ٢٠/٦٧٧ ـ ٦٧٨.

(١٢٨) شَيْزَر : تقدم تعريفها ص ٩٢ هامش رقم (١٠٨).

(١٢٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٩٠. ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ حلب/٣٥. طه شرف : دولة النزارية/٢٠٠.

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٧٢. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٢٤. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤ ـ ٤.

(١٣١) بهرام الاسترابانى : ولد في سمرقند سنة ٤٥٩ هـ وكان أبوه من كبار الاسماعيلية، انخرط بهرام في صفوف دعاة الباطنية وسافر إلى مصر سنة ٤٨٥ هـ ثم عاد إلى آلموت وأقام مع الحسن الصباح حتى أرسله إلى الشام ليخلف إبراهيم العجمي في الدعوة الباطنية. مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية/١٧١.

(١٣٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٣٢. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٢٠٦. ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٤/٦٥.

(١٣٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ٢/٣٩ ـ ٤٠.

(١٣٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١٥ ـ ٢٢٢. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٣٦. العيني : عقد الجمان جـ ٢٠/٨٥٨ ـ مخطوط ـ. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/٩١. السيد العزاوي : فرقة النزارية/٨٦.

(١٣٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢١٥ ـ ٢٢٢. ابن الأثير : جـ ١٠ ـ ٦٥٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٥٢ ـ ٥٣.

(١٣٦) أُنظر الصفحات ١٢٥ وما بعدها.

(١٣٧) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٣/٢. النويري : نهاية الإرب جـ ٥/١٥ ـ مخطوط ـ. ابن قاضي شبهة : الكواكب الدرية/٩٤ ـ ٩٥ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٤/٦٥.

(١٣٨) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر+جـ ٣/٢. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٤/٦٦. كرد علي : خطط الشام جـ ٢/٤.

(١٣٩) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٦٥٦. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٥٢ ـ ٥٣. ابن كثير. البداية والنهاية جـ ١٢/٢٠٠.

(١٤٠) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/٩٥. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٤/٥٢ ـ ٥٣. ابن خلدون : العبر م ٥/٣٢٩.

(١٤١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨/١٣٦. ابن قاضي شهبة : الدر الثمين/٨٣. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/٢٤٩. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٤/٧٨.

(١٤٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١١/٥ ـ ٨. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٣/٨. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/٢٠٤.

(١٤٣) القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤/١٤٦. السيد عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام/٣١٦.

(١٤٤) مِصْيَاف : في معجم البلدان مصياب. وهي مدينةوقلعة شمال بارين وغرب حماة على ساحل بحر الشام قرب طرابلس. ياقوت : معجم البلدان جـ ٥/١٤٤. أبوالفداء : تقويم البلدان/٢٢٩.

(١٤٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨/٤٦٩. ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ١/١٠٦. مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية/١٩٦، ٢٩٨. ميشيل لباد : الاسماعيليون ودولة الاسماعيلية/٩٦، ٦٤.

(١٤٦) الإقطاع : يُقال أقطعني أياها، أي أذن لي في اقتطاعها. واستقطعه إياها سأله أن يقطعه إياها يتملكها ويستبد بها. وأقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج. والاقطاع يكون تمليكاً كإقطاع الموات، وغير تمليك، بالانتفاع منها فقط وتكون عارية : كإقطاع الرسول ﷺ دور المدينة إلى المهاجرين عندما هاجروا إلى مكة. مادة قطع. ابن منظور : لسان العرب جـ ١٠/١٤٩ وما بعدها.

(١٤٧) نظام الملك : سياستنامه/٣٤. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٦٠ ـ ١٦١.

(١٤٨) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٥٥. الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٦٨. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢/٥٣. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٩١. سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب/٣٧١. طرخان : النظام الاقطاعية في الشرق الأوسط/٢٢. العبادي : قيام دولة المماليك في مصر والشام/٧٦.

(١٤٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٩٧ ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٤١ ـ ٢٤٢، ٢٥٨. الحافظ الذهبي : العبر في خير من غير جـ ٣/٤٧٤.

(١٥٠) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٨/٣٢٣. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٤/٥٧١ ـ ٥٧٢.

(١٥١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٤١ ـ ٢٤٢، ٢٥٨.

(١٥٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/١٥٥. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢/١٣٠.

(١٥٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١٠١/٢. ابن شدّاد : الاعلاق الخطيرة جـ ٣ ق ٦٣٢/٢. أبوالفداء : المختصر جـ ١٩٧/٢.

(١٥٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦٠٤/١٠. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٩٠/١٢.

(١٥٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٢. عماد الدين خليل : الامارات الأرتقية/١٠٠.

(١٥٦) العظيمي : تاريخ العظيمي/٤٠١. ابن الأثير : الكامل جـ ٦٥٤/١٠. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٥٤٣/٢.

(١٥٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣/٤. ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١٠٧/١.

(١٥٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٣. ابن الأثير : الكامل جـ ٢٦٩/١٠.

(١٥٩) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٥٥ ـ ٥٦. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي/٢٠٥ ـ ٢٠٦، ٢١٠.

(١٦٠) تاريخ دولة آل سلجوق/٦٠.

(١٦١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٤، ٢١٢، ابن الأثير : الباهر/٧٨. المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل/١٧١.

(١٦٢) ابن الأثير : الباهر/٧٩. ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢٨٠/٢.

(١٦٣) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١٢١.

(١٦٤) كرد علي : خطط الشام جـ ١٧/٢.

(١٦٥) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ١٨٥/٢. بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية/٢٧٥ ـ ٢٧٦. حسن الباشا : الألقاب الاسلامية/٢٢٢. نتنج : العرب/٢٣٠ ـ ٢٣١.

(١٦٦) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب جـ ٢٩٩/١. مصر ١٣٥٧ هـ. أبوشامة : الروضتين جـ ٥/١. المعاضيدي . دولة بني عقيل في الموصل/٢٠٢.

(١٦٧) رسائل الجاحظ جـ ٧٠/١ ـ ٧١.

(١٦٨) رونالد ولبر : أيران ماضيها وحاضرها/٦٠.

(١٦٩) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٢٤٦/٨. ابن الأثير : الكامل جـ ٤٩/١٠. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١٢٩/٢.

(١٧٠) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/٣٥. دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي/٣١٥.

(١٧١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤٧٢/١. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ٤٤٥/١.

(١٧٢) الديوه جي : الموصل في العهد الأتابكي/١٥٣.

(١٧٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢٩٣/٢.

(١٧٤) المصدر نفسه جـ ٢٩٣/٢. الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ٢٥٠/٤ ـ ٢٥١.

(١٧٥) الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ١٧٧/٤.

(١١٧٦) أنظر البيهقي : تاريخ البيهقي/٣٤. البنداري الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٧ ـ ٨. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٥/٥. تامارا رايس : السلاجقة تأريخهم وحضارتهم/١١٥. عبدالنعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق/١٨، ٢٠، ١٥٨.

(١٧٧) ابن حوقل : صورة الأرض/٢١٤. ابن الأثير : الباهر/٧٨. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤٥/١.

(١٧٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٣٤.

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١٥٧/٢. أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢٠٥/٥.

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١٧٣/٢.

(١٨١) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء جـ ٢١٧/٢.

(١٨٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٠٩.

(١٨٣) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ١٠/١٧٠. حتي : تاريخ العرب/٧٦٢. عاشور : الحركة الصليبية جـ٢/٦٠٤.

(١٨٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق +/٨٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/٢ أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/١٧. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ٢/١٧٤.

(١٨٥) الراوندي : راحة الصدور/١٧٦. ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٢٠. الحافظ الذهبي : دول الاسلام جـ١/١٩٥.

(١٨٦) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٩/٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٥/٢٨٣. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٣/٣٧٦.

(١٨٧) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/١٧٩. ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢/٢١١، ٢١٦.

(١٨٨) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/١١٠.

(١٨٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٢٦٦. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/٢٠٦. أبوالفداء : المختصر جـ٣/١٢.

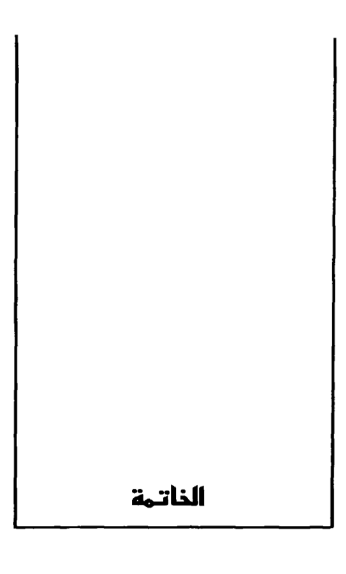
(١٩٠) الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٤/١٦٢. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية/٥٤،

(١٩١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/٨٨ ـ ٨٩. أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ٨/١٩٠.

(١٩٢) أبوالفرج بن الجوزي : جـ٨/٢٦٠ ـ ٢٦١. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان/١٤٦.

(١٩٣) ابن الأثير : الكامل جـ١٠/٢٢٠. ابن خلدون : العبر م ٤/٥٧٧.

(١٩٤) الراوندي : راحة الصدور/٢١٥. ابن النظام الحسيني : العراضة/٧٢. حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام جـ٤/٣٧.



الخاتمة

خاتمة البحث

الآن وبعد أن قطعنا مع سلاجقة الشام والجزيرة هذا المشوار وعشنا معهم هذه الفترة يمكن أن نستخلص منها عدة نتائج تبين حقيقة الحكم السلجوقي لهذه المنطقة على مدى ما يقرب من قرن من الزمان.

ولا ريب أن الظروف قد أتاحت للسلاجقة أن يتصدروا للزعامة في منطقة شديدة الحساسية في العالم الاسلامي وهي خراسان وفارس والعراق والجزيرة والشام إبان العصر الثاني من الخلافة العباسية، فتهيأ لهم الاسهام في مصير هذه المنطقة خاصة وأن الخلفاء العباسيين سلّموا لهم مقاليد الأمور في الولايات الاسلامية وانتهى على يدهم نفوذ البويهيين في هذه المناطق.

وقد تناولتُ هذا الموضوع في ضوء عدة إعتبارات أساسية وهي :ـ

أولهـــا :ـ

متعلق بالظروف العامة التي أحاطت بأصل السلاجقة ونشأتهم وموطنهم الأصلي وألقابهم وهجرتهم إلى ديار الاسلام، واعتناقهم للدين الاسلامي الحنيف، فتتبعتُ هذه المراحل قبل أن يستقر بهم المقام في خراسان وما حولها حين غلبوا الغزنويين وهزموهم في عدة معارك فاصلة، أهمها معركة سرخس، ودندانقان، وقد أبديتُ اهتماماً كبيراً بهاتين المعركتين بسبب الآثار والنتائج التي ترتبت عليهما في تثبيت أقدام السلاجقة في خراسان.

كما أبرزتُ سياسة الغزنويين مع السلاجقة في بادىء الأمر وكانت سياسة قائمة على الصرامة والقسوة، ثم اضطروا إلى مهادنتهم ومسايرتهم بعد ذلك، كي يكسبوا ودهم بعد أن عجزوا عن وقف نشاطهم العسكري، إلّا أن هذه السياسة لم تنفع معهم واستطاع السلاجقة أن يتوسعوا على حساب الغزنويين في جميع أنحاء خراسان.

وقد ألمحتُ إلى العوامل التي ساعدت السلاجقة في إلحاق الهزائم بالغزنويين وأهمها خفة الحركة وقدرتهم على الكر والفر وإنهاك خصومهم قبل الدخول معهم في المعارك الفاصلة.

كما تعرضتُ إلى وحدة السلاجقة وتماسكهم والتفافهم حول زعامتهم بادىء الأمر مما مكّن لهم النصر وتحقيق أهدافهم بسرعة.

كما تناولتُ الفترة التي أعلن فيها طغرلبك نفسه سلطاناً على السلاجقة، ولقّب نفسه السلطان المعظم ركن الدين والدنيا واتخذ من نيسابور عاصمة له سنة ٤٢٩ هـ، ثم سعى بعد ذلك لدى الخليفة العباسي كي ينال منه الاعتراف بسلطانه على المناطق التي استولى عليها من الغزنويين.

ثم تحدثتُ عن المراسلات التي تمت بين السلطان طغرلبك والخليفة القائم بأمر الله واعترافه له بحكم البلاد التي تقع تحت يده، وأشرتُ إلى الدوافع التي جعلت الخليفة القائم بأمر الله أن يطلب

من السلاجقة القدوم إلى بغداد لنصرته على البساسيري وأعوانه الذين أعلنوا عصيانهم للعباسيين وتأييدهم للفاطميين وقد تبين أن ظهور التفوق السلجوقي كان فرصة طيبة للعباسيين للاستعانة بهم كي يتخلصوا من البويهيين، وألمحتُ إلى أن المذهب المشترك بين العباسيين والسلاجقة كان كافياً لتوحيد جهودهما وحشدها لمواجهة الفاطميين وأنصارهم الذين بدأ نفوذهم يتسع ليهدد الخلافة العباسية في بغداد.

وثانيها :-

عن التغلغل السلجوقي في الجزيرة والشام وما صاحب ذلك من عنفٍ بينهم وبين أبناء البلاد الأصليين، وقد تتبعتُ الحملات السلجوقية المتتالية إلى الجزيرة لمطاردة البساسيري وأنصاره، وأبرزتُ دور الزعامات العربية في التصدي لعملية الاستيطان السلجوقي في بلادهم وتحالف هذه الزعامات مع الفاطميين وأمرائهم في الشام والجزيرة، ومن أبرز هذه الزعامات العربية قريش بن بدران العقيلي وابنه مسلم في الجزيرة، ومحمود المرداسي في الشام، ولم أغفل الدور الذي قام به داعية الفاطميين في الشرق هبة الله الشيزاري بالتعاون مع البساسيري لكسب مزيد من الزعماء العرب إلى صفهم، للوقوف معاً في مواجهة السلاجقة ومن أشهر هؤلاء الأمراء. نور الدولة دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلّة وعطية بن صالح المرداسي في الشام، وقد ناقشتُ الكثير من الروايات التي تحدثت عن هذه الأمور، وأثبتُ بعض النصوص الهامة لعدد من المؤرخين القدامى الذين عاصروا هذه الأحداث لتدعيم الحقائق التي تم التوصل إليها، مثل مقاومة أهل البلاد لمجيء السلاجقة وعدم تقبلهم للاستيطان معهم في الشام والجزيرة.

ومن بين النتائج التي توصلتُ إليها وكانت شيئاً إيجابياً يُذكر إلى السلاجقة عند مجيئهم إلى بغداد، انهم أعادوا الهيبة إلى الخلافة العباسية بتدعيم مركز الخليفة القائم بأمر الله والقضاء على البساسيري وأعوانه الذين هددوا الخلافة العباسية وأوشكوا على إسقاطها والخطبة للفاطميين مكانهم في بغداد كما قضوا على البويهيين الذين كانوا يتعاطفون مع الفاطميين وانتهى عهدهم بعد أن طال إلى ما يقرب من قرن من الزمان.

ثم ألقيتُ الضوء على حملة السلطان ألب أرسلان إلى الجزيرة والشام سنة ٤٦٢ هـ وأبرزتُ أهم نتائجها، خاصة فيما يتعلق بطاعة نصير الدولة أحمد بن مروان صاحب ديار بكر في الجزيرة ومحمود المرداسي صاحب حلب إلى السلاجقة واستقرار عدد من القيادات السلجوقية في الشام لمتابعة نشاطهم فيها وعلى رأسهم تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي، وأتسز بن أوق التركماني وقد استعرضتُ ما قام به أتسز من أعمال عسكرية وما حققه من انجازات أهمها تخليص دمشق وبيت المقدس من الفاطميين، إلاّ أنني أبديتُ تحفظاً وانتقاداً على بعض الأعمال التي قام بها السلاجقة في هذه المناطق كالقتل والنهب والاعتداء على الآمنين بما لا يتناسب مع الأخلاق الاسلامية التي تحرِّم مثل هذه الأعمال خاصة أن السلاجقة كانوا في بداية عهدهم وينبغي عليهم أن يسلكوا مسلكاً طيباً مع الناس كي يكسبوهم إلى جانبهم، وقد علّقتُ على هذه الأحداث وما يمكن أن تتركه من آثار تضر

بمستقبل السلاجقة في الشام والجزيرة.

كما تعرضتُ إلى اللقاء الحاسم بين السلطان إلب أرسلان وملك الروم في ملازكرد وما حققه السلطان من نصر حاسم على البيزنطيين.

وقد اعتبرتُ هذه المعركة نقطة تحول كبيرة في تاريخ السلاجقة، فرفعت من سمعتهم وأثبتت جدارتهم للقيادة، كما أثبتُّ بعض الرسائل المتبادلة بين السلطان وملك الروم قبل بداية المعركة وعلقتُ عليها وأوضحت غرضهما من هذه الرسائل ومن أهمها محاولة كل منهما التأثير على معنويات الآخر، وعزم ملك الروم على اجتثاث السلاجقة من المنطقة التي يسيطرون عليها، وإصرار السلطان السلجوقي على المواجهة بالرغم من قلة عساكره إذا ما قورنت بالعساكر البيزنطية الكثيرة العدد والعدة.

وقد بينتُ الطرق القتالية الناجحة التي استعملها السلطان السلجوقي في هذه المعركة ومن أهمها نصب الكمائن المختلفة بعيداً عن ميدان المعركة وتظاهره بالهزيمة في اتجاهها حتى يوقع الروم في هذه الكمائن، وقد نجحت هذه الخطة نجاحاً كبيراً فأحاطت عساكره بالروم من كل صوب وأوقعت بهم قتلاً وأسراً وتشريداً، وقد علّقتُ على هذا الأسلوب القتالي الناجح عند السلاجقة باعتباره ظاهرة مستمدة من حياتهم البدوية، وهي خطة تقضي بجر العدو إلى الصحراءوالمراوغة أمامه لإنهاكه خاصة عندما يكون العدو أكثر منهم عدداً وعدة، وقد تبينً أن السلاجقة استعملوا هذا الأسلوب في معركة دندانقان، فتلك كانت حاسمة مع الغزنويين، وهذه كانت حاسمة مع البيزنطيين.

كما تحدثتُ عن حملة السلاجقة إلى الجزيرة بقيادة فخر الدولة بن جهير سنة ٤٧٦ هـ، وبينتُ أن السلاجقة وُفِّقوا باختيار فخر الدولة لقيادة هذه الحملة ليضربوا العرب ببعضهم في الجزيرة لتصفية قوتهم بأيديهم ليتمكن السلاجقة بعد ذلك من إقامة سُلطة سلجوقية قوية على أنقاضهم، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل، حين تصدى مسلم بن قريش العقيلي ونصر الدولة بن مروان إلى حملة ابن جهير دفاعاً عن زعامتهما في الجزيرة إلّا أن النتائج كانت مخيبة لآمالهما فقد انهزمت قواتهما أمام قوات السلاجقة ورضيا بتقديم الولاء والطاعة لهم.

ثم تعرضتُ إلى الصراع الذي دار بين مسلم بن قريش العقيلي وتتش السلجوقي في الشام، ومحاولة كل منهما توسيع إمارته على حساب الآخر فاتضح لي أن ما قام به مسلم بن قريش في تعامله مع السلاجقة وتقديم الطاعة والولاء لهم كان على سبيل الخداع والتضليل عندما وجد أن لا سبيل إلى مقاومتهم المباشرة ولكنه ظل يتحين الفرص ويجند الطاقات العربية لمقاومة السلاجقة، كما أوضحتُ أن سياسة السلاجقة معه ومع غيره من الأمراء العرب كانت تقوم على نفس المبدأ، فقد رضوا بزعامتهم وقبلوا طاعتهم لهم، وكان ذلك على سبيل الخداع عندما تعذّر القضاء المباشر عليهم بسبب كثرة المؤيدين لهم من قبائلهم، وتبين أن السلاجقة كانوا يعملون ببطء للتخلص النهائي منهم وإحلال السلاجقة مكانهم فيما بعد.

وقد اتضح لي تعصب السلاجقة ومناصرتهم لبعضهم البعض على العرب ومن أمثلة ذلك أنهم

عندما جاءوا مع حملة ابن جهير إلى ديار بكر في الجزيرة سنة ٤٧٦ هـ، وأحسوا بميل ابن جهير إلى المصالحة مع ابن قريش العقيلي، قاموا بمهاجمة جيش العقيليين فجأة، فهزموهم شر هزيمة ونهبوا أمتعتهم وممتلكاتهم بدون اذن من قائدهم.

وفي النزاع الذي نشب بين مسلم بن قريش وسليمان بن قتلمش السلجوقي سنة ٤٧٨ هـ، أنسحب السلاجقة فجأة من جيش ابن قريش وانضموا إلى ابن قتلمش قبل بداية المعركة بينهما، فبقي ابن قريش في فئة قليلة من العرب فَقُتِلَ في هذه المعركة.

ثم قاموا بنفس هذا العمل عندما نشب الخلاف بين الخليفة المسترشد بالله العباسي والسلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٢٩ هـ، فتخلى السلاجقة عن الخليفة بعد أن كانوا معه وانضموا إلى السلطان مسعود حتى رجحت كفته وقبض على الخليفة، ثم قُتِلَ وهو بيدهم قرب مراغة كما جاء تفصيله في البحث.

وقد تبين أن الأمراء العرب فطنوا ألى هذه الأساليب واحتاطوا لها إلّا أن عدم تماسكهم فيما بينهم وظهور الفرقة والعداوة بين القبائل العربية جعلت الأمر ميسوراً للسلاجقة أن يقيموا لهم إمارات سلجوقية في جميع أنحاء الجزيرة والشام وتمكنوا من تصفية الزعامات العربية نهائياً كالذي حصل مع العقيليين والمرداسيين في الجزيرة والشام.

وثالثها :-

في الدور الذي اضطلع به السلاجقة في مجاهدة الصليبيين، وهي الفترة التي شهدت التفكك السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ، وقد استعرضتُ جميع المحاولات الجادة التي قام بها السلاطين وأمراؤهم للتصدي للصليبيين ومنعهم من إقامة إمارات صليبية لهم في الشام والجزيرة إلّا أن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع، وقد أبرزت الأسباب الهامة التي أعاقت نجاحهم، ومنها الصراع الدائم على السلطة السلجوقية، فعرضتُ إلى ما قام به تتش السلجوقي مع الأمراء السلاجقة في الشام ومحاربته لأبناء أخيه ملكشاه وما ترتب على ذلك من نتائج، كما تناولت النزاع الذي استمر ما يقرب من خمس سنوات بين أبناء ملكشاه (٤٩٢ هـ ـ ٤٩٧ هـ) وهي الفترة التي جاء فيها الصليبيون إلى الشام والجزيرة وأقاموا فيها إمارات لهم كبيت المقدس والرها وطرابلس وأنطاكية.

ثم بيَّنتُ الآثار التي ترتبت على استمرار المنازعات بين السلاجقة وامتدادها حتى شملت الخلفاء العباسيين حين ترددوا في تأييدهم للقوى المتناحرة، وألقيتُ اللوم على بعض الخلفاء العباسيين لعدم استغلالهم فرصة الضعف السلجوقي وإنشغالهم ببعضهم لحسم الأمر معهم واستعادة الهيبة للخلافة العباسية وتوجيه الجهود لمواجهة الخطر الصليبي الذي أصبح يهدد المسلمين في الشام والجزيرة.

وقد تبينَّ أن نزاع السلاطين فيما بينهم انعكس على أمرائهم في الشام والجزيرة، فتشتتت ولاءاتهم واختلفوا فيما بينهم وأصبح بأسهم بينهم واقتتلت جيوشهم مع بعضها، وقد تجلى هذا الانقسام والاختلاف أثناء حملات السلاجقة لمجاهدة الصليبيين كحملة كربوغا وبرسق ومودود بن

التونتكين، فكان اختلاف الأمراء فيما بينهم من أهم أسباب فشلهم وهزيمتهم أمام الصليبيين، كما تعرضتُ إلى ما قام به طغتكين أتابك دمشق مع أمراء الجزيرة حين حاربهم وتصدى لهم وما قام به رضوان السلجوقي صاحب حلب في عدم تعاونه مع حملات الجهاد.

كما اتضح لي أن جهاد السلاجقة لم يكن على المستوى المطلوب وأنهم لم يقدموا عملاً جدياً في الجهاد وأن أعمالهم لا تعدو أن تكون أعمالاً فردية تنقصها روح الجماعة والتنسيق المشترك ويغلب عليها الفوضى وعدم التخطيط لاستمرار الحرب مدة طويلة.

ولم أغفل تآمر الأمراء السلاجقة على بعضهم والاستعانة بالصليبيين كما فعل رضوان بن تتش صاحب حلب، وأتابكة دمشق والجزيرة، وقد راح ضحية هذا التواطؤ قادة عظام حاولوا تشكيل جبهة إسلامية قوية لمجاهدة الصليبيين مثل برسق بن برسق صاحب همذان.

ومن بين النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث أيضاً أن الموصل كانت مركز القيادة والامدادات لكافة الحملات السلجوقية التي توجهت لقتال الصليبيين، وأن أمير الموصل هو أمير الجهاد، وكان باقي الأمراء في الشام والجزيرة يكلفون من قِبل السلطان السلجوقي بطاعته والجهاد معه، غير أن أكثر هؤلاء الأمراء كانوا لا يطيعون أمير الجهاد ولا يتعاونون معه بل يتآمرون عليه أحياناً للتخلص منه حسداً وطمعاً في منصبه وإمارته فكان ذلك من أهم أسباب الهزيمة وانعدام الثقة بعد ذلك.

ورابعها :-

كما تناولتُ الفترة التي تولى فيها أتابكة السلاجقة الحكم في الشام، على اعتبار أنهم كانوا امتداداً للحكم السلجوقي فيها، ومن أشهر هؤلاء الأتابكة ظهير الدين طغتكين في دمشق، ولؤلؤ الخادم في حلب، وقد تتبعتُ مجيئهم إلى الحكم، فتبين أنهم كانوا مربين لأبناء السلاجقة ومشرفين على إعدادهم للحكم من زعماء السلاجقة، إلّا أن هؤلاء الأتابكة استطاعوا أن يستأثروا بالسلطة ويجعلوها لأبنائهم من بعدهم كما فعل طغتكين في دمشق عندما كان أتابكاً لدقاق بن تتش السلجوقي فانتزع الحكم منه لصغره وجعل إمارة دمشق لأبنائه من بعده حتى انتزعها نور الدين بن زنكي منهم سنة ٥٤٩ هـ.

وقد أبرزتُ علاقة هؤلاء الأتابكة بسلاطين السلاجقة فبينتُ أنها ضعفت بمرور الأيام واقتصرت على الخطبة لهم في المساجد ونقش السكة باسمهم، وأشرتُ إلى جملة من الحقائق التي تتعلق بذلك من أهمها ضعف روح الجهاد عند هؤلاء الأتابكة، وأنهم ارتضوا لأنفسهم أن يصانعوا الفرنج ويدفعوا الأموال السنوية لهم ليضمنوا عدم الاعتداء عليهم وسلب إمارتهم منهم، وقد ألقيتُ الضوء على تواطؤ لؤلؤ الخادم مع الفرنج بالتعاون مع طغتكين لمحاربة حملة برسق بن برسق السلجوقي، واستعانة مجير الدين آبق بالصليبيين ضد حملات الزنكيين في نواحي الشام.

ولم أغفل ذكر المآخذ على طغتكين ومن أهمها تآمره على قتل أمير الجهاد مودود بن التونتكين وتعاونه مع الباطنية في الشام حتى تفاقم خطرهم كثيراً لولا أن قيّض الله لهم ابنه بوري بعد وفاته

فاجتثّ جذورهم من دمشق ونواحيها بعدما أكثروا فيها الفساد.

وخامسها :ـ

عن الأتابكة الزنكيين في الجزيرة والشام فقد أفردتُ لهم فصلاً خاصاً نظراً لأهميتهم منذ ظهور الأتابك عماد الدين زنكي، حين ولّاه السلطان محمود السلجوقي على الجزيرة سنة ٥٢١ هـ وسلّمه ولديه فرخشاه (الخفاجي) وألب أرسلان ليشرف على تربيتهما وحكم البلاد باسمهما كما جرت العادة عند أتابكة السلاجقة.

وقد تتبعتُ المراحل التي تربى فيها زنكي في رعاية سلاطين السلاجقة وأبديتُ اهتماماً بفترة حكم الأتابك عماد الدين زنكي للدور الذي قام به في مجاهدة الصليبيين وقد أبرزتُ عهده في الجزيرة والشام من خلال ثلاث مراحل.

ففي المرحلة الأولى تبيّن أنه تفرّغ للقضاء على المشاكل الداخلية وتصفية الاقطاعات المتفرقة وجعلها تحت قيادته المباشرة قبل البدء في مجاهدة الصليبيين، وبيَّنتُ أن زنكي استفاد من تجربة الأمراء الذين سبقوه وفشلهم في الجهاد بسبب كثرتهم واختلافهم فيما بينهم، وقد استطاع أن يوحّد معظم الاقطاعات تحت قيادته وأهمها حلب وحماة وحمص وغيرها من الاقطاعات الصغيرة في الجزيرة والشام، إلّا أنه عجز عن ضم دمشق وتوابعها إليه بالرغم من محاولاته المستمرة لتحقيق هذا الهدف وقد أبديتُ عليه بعض المآخذ كنكث العهود مع الأمراء فكان يمنحهم الأمان ثم يقبض عليهم ويسجنهم أو يقتلهم مما سبب سخطاً عاماً عليه من سائر الأمراء وفقدان الثقة به وبوعوده بعد ذلك ومناصبته العداء والاستعانة بالصليبيين عليه.

وأما المرحلة الثانية فهي إنشغاله فترة طويلة من الزمن بالخلافات السلجوقية التي استحكمت بينهم في الصراع على السلطة، وقد أقحم الخلفاء أنفسهم في هذه المنازعات بميلهم إلى البعض دون الآخرين، وقد أضاع زنكي جهوداً كبيرة في هذه الأحداث، خاصة أنه كان متقلباً في مواقفه، وحاصر بغداد أكثر من مرة في عهد الخليفة المسترشد بالله العباسي، وقد أبرزتُ الأخطاء التي وقع فيها بانحيازه إلى جانب السلاطين ضدهم.

وأما المرحلة الثالثة في فترة حكم زنكي فهي فترة جهاده ضد الصليبيين فقد تتبعتُ أعماله العسكرية ضدهم واستخلاصه كثيراً من المدن والحصون منهم مثل الرها وسروج، وأفامية والأثارب، كما أبرزتُ خططه العسكرية في القتال وطريقته في الخداع والمراوغة والتضليل، كما تعرضت إلى المؤامرة التي دبرها فرخشاه (الخفاجي) السلجوقي للاستيلاء على الحكم في الجزيرة أثناء غياب زنكي في الجهاد، وقد راح ضحية هذه المؤامرة نصير الدين جقر نائب زنكي في الموصل ثم ألقيتُ الضوء على ما حل بإمارة زنكي بعد وفاته فانقسمت بين ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود، وتناولتُ بالبحث المحاولة التي قام بها ألب أرسلان السلجوقي للاستيلاء على الحكم في الجزيرة بعد زنكي إلّا أن جهوده ضاعت للموقف الذي قام به صلاح الدين محمد الياغيساني وجمال الدين محمد

الأصفهاني في تأمين الحكم لأولاد زنكي وعزل ألب أرسلان ووضعه في سجن الموصل، وقد ناقشتُ وتحققتُ من الروايات المتعارضة التي لها صلة بهذا الموضوع.

ومن بين الحقائق التي أثبتُّها عن الأتابكة الزنكيين أن نور الدين محمود عمل على التخلص من التبعية للسلاجقة وأقام ملكاً لنفسه تابعاً للعباسيين وحرص على إقامة علاقات قوية معهم وتجاهل سلاطين السلاجقة فلم يخطب لهم في إمارته كما جرت العادة قبله واكتفى بالخطبة إلى الخلفاء العباسيين وجاء ذلك في فترة إنحسار النفوذ السلجوقي في العراق وما حولها بعد السياسة التي اتخذها المقتفي لأمر الله العباسي بعد سنة ٥٤٧ هـ فقد قام الخليفة بطرد السلاجقة وممثليهم من بغداد ولم يسمح لهم بالعودة إليها بعد هذا التاريخ فانتهى النفوذ السلجوقي في الشام والجزيرة والعراق خلال هذه الفترة.

وسادسها :-

متعلق ببعض النتائج المتعلقة بحياة السلاجقة العامة في الشام والجزيرة من النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية.

وقد تحدثتُ عن العلاقات التي قامت بين السلاجقة والخلفاء العباسيين وما قدمه السلاجقة من أعمال لصالح العباسيين حين تعرضوا لضغوط شديدة من جهة الفاطميين وحلفائهم وبيَّنتُ أن السلاجقة أخلصوا النية بادىء الأمر للدفاع عن الاسلام والخلافة العباسية، وجاهدوا في الله حق جهاده واحترموا الخلفاء في عهد السلاطين الثلاثة طغرلبك وألب أرسلان وابنه ملكشاه في أول عهده واعتبرتُ هذه الفترة العصر الذهبي للسلاجقة نظراً لما أنجزوه من أعمال أهمها هزيمتهم للبيزنطيين على يد السلطان ألب أرسلان في معركة ملازكرد، إلّا أنني أبرزت بعض الملاحظات على سياسة ابنه ملكشاه في أُخريات أيامه مع الخليفة المقتدي بأمر الله عندما هدَّده وأنذره بضرورة الخروج من بغداد سنة ٤٨٥ هـ، وكان هذا العمل بداية الخلافات والأزمات بين العباسيين والسلاجقة، ثم جعلتُ وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ الحدّ الفاصل بين عصرين من عصور السلاجقة، حيث تبين أنهم وقعوا في ارتباك شديد واقتتال دائم فيما بينهم، كما أوقعوا الخلفاء العباسيين في حيرة وقلق، وأصبحت نزاعاتهم وخلافاتهم سِمةً بارزة من سِماتهم مما قلل من قيمتهم في العالَمَيْن الاسلامي والمسيحي، فطمع فيهم القوي والضعيف، والقريب والبعيد، وتبعثرت قواتهم واقتتل أمراؤهم، وحل الضعف محل القوة والخصام محل الوئام، مما أنذر مبكراً بزوال سلطانهم.

وقد خرجتُ بجملة من الحقائق أثبتُّها في مكانها أهمها أن القوة السلجوقية كانت طفرة لم تستند على أساس حضاري وأن سرعة انهيار سلطانهم كان أكبر دليل على ذلك، كما أنهم لم يجدوا دعماً وتأييداً من أهل البلاد التي جاءوا إليها فلم يستطيعوا الامتزاج بهم والعيش معهم بسلام.

كما تعرضتُ إلى نظام الحكم والادارة السلجوقية خاصة في الشام والجزيرة وأبرزتُ تقليدهم للعباسيين في ولاية العهد للأبناء، وبيَّنتُ أن الأمر لم يكن يستقر بسهولة للأبناء بعد وفاة الآباء، بل

كانت تدور معارك طاحنة تطول مدتها إلى عدة سنوات أحياناً قبل أن تهدأ الأمور وتُحسم لصالح الأقوى منهم، كما أظهرتُ دور الوزراء والنواب والأمراء والحُجّاب في الامارات السلجوقية وصلاحيات كل واحد منهم وارتباطهم بالسلطان، الذي هو السلطة العليا في الادارة السلجوقية.

ومن بين الأمورالتي استعرضتُها أيضاً جيش السلاجقة وتكوينه وطريقة قتاله وأسلحته وأسباب انتصاراتهم الأولى وهزائمهم فيما بعد وأبرزتُ طريقتهم المفضلة في نصب الكمائن بعيداً عن ميدان المعركة وتفضيلهم لحرب الصحراء على غيرها من الطرق كالحصار مثلاً، إلّا أن الظروف أجبرتهم بعد ذلك إلى تطوير أدواتهم العسكرية وطُرُقهم القتالية بسبب الحصون والقلاع والمدن المسوَّرة التي واجهتهم في الشام والجزيرة والتي لم يكن لهم بها عهد من قبل.

ثم تعرضت إلى علاقات السلاجقة بالباطنية (الاسماعيلية) الذين برزوا بشكل مفاجىء في الشام والجزيرة ومناصبتهم العداوة للسلاجقة والعمل على تقويض إماراتهم وتصفية قادتهم، وقد ألمحتُ إلى المبادىء التي نادوا بها وأسلوبهم في الدعوة لهذه المبادىء وطُرُقهم التي سلكوها للقضاء على خصومهم ومن أشهرها التخفي والاغتيال، وأشرتُ إلى الجدية التي اتبعها معهم السلطان محمد السلجوقي للقضاء عليهم، كما أوضحتُ تعاون بعض الأمراء السلاجقة معهم مثل الأتابك طغتكين في دمشق ورضوان السلجوقي في حلب، وأبديتُ انتقاداً على هذا التعاون الذي لا مبرر له سوى الأنانية البغيضة والرغبة في الحكم حتى ولو كان على حساب وحدة وسلامة الجماعة الاسلامية، وقد أبرزتُ الدور الذي قام به تاج الملوك بوري بمحاربتهم، حتى استطاع أن يستأصلهم ويقضي عليهم، فلم يبق لهم نشاط واضح بعد ذلك، سوى بعض الأعمال البسيطة التي تلاشت وانتهت بعد ذلك.

كما تحدثتُ عن نظام الاقطاع الذي أوجده نظام الملك في الجزيرة والشام بهدف توطين السلاجقة وتحويلهم من بدو متنقلين إلى فلاحين مستقرين لدوام الحكم السلجوقي لهذه البلاد.

وقد ضربتُ عدة أمثلة على هذه الاقطاعات في الشام والجزيرة لمزيد من البيان والتوضيح، وخرجتُ بجملة من الحقائق التي تُبيِّنُ عيوب وسلبيات هذا النظام على المجتمع السلجوقي خاصة وعلى البلاد وأهلها من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسبب كثرة المقطَعِين، وطمعهم في إقطاعات بعضهم البعض وصعوبة توحيدهم تحت قيادة واحدة، فاختلفوا وناصب بعضهم البعض بالعداوة والبغضاء واستعانوا بالصليبيين والفاطميين والباطنية على اخوانهم في الجنس والعقيدة ليضمن كل واحد منهم الامارة أو الاقطاع لنفسه علاوة على الأضرار المادية الجسيمة التي لحقت بأصحاب الأراضي الأصليين في الشام والجزيرة.

وقد كان لهذه الأمور تأثير كبير على الزراعة والصناعة والتجارة في الجزيرة والشام، فتراجعت إلى درجة كبيرة حتى هجر الناس مدنهم وقراهم لكثرة الظلم والمصادرات والحروب المتواصلة.

ثم تطرقتُ إلى الناحية العلمية فتبين أنها كانت ضعيفة في الشام والجزيرة بسبب الانشغال في الحروب والفِتن باستثناء تلك الفترة التي وزر فيها نظام الملك للسلاجقة وأبدى اهتماماً كبيراً بالاصلاحات السياسية والاقتصادية والثقافية في جميع الولايات الاسلامية التي كانت تحت

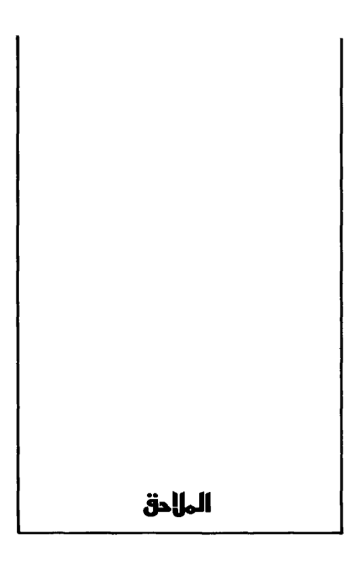
سيطرة السلاجقة.

ولم أغفل دور المرأة السلجوقية في المجالات المختلفة وأشرتُ إلى أنها تحملت المسؤولية في المجالات السياسية والعسكرية عند السلاطين والأمراء والأتابكة فأعدَّت الجيوش وخرجت للحرب وساهمت في خلق الود والوئام بين السلاطين والخلفاء العباسيين فترة من الزمن قبل أن يصيب التفكك والانقسام السلطة المركزية السلجوقية وإماراتهم في الشام والجزيرة.

وبالاضافة إلى ما تقدم بيانه فقد نهجتُ خلال هذه الدراسة منهج المناقشة والتحليل وتتبع الأحداث لكثير من الروايات واعتمدت على المؤرخين القدامى من المسلمين الذين عاصروا الفترة موضوع البحث، فرجَّحتُ ما يتفق مع العقل وتسلسل الأحداث الصحيحة، وردَدْتُ الروايات الغريبة التي تتعارض مع الرواة الثقات أو تتنافى مع الأحداث التاريخية التي أجمع معظم المؤرخين عليها.

وهذا ما أمكن التوصل إليه من نتائج في هذا البحث ولست أدَّعي أنني أحطتُ بجوانب هذا الموضوع من كل الوجوه وبحسبي أنني بذلت قصارى جهدي حتى خرج على هذه الصورة وأرجو أن تكون صورة مشرقة ومفيدة، يستضيء بها كل مَنْ يريد الاطلاع على تاريخ السلاجقة في تلك الفترة موضوع البحث.

والله الموفق



الملاحق



ملحق رقم ١

منشور السلطان غيَّاث الدنيا والدين
محمد بن السلطان ملكشاه السلجوقي
للأتابك طغتكين صاحب دمشق سنة ٥١٠ هـ

((بسم الله الرحمن الرحيم : هذا منشور أمر بإنشائه السلطان المعظم غيَّاث الدنيا والدين أطال الله بقاءه وأعز أولياءه ونصر لواءه للأمير الاصفهلار الأجل الكبير ظهير الدين أتابك أدام الله تأييده لمَّا بان تمسُّكه من الطاعة بأحكم علائقها واعتصامه من الخدمة بأوكد وثائقها وانتهاجه من المشايعة أقوم مسالكها واعتماده أفضل طرائقها وأجلت التجاربُ منه عين الناصح الأريب والمهذب اللبيب المتدرج في مراقي الرُتب السنيةِ بالمساعي الرضية والمحرز أحاظي القُرب الخطيرة بالآثار الشهيرة المشهورة موافقة في قود الجماهير العِظام والذب عن حوزة الاسلام والتجرد لمظافرة الأولياء ومقارعة الأعداء والاستقلال بمضلعات الأعباء الجامع إلى خصائص هذه الأسباب والالمام بخدمة الأبواب والتحقق بزمر الحشم والأصحاب المستقل بنصحه المنخول بولائه المقبول، ووسائله المشفوعة توالدها بالطوارف وشوافعه المنصورة سوالفها بالأوانف أن يُزاد في الانافة بقدره والاشادة بذكره ويستخلص تحليه صدره بتفخيم أمره وتجدد الصنيعة عنده بما يكون لواجب حقوقه قضاء ولمصالح مساعيه كفاء ولحلّه المرموق لائقاً ولموضعه من الدولة مضاهياً مطابقاً فرأيناه أحق من أُفيضت عليه ملابس الانعام وحُبِّيَ من الكرامة بأوفر الأقسام ورفع من مراتب الاجتباء والاختصاص إلى الذروة والسنام ورشح لكفاية المهام وتدبير الأمور الجسام وأوطىء عقبة الكماة الأنجاد ورد إلى ايالته الأمصار والأجناد رسمنا أن نجدد له هذا المنشور بإمارة الشام ونقرر عليه جميع ما دلت عليه المناشير المنشأة المتضمنة لأسامي البلاد الموجبة له صارة رسمه معها يجري معها ويُضاف إليها من النواحي والضياع والحصون والقلاع حسب ما أورد ذكره في هذا المثال وجعلناها نعمة مصونة من الارتجاع وطعمة محمية من الانتزاع قلدنا في عامة تلك البقاع أعمال الحرب والمعاون والأحداث والأخرجة والأعشار وسائر وجوه الجبايات والعروض والاعطاء والنفقة في الأولياء والمظالم والأحكام وسائر المستظهر عليه بنظر الولاة الكفاة والنصحاء التقاة رعاية لحقوقه اللازمة ومحافظة على اذمته المتقادمة وثقة منه لاستدامة النعمة وارتباطها بالتوفر على شرائط الخدمة واستدعاء مزيد الاحسان واستيفاء عوائد الاصطناع بدوام النصح وفضل الاستقلال والاضطلاع والله تعالى يجرينا على أحسن عوائده بإصابة شاكلة الصواب في اختيار الأولياء ويلهمنا المرشد في مرامي الأفكار ومواقع الآراء. ولا يخلينا في اصطفاء من يصطفيه واجتباء من يجتبيه من مساوقة التوفيق لما نرتاده ونرتئيه أمرنا بتقوى الله وطاعته واستشعار خيفته ومراقبته والالتجاء منها إلى الحصن الأمنع والظل الأمتع منها بالذخر الأتقى والحرز الأوقى والاحتراس من هواجس الهواء باعتلاق عروتها الوثقي وادّراع شعارها الأتقى. قال الله تعالى : ﴿يَا أَيها الذين آمنوا إنْ تَتقُوا الله يجعلْ لكم فرقاناً ويُكفِّر عنكم سيئاتِكم ويغفر لكم والله ذو الفضلِ العظيم﴾. وأمرنا أن يسير فيمن

قبله من الأولياء والحشم أجمل سيرة ويحملهم بحسن السياسة على أفضل وثيرة ويسلكهم مسلكاً وسطاً بين اللين والخشونة والسهول والوعورة ويشعر قلوبهم من الهيبة ما يقبض المتبسط ويردع المتسلط ويرد غرب الجامح ويقيم صعر الجانح ويخص منهم ذوي الرأي والحنكة والثبات والمسكة بالمضاورة والمباحثة ويستخلص نخائل صدورهم عند طروق الحوادث بالمفاوضة والمنافثة ويستعين بثمار ألبابهم ونتائج أفكارهم على دفاع الملم وكفاية المهم ويتناول سفهاءهم وذوي العيث والفساد منهم بالتقويم والتهذيب والتعريك والتأديب ويردهم عن غلوائهم بالقول ما كفي وأحرز النصح ما أجدى وأغنى ومن زاده الاناة والحلم والاحتمال والكظم تمادياً في العدوان وتتابعاً في الطغيان عركه عرك الأديم وتجاوز به حد التقويم إلى التحطيم متيقناً أن إعطاء كل طبقة ممن تشمله رعايته وتكنفه اياليته حقها من قوانين السياسة أرقاها لبصيرة القارح المتمسك وكفًا لغرب الحرج المتهالك. قال الله تعالى: ﴿وإمّا تخافنَّ من قومٍ خِيانَةً فانبذ إليهم على سَوَاءٍ إنَّ الله لا يُحبُّ الخائِنين﴾ وأمرناه أن يوكل بأمر الثغور المتاخمة لأعماله والمصاقبة لبلاده عيناً كالئة وأذناً واعية وهمَّة للصغير والكبير في مصالحها مراعية فيشحنها بذوي البأس والنجدة المذكورين بالبسالة والشِدة المعروفين بالصريمة والغناء والصبر عند اللقاء والبصيرة بمكابدة الأعداء ويستظهر لهم باستنجاده الأسلحة والآلات والاستكثار من المير والأقوات ويناوب بينهم في مقارهم مناوبة تجمّ المكدود وتريح المجهود وتدر عليهم الأرزاق عند الوجوب والاستحقاق ليقوم أودهم ويقل لددهم ويحسن طاعتهم وتلين مقادتهم ويكثف عددهم وعدتهم ويشتد على الأعداء شوكتهم ويغيظ الكفار وربهم وشازبهم. قال الله تعالى: ﴿وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رباطِ الخيلِ ترهبونَ به عدوَّ الله وعَدُوَّكُم﴾. وأمرنا أن يأخذ نفسه وأصحابه بالثبات والصبر عند قراع السيوف بالسيوف وذلوق الزحوف بالحروف ويرخصوا أنفسهم في ابتغاء مرضاهُ والذب عن حوزة الدين والمحاماة عن بيضة الاسلام والمسلمين ويحتاط مع ذلك لنفسه وأصحابه ولا يقدم بهم على غرر ولا يفسح لهم في ركوب خطر إلّا بعد الأخذ بالحزم واستعمال الرفق في الحذر ويكون إقدامهم على بصيرة تامة لا تقتحم معها غرة ولا تضاع فرصة ولا يحجمون إذا احمر الناس واشتد المراس عن تورد المعركة ولا يلقون بأنفسهم إذا حمى الوطيس والتقى الخميس بالخميس إلى التهلكة. قال الله جل وعلا: ﴿وجَاهِدُوا في الله حقَّ جِهادِهِ﴾ وأمرنا أن يصل جناح ضمانه بالوفاء ويشد أركان عهده بالثبات ويصون ذمته عما يحفزها ويشفق عليها مما يحيلها ويغيرها ويذهب مع دواعي الصدق ويصير على تكاليف الحق ولا يروِّع لهم سرباً أمّنَهُ ولا ينقص شرطاً ضَمِنَهُ ولا ينكث عهداً أبرمَهُ ولا يخلف وعداً أقدمه ولا يتجافى عمن يلوذ بعقوته ولا يأبى قبول السِلم ممن أتّقى بصفحته. قال الله تعالى: ﴿وأَوْفُوا بالعهدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مسؤولا﴾. وقال جل من قائل: ﴿وإن جَنَحُوا للسَّلمِ فاجنحْ لَها﴾. وأمرنا أن يعم رعاياه القارة والمارة بالأمن العائد عليهم بسكون الجأش وسِعة المعاش ويحوطهم في متوجهاتهم ومتصرفاتهم حياطة تكنفهم من جميع جهاتهم ويحمي نفوسهم وذراريهم وأموالهم ومهائشهم حماية تردُّ كيد الظالم وتقبض يد الغارم وتخرج ذوي الريب من مظانهم وتحول بينهم وبين عدوانهم وتجري حكم الله فيهم وتقيم حده على من سفك فيهم دماء وانتهك محرماً أو أظهر شِقاقاً وعناداً أو سعى في الأرض فساداً. قال الله تعالى: ﴿إنّما جَزاءُ الذينَ يُحارِبونَ الله ورسولَهُ ويَسْعونَ في الأرضِ فساداً أنْ يُقتّلوا أو يُصلّبُوا أو يُقطّعَ أيديهم وأرجُلُهم من خلافٍ أو ينفعوا من الأرضِ ذلك لهم خِزيٌ

في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم﴾ وأمرنا أن ينظر في أموال الرعايا أتم نظر وأوفاه ويسئل عن ظلاماتهم أبلغ سؤال وأحفاه ويستن بالسُّنَّة العادلة فيهم ويمنع أقوياهم عن تهضم مستضعفيهم ويحمل من تحت يده على التعادل والتناصف ويصدهم عن التعاصب والتظالم ويقر الحقوق مقارها عند وضوح الحجة وارتفاع الشُبهة ويختار لهم من العمال والولاة أسدَّهم طرائق وأقومهم مذاهب وأحمدهم خلائق ويأمر كلًا منهم أن لا يغيِّر عليهم رسماً ولا ينوي لهم حقاً ولا يسومهم في معاملاتهم خسفاً ولا يحدث عليهم من يدع الجور رسماً ولا يرتكب منهم ظلماً ولا يأخذ منهم براً بأثيم ولا برءاً بسقيم ويقنع منهم في اخراجاتهم ومقاساتهم وقسوطهم ومقاطعاتهم بالحقوق المستمرة ويحملهم في العدل على الفوائد المستقرة ويستقر آثار الولاة قبله فما طاب منها وحسُن اقتفاؤه اقتفره وما ذم منها واستنكره أماطه وغيَّره. ويعتقد أنه مسئول عما اكتسب واجترح ومُحاسب على ما أفسد وأصلح. قال الله تعالى: ﴿وأَنْ ليسَ للإنْسَانِ إلَّا ماسَعَى وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزاءَ الأوفَى﴾ فليتلقى هذه النعمة الكبيرة والعارفة الخطيرة بإعظام قدرها والقيام بواجب شكرها وليتحقق أنها قاطنة بفنائه ما أحسن جوارها بخالصة نصحه وولائه وباقية عليه على عقبه ما عملوا بأحكام هذا العهد وغنوا بتأكيد أسبابه وأعلنوا بشعار الدولة واستمروا على السنة المألوفة في إقامة الخطبة والسكة ويمسكوا بولاء الدولة العباسية التي هي سُنَّة متبعة وما عداها ضلالة مبتدعة وجاهدوا في الله حق جهاده، وأحسنوا السيرة في عباده وبلاده والله تعالى يمدنا وإياه في هذا الرأي الذي رأيناه ويزلف من رضاه يحمد فاتحته وعقباه إن شاء الله تعالى وكتب في المحرم سنة ٥١٠ هـ))[1].

---

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق/١٩٣ ـ ١٩٧.

ملحق رقم ٢

نظام الملك

هو الوزير خواجه بزرك الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي أحد أبناء الدهاقين بطوس[١] ولد في نُوقان إحدى ضواحي طوس سنة ٤٠٨ هـ، وتربى فيها ثم اشتغل بالحديث والفقه، واتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ، وكان يكتب له فكان يصادره في كل سنة فهرب منه[٢].

وفي رواية لابن الأثير أن المعتمد عليه في مدينة بلخ والذي كان يكتب له نظام الملك يدعى ياخر وهو مقدم عساكر جغري بيك داود السلجوقي (جد السلطان ملكشاه) في مدينة بلخ[٣]، ثم لجأ نظام الملك إلى جغري بيك داود في مرو، فسلّمه إلى ابنه إلب أرسلان (ثاني سلاطين السلاجقة) لينتفع به[٤].

وقد بدأ نجمه يلمع بعد وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥ هـ وتولية ألب أرسلان السلطنة السلجوقية حيث استطاع نظام الملك أن ينتزع الوزارة من عميد الملك الكندري بعد التحريض عليه، فقبض عليه السلطان وسجنه وأمر بقتله[٥]. يقول ابن الأثير :

((ولما توفى طغرلبك، سعى نظام الملك في أخذ السلطنة لصاحبه ألب أرسلان وقام المقام الذي تعجز عنه الجيوش والكثرة واستقرت السلطنة له وبقي معه إلى أن توفى))[٦].

ثم وزر بعد مقتل السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٥ هـ إلى ابنه ملكشاه، بعد أن ساعده في تثبيت السلطنة له واستمر في وزارته حتى سنة ٤٨٥ هـ[٧].

وقد أشرف نظام الملك على سياسة السلطان ملكشاه وشؤونه العسكرية في الداخل والخارج، واستطاع أن ينظم دفّة الحكم بدقة، وأن يجعل السلاجقة أكبر قوة تخشاها الدول، فقد رافق السلطان ملكشاه في فتوحاته وحروبه وخطّط لها حتى بسط سلطانه على أجزاء واسعة من بلاد الشام والروم وما وراء النهر وبقاع العراق وفارس[٨].

يقول ابن النظام الحسيني عن حُسن سياسة نظام الملك :

((ولما عبر جيش السلطان «ملكشاه» نهر جيحون، كتب نظام الملك بأن تدفع أُجرة الملاحين من أموال أنطاكية، فلما ركب السلطان شكا إليه الملاحون أمرهم وقالوا : إنّا قوم فقراء نحصل على معيشتنا من هذا النهر، وإذا ذهب شاب منا إلى أنطاكية فإنه يعود شيخاً، فقال السلطان لنظام الملك : يا أبت ما هذه الحكاية ؟ أليس لنا في هذه الولاية معين بحيث نضطر إلى تحويل هؤلاء القوم إلى أنطاكية؟ قال الوزير : مولاي لا حاجة لأن يذهب هؤلاء القوم إلى أي مكان من الأماكن . . فإن أتباعنا يشترون البراءات التي أُعطيت لهم بالذهب يدفعونه إليهم نقداً ولقد أمرت لهم بذلك إظهاراً لعظمة ملكك وبسطة سلطانك حتى يعلم الناس مقدار اتساع مملكتك ونفاذ حكمك))[٩].

كان لنظام الملك أثر كبير يضاف إلى مآثره السياسية والعسكرية ألا وهو الناحية الثقافية، فقد كان نظام الملك عالماً أديباً سُنّياً متعصباً ضد غُلاة الاسماعيلية فشجع ذلك على اهتمامه ببناء المدارس النظامية فانتشرت في عدد كبير من المدن الاسلامية وكان لها الفضل في انتشار الثقافة الاسلامية في بلاد المسلمين(١٠).

ومن أشهر ما كتب نظام الملك كتابه الشهير سياسة نامة، الذي ضمنه كثيراً من النواحي السياسية والأدبية والاجتماعية(١١). يقول الأصفهاني عن نظام الملك :

((وكانت وزارته للدولة حلية وبهجته للمملكة زينة كأنما خلقه الله للملك . . وكأن الاقبال له معلماً والظافر مسخراً، وقد مشى في ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل حافر مركوبه، وكانت ملوك الروم وغزنة وما وراء النهر في ظل حمايته وكنف رعايته، وكانت ملوك الأطراف يُقَبِّلون كَتِفَه إجلالاً وتشريفاً ويتشرفون بلبس خلعه وكانوا أنجاداً له على أعدائه وجر الجحافل الثقيلة والعساكر الكثيفة وبقي في صدر الوزارة ثلاثين سنة))(١٢).

ولكن المودة لم تدم طويلاً بين السلطان ووزيره نظام الملك، فقد تدخلت نوازع الحسد والبغض على نظام الملك من البعض، فتحولت المودة إلى حقد أودى بحياة هذا النظام، وبدأ النفور وانعدام الثقة بين السلطان ووزيره على مراحل، فقيل أن الذي بدأ يغذي هذه الكراهية، هي زوجة السلطان ملكشاه لأن نظام الملك كان يميل إلى أن تكون ولاية العهد لبرقياروق بن السلطان ملكشاه بينها كانت زوجة السلطان تريد الولاية لابنها محمود (أصغر سناً من برقياروق ومن أم أخرى)) لهذا ظلت توغر صدره عليه وتقبِّح صورته وتذكِّره بأولاده الذين ملكوا البلاد، ونهبوا الثروة، فليس لأحد مجال لاظهار حكاياته من تسلطهم، حتى تغير السلطان عليه(١٣).

وقد شاركها في الدس والوقيعة بنظام الملك وزيرها تاج الملك أبوالغنايم الفارسي المرزبان بن خسرو المعروف بأبن دارست حتى زادت النقمة عليه(١٤).

يقول ابن الجوزي :

((ودبر تاج الملك وخاتون زوجة السلطان لأنها أرادت من السلطان أن ينص على ولدها محمود فثناه عن رأيه النظام، فخشوا «تاج الملك وخاتون» من النظام تثبيطاً عن مرادهم))(١٥).

ظهرت المشاحنات بين النظام والسلطان من خلال مراسلاتها فقد أرسل السلطان إليه يقول :

((إن كنت شريكي في الملك فلذلك حكم، وإن كنت تابعي فيجب أن تلزم حدك وهؤلاء أولادك قد استولوا على الدنيا ولا يقنعهم حتى يخرجوا من الحرمة))(١٦).

رد نظام الملك على السلطان رداً قاسياً بواسطة رُسله فنقلوه عنه فقد قال لهم :

((قولوا له : أما علم أني شريكه في الملك، فإنه ما بلغ ما بلغ إلاّ بتدبيري، أما يذكر حين قُتل أبوه كيف جمعت الناس عليه، وعبرت بالعساكر النهر «جيحون» وفتحت الأمصار وصار الملك بحُسن

تدبيري بين راج للرأفة ووجل من المخافة، وبعد هذا قولوا له : إن ثبات تلك القلنسوة مصدوق بفتح هذه الدواة، ومتى أطبقت هذه زالت تلك))[١٧].

وهكذا تفاقم الخلاف وتسعَّر أواره حتى انتهى بقتل نظام الملك، حيث رافق الوزير السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ في رحلته من أصفهان إلى بغداد، فدس عليه السلطان رجلاً باطنياً تقدم منه بصورة متظلم فطعنه بسكين كانت معه فقتله في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥ هـ[١٨].

يقول الحسيني :

((وسبب قتله أن تاج الملك أبا الغنايم صاحب خزانة السلطان ملكشاه، والناظر في أمر دوره وفي وزارة أولاده، قد أفسد قلب السلطان على الوزير نظام الملك، وظهر من السلطان ملل وأراد عزله فلم يقدر على ذلك لميل العساكر والأجناد إليه، وكان الوزير نظام الملك قد أنافت مماليكه على عشرين ألفاً، فلمّا عجزوا «خصومه» عنه حرضوا عليه رجلاً ديلمياً في صورة مستمنح ضربه بسكين كما ذكر، وحسب السلطان وتاج الملك أن الدنيا قد صفت لهما فكان بين السلطان وبينه ستة وثلاثون يوماً وبين تاج الملك وبينه مقدار شهرين كان فيهما خائفاً ولم يلبث أن قبض عليه غلمان الوزير نظام الملك وقتلوه))[١٩].

ملحق رقم ٣

جدول بأسماء الخلفاء العباسيين الذين عاصروا النفوذ السلجوقي في العاصمة العباسية[1]

الاســـم	مدة خلافته
١ ـ القادر بالله أبوالعباس اسحق بن المقتدر	٣٨١ هـ ـ ٤٢٢ هـ
٢ ـ القائم بأمر الله أبوجعفر عبدالله بن القادر	٤٢٢ هـ ـ ٤٦٧ هـ
٣ ـ المقتدي بأمر الله أبوالقاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله	٤٦٧ هـ ـ ٤٨٧ هـ
٤ ـ المستظهر بالله أبوالعباس أحمد بن المقتدي بالله	٤٨٧ هـ ـ ٥١٢ هـ
٥ ـ المسترشد بالله أبومنصور الفضل بن المستظهر بالله	٥١٢ هـ ـ ٥٢٩ هـ
٦ ـ الراشد بالله أبوجعفر منصور بن المسترشد	٥٢٩ هـ ـ ٥٣٠ هـ
٧ ـ المقتفي لأمر الله أبوعبد الله محمد بن المستظهر بالله	٥٣٠ هـ ـ ٥٥٥ هـ
٨ ـ المستنجد بالله أبوالمظفر يوسف بن المقتفي	٥٥٥ هـ ـ ٥٦٦ هـ
٩ ـ المستضيء بأمر الله الحسن أبومحمد بن المستنجد بالله	٥٦٦ هـ ـ ٥٧٥ هـ
١٠ ـ الناصر لدين الله أحمدأبوالعباس بن المستضيء بأمر الله	٥٧٥ هـ ـ ٦٢٢ هـ

(١) ابن الأثير : الكامل.

ملحق رقم ٤

جدول بأسماء سلاطين السلاجقة عامة[1]

الاســـم	مدة سلطانه
* السلطان ركن الدنيا والدين، أبوطالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق	٤٢٩ هـ - ٤٥٥ هـ
* السلطان عضد الدولة أبوشجاع ألب أرسلان محمد بن الملك جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق	٤٥٥ هـ - ٤٦٥ هـ
* السلطان معز الدنيا والدين ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان محمد	٤٦٥ هـ - ٤٨٥ هـ
* السلطان محمود بن السلطان ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان محمد	٤٨٥ هـ - ٤٨٦ هـ
* السلطان ركن الدنيا والدين أبوالمظفر يمين أمير المؤمنين برقياروق بن السلطان ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان محمد	٤٨٦ هـ - ٤٩٨ هـ
* السلطان غيَّاث الدنيا والدين أبوشجاع قسيم أمير المؤمنين بن السلطان ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان محمد	٤٩٨ هـ - ٥١١ هـ
* السلطان الأعظم معز الدنيا والدين أبوالحارث سنجر بن السلطان ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان محمد ((كان ملكاً للسلاجقة على خراسان فقط))	٤٩٧ هـ - ٥٥١ هـ
* السلطان مغيث الدنيا والدين محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥١١ هـ - ٥٢٥ هـ
* السلطان داود بن السلطان محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٢٥ هـ
* السلطان ركن الدنيا والدين أبوطالب طغرل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٢٦ هـ - ٥٢٩ هـ
* السلطان غيَّاث الدين والدنيا مسعود بن السلطان محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٢٩ هـ - ٥٤٧ هـ
* السلطان مغيث الدنيا والدين ملكشاه بن السلطان محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٤٧ هـ

(١) الراوندي : راحة الصدور.

تابع ملحق رقم (٤)

الاســـم	مدة سلطانه
* السلطان مغيث الدنيا والدين أبو شجاع محمد بن السلطان محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٤٧هـ - ٥٥٤هـ
* السلطان معز الدنيا والدين أبو الحارث سليمان بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٥٤هـ - ٥٥٥هـ
* السلطان ركن الدنيا والدين أرسلان بن السلطان طغرل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٥٥هـ - ٥٧١هـ
* السلطان ركن الدنيا والدين كهف الاسلام والمسلمين طغرل بن السلطان أرسلان بن السلطان طغرل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه	٥٧١هـ - ٥٩٠هـ

هوامش الملاحق

(١) ابن شدّاد : الأعلاق الخطيرة جـ ٣ ق ٢/٦١٧. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٣.

(٢) أبوالفرج بن الجوزي ؛ المنتظم جـ ٩/٦٤. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/١٣٠.

(٣) الباهر/١٠.

(٤) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٦٤. ابن الأثير : الباهر/١٠. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/١٣٠.

(٥) أبوالحسن الحسيني · أخبار الدولة السلجوقية/٢٣ ـ ٢٦. أبوالفداء : المختصر جـ ٢/١٨٤. ابن النظام الحسيني : العراضة/٤٨.
الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ٣/٢٤٠. اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣/٧٧.

(٦) الباهر/١٠.

(٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢١. الراوندي : راحة الصدور/١٩٧ ـ ٢٠٨. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٢ ـ ١٩٣.
أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥/١٠٦.

(٨) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٥٥ ـ ٦٧. ابن النظام الحسيني : العراضة/٥٦ ـ ٦٥.

(٩) الراوندي : راحة الصدور/٢٠١ ـ ٢٠٢.

(١٠) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٦٨ ابن النظام الحسيني : العراضة/٦٥ ـ ٥٧. الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غبر جـ ٣/٢٤٤.

(١١) أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة/٤٤. محمد السيِّد جمال الدين · دولة الاسماعيلية في إيران/٩٧

(١٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٥٨.

(١٣) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٦٧ الراوندي : راحة الصدور/٢٠٧ ـ ٢٠٨. ابن النظام الحسيني : العراضة/٦٥.

(١٤) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٦٣ ـ ٦٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/١٢٩.

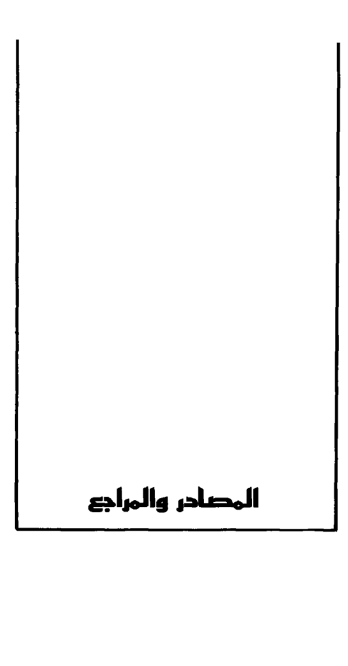
(١٥) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٦٧.

(١٦) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٦٧. أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٦٩. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول/١٩٢ ـ ١٩٣.

(١٧) أبوالفرج بن الجوزي : المنتظم جـ ٩/٦٤. أُنظر الراوندي : راحة الصدور/٢٠٧ ـ ٢٠٨. وأبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٦٩. ابن النظام الحسيني : العراضة/٦٥.

(١٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق/١٢١. الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق/٦٤ ـ ٦٥. ابن الأثير : الكامل جـ ١٠/٢٠٤.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢/١٢٩. ابن شدّاد : الأعلاق جـ ٣ ق ٢/٦١٧. أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ٢/٢٠٢.

(١٩) أبوالحسن الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية/٦٧.



المصادر والمراجع

مراجع البحث

أولاً : المخطوطات :-

سبط ابن الجوزي/شمس الدين أبوالمظفر يوسف بن غزاوغلي (ت : ٦٥٤ هـ)

* مرآة الزمان - دار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ.

ابن العديم/المولى الصاحب كمال الدين أبوالقاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت : ٦٦٠ هـ)

* بغية الطلب في تاريخ حلب - دار الكتب المصرية رقم ٥١٦ تاريخ.

العيني/بدر الدين محمود بن أحمد (ت : ٨٥٥ هـ)

* عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ.

ابن الفرات/ناصر الدين محمد (ت : ٩٠٧ هـ)

* تاريخ الدول والملوك - دار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ - تاريخ.

ابن قاضي شهبة/القاضي تقي الدين بكر بن أحمد (ت : ٨٧٤ هـ)

* الدر الثمين - دار الكتب المصرية رقم ٩٤٨٢ تاريخ.

* الكواكب الدرية - دار الكتب المصرية رقم ١٢٢٧ - تاريخ.

النويري/شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد (ت : ٧٣٢ هـ)

* نهاية الإرب في فنون الأدب - دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ - معارف عامة

ثانياً : المصادر العربية والمترجمة :-

ابن الأثير/أبوالحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت : ٦٣٠ هـ)

* الباهر في الدولة الأتابكية - مكتبة المثنى - بغداد - ١٩٦٣م.

* الكامل في التاريخ - القاهرة/١٩٦٦م.

ودار الفكر - بيروت ١٩٧٨م، ١٩٧٩.

* اللباب في تهذيب الأنساب - مصر ١٣٥٧ هـ.

البنداري الأصفهاني/الشيخ الامام الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني (ت : ٥٩٧ هـ)

* تاريخ دولة آل سلجوق - مطبعة الموسوعات - مصر ١٩٠٠م ط ١.

ودار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٨م ط ٢.

البغدادي/صفي الدين عبدالمؤمن (ت : ٧٣٩ هـ)

* مراصد الاطلاع - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤م ط ١.

البكري الأندلسي/أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت : ٤٨٧ هـ)

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

عالم الكتب - بيروت - بدون تاريخ.

البيهقي/أبوالفضل محمد بن حسين البيهقي (ت : ٤٧٠ هـ)

تاريخ البيهقي.

دار الطباعة الحديثة - القاهرة ١٩٥٦م.

الجاحظ/عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥ هـ)

* رسائل الجاحظ - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م.

ابن الجوزي/جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ)

* تلبيس ابليس - القاهرة ١٩٢٨م.

* المنتظم - حيدر آباد ١٣٥٩ هـ.

ابن الجوزي/سبط ابن الجوزي شمس الدين أبوالمظفر يوسف بن غزاوغلي (ت : ٦٥٤ هـ)

* مرآة الزمان جـ٨ مطبعة حيدر آباد ١٩٥١م.

ومطبعة الجمعية التاريخية التركية - أنقرة ١٩٦٨م.

الحسيني/ أبوالحسن علي بن السيد أحمد الحسيني (ت : ٦٢٢ هـ)

* أخبار الدولة السلجوقية - لاهور - ١٩٣٣م.

الحسيني/ابن النظام محمد بن محمد بن عبدالله الحسيني (ت : ٧٤٣ هـ)

* العراضة في الحكاية السلجوقية - مطبعة بغداد ١٩٧٩م.

ابن حوقل/أبوالقاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي
(ت : في القرن الرابع الهجري)

* صورة الأرض - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٧٩م.

ابن خرداذبة/أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله (ت : في حدود ٣٠٠ هـ)

* المسالك والممالك - مكتبة المثنى - بغداد - بدون تاريخ.

ابن خلدون/عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن جابر (ت : ٨٠٨ هـ)

* العبر وديوان المبتدأ والخبر - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٥٨م.

ابن خلكان/شمس الدين أبوالعباس أحمد بن أبي بكر (ت : ٦٨١ هـ)

* وفيات الأعيان - دار صادر بيروت ١٩٧٨م وطبعة مصر ١٣٤٩ هـ.

الذهبي/الحافظ شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨ هـ)

* دول الاسلام - مطبعة جمعية المعارف العثمانية - حيدر آباد - ١٣٦٤ هـ.

* العبر في خبر من غبر - دار المطبوعات والنشر - الكويت ١٩٦١م.

الراوندي/محمد بن علي بن سليمان (ت : ٥٩٩ هـ)

* راحة الصدور - دار القلم - القاهرة ١٩٦٠م.

السيوطي/عبدالرحمن بن أبي بكر جمال الدين (ت : ٩١١ هـ)

* تاريخ الخلفاء - دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٥م.

الشابشتي/أبوالحسن علي بن محمد (ت : ٣٨٨ هـ)

* الديارات - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٦م.

أبوشامة/شهاب الدين أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل (ت : ٦٦٥ هـ)

* الروضتين في أخبار الدولتين. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٦م - ١٩٦٢م.

ابن الشحنة/أبوالوليد مجد الدين محمد بن محمود بن الشحنة (ت : ٨١٥ هـ)

* الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب - بيروت ١٩٠٩م.

ابن شدَّاد/عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت : ٦٨٤ هـ)

* الأعلاق الخطيرة - دمشق ١٩٧٨م.

الشهرستاني/أبوالفتح محمد بن عبدالكريم (ت : ٥٤٨ هـ)

* الملل والنحل - القاهرة ١٣٦٨ هـ.

الشيرازي/داعي دعاة الفاطميين هبة الله بن أبي عمران موسى (ت : ٤٧٠ هـ)

* مذكرات داعي الدعاة - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.

الطبري/أبوجعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠ هـ)

* تاريخ الرسل والملوك ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.

ابن الطقطقي/فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا (ت : ٧٠٩ هـ)

* الفخري في الآداب السلطانية ـ المطبعة الرحمانية بمصر ـ بدون تاريخ.

ابن العبري/غريغوريوس أبوالفرج بن هارون الملطي (ت : ٦٨٥ هـ)

* تاريخ مختصر الدول ـ لم تذكر المطبعة والتاريخ.

ابن العديم/المولى الصاحب كمال الدين أبوالقاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت : ٦٦٠ هـ)

* زبدة الحلب من تاريخ حلب ـ دمشق ١٩٥٤م.

العظيمي/محمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت : ٥٥٦ هـ)

* تاريخ العظيمي ـ بدون تاريخ ومطبعة.

ابن العماد/أبوالفرح بن العماد الحنبلي (ت : ١٠٨٩ هـ)

* شذرات الذهب ـ القاهرة ١٩٣١م ط ١. ودار المسيرة ـ بيروت ـ ١٩٧٩م ط ٢.

الفارقي/أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت : ٥٨٠ هـ)

* تاريخ الفارقي ـ طبعة مصر ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩م.

أبوالفداء/إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة (ت : ٧٣٢ هـ)

* تقويم البلدان ـ دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٣٠م.

* المختصر في أخبار البشر ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ بدون تاريخ. والمطبعة السيفية بالقاهرة ١٢٨٦ هـ.

ابن الفرات/ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت : ٩٠٧ هـ)

* تاريخ ابن الفرات ـ مطبعة البصرة ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧م.

ابن قاضي شهبة/ القاضي تقي الدين بكر بن أحمد (ت : ٨٧٤ هـ)

* الكواكب الدرية ـ دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧١م ط ١.

القرماني/أبوالعباس أحمد بن يوسف (ت : ١١٠٩ هـ)

* أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

القزويني/الامام العالم زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢ هـ)

* آثار البلاد وأخبار العباد ـ دار صادر بيروت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م.

ابن القلانسي/أبويعلى حمزة بن أسد بن علي (ت : ٥٥٥ هـ)

* ذيل تاريخ دمشق ـ مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ م.

القلقشندي/أبو العباس أحمد (ت : ٨٢١ هـ)

* صبح الأعشى في صناعة الانشاء ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣م ـ ١٩٢٠م.

الكتبي/محمد بن شاكر بن أحمد (ت : ٧٦٤ هـ)

* فوات الوفيات ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١م.

ابن كثير/عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت : ٧٧٤ هـ)

* البداية والنهاية ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ هـ ـ ١٣٥٨ م ط ١. ومكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٧٧ م ط ٢.

أبو المحاسن/جمال الدين يوسف بن تغري بردى (ت : ٨٧٤ هـ)

* النجوم الزاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٣م/١٩٣٥م. وطبعة ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩ م.

مسكوية/أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت : ٤٢١ هـ)

* تجارب الأمم وتعاقب الهمم. ١٩١٤م.

المقدسي/شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر البنا (ت في القرن الرابع الهجري)

* أحسن التقاسيم غي معرفة الأقاليم. ليدن ١٩٠٦م.

ابن منظور/الامام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت : ٧١١ هـ)

* لسان العرب ـ دار صادر بيروت ١٩٥٥م.

ابن منقذ/مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني (ت : ٥٨٤ هـ)

* الاعتبار ـ مطبعة جامعة بريستون ـ الولايات المتحدة ١٩٣٠م.

نظام الملك/أبوعلي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي (ت : ٤٨٥ هـ)

* سياستنامه ـ القاهرة ١٩٧٥م.

ابن واصل/جمال الدين سالم (ت : ٦٩٧ هـ)

* مفرج الكروب - مصر ١٩٥٣م.

ابن الوردي/زين الدين عمر (ت : ٦٢٦ هـ)

* تتمة المختصر في أخبار البشر - دار المعرفة - بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

اليافعي/أبومحمد عبدالله بن أسعد بن علي (ت : ٧٦٨ هـ)

* مرآة الجنان - مؤسسة الأعلى للمطبوعات.
مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد ١٣٣٨هـ ط ١.
ومؤسسة الأعلى للمطبوعات - بيروت. ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ط ٢.

ياقوت/شهاب الدين أبوعبدالله الحموي الرومي (ت : ٦٢٦ هـ)

* معجم البلدان - دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ثالثاً : المراجع الحديثة العربية والمترجمة :-

أحمد عطية الله

* القاموس الاسلامي - مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

أحمد كمال الدين حلمي/الدكتور.

* السلاجقة في التاريخ والحضارة - دار البحوث العلمية - الكويت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ط ١.

أرمينوس فامبري/

* تاريخ بخارى/المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٥م.

أرنست رنسيمان/

* الحروب الصليبية - بيروت ١٩٦٧م.

أمينة البيطار/الدكتورة

* موقف أُمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين.

دار دمشق للطباعة والنشر - دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

بارتولد/

* تاريخ الترك في آسيا الوسطى - مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ١٩٥٨م.

بروكلمان/
* تاريخ الشعوب الاسلامية - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٧م ط ٧.
البستاني/فؤاد أفرام البستاني
* دائرة المعارف - بيروت ١٩٦٤م.
وطبعة دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ.
تامارا رايس/
* السلاجقة تأريخهم وحضارتهم
مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٨م.
الجنزوري/الدكتورة علية عبدالسميع
* إمارة الرها الصليبية/مطابع سجل العرب القاهرة ١٩٧٥م.
حتّي/الدكتور فيليب
* تاريخ العرب - بدون مطبعة ١٩٦١م ط ٣.
حسن الباشا/الدكتور
* الألقاب الاسلامية في التاريخ
مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م.
حسن إبراهيم حسن/الدكتور
* تاريخ الاسلام، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢م ط ٢.
حسين أمين/الدكتور
* تاريخ العراق في العصر السلجوقي - مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٥م.
الحسيني/محمد باقر الحسيني
* العملة الاسلامية في العهد الأتابكي - بغداد ١٩٦٦م.
خاشع المعاضيدي/
* دولة بني عقيل في الموصل - مطبعة شفيق - بغداد/١٩٦٨م ط ١.
الدبس/يوسف إلياس
* تاريخ سورية - المطبعة العمومية - بيروت ١٩٠٠م.

الدوري/الدكتور عبدالعزيز

* دراسات في العصور العباسية المتأخرة - بغداد ١٩٤٥م.

الديوه جي/سعيد ديوه جي (مدير متحف الموصل)

* الموصل في العهد الأتابكي - مطبعة شفيق - بغداد ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

رشيد الجميلي/الدكتور

* دولة الأتابكة في الموصل - دار النهضة - بيروت ١٩٧٠م ط ١.

زامباور/ادوارد فون

* معجم الأنساب والأسرات الحاكمة - بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

زكي النقّاش/ * العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ١٩٥٧م.

سعيد عبدالفتاح عاشور/الدكتور

* الحركة الصليبية - مكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة ١٩٦٣م ط ١. ١٩٧٦م ط ٣.

السمرقندي/أحمد بن عمر بن علي نظامي عروضي سمرقندي

* جهار مقالة - ليدن ١٣٢٧هـ وطهران ١٣١١هـ.

سميل/

* الحروب الصليبية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٢م ط ١.

سهيل زكار/الدكتور

* مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية - دار الفكر دمشق/١٩٧٥م ط ٣.

سيد أمير علي

* مختصر تاريخ العرب - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦١م ط ١.

شاكر أحمد أبوبدر/

* الحروب الصليبية والأسرة الزنكية - الجامعة اللبنانية - بدون تاريخ.

الطباخ الحلبي/محمد بن محمود بن هاشم

* أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. المطبعة العلمية - حلب ١٣٤٢م/١٩٢٣م ط ١.

طرخان/إبراهيم علي

* النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط ـ مصر ١٩٧١م.

طه أحمد شرف/

* دولة النزارية ـ القاهرة ١٩٥٠م.

العبادي/أحمد مختار العبادي

* قيام دولة المماليك في مصر والشام ـ بيروت ١٩٦٩م.

عبدالجبار ناجي/الدكتور

* الامارة المزيدية ـ دار الطباعة الحديثة ـ بغداد ـ بدون تاريخ.

عبدالعزيز سالم/الدكتور

* طرابلس الشام في العصر الاسلامي ـ طبعة مصر ١٩٦٧م.

عبدالنعيم حسنين/الدكتور

* سلاجقة إيران والعراق ـ مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٠هـ ـ ١٩٧٠م ط ٢.

عدنان العطار/

* الأطلس التاريخ ـ دمشق ـ منشورات سعد الدين ١٣٩٩م/١٩٧٩م ط ١.

العريني/الدكتور الباز العريني

* الشرق الأوسط والحروب الصليبية ـ طبعة القاهرة ١٩٦٣م.

العزاوي/الدكتور محمد العزاوي

* فرقة النزارية ـ القاهرة ١٩٧٠م.

عماد الدين خليل/الدكتور

* الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام.

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ط ١.

عمر أبوالنصر/

* قلعة آلموت ـ بيروت ١٩٧٠م.

كرد علي/

* خطط الشام ـ المطبعة الحديثة ـ دمشق ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

مجموعة من المترجمين/

* دائرة المعارف الاسلامية ـ ١٩٣٣م.

محمد جاسم حمادي/

* الجزيرة الفراتية والموصل ـ دار الرسالة ـ بغداد ١٩٧٧م.

محمد جمال الدين سرور/الدكتور

* سياسة الفاطميين الخارجية. دار الفكر العربي ١٩٦٧م.

محمد السعيد جمال الدين/الدكتور

* دولة الاسماعيلية في إيران. مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٧٥م.

مصطفى غالب/الدكتور

* تاريخ الدعوة الاسماعيلية ـ سوريا ١٩٥٣م

محمد كامل حسين/

* سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ـ القاهرة ـ ١٩٤٩م

* طائفة الاسماعيلية ـ القاهرة ـ ١٩٥٩م.

محمد محمد مرسي الشيخ/

* الجهاد المقدّس ـ الاسكندرية ـ ١٩٧٢م.

ميشيل لباد/

الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف بيروت ـ ١٩٦٢م.

نتنج ـ أنتوني

* العرب انتصاراتهم وأمجادهم ـ مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٧٤م.

هاري و. هازارد/

* أطلس التاريخ الاسلامي ـ مطبعة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٤م.

محتويات العدد

الموضـــوع	الصـــفحة

تــم بحمد الله


Bibliotheca Alexandrina
0339648